

ازمنة الحضارة في العراق الحديث

محاولة لدراسة عوامل التأخر في العراق

بقلم

محمد توفيق حسين

الجامعة الاميركية - بيروت

١٩٥١

## مقدمة

مضى على العراق منذ ان تخلص من الحكم التركي ثلاثون عاما وثيف وهو  
يسير في طريق التقدم والحضارة • ولكن سيره هذا ظل بطي • الخطوات محدود  
النطاق • ما يشبه ما يكون بالبحر منه بالسور الدائب العتزن • وارى في هذه الرسالة  
ان ابحت العوامل التي تعرقل تقدم البلاد • وتبطي • سير الشعب في سبيل ما  
يهدف اليه من تقدم • وحياة كريمة رغبة •

ولما كنت اعتقد ان الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وحدة  
متواشجة الاصول والفروع • دائمة الحركة • متفاعلة العناصر • فقد بحثت مختلف وجوه  
حياة الشعب بحثا مفصلا • واضحا • النبرة على العوامل التي تكون في رأيي اسس  
المشكلة التي ابحت فيها • ولتسهيل البحث • وتوضيح الفكرة • قسمت الموضوع الى  
ثلاثة اقسام • بحثت في القسم الاول كيان البلاد الاجتماعي • ودرست صورة لحالة  
الشعب جهدت في ان اجعلها تامة • مطابقة للواقع • وبحثت في القسم الثاني الكيان  
الاقتصادي • والاقتصادي ووقفت طويلا عند المشكلة الزراعية • التي هي من اهم  
مشاكل البلاد • ان لم تكن مشكلتها الاولى • طالما كان اكثر من ثلاثة ارباع السكان  
فلاحين • يزرعون الارض • ويعتمدون على الزراعة اعتمادا مباشرا او غير مباشر •  
وبحثت في القسم الثالث الكيان السياسي • فتبينت فيه نشوء مصالح بريطانيا المعطى  
في العراق • وتطور علاقتها به • حتى يظهر مدى مسؤولية هذه الدولة فيما يشكو  
العراق من تاخر • ثم بحثت اخيرا في نظام الحكم في العراق • فتبينت نشوء  
وتكونه • وتكلمت عن دستوره • واهم شرائعه • ووصفت جهازه الاداري • وحتى يستبين  
مقدار مسؤولية هذا النظام في وجود مشاكل البلاد • ومدى استعداده لتحقيق  
الاصلاحات الضرورية •

وحرصت على ان ابحت كل مشكلة بحثا تاريخيا • فاتتبع جذورها • واساير نشوءها  
وتطورها • لان هذه الطريقة اجدر ان تعمينا على تفهم المشكلة • وتعيين المسؤولين  
عن وجودها • والاطلاع على ما قدم لعلاجها من دواء •

ولا بد لي من ان احدد معنى كلمة حضارة التي جعلتها اساس عنوان  
هذه الرسالة • ان الشعب المتحضر في رأيي • هو الشعب الذي تكون اقلية  
افراد • حائزة على الحد الادنى من الثقافة التي تمكن الانسان من فهم الحيلولة  
والاستمتاع بشمات العلوم والفنون • وادراك حقوقه وواجباته كمواطن وانسان •

وهو الشعب الذي تتمتع اقلية افراد به مستوى غير قليل بالانسان وتتيح لها التمتع بحياتها ومنجنيها التفكير المطلق في المستقبل <sup>وتعبرها</sup> فمن هدر كرامتها الانسانية في سبيل الحصول على لقمة ما نكاد نسد الجوع . وتقيم الاود . وهو الشعب الذي تكون اقلية افراده صحيحة الاجسام متامة العافية موفرة النشاط . واخيرا هو الشعب الذي تدبر اموره حكومة تمثل مصالح اقلية افراده . وتضمن حقوقه وتحمي له امكانية التمتع بحرياته الاساسية وتوفر له الوسائل التي تعينه على التقدم والانطلاق في مجال الابداع الواعي .

والحق ان هذا الموضوع واسع الاتاق ومتشعب الاطراف ولا يوفيه حقه عدد <sup>العلماء الاجتماعيين بآلة الباحث الفرد . وقد تقدمت على بحثه وانما اعلم مدى عجزتي في</sup> من المتخصصين بمختلف علوم التجارة والسياسة والاقتصاد موضحا امكانياتي في مجال البحث المركب ، لتيقني من ان هذا الموضوع وامثاله ما تحتاجه الحياة الفكرية العربية احتياجا شديدا . فاذ بدون البحث في علل تاخر البلاد العربية مبحثا شاملا . متقصيا ولا يمكن التوصل الى وصف العلاج الشافي . ولعلمي ان هذا الموضوع لا يمكن ان يبحث الا بهذه الطريقة من التحليل المركب الشامل . وما يشفع لي في اقتحام هذا البحث الواسع ، الشامل ، الخطير ، كوني قد عانيت مدى سنوات طوال . فقد درست اكثر مواضيعه اثنا السنوات الست التي قضيتها في التعليم . وقد كتبت في نواح من هذا البحث عشرات المقالات في جريدة الشعب ومجلتي "المجلة" و "الرابطة الثقافية" ايام كنت اساهم في تحريرها بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٦ . ولقد زرت العراق من اقضاء الى اقضاء وفي فترات مختلفة باحثا مستطلعا ودارسا مفتحا العينين ، والفكر ، والضمير . وكلنت هذه المواضيع التي اعالجها الان تحتل تفكيري وتتوجه ضميري . منذ صباى الباكر . حتى لقد اصبحت المحور الذي يدور حوله كياني العقلي بأسره .

لقد حاولت ، وفي كتابة هذه الرسالة ان ارجع كل حادثة استشهد بها وكل صورة وارسمها ، وكل فكرة اعرض لها ، الى مرجع امين موثوق بصحته فلم اسير فورة /لنفس ولم اعتمد على الذاكرة الا نادرا . ليكون البحث موضوعيا ملزم بالحجة ، بعيدا عن العاطفة الخادعة ، وهوى النفس المظلل . على انني لا ازم انني اطلعت على جميع المصادر التي تبحث في شؤون العراق فاستقصيتها استقصاء . فقد حال اتساع الموضوع ومضيق الوقت وفقر مكتبة الجامعة بالكتب ودون الاستعانة ببعض المصادر المبتعة . ولما كنت ابحت في اسباب تاخر البلاد ، فقد اكدت على نقاط الضعف والتاخر

واطلت الوقوف عند عوامل الفساد التي تتحرك في البلاد ، فجاءت لذلك أكثر الصور  
التي رسمتها قاعة الألوان ، كتيبة الملاح ، نابضة بالآل ، ولم يكن ذلك عن  
نية سيئة في تمويه حقيقة ما حصل في البلاد من تقدم ، ولا عن قصد خبيث  
في اغفال جهود القادة المصلحين .

ولا بد لي من ان انوه بالفضل الذي اسبغته علي استاذي الدكتور نبيه امين فارس  
رئيس دائرة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية ، والجهود التي بذلها في مساعدتي  
في اعداد هذا البحث . فلولا توجيهه القويم ، وارشاده النير ، وتشجيعه المستمر  
لما استطعت ان اتم هذا العمل المجهد . فله خالص شكري ، وعظيم تقديري ،  
وصادق اعترافي بالجميل .

محمد توفيق حميد



## القسم الاول : الكيان الاجتماعي

### الفصل الاول : عدد السكان

(١) احصاء النفوس : اثبت الاحصاء الرسمي لسكان العراق ، الذي قامت به الحكومة العراقية في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، ان المجموع العام للسكان هو ٤,٧٩٩,٥٠٠ نسمة بأنهم ٢,٢٥٣,١٧٠ ذكر و ٢,٥٤٦,٣٣٠ انثى (١) . وبما كنا ان نقدر نفوس العراق بخمسة ملايين نسمة ، اذا علمنا ان بعض سكان الريف وعددا من افراد القبائل البدوية الرحالة لم يشتركوا في تسجيل نفوسهم (٢) . وساعتد هذا الرقم فيما يلي من الابحاث . وقد قدر عدد القادرين على العمل من الذكور ب ٧,٠٠,٠٠٠ شخص في عام ١٩٤٤ (٣) .

وتقدر نفوس المدن التي يزيد عدد سكانها عن ٢٥,٠٠٠ نسمة بحوالي ١,١٥٠,٠٠٠ نسمة ، اي بنسبة ٢٥ بالمئة من مجموع السكان تقريبا . اما الريفيون من سكان القرى فتتراوح نسبتهم بين ٦٥ بالمئة و ٧٠ بالمئة الى مجموع سكان البلاد (٤) . وقد ردوسن عدد افراد القبائل الرحلة ، عام ١٩٣٠ ، ب ٢٣٤,٥٠٠ نسمة ، اي نحو ٨ بالمئة من مجموع السكان (٥) ، وقد رهم السيد عباس العزاوي بنحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة (٦) ، اما السيد جعفر خياط فيقدر عددهم بحوالي ٤٥٠,٠٠٠ نسمة (٧) ، اي نحو ١ بالمئة من مجموع السكان حسب احصاء سنة ١٩٤٧ .

- 
- (١) المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤٧ اي (مطبوعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٤٩) ، ص ١٧ .  
(٢) احمد عبد الباقي وهوني بكر صدقي وعبد المطلب العاشمي ، " جغرافية العراق والبلاد العربية " (بغداد ، ١٩٤٧) ، ص ١٠٧ . وسأشير الى هذا المصدر فيما بعد بعبد الباقي . وانظر كذلك ساطع الحصري ، " حولى الثقافة العربية " (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص ١١٠ وسأشير الى هذا المصدر فيما بعد بكلمة " حولى " .

ولعل الرقم الاخير اقرب الى الواقع ، فهو احدثها زمنا ، كما ان نسبة عدد البدو الى مجموع السكان تقرب من النسبة التي ذكرها دوسن . مع اخذ زيادة السكان ، خلال هذه المدة ، بنظر الاعتبار .

(ب) كثافة السكان : تبلغ مساحة العراق ٤٥٢,٥٠٠ كيلومترا مربعا . وعلى هذا تكون كثافة السكان في الكيلومتر المربع الواحد ١١ شخصا<sup>(٨)</sup> وهذا العدد ضئيل اذا ما قارناه بكثافة السكان في البلاد المجاورة . حيث تبلغ كثافة النفوس في سوريا ١٠,٧٢ شخصا في الكيلومتر المربع ، وفي لبنان ١٢,٩١ ، وفي فلسطين ٤٦,٦٥ ، وفي تركيا ٢١,٢ ، وفي مصر ١٤,٢<sup>(٩)</sup> . على ان ارض العراق ليست جميعها صالحة للسكن ، ففيها الجبال الباردة الجرداء ، وفيها الصحارى القاحلة ، ولا يسكن الناس الا في الاراضي المزروعة فعلا او الاراضي القابلة للزراعة ، وفي بعض انحاء الجبال والصحراء حيث تتوفر المراعي والمياه . واذا اعتبرنا كثافة السكان بالنسبة للاراضي القابلة للزراعة بوالتي تقدر مساحتها ب ١٢١,٠٠٠ كيلومتر مربع ، يعيب الكيلومتر المربع الواحد ٤١,٣٢ نسمة ، في الوقت الذي يعيب الكيلومتر المربع الواحد من مثل هذه الاراضي ٥٣ نسمة في سوريا و ٤٥٠ في مصر<sup>(١٠)</sup> . ويعيب الكيلومتر المربع الواحد من الاراضي المزروعة فعلا ، والتي تقدر مساحتها ب ٢٢,٠٠٠ كيلومتر مربع ، ٢٢١ نسمة

« The Middle East : A Political And Economic Survey » The Royal Institute of International Affairs (London, 1950) , p. 239. (٣)

وقد كتب الفصل الخامس بالعراق من هذا الكتاب السيد سيتون لويد مستشار مديرية الانار القديمة في العراق سابقا . وسأشير الى هذا الكتاب بكلمة " الشرق الاوسط " .

(٤) جعفر خباط ، " القرية العراقية " : دراسة في احوالها واصلاحها " (بيروت ، ١٩٥٠) ، ص ١٣ .  
وسأشير اليه فيما بعد بكلمة " القرية العراقية " . يبلغ عدد سكان المدن التي تضم اكثر من خمسين الف نسمة حسب الاحصاء الاخير كما يلي : بغداد : ٣٦٤,٠٤١ ، الموصل : ٢٠٣,٢٧٣ ، البصرة : ١٣٠,٨٨١ ، كركوك : ٦١,٠٣٥ ، الحلة : حوالي ٥٠,٠٠٠ . راجع " الشرق الاوسط " ص ٢٣٨ .

(٥) السير ارنست دوسن ، " بحث في كيفية التصرف بالاراضي والمسائل المتعلقة بذلك " .

(مطبوعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٢) ، ص ٩ . وسأشير اليه فيما بعد بدوسن .

(٦) عباس العزاوي المحامي ، " عشاير العراق " ج ١ (بغداد ، ١٩٣٧) ، ص ٤٣٥ . وسأشير اليه فيما

بعد بعزاوي

(٧) " القرية العراقية " ص ١٠٧

(٨) عبد الباقي ص ١٠٧

ثم ان كثافة السكان ليست واحدة في جميع انحاء البلاد ، فهي تختلف بالنسبة لوفرة المياه وخصوبة التربة وملائمة المناخ للحياة ، وهي تشتد حيث تزدهر الصناعة والتجارة ، وفي الاماكن المقدسة عند بعض الطوائف الدينية حيث يؤمها الناس للحج والزياره والاقامة . ففي منطقة الشامية يبلغ معدل كثافة السكان في الميل المربع الواحد (٤٦٤) نسمة (١١) بينما يبلغ معدل كثافة السكان في لواء الدليم ( ٤٧٠) نسمة في الكيلومتر المربع الواحد . وفيما يلي جدول بكثافة النفوس في الالوية حسب احصاء عام ١٩٤٧ (١٢) .

اللواء	مجموع النفوس	كثافة السكان في الكيلومتر المربع	نسبة النفوس المئوية في كل لواء للمجموع
بغداد	٨٠٥٠٢٩٣	٤٠٠٢٢٠	١٦٠٨
الموصل	٦٠٥٥٨٩	١١٠٩١٨	١٢٠٥
البصرة	٣٥٢٠٣٩	٢٨٠٥٧٠	٧٠٣
كركوك	٢٨٥٠٨٧٨	١٤٥٣٨٧	٦٠٠
الديوانية	٣٨٣٠٧٨٧	٢٥٠٧٠٤	٨٠٠
العمارة	٣٠٨٠١٠٨	١٦٠٤١٤	٦٠٤
الحلة	٢٦١٠٩٠٣	٤٩٠٥٤٦	٥٠٥
المنتفك	٣٦٦٠٨٠٦	٢٦٠١٣٧	٧٠٧
الكوت	٢٢٤٠٧٩٢	١٤٠٠٢٥	٤٠٧
الدليم	١٩٣٠٢٩٤	٤٠٢٦٧	٤٠٠
اربيل	٢٤٠٠٢٧٣	١٤٠٥٧٧	٥٠٠
السليمانية	٢٢٢٠٧٣٢	٢٣٠٦٧٣	٤٠٦
ديالى	٢٧٣٠٣٢٦	١٧٠١٥٠	٥٥٧
كربلاء	٢٧٦٠٦٧٠	٤٦٠٩٥٧	٥٠٨
المجموع	٤٧٩٩٠٠٠		

(٩) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في العراق " (بيروت ، ١٩٣٨ ) ص ١٣ وسائير اليه فيما بعد بحمادة .

(١٠) المصدر السابق ص ١٤

(ج) عوامل قلة السكان : ان عدد نفوس العراق ضئيل جدا بالنسبة لمساحة البلاد الواسعة

وبالنسبة لما تستطيع الارض انتاجه من محاصيل زراعية ، وبالنسبة للثروة المعدنية المخبأة في باطنها .

وقلة السكان هي احد العوامل المهمة في تاخر البلاد الزراعي ، وفي تاخر الانتعاش الاقتصادي

بصورة عامة . فان قلة الايدي العاملة قد ادى الى بقاء مساحات واسعة من الارض القابلة للزراعة

بوراء عاطلة عن الانتاج ، وإلى عدم اهتمام الفلاح بالارض ، فاذا ما نضبت خصوبة ارضه ، وظهرت على

سطحها الاملاح ، نتيجة لعدم استخدامه الماء استخداما صحيحا ، تحول الى قطعة ارض اخرى .

وقد كان سكان العراق في العصر العباسي اكثر عددا من سكانه اليوم . فكانت المدن المزدهرة

بالصناعة والتجارة تغمر بالناس ، وكانت القرى تعج بالفلاحين . ولكن الفوضى السياسية التي حلت في

البلاد في اواخر العصر العباسي وبلغت ذروتها بعد سقوط الدولة العباسية على التتر الغزاة (

واختلال الامن في تهديم قنوات الري وسدوده ، الذي ادى الى ضياع كثير من الاراضي الزراعية وإلى

فقر الفلاحين وانتشار الاوبئة والامراض ، وعبث القبائل البدوية بالسكان وانحطاط الصناعة والتجارة )

وتفشي الجهل ، اادت الى تضائل عدد السكان . ومع ان حال البلاد قد تحسنت نوعا ما منذ قيام الحكم

الوطني ، فقد قضي على الوبئة وساد الامن في البلاد او كاد ، وانقطعت الغزوات والحروب التي كانت

تقوم دون انقطاع في البلاد وتزهو فيها النفوس ، وقامت المؤسسات الصحية ، وخاصة في المدن ، تعنى

بشؤون المرضى ، وان كانت هذه العناية محدودة النطاق ، وانشأت الحكومة مشاريع اسالة المياه المعقمة

في المدن ، وانتشر التعليم ، فان السكان ما زالوا يزدون زيادة بطيئة ما تكاد تحس ، وما زال النقص

في السكان واضحا ملموسا .

واذا اردنا ان نبحث في عوامل نقص السكان وجدناها مسببة عن النظام الاقتصادي والاجتماعي

بالدرجة الاولى ، ومن عوامل اخفى سنذكرها في حينها . هنالك عوامل عديدة تزيد في الولادات

وتشجع على النسل . فعادة الزواج المبكر مستحبة بين اغلبية الشعب ، والاستنكار من الاولاد .

وخاصة بين الفلاحين ، والقبائل الرحل والفقراء من سكان المدن . مرفوب فيه مهما ساء حال الرجل

الاقتصادي وقست عليه الفاقة والحرمان . وتعدد الزوجات كثير الحدوث وخاصة في القرى (١٢) .

وهادة اسقاط الاجنة محرمة شرعا وقانونا ويستنكرها المجتمع اشد الاستنكار ، اما عادة ضبط النسل

فدخيلة على الشعب لا يمارسها الا عدد ضئيل من سكان المدن المثقفين . كل هذه العوامل يجب

(١١) احمد فهمي " تقرير حول العراق " ( بغداد ، ١٩٢٦ ) ، ص ٢٠ . وسأشير اليه فيما بعد باحتمال

(١٢) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧ ، ص ١٨ - ٢٠ .

ان تؤدي الى زيادة الولادات . وفي الحق ان الولادات في العراق كثيرة . ويتراوح معدل الاولاد الذين يولدون لكل ام بين ٥ و ٦ اولاد . (١٤) . ولكن الوفيات كثيرة ايضا . فقد دلت بعض التحقيقات على ان ٣٥ بالمئة على الاقل من مجموع الاطفال الذين يولدون كل عام يموتون قبل بلوغهم السنة الواحدة من العمر . وهكذا تستمر عملية الوفاة في الاعمار الاخرى . كما دلت بعض التحريات المحلية (في بغداد ) على ان معدل زيادة السكان تتراوح بين ١ و ١ ١/٢ سنويا . ولا يتجاوز المعدل العام لطول العمر البشري (٢٥) سنة (١٥) . وفيما يلي جدول بالولادات والوفيات المسجلة للاطفال دون السنة الواحدة من العمر في المدن الرئيسية الثلاث مع نسبة الوفيات في كل الف ولادة (١٦) . مع العلم بان هذه الارقام لا تشمل الا الحوادث المسجلة بينما هنالك حوادث لم تسجل ولم يجر عليها اي تخمين .

---

(١٣) يقول الاستاذ عزاوي ج ١ ص ٣٣١ " وفي الوقت نفسه يحضون على اخذ النساء (٩) افراد القنائل ) والاكثر منهن ليكون للمرء اولاد يكيد بهم اعداءه ويقهر منافسيه ، فيقولون : خوذ من النساء وجيد العداة " .

(١٤) هاشم جواد ، " مقدمة في كيان العراق الاجتماعي " (بغداد ، ١٩٤٦) ص ٢٤ وسائير اليه فيما بعد بجواد .

(١٥) المصدر السابق ص ٢٥

(١٦) "المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٣ " نقلا عن جواد ص ٢٥ فيما يختص بارقام السنوات ١٩٣٨ - ١٩٤٣ ، "المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٢ " ص ٢١ فيما يختص بارقام السنوات ١٩٤٤ - ١٩٤٦ .

جدول بالولادات والوفيات للاطفال (دون السنة الواحدة من العمر) في المدن الرئيسية الثلاث .

السنة	بفداد			موصول			المجموع		
	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ولادة	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ولادة	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ولادة
١٩٣٨	٨,٨٦٣	٢,٢٧٩	٢٥٧	٣,٧٦٥	٦٢٤	١٦٦	١,٧٧٠	٤٤٣	٢٥٠
١٩٣٩	٩,١١٩	٢,١٣١	٢٣٤	٣,٨٨٨	٧٣٠	١٨٨	١,٧١٦	٤١٥	٢٣١
١٩٤٠	٩,٦٨٢	٢,٤٣٧	٢٥٢	٣,٨٤٩	٧٣٣	١٩٠	١,٦٦٣	٤١١	١٣١
١٩٤١	٩,٠٣٣	٢,١٤٢	٢٣٧	٤,٠٦١	٦١١	١٥٠	١,٤٩٧	٣٠١	٢٠١
١٩٤٢	٩,٣٥٨	٢,١٩٣	٢٦٢	٣,٧٣٦	٥٤٠	١٤٥	١,٨١٨	٢٤٦	١٣٥
١٩٤٣	١١,٠٤٩	٢,٦١٦	١٤٦	٣,٨٧٩	٤٤٩	١١٦	٢,١٥١	٣٠١	١٣٩
١٩٤٤	١١,١٦٧	٢,١٣٩	١٠١	٣,٨١٤	٤٣٦	١١٣	٢,١٠٦	٣١٩	١٥١
١٩٤٥	١٢,٤٨٨	١,٢٠١	٩٦	٥,١٥٤	٣٥١	٦٨	٢,٥٧٤	٢٩٧	١١٥
١٩٤٦	١٧,٠١١	١,٣٠٢	٧٦	٤,٨٣٧	٣٩٤	٨١	٣,٦٠٩	٣٥٥	١٨١

فإذا كان معدل الوفيات مرتفعاً إلى هذا الحد في المدن الرئيسية حيث ينعم الناس بشي من حضارة ومستوى عيش جيد نسبياً ، فلا شك أن هذا المعدل أكثر ارتفاعاً في القرى حيث تميز الكثرة السكان ، وحيث يسود الفقر والجهل والمرض ، وينعدم وجود المؤسسات الصحية والمياه الصالحة للشرب ، وجميع وسائل الوقاية والعلاج (١٧) .

أن نقص السكان ليس مسبباً عن صالة في النسل وقلة في الولادات بل هو مسبب بالدرجة الأولى عن زيادة في الوفيات . أن المسؤول عن كثرة الوفيات هو هذه الأمراض المنتشرة في البلاد انتشاراً واسعاً وأخصها الملاريا والبلهارزيا والانكستوما والسل والزهرى التي تفك بأرواح الشعب وتضعف الأم أثناء الحمل ، فإذا ما نشب للطفل أن يرى النور ، جاء عليه ما هي العدم ، لا يستطيع تحمل الأمراض الكثيرة التي تفك بأجسام الأطفال الغضة فتكاً لهذا الفقر الذي ينوء به عامة سكان الريف ومعظم سكان المدن والذي يحول بين الناس وبين تناول الحد الأدنى من الأغذية الضرورية لبناء الجسم وأعداده أعداداً يمكنه من التغلب على الأمراض ، والذي يحول بين الناس وبين المعيشة الصحية النظيفة المريحة ، وهذا الجهل الذي ترزح تحت كآبوسه كثرة الشعب ، فيمنعهم من اتباع الطرق الصحيحة في المعيشة وتربية الأطفال ، ويفرهم باعتناق الخرافات والباطيل ، ثم انعدام مياه الشرب المعقمة في الريف ، وفقدان المؤسسات الصحية في القرى وقلة جدواها في المدن . وسوف أقول في هذه العوامل في الفصل الذي مخصص للصحة والمؤسسات الصحية (١٨) .

---

(١٧) قدر مركز تومين الشرق الأوسط في سنة ١٩٤٣ أن ٣٥٠ طفلاً من بين كل ١٠٠٠ طفل يموتون قبل أن يبلغوا العام الواحد من عمرهم في العراق . ويموت ٥٠٠ طفل من بين كل ١٠٠٠ قبل أن يبلغوا العام الخامس من عمرهم . راجع الشرق الأوسط ص ٢٣١ .

(١٨) راجع " الشرق الأوسط " ص ٢٣١ .



## الفصل الثاني : قوميات السكان

كان العراق منذ فجر التاريخ ملتقى لشعوب مختلفة . جاء بعضها غازيا فاتحا ، تغريه خصوبة تربته ووفرة حاصلاته ، فاستقر وتحضر . واثاء بعضها من الصحراء او من الجبال لاجئا من عدو يطارده ، او هاربا من مجاعة تهدده ، فتهب وخرب وعاد الى جباله او صحاريه . جاء السومريون والعيلاميون من اقصى الجنوب الشرقي ، والاكراد من الشرق ، والاكديون والعموريون والاشوريون والكلدانيون والاراميون الساميون من جزيرة العرب ، وحل فيه الاخمينيون والفرس من هضبات ايران ، وغزاه اليونان يقودهم الاسكندر المقدوني ، واخيرا استقر فيه العرب فاسسوا فيه مدينتهم وطبعوه بطابعهم الخاص الذي لا يزال واضح المعالم قويا . ثم كان العصر العباسي فنزح الى العراق اقوام عديدون منهم الترك والفرس والزنج . وفي اواخر هذا العصر رحل فيه التتر والمغول .

كانت هذه الامم تتعارض حينئذ ، فيفنى الضعيف او يندمج في القوى ، او تتعاون فيما بينها على رعاية المدنية وخدمة البلاد . ولكنهم امتزجوا على كل حال ، وخاصة في المدن ، وكونوا شعبا متجانسا العنصا . على ان يعمر هذه الشعوب ظلت محافظة على خصائصها القومية الى الوقت الحاضر ، مستمسكة بتقاليدها ، متكلمة بلغاتها الاصلية . وليس من هي في هذا الفصل ان تتبع تاريخ كل قومية من القوميات الحاضرة بالتفصيل . واذكر مآتيها الغابرة ، وانما اريد ان اعرض لها باختصار ، شارحا علاقتها بالمشكلة التي اعالجها ، مشكلة الحضارة ، من حيث هي قوميات .

تعوزنا الاحصاءات الحديثة المضبوطة عن عدد افراد كل قومية من هذه القوميات التي تعيش في العراق ، ونسبتهم العددية الى مجموع السكان ، واحوالهم الاجتماعية والاقتصادية . وقد يعود سبب عدم وجود هذه الاحصاءات المضبوطة الى عدم اهتمام الحكومة بالاحصاءات الحياتية والاجتماعية للسكان الا حديثا ، وقلة خبرة القائمين بالاحصاء ، وعدم مساهمة الناس في الاحصاء وقلة تاييدهم للقائمين به . ويعود عدم وجود احصاءات مضبوطة عن الطوائف الدينية والاقليات القومية (١) ان الحكومة العراقية تعتبر جميع ابناء البلاد جنسية واحدة هي الجنسية العراقية ، بهرف النظر عن العناصر الاصلية والدين الذي يدبنون به ، والطوائف التي ينتمون اليها . ان ما ساذكره في هذا الفصل والفصول القادمة من ارقام ونسب انما هي تقديرات ارجو ان تكون قريبة من الواقع .



يوئلف العرب اكثرية الشعب العراقي وتبلغ نسبتهم ٧٨ بالمئة الى مجموع السكان ، ثم يليهم الاكراد وتبلغ نسبتهم ١٦ بالمئة ، ويؤلف الاتراك نسبة قليلة من السكان لا تتجاوز ٢ بالمئة (١) . ويؤلف الاقوام الاخرون ، وهم الارمن والفرس والاشوريون والكلدان واليهود ، ٤ بالمئة من مجموع السكان .

(١) العرب : يؤلف العرب اغلبية السكان اذ يبلغ عددهم حوالي ( ٣,٩٠٠,٠٠٠ ) نسمة تقريبا وهم يسكنون في الالوية الجنوبية والغربية بين حدود العراق الشرقية وبادية نجد في القسم الجنوبي منه ، وبين نهر دجلة وبادية الشام في القسم الشمالي منه ، على ان تسما من العرب يسكنون دقة دجلة اليسرى في قسمة الاوسط .

ان تاريخ العرب في العراق قديم جدا " فقد كانوا منذ اقدم الازمان يفدون الى تخوم الجزيرة الشرقية حتى اذا ما وصلوا الى وادي الفرات اقاموا في ربوعه " (٢) . على ان هجرة القبائل العربية الى جنوب العراق بلغت اوجها في القرن السادس الميلادي . فلما كان الفتح الاسلامي دخل العراق في حكم العرب ، وتغلب العنصر العربي على البلاد وما يزال . وليس للعرب ، بحكم كونهم اكبر قومية في البلاد ، مشكلة قومية خاصة بهم .

(ب) الاكرد : يسكن الاكراد عامة المنطقة الجبلية الممتدة على ملتقى الحدود الايرانية - التركية - العراقية ، الى الجنوب الغربي من بحر قزوين . اما اكراد العراق فيسكنون في الالوية الشمالية الشرقية بين حدود العراق الشرقية وخط وهمي يمر من قراخو وشرقي اربيل وكركوك في المنطقة الجبلية ، وهم قوم آريون لم يتوصل العلماء اليّ اليقين في حقيقة اصلهم . فمن العلماء من جعلهم من الجنس التوراني ومنهم من نسبهم الى الجنس الارى ، ومنهم من ذهب الى انهم ينتمون الى قبائل غوتو التورانية التي ذكرها الاشوريون باسم (قردو) او (كردو) حيث كانت تسكن الجبال الواقعة في شمال بلاد اشور . فلما سقطت نينوى بيد الكلدانيين والماديين ، وزالت دولة الاشوريين من الوجود ، اختلطت تلك القبائل بالماديين تدريجيا ، واندجت بهم ، فتغلبت عليهم الاوصاف الارية وماسوا من الشعوب الارية .

---

(١) عبد الباقي ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) فيليب حتي وادوارد جرجي وجبرائيل جبور ، " تاريخ العرب ( مطول ) " ج ١ ( بيروت ، ١٩٤١ ) .

اما لغتهم فتعتبر فرما من مروج اللغات الآرية ، وهي قريبة الشبه باللغة الفارسية (٣) .

يؤلف الاكراد اكبر قومية في العراق بعد العرب ، ويبلغ عددهم في الوقت الحاضر حوالي ( ٨٠٠,٠٠٠ ) نسمة تقريبا (٤) . وهم ينقسمون الى قبائل عديدة ، بعضها ما يزال في حالة بدوية متقلبة ، على ان معظمهم يعيشون في القرى ويشغلون في الزراعة وتربية المواشي ، وبعضهم يسكنون في المدن ويشغلون في مختلف الحرف ، ومنهم قسم كبير في مختلف دوائر الحكومة وقواتها المسلحة ، وهم منتشرون في مختلف المدن العراقية .

---

(٣) طه الهاشمي ، " مفصل جغرافية العراق " ( بغداد ، ١٩٣٠ ) ، ص ٩٧ - ٩٨ . وسامير اليه بكلمة الهاشمي . يقول السيد محمد امين زكي " خلاصة تاريخ الكرد وكردستان " نقله عن الكردية محمد علي هوني ، ( مصر ، ١٩٣٩ ) ، ص ٦٣ - ٦٤ ، بعد ان عرّف بتفصيل بالاراء لشخبة من العلماء في اصل الاكراد وبخاصة اراء فلاديمير مينورسكي والسير سيدني سميث : ان كردستان الذي هو الموطن الاول للسلافة البشرية الثانية وموضع انتشارها الى جهات اخرى حسب الحادثات التاريخية ، كان يسكنه في فجر التاريخ شعوب جبال ( زاغروس ) التي كانت عبارة عن شعوب ( لولو ) و ( كوتي ) و ( كاسي ) و ( خالدي ) و ( سوبارو - هوري ) . وكان الشعب العيلامي يقيم في منتهى الشرق الجنوبي منه . ونظرا لبعض المناسبات ومشاورات لغوية ، ذهب بعض المستشرقين الى ان هؤلاء الشعوب من السلافة القوقازية . وهذه الشعوب كلها ما عدا الشعب العيلامي هي الاصل القديم جدا للشعب الكردي . وقد ابدت نشاطا سياسيا كبيرا في عهد كل من السومريين والاكاديين وفي اوائل عهد الاشوريين ويظهر ان سيول مهاجرات العنصر الآري ( هندو - اوري ) الى جبال زاغروس اولاً الى شرقيها وغربيها اخيراً - ويظن ان هذه المهاجرات ابتدأت من القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد - قد اوقعت بقايا السكان الاصليين لمنطقة جبال زاغروس وبلاد كردستان تحت سلطان هؤلاء الوافدين الجدد فجعلتهم اربين . وكان الشعب الميدي اقوى واكبر شعب بين هؤلاء الاربيين الوافدين جماعات وشعوباً . . . . .

ان النظام الاتطاعي القبلي الذي يميز الاكراد في ظله ، والذي يفسح المجال للزعماء والشيوخ والاغاوات ان يسودوا ويتحكموا في من تحت سيطرتهم من الناس كما يشاؤون ، والجبال المنيعه التي يعيشون في اكنافها ، جعلتهم يميلون الى الاستقلال وينفرون من كل سلطة تفرض عليهم من الخارج . وتاريخهم بطوله سلسلة من الحروب والمعارك ضد الحكومات المركزية التي ينضون تحت لوائها . ولم تستطع الحكومة التركية بسط نفوذها على كردستان تماما ، وبقي الاكراد طوال تاريخهم يعيشون مستقلين في بلادهم خاضعين لاوامر رؤسائهم الاغوات والبيكات ، معتمدين عند الحاجة بجبالهم المنيعه . ولم يكن باستطاعة الاتراك اخضاعهم تماما لبعدهم عن المراكز العسكرية وقربها من الحدود الايرانية ، الروسية . (٥)

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى اصبح اكراد العراق " مشكلة " تكلفت الحكومتان البريطانية والعراقية كثيرا من الجهد والمال والضحايا لحلها . ويجدر بنا ، لاجل ان نفهم هذه المشكلة حق الفهم وندرك مدى افعالها ، ان نتتبع مراحلها ، ونستقصي الاشكال التي ظهرت فيها .

- (٤) يقول السيد عبد الرزاق الحسيني ، " تاريخ العراق السياسي الحديث " ج ٣ ( ص ١٩٤٨ ) ،  
 ص ٢٧٨ . ( شامير اليه فيما بعد بالحسيني ) " اما عددهم ( يعني الاكراد ) في العراق فقد  
 جاء في التقرير الذي رفعته البعثة الموفدة وفقا لقرار مجلس عصبة الامم " عن مسألة الحدود بين تركيا  
 والعراق انه ( ٤١١٠٠٥٠ ) نسمة موزعا كما يلي : في السليمانية ( ١٨٩٠١٠٠ ) وفي كركوك  
 ( ٤٧٥٠٠٠ ) وفي اربيل ( ١٧٠٠٦٥٠ ) وفي الموصل ( ٨٣٥٠٠٠ ) ويرى السيد محمد امين زكي  
 انه اكثر من ( ٦٠٠٠٠٠٠ ) . وللشيخ الملا مصطفى نعمة الله الكردي ابحاث جغرافية عن  
 " كردستان العراقية " نشرها في مجلة كلاوز التي تصدر في بغداد باللغة الكردية ، ادعى فيها  
 ان عددهم لن يقل عن مليون نسمة ، لان الاحصاءات الرسمية لم تتناول القبائل الرحالة . ويقدرهم  
 الهاشمي ص ١٧ ب ٤٥٠٠٠٠٠ ، ويقدرهم : *Ernest Hamel, " Iraq from Mandate to Independence " (London, 1935), p. 155.*  
 ( شامير عليه فيما بعد باسم مين ) بحوالي ٥٠٠٠٠٠٠ نسمة تقريبا .  
 ولكنني ارى ان الرقم الذي اوردته هو اقرب للحقيقة : لان نفوس الاكراد قد زادت منذ القيام بالتقديرات  
 المشار اليها اعلاه ، ولان معظم المصادر تجمع على ان نسبتهم الى مجموع سكان العراق تقدر بين  
 ١٦ بالمئة و ١٧ بالمئة ، لان نفوس البوّة اربيل وكركوك والسليمانية ، ومعظم سكانها اكراد ، يبلغ  
 ٧٤٨٠٨٨٤ ( راجع اعلاه ص ) . يضاف اليهم الاكراد الساكنون في افضية الموصل الكردية الاربعة :



فقدّم شريف باشا مذكرة إلى مجلس الحلفاء الأعلى في آذار سنة ١٩١٩ . طالب فيها باستقلال كردستان وحل الكرد امة واحدة . وقد اثمرت هذه المساعي فأقر مجلس الحلفاء الأعلى في باريس حق الاكراد في تكوين دولة مستقلة ، وجاءت معاهدة سيفر ، الموقعة بين تركيا والحلفاء في ١٠ آب سنة ١٩٢٠ ، وأكدت هذا الحق (٧) . تقرر المادة الرابعة والستون من هذه المعاهدة حق الاكراد الساكنين في تركيا والعراق ، في تأسيس دولة مستقلة لهم اذا كانت اكريتهم ترغب في ذلك وهذا نصها (٨) : " اذا تقدم في ميعاد سنة ، ابتداء من تاريخ تنفيذ هذه المعاهدة ، الشعب الكردي المقيم في المناطق المعينة بالمادة ٦ ، طلبا الى جمعية الامم مفصحا فيه بان لغلبية سكان هذه المناطق ترغب في ان تكون مستقلة عن تركيا ، واذا آمنت الجمعية المذكورة ان هذا الشعب قادر على الاستقلال اوصت بذلك ، فتتعهد تركيا من الان بان تعمل بهذه الوصية وتتنازل عن جميع حقوقها وامتيازاتها في هذه المناطق . وستكون تعصبات هذا التنازل موضوع اتفاق خاص يعقد بين اهم دول الحلفاء وبين تركيا . ففي حالة حصول التنازل ، وعندما يحصل ، لا ترفع اية معارضة من قبل دول الحلفاء المذكورة نحو اتحاد الاكراد المقيمين في جزء من اراضي كردستان الداخلة الى اليوم في ولاية الموصل اتحادا بمحض ارادتهم مع حكومة الاكراد المستقلة . "

لقد قبلت الحكومة البريطانية الانتداب على العراق في شهر ايار سنة ١٩٢٠ ، ولكنها لم تترك نهائيا السياسة الكردية المتضمنة في معاهدة سيفر الا بعد التوقيع على معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣ . وكان نتيجة ذلك ان سياسة الحكومة البريطانية ، وسياسة الحكومة العراقية التي تأسست في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، صيغت بشكل يفسح المجال لاحتمال تطبيق معاهدة سيفر فيما يختص بالاكراد (٩) .

(٥) العاشمي ص ١١ . وقابل  
D. H. Lawrence: "The Arabs in the Middle East", London, 1947, pp. 95-6  
(وساثير اليه فيما بعد بحوراني )

(٦) راجع حوراني ص ١٦

in "The Treaties of Peace: 1919-1923",  
Strategic Administration 1919

(٧) راجع الحسيني ج ٣ ص ٢٧٩ - ٨٠

(٨) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨١ . وانظر النشر الانكليزي في :  
"International Peace" vol. 2, 1919, pp. 1-7  
(وساثير اليه فيما بعد باسم "معاهدات الصلح" )

على ان الحلفاء لم يستمسكوا بهذا المبدأ ، كما رفضته الحكومة التركية ، فجاءت معاهدة لوزان خالية من اى تعهد بشأن استقلال كردستان . وقد عملت الحكومة التركية ، بعد ان تخلصت من مشاكلها الداخلية وتقوى نفوذها بانتصارها على اليونان ، على ان تبقى الاكراد تحت سيطرتها ، وتحول دون تأسيسهم دولة مستقلة تكون خطرا يهددها من الخلف (١٠) . وعلى هذا فقد اصبحت قضية اكراد العراق قضية داخلية تضر العراق وحده . ومهما يكن من عدم تطبيق نصوص معاهدة سيفر فقد تركت اثرها في عقول الاكراد العراقيين المطامحين الى الاستقلال ، وقوت ايمانهم بعدالة قضيتهم .

كانت السليمانية ، ولم تزل ، معقل الحركة الكردية ورأسها المفكر . وكان الشيخ محمود اقوى زعيم فيها في بداية حكم الانكليز للعراق . سجنه الاتراك اثناء الحرب ، فلما اوشكت تلك الحرب على الانتهاء ، اطلقوا سراحه ، وموضوا اليه ادارة منطقة السليمانية ، فحكمها باسم الدولة العثمانية . وامتدوه بالمال والسلاح ، وذلك لكي يوجهوا الاكراد ضد الحلفاء ويمرقلوا حكم الانكليز للعراق . وبعد اعلان الهدنة اقنعه بعض عملاء الانكليز بفائدة الاتفاق مع السلطات البريطانية ، فوافق ، وسلم الحامية التركية للقوات الانكليزية في تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وعينت السلطات الانكليزية حاكما على السليمانية ، كما عينت بعثروا القبايل المتاخمة لهذه المدينة حكاما على الوحدات الادارية ، واستبدلت بالموظفين العرب والترك موظفين اكرادا .

على ان زعماء القبايل الكردية لم يكونوا متفقين على نوع الحكم الذى ينشدونه للمنطقة الكردية ، ولم تكن اهداف القضية الكردية واضحة لديهم وضوحا تاما . ففي الاجتماع الذى عقده النولونيل في ٠ تي - ولسن الحاكم الملكي في العراق ، في اليوم الاول من كانون الاول سنة ١٩١٨ ، والذي حضره ستون زعيما يمثلون قبايل " سنه " و " ساقر " و " هاورمان " ، اعرب فريق من المجتمعين عن رغبته في قيام حكومة كردية مستقلة ، وطالب غيرهم بالحاق منطقتهم بالعراق ، ورأى آخرون ان تربط المنطقة الكردية بحكومة لندن مباشرة . كما ان هؤلاء الرؤساء لم يجمعوا على زعامة الشيخ محمود (١١) . وبعد ان رجع الكولونيل ولسن الى بغداد تسلم من الشيخ محمود عريضة وقع عليها اربعون رئيسا هذا نصها (١٢) ، " لما كانت الحكومة البريطانية قد اعلنت ، من قبل ، عن رغبتهما في تخليع الشعب الشرقية من ارهاق الترك ، وفي مساعدتها على تكوين استقلالها ، فان الرؤساء يطلبون منها بصفتهم

(١١) *Special Report* by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq During the period ١٩٢٥-١٩٣١ (London, ١٩٣١) P. 252. (وسائير اليه بتقرير خامر)

ممثلين عن كردستان ان تضعهم تحت حمايتها . وان تربطهم بالعراق لكي لا يفقدوا فوائد مثل هذه  
الرابطة . وهم يطلبون الى الحاكم المدني العام في العراق ان يرسل اليهم مثلاً عنه لمد يد  
المساعدة اللازمة لتمكين الشعب الكردي من احراز التقدم بصورة سلمية وعلى اسرمدنية باشراف بريطانيا .  
والحكومة اذا ساعدتهم . وحنهم . يتعهدون لها بقبول اوامرها وارشاداتها . وقد ارسل الكولونيل  
ولسون للشيخ محمود رسالة مألهاً<sup>(١٣)</sup> : " ان الحكومة البريطانية تعضده من الناحية الادبية . ولا تعارمه  
من يريد الانضمام اليه من القبائل الكردية الممتدة من الزاب الكبير الى دياي عدا الذين يقطنون  
الاراضي الايرانية . وانه . الشيخ محمود . انما يحكم هذه المنطقة كممثل للحكومة البريطانية التي  
يجب ان تنفذ تعليماتها وتحترم . .

ولكن السلطات البريطانية . بعد ان وطدت نفوذها في السليمانية . ارادت ان تحد من  
نفوذ الشيخ محمود . وادركوا ان النوايا البريطانية فاعلن العصيان واحتل السليمانية في ٢١ ايار  
سنة ١٩١١ . ولكن القوات الانكليزية تغلبت عليه . بعد خفاش جسيمة . واسرته . وحكم عليه  
بالاعدام . ثم ابدل هذا الحكم بالسجن المؤبد . ونفي الى الهند حيث اقام<sup>في</sup> عام ١٩١١ .

وعند تاسير الحكومة " المؤقتة " في العراق في تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ ظل المعتمد السامي  
البريطاني محتفظاً بالسيطرة على المنطقة الكردية سيطرة مطلقة . غير ان السلطات البريطانية اخذت  
تلعب لعبة انشاء دولة كردية منفصلة تماماً عن المناطق التركية من النواحي الجغرافية والاقتصادية  
والسياسية . وان فصل المنطقة الكردية في العراق عن العراق معناه فصل منتجات كردستان من  
اسواقها الطبيعية في بغداد والموصل . وهذا ما يهدد مصالح الاكراد انفسهم . ويعود عليهم  
بالضرر (١٤) . ولهذا اصدر المعتمد السامي في ١٦ ايار سنة ١٩٢١ البيان التالي (١٥) :

" يخطر المندوب السامي نظراً لعليا في التدابير الادارية الواجب اتخاذها في المستقبل بحق ادارة  
المناطق الكردية في العراق وقد بلغه ان هناك مخاوف تساور القلوب من احتمال الحاقهم بحكومة بغداد  
الامر الذي الجا البعض الى المطالبة بنظام استقلالي . وبلغه في الوقت نفسه ان قادة الراي الكردي  
العام يشعرون بالروابط الاقتصادية والصناعية التي تربطهم بالعراق . وفي هذه الحالة يرغب فخامة  
المندوب ان يحصل - ان امكن - على ما يشير الى امان الكرد الحقيقية فان كانوا يفضلون البقاء في  
كنف الحكومة العراقية فانه مستعد لان يقترح على مجلس الدولة بحل على الوجه الآتي :

(١٠) انظر مين ص ١٣٤ .

(١١) الحسيني ج ٣ ص ٢٨٢

(١٢) المصدر نفسه ص ٢٨٢

(١٣) المصدر نفسه ص ٢٨٢

١ - فيما يتعلق بالمناطق الكردية الواقعة في لواء الموصل ، والداخلية ضمن حدود الانتداب البريطاني يشكل لواء فرعي ، يتألف من اقلية فراخو وعقرة ودهوك والعمادية على ان يكون مركزه (دهوك) وان يكون تحت هيمنة معاونة متصرف بريطاني ، ويكون القائمون بريطانيون ، على ان يحل محلهم موظفون من الكرد والعرب ، الذين يحسنون اللغة الكردية ويرضى عنهم الاكراد ، ويذعن هذا اللواء العربي في شؤونه المالية ، والنضائية ، الى حكومة بغداد الوطنية ، ويرسل بالطبع ممثلين عنه الى الجمعية التأسيسية ، ولكنه في الامور المتعلقة بالادارة العامة يراجع القائمون المتصرف كما ان التعيينات الادارية يقوم بها المندوب السامي بمشاوره الحكومة المحلية .

٢ - سيدبر المندوب امر اشراك الضباط البريطانيين في ادارة اربيل ، وكويسنجق ، وراوندوز ، وينال تعهدا بمراعاة رغبات الاهلين في امر تعيين موظفي الحكومة . اما تفاصيل ذلك فتوضع حالما تسمح الحالة .

٣ - تعامل السليمانية كمتصرفية يحكمها متصرف شمرى علم ، ان يعين من قبل المندوب وان يلحق به مستشار انكليزي ، ريثما يتم تعيين المتصرف ، يقوم الحاكم السياسي مقامه ، ويخول المتصرف من السلطات ما يوافق عليها المندوب ، بعد استشارة المتصرف ومجلس الدولة ، ويكون القائمون في الوقت الحاضر بريطانيون ، على ان يحل محلهم اكراد حينما يتوفر رجال الكفاء لهذه الغاية .

وقد قبل الاكراد القاطنون في لوائي الموصل واربييل ، فاصبحوا من العراقيين ، واما اكراد السليمانية فقد رفضوا فكرة الانضمام الى العراق ، فظل هذا اللواء تحت السلطة البريطانية يحكمه موظف بريطاني مسؤول امام المندوب السامي ، ومعاونه مجلس ملي منتخب (١٦) . وعندما شرع بالاستفتاء العام لانتخاب سمو الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق امتنع اكراد السليمانية عن التصويت ، وطالب جماعة من اكراد كركوك باقامة دولة كردية الا انهم لم يقبلوا الانضمام الى السليمانية ، واما اكراد الموصل واربييل فقد صوتوا الى جانب انتخاب الامير فيصل الا انهم اشترطوا ان تمنحهم الحكومة الحكم اللامركزي ، كما اشترطوا كذلك بانه اذا تحقق ما جاء في المادة ٦٤ من معاهدة سيفر فلن يكونوا ملتزمين بانتخابهم هذا (١٧) . يقول السيد عبد الرزاق الحسيني (١٨) : واليه هذا يعزى ان نتيجة الاستفتاء كانت مثقلة في ١٦ بالمئة بدلا من ١٠٠ بالمئة بالمئة .

(١٣) المصدر نفسه ص ٢٨٢ - ٨٣ .

(١٤) انظر تقرير خاخر ص ٢٥٢ .



وفي هذه الاثناء اعيد الشيخ محمود الى السليمانية فاخذ يستعيد نفوذه ، ويستجمع قواه ، واطعن الثورة في عام ١٩٢٢ . وسمى نفسه ملك كردستان ، وأُلف وزارة قومية . ولكن القوات البريطانية تمكنت من احتلال السليمانية . فلان الشيخ باقرا . ولما عقد بروتوكول ٣٠ نيسان ١٩٢٣ ، بين العراق والحكومة البريطانية ، عدل نهائيا عن ابقاء منطقة السليمانية تحت سيطرة المعتمد البريطاني ، وجعلت لواء كبقية الالوية العراقية ، تديره وزارة الداخلية ، وتراعي حميات الكرد بتعيين موظفين من الشبان الاكراد .

وتوتر الموقف من جديد ، واخذ اهالي السليمانية يجلبون عنها ، فعاد اليها الشيخ محمود ، واحتلها في ١١ تموز ١٩٢٣ . ولكن الجيش العراقي تمكن ، بمساعدة قوة من السلاح الجوي البريطاني ، من اعادة احتلال السليمانية في تموز ١٩٢٤ ، وعاد الاهلون الى منازلهم . وبقي الشيخ محمود في الجبال المجاورة يجبي الاثاوة من العامة ، بهائم القهائل بين الفينة والفينة .

وفي اوائل شهر كانون الثاني ١٩٢٥ اودت عصبة الامم لجنة للتحقيق في الخلاف التركي العراقي حول منطقة الموصل . وقد ذكرت اللجنة في تقريرها الموضوع الى عصبة الامم ما يلي (١١) : " يجب مراعاة رغبات الاكراد فيما يخص تعيين موظفين اكراد لادارة مملكتهم ، وترتيب الامور المدنية والتعليم في المدارس ، وان تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية في هذه الامور . " وعندما قررت عصبة الامم ابقاء المنطقة المتنازع عليها للعراق ، جزء لا يتجزأ منه ، اشترطت على الحكومة البريطانية ما يلي (٢٠) : " تدعى الحكومة البريطانية بصفتها الدولة المنتدبة ، الى ان تعرض على المجلس التدابير التي ستتخذ من اجل ان تؤمن للاكراد من اهل العراق التسهيلات المتعلقة بالادارة المحلية التي اوصت بها لجنة الحدود في استنتاجاتها الاخيرة . " وقد قامت الحكومة العراقية بتنفيذ هذه الشروط ، ويستدل على ذلك ما جاء في المذكرة المؤرخة في ٢٤ شباط ١٩٢٦ التي قدمتها الحكومة البريطانية الى مجلس العصبة ، وعندما احيلت هذه

---

(١٥) الحسيني ج ٣ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، وراجع النمر الانكليزي في "تقرير خامس" ، ص ٢٥٣ - ٤

(١٦) انظر "تقرير خامس" ، ص ٢٥٤

(١٧) المصدر السابق ، ص ٢٥٤

هذه المذكرة الى "لجنة الانتدابات الدائمة" ايدت هذه اللجنة قيام العراق بالتواجبات التي طلبت العصبة اليه ان يقوم بها . وبما يلي اهم ما جاء في هذه المذكرة (٢١) :

" ان ثلاثة واربعين من مجموع سبعة وخمسين موظفا المستخدمين من قبل وزارتي المالية والداخلية في المناطق الكردية هم اكراد . بينما هناك تسعة موظفين (بصورة تدريجية في عدد الموظفين غير الاكراد المستخدمين في مناطق كردية . وان سياسة استخدام الاكراد فقط دون غيرهم ، حينما يوجد من له اهلية ورغبة في الاستخدام ، جارية بكل مواظبة ."

"وتستخدم وزارة العدلية ثلاثة عشر موظفا (حكما وروساء كنية) في المناطق الكردية وعشرة منهم اكراد ، وتجرى المراجعة باللغة الكردية . وتحرر محاضر الجلسات في السليمانية وكوى سنجق التابع الى لواء اربيل بالكردية . وترتبط بها الترجمة العربية عند احالة الدعوى الى محكمة الاستئناف او محكمة التمييز ، ويستخدم ستة موظفين اكراد في هين الوظائف في مناطق غير كردية ."

"واخذ الاكراد حصتهم في الاشتراك في ادارة الحكومة المركزية . فان اثنين من مجموع عشرين عينا هما كرديان (لان الاخرين نصف اكراد) واربعة عشر مندوبا من مجموع ٨٨ هم اكراد وان وزير المالية هو كردي . كما ان وزير الاشغال والمواصلات كذلك ."

"ويؤلف الكرد نحو ٧ بالمئة من مجموع سكان البلاد ، وان ٢٤ بالمئة من مجموع قوة الشرطة هم اكراد ، وفي الجيش يؤلفون ١٤ بالمئة ، في حين ان ٢٣ بالمئة من مستخدمي السكك الحديدية هم اكراد . ويبلغ مجموع الافراد المستخدمين في الشرطة ، والجيش ، والسكك الحديدية ، ما ينفي على (٢٠,٠٠٠) منهم اكثر من (٤,٠٠٠) او ٢٠ بالمئة اكراد . . . ."

"ويوجد في المناطق الكردية خمس وعشرون مدرسة ، منها خمسة مختصة بالمسيحيين ، وتستخدم فيها اللغات الكلدانية والعربية . اما لغة التعليم في الستة عشر مدرسة المتبقية ، فهي الكردية . ان اللغة الرئيسية للتعليم في المدارس الاربع الباقية ، حيث تتالف تلامذتها من نهارى واكراد هي العربية . على ان تستعمل الكردية للايضاح بكل حرية ."

Philip Willard Ireland, "Iraq: A Study in Political Development" (London, 1937).

(١٨) الحسنى ج ٣ ، ص ٢٨٤ . يقول :

ص ٣٢٤ ، حاشية ٣ : "من الصعب معرفة كمية الحصول على هذه النسبة ، حيث ان سكان كركوك بحسب احصاء ١٩١٨ - ١٩ ١١ او بموجب احصاء ١٩٣٠ يكونون ٦ بالمئة من نفوس العراق ما عدا لواء السليمانية ."

(١٩) الحسنى ج ٣ ، ص ٢٨٩ . وانظر كذلك "تقرير خاص" ص ٢٥٩ .

(٢٠) الحسنى ج ٣ ، ص ٢٧٩ . وانظر كذلك "تقرير خاص" ص ٢٥٩ .

(٢٧) الحسنى ج ٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

بما ذكره في المذكرة من ان اثنين من الموظفين المستخدمين في هين الوظائف في مناطق غير كردية هم اكراد .

وقد تفرغت الحكومة لانها' امر الشيخ محمود ، فأرسلت قوة من الجيش احتلت قرية بنجوين' في ٢٠ نيسان ١٩٢٢ ، واضطرت في حزيران ١٩٢٦ ، على قبول شروط الحكومة التي مؤداها : ان يغادر العراق ولا يعود اليه الا بترخيص من الحكومة ، وان ترجع اليه املكه ، وتعلم الحكومة عن عدد من اتباعه . (٢٢)

ربما يبدو من هذا العرض السريع لتطور القضية الكردية ان الفائتين على ادارة دفتها هم من الشيوخ والاقطاعيين فحسب ، الذين اتفوا التفرد بشؤونهم ، ومارسوا التحكم في اتباعهم ، واعتادوا الاستقلال وهدم الخضوع للسلطة المركزية . ولكن القضية تكون مشوهة ناقصة اذا فهمت على هذا الشكل . فالحقيقة ان الشباب الكردي المتعلم الناهض ، المؤمن بالقومية الكردية ، وعلى الاخر في المدن الكردية الكبرى السليمانية واربيلا ، اشترك في الحركة اشتراكا فعليا ، وساهم في حمل العامة على المطالبة بالاستقلال . وما كانت القضية لتتوقف على ثورات الشيخ محمود فحسب ، والتي كانت مبنية على دوافع شخصية اكثر مما هي قائمة على المفاهيم القومية ، بل انها امتدت حتى شملت جماعات كبيرة من الاكراد في مختلف المدن الكردية . كان بعض المشتغلين في القضية الكردية مخلصين في مساهمهم ، وكان بعضهم يستغلون الحركة لمصالحهم الخاصة ، وكان بعضهم مؤجرين للانكليز . ففي شهر شباط من عام ١٩٢٦ قدم ستة من نواب الاكراد في المجلس النيابي عريضة الى رئيس الوزراء طالبوا فيها بما يلي .

- ١- تزيد نفقات المعارف في كردستان .
- ٢- تاليف وحدة كردية تضم السليمانية واربيلا وكركوك ولوا' اخر يكون جديدا من الاقضية الكردية في لوا' الموصل ، وان يتولى امر هذه الوحدة الادارية مفتر كركوي عام ، ويكون العملة الوحيدة بين هذه المنطقة وبين حكومة بغداد .
- ٣- تزيد نفقات المصالح العامة في كردستان (٢٣)

وقد استنكر رئيس الوزراء والمندوب السامي البريطاني ما جاء في هذه العريضة

---

(٢٢) انظر "تقرير خامر" ، ص ٢٦٠

(٢٣) الحسيني ج ٣ ص ٢٦٠ . وراجع كذلك "تقرير خامر" ص ٢٦٢ .

بشان تكوين وحدة كردية من المناطق الكردية . وفي الوقت نفسه اهزت الحكومة بازالة اسباب الشكوى، ومن ذلك انها شرعت قانونا يجعل اللغة الكردية لغة رسمية في الاقضية التي يكون الكرد فيها الاكثرية الساحقة .

وهدأت الحالة قليلا . ولكن عندما شرع في المفاوضات التي اسفرت عن عقد المعاهدة العراقية - البريطانية الرابعة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ . كان الاكراد يأملون ان تحتوى هذه المعاهدة على نص يضمن لهم حقوقهم التي اشارت اليها عصبة الامم في القرار الذي اتخذته عندما قررت ابقاء منطقة الموصل للعراق . فلما نشر نص المعاهدة وكانت خالية من كل ما يتعلق بالقبضة الكردية ، ثار نائهم ، وشرعوا يرسلون المرائر والاحتجاجات الى عصبة الامم والى دوائر المندوب السامي في بغداد . اما لجنة الانتداب الدائمة في عصبة الامم فقد ردت هرائر الاكراد وخاصة ما يتعلق منها بانشاء دولة كردية تحت اشراف عصبة الامم ، واوصت مجلس العصبة بما يلي : (١) ان يرد عرضة وجوه الاكراد ، ما يتناول منها غرض تاليف حكومة كردية تحت اشراف عصبة الامم . (٢) ان يطلب الى الدولة المنتدبة ان تلاحظ فيما اذا كانت التدابير التشريعية والادارية التي وضعت لتضمن للاكراد الوضعية التي هم اهل لها ، يندرج اليها بنظر الاعتبار ، وتوضع قيد التنفيذ دون اى نقص او تجاهل . (٣) ان ينظري حكمة اشتراط اتخاذ التدابير التي تضمن للاكراد بقاء مثل هذه الوضعية اذا ما تدخل العراق نهائيا من وصاية الدولة المنتدبة (٢٤) . واما وكيل المندوب السامي فقد اصطحب وكيل رئيس الوزراء وقاما بجولة في المناطق الكردية ، ولقيا الخطب مبينين حسن نوايا الحكومة العراقية تجاه الكرد ، ورفبتها الشديدة في ترقية احوالهم واعمار بلادهم ، فهدات الحالة ردحا من الزمن لتنفجر في السليمانية بشكل عنيف . ففي يوم ٦ ايلول سنة ١٩٣٠ دعي حوالي ٣٠ وجيها من وجوه السليمانية الى الاجتماع في سراى الحكومة لانتخاب الهيئة التنفيذية لانتخاب المجلس النيابي الجديد . فهاجم جمهور من سكان السليمانية المجتمعين ورموهم بالحجارة وحطموا ٥٣ نافذة من نوافذ السراى ، فاستعان المتصرف بشرطة والجيش . ووقع اصطدام بين المتظاهرين وقوات الحكومة اسفر عن قتل ١٤ شخصا من الاهلين وجندى واحد

---

(٢٤) الحسيني ج ٣ ص ٢١١ . وراجع " تقرير خامر " ص ٢٦٤

وجرح ٢٣ شخصا من الاهلين ، و ٣ من الجنود ، و ١٠ من الشرطة <sup>(٢٥)</sup> واستغل الشيخ محمود هذه الفتنة . فنقض عهده للحكومة ، ودعا القبائل الكردية للانضمام اليه ، وكتب الى المبعوث البريطاني في بغداد يطالب بتخلي الحكومة العراقية عن المنطقة الممتدة من خانقين الى زاخو ، واقامة دولة كردية تحت الانتداب البريطاني الى حين تعطي عصبة الامم قرارها النهائي <sup>(٢٦)</sup> . وارسلت الحكومة جيشها لاختضاعه . وفي ١٣ ايار سنة ١٩٢١ اضطر الشيخ للاستسلام الى الحكومة العراقية ، فجئ به الى بغداد ، وابعد الى السجاسة بالناصرة ، فعنه . ثم سمح له اخيرا بالاقامة في بغداد . فلبث فيها الى شهر ايار ١٩٤١ <sup>(٢٧)</sup> ولم يكذب بعضي غشرام على القضاء على ثورة الشيخ محمود في السليمانية حتى ثار الشيخ احمد البارزاني في ربيع عام ١٩٣٢ . ولم تتمكن الحكومة من اخمد ثورته الا بعد تضحيات جسام . ولكن الشيخ احمد وجماعة من اتباعه هربوا عبر الحدود وسلموا انفسهم للسلطات التركية .

ان هذه الثورات الدموية المتواصلة التي ارهقت فيها ارواح المئات من رجال الحكومة ومن الثوار ، والتي عطلت تقدم كردستان السلي فتره من الزمن ، وهذه <sup>محتاجا</sup> الاضطرابات والمطالبات بالاستقلال والمساواة ، التي كانت تنهال على الحكومة العراقية ودارالاعتقاد في بغداد ، وعلى مجلس عصبة الامم في جنيف ، لم تذهب دون ان تحقق بعض النتائج النافعة لكردستان . وقد كانت الحكومة العراقية امينة ، الى حد ما ، على تطبيق ما جاء في الدستور من اعتبار العراقيين جميعا مواطنين متساوين في الحقوق . فانشأت المدارس في كردستان حيث يتلقى الطلاب علومهم باللغة الكردية ، وجعلت لغة المرافعات في المحاكم اللغة الكردية .

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٦٥

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦

(٢٧) لم يكن اسكان الشيخ محمود في بغداد نهاية المطاف لهذا التأثير الذي اتخذ الثورة على الحكومة العربية في بغداد حرفة له ، والذي كانت تهمه الزعامة والسيطرة الشخصية والمنافع الذاتية اكثر مما يهمه استقلال الاكراد ، والذي اتخذ الانكليز "صديقا" يعينهم وقت الحاجة ، وينتفعون به طما اشتد ضغط الوطنيين العرب عليهم ، وكلما قويت الحركة التحررية في البلاد . تقول السيدة <sup>Freya Stark</sup> في كتابها "East and West" المطبوع في لندن في ايلول ١٩٤٥ ، ص ١٨٤ "اثنا اضطرابات ايار ١٩٤١ (تقدم ثورة رشيد عالي الكيلاني) هرب (تعني الشيخ محمود) من بغداد وهاد الى جباله ، واخذ يشتر قبائله ، ولكن في صالح البريطانيين المحاصرين هذه المرة . وقبل ان يتمكن من عمل اي شي ، هادت الى الحكم في العراق حكومة صديقة ، ولكن الشيخ كان عازما على المضي في ثورته .

وفتحت ابواب الخدمة في الدوائر الحكومية امام الاكراد ، وبسرت لشبانهم الدخول الى جميع الكليات والمدارس الحكومية في بغداد ، وقامت باصلاحات اقتصادية واجتماعية وادارية تعدل ما قامت به في المناطق العربية من العراق . وان كانت الاملاحات التي قامت بها الحكومة ، سواء في المناطق العربية او الكردية ، ضئيلة بالنسبة لحاجات السكان ومتطلبات العصر الحاضر . وهذه الحالة في كردستان ، او كانت تبدو هادئة ، فقد حصل الثوريون الاوائل على مناصب رفيعة في الدولة فاصبح منهم الوزراء والنواب والاعيان والموظفين الكبار ، واستقر معظمهم في بغداد والفواحيات المتحضرة الرخية ، ووالو الحكومة وايدوها ، واصبح قسم كبير منهم يفضلون ان يكونوا وزراء ونوابا وموظفين كبارا في دولة كبيرة عاصمتها بغداد على ان يكونوا زعماء لدولة محدودة المساحة ، عميقة المدن ، قليلة الخبرات . وان كان بعض هؤلاء ما زالوا يستغلون القضية الكردية ، ويلوحون بظلامه الاكراد بين حين وآخر ، تقوية لنفوذهم عند الاكراد ، وتخويفا للحكومة للحصول على ما يريدون . وقد استطاعت الحكومة ان تستميل الى جانبها قسما كبيرا من الانطاعيين والشيوخ والافوات والمتنفذين . وقوت نفوذهم ، وثبتت سيطرتهم وزادت ثرواتهم ، وهنا أخطأت الحكومة ، وما كان لها الا ان تخطي بحكم طبيعة تكوينها ، بدلا من ان تملح احوال الاكراد عامة وتسيع رعايتها عليهم جميعا ، وتخلق منهم مواطنين راضين باحوالهم مؤيدين لها ، اهتمت بنفر من المتنفذين المحقوضين فامسدت عليها قلوب العامة .

خلال الحرب العالمية الثانية ازدادت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في كردستان حدة وتناقضا ، كما حصل في مناطق العراق الاخرى . فقد ساءت احوال معظم الناس الاقتصادية ، وضافت بهم سبل العيش . فالمناطق الجبلية لا تنتج من الحبوب ما يكفي حاجة السكان ، وقد اصبح استيراد الكميات اللازمة من الحبوب ، في زمن الحرب ، صعب التحقيق لفقر الفلاحين الاكراد ، وعدم وجود منظمة للغذاء ، وعدم تيسر المواصلات . واثرت فيهم ما زاع زمن الحرب من دعايات تدعو الى الاصلاح الاجتماعي ، وانعاش العامة من الناس ، والقضاء على شرور العصور الغابرة . وما اثر في الراي العام الكردي بصورة خاصة الحركات السياسية التي حدثت في المناطق الكردية الايرانية حيث تخلع الاكراد من السيطرة الايرانية منذ ان

---

رغم تغير الصفة الجوهرية لهذه ، لولا ان بذلت محاولات مجهدة لارجاعه من مؤمنه . وهو الان يعبر في السليمانية مكرما . وقد اصبح احد ابناؤه ( بابا علي ) وزيرا ، والاخر نائبيا .

احتل الحلفاء إيران في عام ١٩٤١، وأسسوا جمهورية كردية في إيران على مقربة من المناطق الكردية في العراق . يضاف الى هذا اثر المثقفين الاكراد في بعث الوعي القومي عند جماهير شعبهم، وتبنيهم الى المساواة الادارية التي يعانونها، والظلم الاجتماعي الذي يكابدونه<sup>(٢٨)</sup> . كل هذه العوامل زادت التفكير السياسي عند الاكراد حدة واتساعا وعمقا . ففي تموز ١٩٤٢ هرب الزعيم البارزاني الملا مصطفى من السليمانية، حيث كان مقيما فيها اقامة اجبارية بعد عصيانه على الحكومة عام ١٩٣١، وأعلن الثورة على الحكومة في منطقته بارزان، وهاجم مخافر الشرطة في منطقة الحدود . وقد تجمع حوله كثير من الاكراد، ولكن الحكومة توصلت الى اتفاق معه، ووعدته باصلاح ما يشكو منه سوء الحالة في منطقته . فعندما عدل السيد نوري السعيد وزارته ادخل فيها السيد ماجد مصطفى، وهو من رجالات الاكراد المعروفين، وزيرا بلا وزارة، وعهد اليه بمهمة احلال السلام في المنطقة الكردية، وازالة ما يشكو منه الاكراد . وكان من نتيجة مساعي السيد ماجد مصطفى ان قدم الملا مصطفى بمحبته جماعة من الزعماء البارزانيين الى بغداد في كانون الثاني وشباط ١٩٤٤، ليقدّموا ولائهم لسمو الوصي على العرش . وتنطوى الاتفاقية التي توصلت اليها الحكومة مع الملا مصطفى على ان يسكن هو خارج المنطقة البارزانية، وان يسمح لآخيه الشيخ احمد، الذي كان منفيا في الحلة، بالعودة الى منطقته، وان يعاد تأسيس مخافر الشرطة في المنطقة البارزانية، على ان تنسحب منها وحدات الجيش العراقي . على ان ما حققت الحكومة من تعهداته لم يرضى التأثير البارزاني، وأعلن ثورته الثانية في ١٥ آب ١٩٤٥<sup>(٢٩)</sup>، وحشدت الحكومة معظم قواتها للقضاء على حركته، وألقت عليه القبائل الكردية الموالية لها، فلم يجد بدا، امام هذا الضغط المتعاظم، من الاتجاه الى إيران .

(٢٨) يقول السيد حوراني، ص ١٨ - ١٩ "لم يبق الاكراد باية ثورة بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٤٣ . وان ظلوا متذمرين وغير راضين بتقبل سلطة الحكومة . ويعود هذا التذمر لسببين رئيسيين : اولهما نمو الشعور القومي الكردي الذي يعود الى الظهور التدريجي لطبقة من المثقفين الاكراد من جهة موالي رد الفعل الطبيعي ضد الوحدة العربية من جهة اخرى . وقد يكون للتشجيع الذي قدمه الفرنسيون للشعور القومي الكردي في الجزيرة السورية، والروس للاستقلال الذاتي الكلاي في القفقاس، بعض التأثير على نمو هذا الشعور القومي، وان كان هذا التأثير محدودا . اما السبب الثاني، والذي هو اكثر اهمية، فيجب ان نبحث عنه فيما كانت تشكو منه القبائل الكردية من حيف اداري خامر . فلم تقم الحكومة الا باضعف المحاولات لتطبيق القوانين التي صدرت في فترة الانتداب . ودرجت الدوائر الحكومية في بغداد على تجاهل مطالب المقاطعات النائية عن العاصمة . ولم يكن للاكراد وسيلة

(٣٠)

ولي ابران مساعد في اقامة الجمهورية الكردية ، وحارب الحكومة الايرانية دفاعا عنها . فلما انهارت هذه الجمهورية جمع اموانه واجتاز الحدود العراقية . على ان الحكومة العراقية كانت متاهبة له فاستلم قسم من جماعته الى الحكومة ، وبينهم اخوه الشيخ احمد وبعض الضباط وكثير من النساء والاطفال والعاجزين . وتراجع هو ومن بقي من اموانه ، واجتاز الحدود التركية الايرانية ، والتجأ الى اذربيجان السوفيتية ، وما يزالون فيها . وقد اعدت الحكومة عددا من الضباط المسلمين ، وسجنت جماعة من المحاربين ، بقدر عددهم بحوالي الالفين ، واعادت الباقين الى قراهم المهتدة ، وحقوقهم المحروقة المفترقة ، وبيوتهم التي دمرتها الطائرات ، وخصعت مبلغا من المال لاهشتهم ، ومساعدتهم على استئناف حياتهم .

هل حلت القضية الكردية حلا نهائيا مرضيا ؟ ان القاء نظرة سريعة على الحركات السياسية في كردستان تساعدنا على اجابة هذا السؤال . هنالك حركات سياسية ، مختلفة الغايات والاساليب ، بقوى اثرها على الدوام بين الثقلين ، ويزداد نفوذها على العامة من الشعب الكردي ، وان كانت بعض هذه الحركات تعمل في الخفاء ، ولا تستطيع ان تعلن عن نفسها جهارا . فالشيوعيون الذين قويت حركتهم وازدادوا عددا منذ الحرب العالمية الثانية ينادون بان السبب الرئيسي لما يعانيه الشعب الكردي من اوضاع سيئة ، ومستوى عيش بالمرحطة ، وسوء في الادارة ، هو النفوذ البريطاني والرجعية المحلية المؤتمرة بامر ، والموالية له . وان ادراك امانى الاكراد لا يتحقق الا بتوحيد القوى مع المناضلين من عرب العراق ، والذين يشكون من الحالة السيئة ، ويحانون التأخر والفاقة والحرمان ذات .

لاسطاع اصواتهم للحكومة بصورة مؤثرة ، وازغامها على الالتفات لحاجاتهم . لقد اخفق الموظفون العرب في المناطق الشمالية على العموم ، في تفهم عقيدة الاكراد ومطالبهم ، ( بينما نجح الموظفون الاكراد في المناطق العربية ، غالبا ، نجاحا ممتازا ) . وربما كانت الفجوة بين الادارة والشعب على اوسع ما تكون في لواء الموصل ، حيث تخضع الادارة ، الى حد كبير للنفوذ العرب من سكان الموصل نفسها . ويبدو اهمل الحكومة في كل نواحي الحياة . فالمدارس قليلة ، والموجود منها معد ، بصورة عامة ، للتعليم باللغة العربية ولم تقم الحكومة بعمل اى شيء لتحسين الزراعة ، وتوسيع الاراضي المزروعة ورفع مستوى المعيش .

(٢١) انظر ولها من ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣٠) اقيمت هذه الجمهورية الكردية في مهاباد ، وانتخب قاضي محمد رئيسا لها في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ . وبعد ان اعادت الحكومة الايرانية احتلالها لاذربيجان ، ألقت القبض على قاضي محمد وحكمت عليه بالاعدام . وقد شفق في ٣١ آذار ١٩٤٧ . انظر " الشرق الاوسط " ص ٥١ .



وبعد ان يتحرر العراق نهائيا من كل نفوذ خارجي . ومن كل تسلط للرجعية في الداخل  
يقرر الشعب الكردي ما اذا كان ينبغي الاستقلال التام . او الاستقلال الذاتي ضمن حدود  
المملكة العراقية . او يبقى على وضعه الحالي جزئيا غير منفصل من الدولة العراقية . وكانوا  
يصدرون جريدة سرية بعنوان "آزادي" اي التحرر . ونفوذهم قوى في السليمانية واربيل  
وكويسنجق وما حولها من قرى . وهناك جماعة اخرى . من المتحمسين للقومية الكردية .  
يدعون الى الاستقلال . وينادون بادخال الاساليب الديمقراطية في الادارة . والقيام  
بالاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية وكانوا يصدرون جريدة سرية بعنوان "رزكاري" اي النجاة .  
ويشتغل حول هذه الجماعة طائفة من الشبان المتعلمين في المدن الكردية . وتقس من  
الاقطاعيين الناقمين على الحكومة . ونفر من الثوريين القداماء .

من هذا يتضح ان جواب السؤال الذي قدمته في اول هذه الفقرة يتوقف على  
مدى عزم الحكومة على ادخال الاصلاحات الجذرية في كردستان . والتي تتناول حياة عامة  
الشعب الكردي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . فالقضية اذن . اذا تجاوزنا الروح القومية  
عند الاكراد . هي جزء من المشاكل المعقدة التي سعالجها في الفصول القادمة .

### (٢) الأتراك .

يبلغ عدد الأتراك حوالي ( ١٠٠٠٠٠٠ ) نسمة . وهم يسكنون في الالبوة الشمالية .  
في المساحة الضيقة بين المنطقة الكردية الواقعة في الشمال والشمال الشرقي والمنطقة العربية  
الواقعة في الغرب والجنوب الغربي . وتبدأ هذه المساحة من تلعمر الكائنة في شمال غربي  
الموصل وتمتد نحو القرى الكائنة في الجنوب الشرقي من الموصل وتتر من اربيل والتون كبلري  
وكركوك وخانقين وتنتهي في جوار مندلي . و هم يتمثلون بالقرابة العنصرية بالأتراك  
العثمانيين . ولعلمهم من بقايا الأتراك الذين اتى بهم الخلفاء العباسيون في القرن الثالث  
للهجرة لتأييد دولتهم . وبعضهم من بقايا الأتراك السلاجقة . (٣١) واغلبية الأتراك فلاحون .  
ومنهم من يسكنون المدن ويشغلون بمختلف الحرف . ومنهم عدد كبير في مختلف دوائر  
الحكومة . وليست لهؤلاء الأتراك مشاكل قومية خاصة . ولا مطامح انفصالية . ولئن كان بعض  
شبانهم المتعلمين يحملون ميولا تورانية . ويتغنون باسجاد تركيا الكمالية . ويقراون صحفها وادابها  
فان ذلك لا يتعدى الميل العاطفي . والاعجاب بامة يتنون اليها بقرابة العنصر .

### (د) الفرس .

لا علاقة للفرس المقيمين في العراق في الوقت الحاضر بالفرس الذين حكموا العراق قبل الفتح الاسلامي ، او الفرس الذين استعان بهم العباسيون على ادارة البلاد . وكان لهم في الدولة العباسية نفوذ عظيم . وانا هاجر هؤلاء الى العراق منذ عهد قريب . بعضهم جاء ليشغل في التجارة وفي بعض الحرف الاخرى ، ويسكن معظم هؤلاء في بغداد والكاظمية وبعضهم جاء لبواعت دينية وهم يسكنون في الكاظمية والنجف وكربلاء وسامرا . والفرس جالية صغيرة<sup>(٣١)</sup> . وهم كقومية لا يشكلون معضلة قومية او اجتماعية ، وليست لهم مطالب قومية خاصة . وفي كل سنة يلد الى العراق عشرات الالوف من الزوار الايرانيين ، نساء ورجالا ، لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف والكاظمين وسامرا .

### (هـ) الارمن .

كان قسم من الارمن يسكنون في العراق قبل الحرب العالمية الاولى ويشغلون في التجارة وبعض الحرف الاخرى . ولكن عددهم ازداد منذ اواخر تلك الحرب على اثر المذابح والاضطهاد الذي حل بهم في تركيا . وقد سكن معظمهم في المدن الكبرى وعلى الاخص في الموصل وبغداد والبعرة . ويسكن قسم منهم في شمال الموصل ويشغلون في الزراعة . ولا يعرف عدد نفوس الارمن الساكنين في العراق بالضبط ، وقد قدر السيد طه العاشي عددهم بثلاثين الف شخص<sup>(٣٢)</sup> . وللارمن عدد من المدارس والنوادي الخاصة تدبرها جمعيات اهلية ، كما لهم كنائس في بغداد والموصل . وقد رحل قسم منهم الى ارمينية عام ١٩٤٨ ، وينتظر قسم من الباقين الترخيم لهم بالسفر . وارمن العراق عموما وادعون ، نشطون ، مسالمون .

### (و) الكلدان .

من بقايا الاقوام القديمة التي كانت تسكن العراق قبل الفتح الاسلامي . وهم يسكنون الان في بعض القرى الكائنة في شرقي الموصل كالفوش وتلسقف وتلكيف وبطلينة بالهاتية وبرطلة . كما يسكن قسم منهم بعض القرى في انضية العمادية وزاخو وعقرة .

(٣١) حمادة ، ص ٢٧ .

(٣٢) تذكر وليامس ، ص ٤٦ حاشية ٢ ، ان عددهم ٦٥,٠٠٠ شخص .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

وتوجد في تركيا بعض الجاليات الكردانية في ديار بكر وسمرقند وجزيرة ابن عمر • وهم يؤلفون  
أكثرية نصارى العراق (٣٤) • يشغل معظم الكلدان في الزراعة • وقراعهم • ولا تزيد عن العشرة،  
كبيرة عامة • في بعضها كثار واسعة حديثة البناء • وفي كل منها مدرسة ابتدائية واحدة أو أكثر •  
وهم يجدون نشاطهم • وقد ضاقت حياة القرية عن نشاطهم فهاجر قسم منهم إلى أمريكا وأصبح بعضهم  
من ذوي الثراء العريض هناك • وهاجر قسم كبير منهم إلى مختلف أنحاء العراق وخاصة بغداد  
والموصل والبصرة • كما دخل بعضهم في خدمة الحكومة واشتغل آخرون في التجارة • على أن  
أغلبهم يشغلون في الفنادق والمطاعم والحانات •

يتكلم الكلدانيون اللغة السريانية وإن كانت تختلف عن اللغة المكتوبة بعض الاختلاف بحكم  
اختلاطهم بالعرب وتأثرهم باللغة العربية • ومستقبل هذه اللغة • في رأي ضرمكين • قنيم جميعاً  
تقريباً • يتكلمون اللغة العربية إلى جانب لغتهم الأصلية • وذلك نتيجة لطرق المواصلات الحديثة التي  
زادت من احتكاكهم بالعرب وللمدارس التي تعلم فيها أولادهم وبناتهم دروسهم باللغة العربية  
وللتجنيد الإجباري الذي يجعل الشاب منهم يقضي مدة خدمته العسكرية في محيط عربي • وهم لا  
يتكلمون لغتهم الخاصة إلا إذا خلا بعضهم إلى بعض • أما فيما عدا ذلك فهم يتكلمون اللغة العربية  
كسكان العراق • وأرى أنه لن تنقضي غير بضعة أجيال حتى ينسى الكلدانيون لغتهم ويصلحون  
اللغة العربية في حديثهم •

### (ز) الآشوريون •

يزعم الآشوريون أنهم من سلالة الآشوريين القدماء • ولكن العلماء لم يقاتلوا برأي في أصلهم  
فقد جوز بعض المؤرخين انتسابهم إلى القوم الذين سكنوا الجبال فيما مضى ونشأ منهم الأكراد •  
كما يجوز السيد طه الحاشي أن يكونوا من نصارى العراق القدماء الذين سكنوا أطراف الموصل ونزحوا  
إلى الجبال في زمن الفتوحات الإسلامية • وانفردوا عن النصارى الآخرين (٣٥) • ومذهب السيد حوراني  
إلى أنهم • يحتمل أن يكونوا من سلالة القبائل التي نزحت من السهول إلى الجبال الشمالية أثناء  
الغزو المملوكي • ويقوا فيها إلى عصرنا هذا • (٣٦) • وهم مسيحيون من أتباع المذهب النسطوري •  
ويتكلمون اللغة السريانية الأرامية المزيجية ببعض اللفاظ الأجنبية • ويبلغ عددهم في العراق حوالي  
٣٧٠٠٠٠ نسمة (٣٧) • كانوا يسكنون قبل الحرب العالمية الأولى مجال حكاى الواقعة في القسم  
الجنوبي الشرقي من تركيا • وفي السهول الممتدة إلى الغرب من بحيرة اروميا في فارس • وفي الأراضي

(٣٤) المصدر نفسه ص ١٠٦ • وشمالى وليامز ص ٤٦ حاشية ٢ • الأرقام التالية عن عدد  
المسيحيين • الأرثوذكس : ٢٠٦٨٨ • الكاثوليك : ٣٣/١١٣ • الطوائف الأخرى : ٤٢/٦٠١ •

(٣٥) الحاشي ص ١٠٧ - ١٠٩ •

الواقعة الواقعة الى الجنوب من مقاطعة حكارى والتي تكون الان جزءا من العراق . وكانوا يشتغلون في الزراعة ولا يختلجون في حياتهم الاجتماعية عن الاكراد المحليين بهم . وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى تارسلوا حكارى على الاتراك . ما ملين معونة روسيا . وعندما اخبرتهم الاتراك من ديارهم انضموا الى جماعتهم النساطرة والى الروس في منطقة ارميا . على ان انبهار روسيا حكام مركزهم فاضطروا الى الحرب جنبا الى عمدا . بعد ان ناوروا الاتراك ردها من الزمن وهناك نزع البريد النيون سلاحهم . وارسلوهم الى مخيمات اللاجئين في بعقوبة . وانفقوا عليهم طوال ماي ١٩١٨ و ١٩١٩ (٣٨) وقد استفاد منهم الانكليز استفادة عظيمة . ان جنودا زهاء الفين من جنابهم كما استعانوا بهم على مقاتلة القوات التركية غير النظامية التي كانت تخير على شمال العراق (٣٩) ونظام الانكليز قوة منهم اطلقوا عليها اسم ٣ الفيني (٤٠) . كان هؤلاء الاتوريون ياملون في الرجوع الى موطنهم الاصلي . فلما قررت عصبة الامم ابقاء تلك المنطقة في تركيا . وعندما اعلنت الحكومة التركية انها لن تسمح للاتوريين بالعودة الى ديارهم . مزوا على امتداد العراق موطننا دائما . وقد ساعدتهم الحكومة العراقية واحسنت معاملتهم . فاضحتهم اراضي خصبة في اقصية العمادية وزاخود هوا . وراوندوز . واعترفت بالناب مارشمون رئيسا دينيا لهم . وخصصت له راتبا قدره (٣٠٠٠٠) روبية يدفع له في نهاية كل شهر من خزينة الدولة (٤١) . كانت قضية الاتوريين مسألة الحل ولكن شاعت سياسة الانكليز ورومنة بعض موظفيهم في العراق . ومطامح الاتوريين وهور المتطرفين . ووجود بعض الحزبيين على الفتنة في صفوفهم . ووجود الحزبيين الذين يكتفون في ان تخلق منها مشكلة تعقد حلها حتى انتهت في صيف عام ١٩٣٣ . بذلك الشكل المؤسف المنزى . طالب الاتوريون . بعضهم لا جميعهم . بان تخسر لهم منطقة في الشمال يسكنون فيها جميعا . وان يمنح لهم الحق بتأسيس حكومة ذات استقلال ذاتي داخل المملكة العراقية . وكلا المطالبين مسرف في التعسف مستحيل التحقيق . فما كان بإمكان الحكومة ان تجد لهم منطقة صالحة للزراعة تنضم جميعا الا اذا اجلت الاكراد من بعض قراهم . كما ان سكانهم في منطقة واحدة يزيد في طموحهم . وبدد سلامة الدولة وامن الاكراد . وعلى الاخير اذا علمنا ان الانكليز كانوا يمنحون الجندي المسرح عند انتهاء الخدمة في الليفي بندقية ومئتي الفقة . حتى اصبح عدد هؤلاء عشرة الاف اخبر لهم قادريين على حمل السلاح . واستعماله فحسب بل ويملكون هذه السلاح بالفعل . كما انهم اعتادوا النظام العسكري التام (٤٢) . وقد اغتروا بمساعدة الانكليز لهم حتى اصبحوا

1979. *Journal of the American Medical Association*

1120-1121 (London, 1726). P. 173.

(٣٦) حوراني ١٠ ص ١١٠ • وقد ذهب هذا المذهب

حيث يقول : " بعد ان سقطت الخلافة العباسية وامتتها بغداد على يد هولاكو انتقل البطارقة المسلمون الى الشمال ووزعوا اوقاعهم بين الموصل وبين عاصمة هولاكو في اذربيجان ، قرافة او مرقة ، الواقعة الى الشرق من بحيرة اروميا ، والبالغة سبعين ميلا الى الجنوب من تبريز . ولكن

يشعرون بأنهم الفاتحون الحاكمون للعراق • وكانوا يكرهون العرب ويحتقرونهم بدعوة عامة ويحتقرون الجيش العراقي بصورة خاصة • وقد شجعهم على هذا ضباطهم من الانكليز • (٤٣) • ولم يكن لهم مداوم للشعب العراقي من ان يعيشوا معه في وئام • فقد اصطدموا مع اهالي الموصل في يوم ١٥ آب ١٩٢٢ اصطداما مسلحا ادى الى (١٨) اصابة بين قتيل وجريح • ولولم يساند الانكليز بنقلهم الى كركوك لحدثت مذبحه كبرى • واصطدموا مع سكان كركوك في ١٤ ايار من السنة التالية • فحدثت مجزرة مروعة ذعبت ضحيتها نحو مئتي شخص بين قتيل وجريح (٤٤) • فاكسبوا بذلك وباعمالهم العدائية الاخرى • كراهية العرب والاكراد • ولم يكرههم العراقيون لانهم مسيحيون • كما تزعم الاوساط الاوربية والاستعمارية • فقد عان المسحيون وما زالوا اخوانا للمسلمين من العراقيين • ولكن لانهم كانوا غافلا • متشاكسين • يريدون بهم شرا • ولانهم اعوان الانكليز المخلصين • وعندما اعلنت المعاهدة الانكليزية - العراقية الرابعة (١٩٣٠) اخذ جماعة مارشمعون يرسلون العراقيين الى عصبة الامم يطلبون فيها بترحيلهم من العراق او باستمرار الانتداب البريطاني على العراق (٤٥) • فزاد عليهم هذا من نفقة الحكومة والشعب عليهم • وقد رد مجلس عصبة الامم عواك الاتوريين ولم يمرورا لفاق الاتوريين من استقلال العراق لان العراق قدم كل الضمانات لحماية حقوق الاقليات • وعلى هذا اتخذ مجلس العصبة القرار التالي في يوم ١٤ كانون الاول من عام ١٩٣٢ (٤٦) • ان المجلس • وفقا للقرار الذي قدمته اللجنة المكلفة بقراره المؤرخ في ٥ كانون الاول ١٩٣٢ • بتخصيص مسودة قرار حول قضية الطائفة الاتورية في العراق على ضوء تقرير لجنة الانتدابات الدائمة المؤرخ ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٢ يوافق على تسمية لجنة الانتدابات الدائمة بانه لا يمكن قبول طلب الاتوريين المتضمن حكم ذاتي اداري داخل العراق ويجب علميا بكل ارتياح بتسريح مثل العراق من نية الحكومة باختيار غير اجنبي من خارج العراق يساعد على امداد حدوده في اسكان جميع العراقيين غير المستوطنين وفي شعوب الاتوريين وفي تنفيذ مشروع اسكان اتوريي العراق في حالات مناسبة وعلى قدر الامكان برحلات متتابعة على ان لا تضر الحقوق الموجودة للاجئين الحاليين

بعد المذابح التي اقترفها شيورلنك هرب من بقي من النصارى حيا الى مرتفعات كردستان طلبا للنجاة •

(٣٧) بين • ص ١٤٠ •

(٣٨) حيواني • ص ١٠٠ • حيث يقول ان عددهم في هذه المعسكرات بلغ عام ١٩١٩ • ٢٥٠٠٠ شخص • اما وليامس فتذكر ان عددهم كان ٢٠٠٠٠٠ شخص •

(٣٩) الحمصي ج ٣ • ص ٢٩٢

(٤٠) كلمة انكليزية معناها المجنون • ولفظها العامة اللبي •

(٤١) الحمصي ج ٣ • ص ٢٩١ •

وانه من المؤكد ان الحكومة العراقية ستتخذ كل التدابير لتسهيل سكن الاتوريين المذكورين في غير محل انه التدابير المذكورة اعلاه لا تقدم حلا كاملا للمعضلة ويبقى اتوريون غير راغبين او غير قادرين على السكن في العراق . ولتتمس من الحكومة العراقية ان تتفضل وتطلعهم في كيفية حل نتيجة التدابير المذكورة . \* ولم يفت مجلس الحسبة ان يقرر ايضا : \* ان مستقبل الاتوريين يتوقف عليهم في الدرجة الاولى ، متى اظهروا اخلاصهم وولاءهم للحكومة العراقية \* كما ان راي لجنة الانتداب الدائمة كان كذلك \* (٤٧)

وعندما خيبت مصيبة الامم املهم ، ولم تستطع الحكومة البريطانية مساعدتهم على تحقيق رغباتهم التي اصبحت تتعارض مع التزاماتها للعراق ، هزموا على تحقيق مطالبهم لاقوة \* لم يرضحوا عن هزمهم على ترك خدمة الحكومة البريطانية فحسب بل انهم كانوا يصرون سرا بانهم قادرون على الاستيلاء على قلاع من الارض في لواء الموصل ليستقروا فيها . كما نعم كانوا يصرون بجلال بانهم سيبدأ فعون عن مراكزهم تلك بقوة السلاح \* (٤٨) . وقد قام جماعة مار شمعون باعمال استفزازية في اوائل آب ١٩٣٣ فقابلهم الجيش العراقي بالمثل . وكانت بعض اعمال الجيش بالقوة القسوة وعلى الانصر ما حدث في قرية سميل (٤٩) . وقد اثارت حوادث الاتوريين عاصفة من الاستياء في اوربا ، وشوشت سمعة العراق في الاوساط الدولية والشعبية . وقد سافر وفد عراقي برئاسة ياسين الحاشمي ومهذبة نوري السيد الى جنيف في يوم ٢٢ ايلول ١٩٣٣ ، وعرض الصالة امام مجلس عصبة الامم . وقد صرح الوفد بان الاتوريين في العراق ينقسمون الى فريقين ، فريق واحد هو مواليا للحكومة ، وفريقا لقوانينها وانتميتها ، فهو يفتي في العراق متمسكا بالحقوق التي يتمتع بها باقي العراقيين ، واعلن الاخر مهادناته على نظم البلاد وقوانينها المضروبة فلا بد من ايجاد ماوى له خارج العراق . وان الحكومة العراقية مستعدة لتقديم المساعدة المالية لتسفر الفريق الثاني الى خارج العراق بقدر ما تسمح به احوالها المالية (٥٠)

(٤٧) مين ، ص ١٤٠ .

(٤٨) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٤٩) الحسني ج ٣ ، ص ٢٩٥ . ذكر الحسني في الصفحة نفسها ان عدد القتلى والجرحى في بلاغ الحكومة هو ٦٥ قتيل و ٤٤ جريحاً . ولا زال الناس في الموصل يذكرون الاستخدام مع الاتوريين بمراة ، وهم يسمون هذه الحادثة بـ (دقة التبارة) .

(٥٠) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٤٨) مين ، ص ١٤١ .

ان المذابح التي تعرض لها الاتوريون ، وخوفهم من حدوث امثالها في المستقبل ، حطمت  
مخاوفهم ، فهاجر ٦٠٠٠ شخص منهم واستقروا في منطقة الخابور الاعلى في سوريا ، واعرب ١٥٠٠  
من الباقين من رغبتهم في ترك العراق . والف مجلس رعية الامم لجنة خاصة لاسكانهم . وقد قررت  
اللجنة اخيرا ، بعد ان قدمت عدة اقتراحات لاسكانهم في المازيل ونيانة البريطانية ومنطقة نهر العاصي  
في سوريا رفضت جميعا ، ان يسكن المهاجرون الى سوريا في منطقة الجزيرة نمائيا ، بينما يجب على  
الباقين ان يستقروا في العراق . اما الذين مكثوا في العراق ، والذين عادوا اليه فقد بقي بعضهم  
في قراهم في منطقة العمادية وراوندوز ، واستقر الآخرون في بصرى القرى حول الموصل . وقد قررت  
لجنة بريطانية عينتها الحكومة العراقية لدراسة احوال الاتوريين عام ١٩٣٨ بان وضع الاتوريين  
الاقتصادى الساكنين في الموصل الشمالية لا يتغير من اوضاع ساكن تلك المنطقة (٥١) . على ان  
مشكلة المهاجرين بقيت نحو من ثماني سنوات معقدة ، فكان يتردد بعضهم بين سوريا والعراق ،  
وبكافح الآخرون ليتخذوا من اراضي الاحسجة سكنا لهم . فلما كان الاصطدام بين الجيش العراقي  
والبريطاني الذي ادى الى احتلال العراق في شهر كانون من عام ١٩٤١ مكن الانكليز من حل  
الاتوريين من العودة الى العراق (٥٢) . واحادوا استخدام كثير منهم في قوة الليش .  
والاتوريون اليوم جماعة مسالمة يشغل بعضهم في القوات البريطانية الجوية في مطار النجيفة  
وسن الذبان ، ويشغل آخرون منهم عمالا في شركات النفط ، ويعمل الباقون في الزراعة . وقد تدران  
نمسا وسبعين بالمائة منهم يحتفون اقتاديا على البريطانيين (٥٣) . ولا يكونون الا مشكلة قومية  
الا اذا اراد الانكليز ، وارادوا هم ، ان يعيدوا تمثيل العناسة العنسية ، ولا ارى ان بإمكانهم او في  
رغبتهم ، ان يفعلوا ذلك .

(٤١) نظمت مذبحه في هذه القرية للاتوريين العزل . وقد قتل في هذه القرية وفي غيرها من القرى  
قريبة ٦٠٠ شخص ، وتبعت ستون قرية . راجع "الشرق الوسط" ، ص ٥٨ . وان رتفاعيل حادثة  
قرية سميل في مين ، ص ١٥٠ - ١٥١ الذي يذكر ان الجيش والشرطة ، بمساعدة ابناء القبائل العربية  
والكردية ، دمروا عشرين قرية تدميرا تاما ، ودمروا عشرين قرية اخرى تدميرا جزئيا .

(٥٠) "تاريخ العراق السياسي الحديث" ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٥١) راجع حوراني ، ص ١٠٢ .

(٥٢) "تاريخ العراق السياسي الحديث" ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٥٣) حوراني ، ص ١٠٢ .

## ( ج ) اليهود

اليهود من سكان العراق القدماء • ويتحدث قسم منهم من اليهود الذين سباهم نيرخوذ نصر الى بابل في اواخر القرن السادس قبل الميلاد • (٥٤) وقد استطاع اليهود خلال اقامتهم هذه الدولة في العراق ان يجعلوا من انفسهم جزءا من الشعب العراقي ، فتخلقوا باخلاقه ، واكتسبوا عقلية ، واصطنعوا اللغة العربية في حديثهم (٥٥) وان اللوا محافظين على ثقافتهم العنصرية • وهم منتشرون في معظم المدن العراقية • على ان اقليتهم يسكنون في بغداد ان يقدر عددهم فيها بنحو ٦٠ ألفا (٥٦) اما عددهم في سائر بقية العراق فيقدر بحوالي مئة وعشرين ألف نسمة (٥٧) يتعامل قسم من اليهود التجارة والصرافة ، ومنهم كبار التجار في العراق • ولكن اغلبهم يشتغلون في مختلف الحرف والاعمال التي لا تدر الا دخلا شحيحا محدودا ، ولا يختلفون عن باقي السكان من حيث التأخر الاجتماعي والثقافة • ويعمل قسم منهم في دوائر الحكومة •

اما كان يهود العراق معاملة اجتماعية في يوم من الايام • فالحكومة تعتبرهم مواطنين لا فرق بينهم وبين غيرهم من المواطنين في الحقوق • وكان لهم مجالسهم الروحية ومحاكمهم الدينية معفومة مقبولة ومدارسهم الخاصة ، والمدارس الحكومية الرسمية ، مفتحة الابواب امام شعبانهم ، وقد طاعوا في ونام مع سائر اسكان • فعلى الرغم من تعصب الشعب لدية فلسطين • وتعاليم نفقة على الديانة ، الذين يريدون ان يؤسسوا لهم وطنهم قريبا في فلسطين على حساب المواطنين الاصليين من العرب ، بقي اليهود بعيدين عن شكوكه ، في ما من من نفقة • ففي اثناء المظاهرات المناهضة التي اشتركت بها جميع الشعب في بغداد ، في شباط ١٩٢٩ ، احتجاجا على زيارة السير الزيد منو الى العراق ، وخلال المظاهرات التي حدثت في شهر آب ١٩٢٩ على اثر حوادث حائل المبكي ، احتجاجا على السياسة البريطانية وعلى نشاط الديانة المتزايد في فلسطين ، لم يمتد احد من الناس الى اليهود ولم يصيبهم باذى (٥٨) • ولكن هذه المعاملة السخاء لليهود اعتبرا بعض التغيير ضد انتماء الشعب الديانة النازية في العراق في النصف الثاني من العقد الثالث من هذا القرن • وان كان الذين اعتنقوا مبادئ التعصب العنصري ضد اليهود والكراهية لهم اقلية لا تتعدى القوميين العائرين بالمنصرية النازية من مؤيدي نادي المثني •

(٥٤) حمادة ، ص ٢٦ وبين ، ص ٢١

(٥٥) يتكلم اليهود النبطيون في كردستان اللغة الكردية ، ويشتغلون تجارا وحرفيين في المدن ، على ان قسما منهم يقيمون في قرى حوالى العمادية ويشتغلون بالزراعة • انظر حوراني ، ص ١٠٤

(٥٦) ال حمادة ، ص ٢٦



وطراً على قضية اليهود تغيير آخر بعد المذبحة التي حدثت في اليوم الثاني من حزيران سنة ١٩٤١، والتي كانت خاتمة سبقة لحركة رشيد عالي الكيلاني . لقد توقف القتال في صباح اليوم الاول من حزيران ١٩٤١، وفر رشيد عالي ووزاراه، وتركوا البلاد دون حكومة . وكان الشعب خلال هذه الفترة خائب الامل، مبرر النفس متحفزاً للانتقام . وفي صباح اليوم الثاني من حزيران اغار الجهاد واوشاب الناس على الاحياء اليهودية الفقيرة . (كانت الشرطة تحرس بيوت اغنياة اليهود)، فنهبوا وقتلوا عدداً كبيراً لا يعلم مقداره بالضبط، بينهم كثير من النساء والاطفال . وفي ظهر ذلك اليوم نزل الجيش العراقي الى الشوارع، وعمل على وضع حد للمذبحة، وقتل من المشتركين في اعمال النهب والتخريب والتقتيل بين الستين والسبعين شخصاً . وفي الساعة الخامسة اعلن منع التجول، فافترت الشوارع من الناس، وهدأت الحال، وانتهت فترة ذلك اليوم المخزي المشؤوم (٥٦).

تختلف الروايات في تعيين المسؤول الرئيسي الذي حرض على هذا العمل المشين . واغرى الناس به . تقول السيدة فريا ستارك ما معناه (٦٠) " ان الثوار المتفهمين من جماعة رشيد عالي الكيلاني ارادوا ان ينجروا الشعب ويهجموا على السفارة البريطانية . ولكن هذه الحركة انجبرت قبل ان تنضج، ثم تحولت الى الاحياء اليهودية، يحدوا الناس نفقتهم على اليهود بسبب قضية فلسطين، وتخريبهم سهولة النهب والسلب . ويذهب اخرون الى ان الحركة جاءت عفوية لعدم وجود حكومة في البلد، ولما اعقب فشل الحرب ضد الانكليز من فوضى في المدينة . على ان آخرين يعتقدون ان هذه الحركة اثارها واغرى بها عملاء الانكليز ليحولوا نفقة الشعب ضد الانكليز الى مجار اخرى، وليخلقوا جواً من القلق والرعب بحيث يكون دخول الجيش الانكليزي الى بغداد امراً مرغوباً فيه . ويستدلون على ذلك بقولهم ان الجيش الانكليزي كان معسكراً باقرب من الكاظمية، ولو شامت السلطات

(٥٧) الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ (بغداد ١٩٣٦) . ص ٧٢٦ وشاير اليه فيما بعد بالدليل العراقي . اما وليامز، ص ٤٦ حاشية ٢، فتذكر ان عددهم ١٠،١٢٠ شخصاً .

(٥٨) مين، ص ٣١، وراجع كذلك "الشرق الاوسط"، ص ٢٤٢ .

(٥٩) ستارك، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٦٠) "لومونا لومونا" ص ١٥٩ .

البريطانية منع هذه المذاج لدخل الجبش في بغداد مبكرا ذلك الصباح . ولقضى على الفتنة في مهدها . اما انا فلا استبعد ان تكون هذه العوامل مجتمعة قد ادت الى هذه الحادثة المؤسفة .

ومهما يكن من شيء فقد وقعت هذه الحادثة التي اسف لها اغلبية الشعب ، والمهم ان نتتبع آثارها ونتائجها . لم ينس اليهود مرارة الحادثة ، وازداد تخوفهم من الشعب ، وكظم قسم من شبانهم غيظهم في صدورهم ، وفكروا في ايجاد مخرج لهم من هذه الاوضاع فلما قدم الجنود البولنديون العاملون مع الجبش البريطاني الى العراق اثناء الحرب ، كان بينهم عملاء نشطون للحركة الصهيونية . فاخذوا يبتون الدعاية الصهيونية بين الشبان اليهود - كانت هنالك دعاية للصهيونية قبل هذا التاريخ ولكنها كانت خائفة الصوت ، ضئيلة التأثير - وغرونها بالسفر الى فلسطين ، وقد سفروا نفراً منهم الى فلسطين فعلا . وكانت السلطات البريطانية تمد دعاية الصهيونية هؤلاء بالمعونة ، وكانت الحكومة العراقية ساكتة عن اعمالهم رغم اقتضاح امرهم . ولكن اغلبية يهود العراق كانت ترى ان الحركة الصهيونية لا تجدى يهود العراق نفعا ، وانه خير لهم ان يتفاهموا مع الشعب العراقي ، وياملوا في مستقبل مجهول<sup>(٦١)</sup> . وظل الاخير عندما عاد قسم من اليهود الذين هربوا الى فلسطين واخذوا يتحدثون عن صعوبة الحياة هناك ، وعن احتقار اليهود الاوربيين للشرقيين من اليهود ، وخاصة العراقيين منهم . واسس قسم من هذه الجماعة التي لا تدب بالصهيونية قصة مكافحة الصهيونية " في اواخر عام ١٩٤٥ ، واصدروا جريدة تتكلم باسمها . وقد استمرت العصبية تبين على صفحات جريدتها ، وفي اجتماعاتها العامة ، حقيقة الحركة الصهيونية العدوانية ، وخطرها على يهود العراق لما تولده بين العرب واليهود من عدا . ولكن هذه العصبية لم تعمر طويلا اذ حلتها الحكومة ، واغلقت جريدتها ، متهمه القائمين بها باشيوعية .

واحدثت ماساة فلسطين الاخيرة اهتف تغيير في حياة يهود العراق . دخلت الجيوش العربية فلسطين . ونشط خلال هذه الفترة دعاة القومية في دعايتهم ضد يهود العراق . واخذت جرائد حزب الاستقلال "لواء الاستقلال" و "البقعة" تشن عليهم الحملات متهمه

---

(٦١) يقول حوراني في ص ١٠٤ : " وفي الحق ان يهود العراق ، كسائر اليهود الشرقيين ، ليسوا صهاينة عقيدة على وجه العموم . وان قسما منهم بصرحون بانهم قوميون عرب وانهم معادون للصهيونية " .

اياهم جميعا بالصهيونية ، والتآمر مع الاعداء ، وتدعو الناس الى مقاطعة التجار اليهود وشراء حاجاتهم من التجار المسلمين ، حتى اوقرت صدور الناس ، واثارت حفاظهم . وقامت الحكومة اليهود فاحالت العشرات منهم الى العجالات العرفية وطردت كثيرا منهم من دوائرها . واستغلت الشرطة الاحكام العرفية ، وطردت تبتز اموال اليهود بالتخويف والتهديد والتلويح لهم بالسجون . وهاش جميع اليهود خلال تلك الفترة في جو من الخوف والقلق والتوجس . ومن كان لا يعطف على الصهيونية من شبانهم اصبح يتمنى ان يهضوى تحت لواء دولتها ليخلص ما هو فيه . واوقف معظم التجار اليهود اعمالهم الا قليلا ، وهرب قسم منهم اموالهم الى الخارج ، حتى اوشكت الحركة التجارية - التي تشكو من ازمة حادة - ان تشل في العراق بأسره . وهرب قسم كمنهم الى فلسطين او ايران .

وعندما رأت الحكومة كثرة الهاربين استصدرت قانونا في ١ آذار ١٩٥٠ وسمح لليهود بالسفر الى اسرائيل على ان يتخلو عن جنسيتهم وياخذوا معهم مقدارا معيننا من المال . وقد سافر فعلا مئات منهم الى اسرائيل . وقد بلغ عدد الذين طلبوا اسقاط الجنسية عنهم بعد مغادرتهم هذه الحكومة هذا القانون ، اكثر من مئة الف يهودي . سافر منهم بضعة الاف الى اسرائيل ويستعد الآخرون للسفر . وقد شرعت الحكومة ، في ١٠ آذار ١٩٥١ ، قانونا بتجميد احوال اليهود المستقلة عنهم الجنسية .

---

### الفصل الثالث : اديان السكان

ان اقلية الراقيين مسلمون ان تبلغ نسبتهم ١٤ بالمئة الى مجموع السكان .  
 ولهم المسيحيون . وهم ينقسمون الى طوائف متعددة ، مختلفة في مذاهبها وطقوسها  
 ومناصرها ولغاتها . ويعيش اكثر من ٦٠ بالمئة منهم في مدينة الموصل وما جاورها من  
 القرى . وهم ينتمون الى الكنائس المسيحية الشرقية كالروم الانوذكس ، والنساطرة ،  
 والارمن واليعاقبة ، ومنهم من انضموا الى كنييسة رومية واعتنقوا بسيادة البابا الرومية وهم  
 الكلدان ، والارمن الكاثوليك ، والسرمان ، وهناك عدد من المسيحيين الانجيليين (البروتستانت)  
 وللمسيحيين كنائس في المدن الكبرى<sup>(١)</sup> . ولهم اليهود ، ثم ثلاث طوائف دينية اخرى وهم  
 الصابئة او الصبة<sup>(٢)</sup> ، واليزيدية ، والشبك . كما ان في البلاد عددا من البهائية والمجوس .  
 يسكن نحو ثلثي اليزيديين في قضا سنجار ، ويسكن الباقون في قضا الشيوخان من  
 لواء الموصل . ولا يعلم عن اصلهم شي<sup>(٣)</sup> موثوق بصحته . ويجوز ان يكونوا من الاكراد الذين  
 هاجروا من الشمال الى الجنوب ، وانفردوا عن بني قومهم ، وظلوا محتقلين بدينهم القديم<sup>(٤)</sup>  
 اما اصل تعصبهم فمختلف عليها كذلك . فهم يزعمون انها نسبة الى يزيد بن معاوية<sup>(٥)</sup>

(١) ص ١١١ ، الباقى . وكما قلت انه لا توجد احصاءات دقيقة لعدد افراد كل فئوية  
 في العراق فكذلك اقول بالنسبة لافراد كل ديانة او افراد كل طائفة دينية . والاحصاءات  
 الموجودة كلها مبنية على التقدير والتخمين ، وهذا احداث التقديرات : جاء في الشرق الاوسط<sup>(٦)</sup>  
 ص ٢٤٠ : ان عدد افراد الطوائف الدينية يتقدرون عام ١٩٤٣ كما يلي : المسلمون الشيعة :  
 ٢٠٠٠٠٠٠ ، السنة ٢٠٠٠٠٠٠ ، المسيحيون : الانثرون النساطرة : ٣٠٠٠٠٠ ، ابناء  
 الطوائف المسيحية الاخرى : ٦٠٠٠٠٠ ، اليهود : ١٠٠٠٠٠ ، اليزيديون : ٣٠٠٠٠ ،  
 الصابئة : ٣٠٠٠ ، الشبك : ١٢٠٠٠٠ . على ان الكاتب يناقش نفسه عندما يقول في الصفحة  
 ذاتها ان الشيعة يفوقون عدد السنيين ، بما فيهم العرب والاكرد ، بحيث تكون نسبتهم اليهم  
 كنسبة ثمانية الى خمسة . وتذكر وليامس ، ص ٤٦ حاشية - الارقام التالية :  
 المسلمون السنة : ٨٢٣م ٠٢٩م ، الشيعة : ٥٢٣ ، ٦١٢ ، ١ ، المسيحيون : الارثوذكس ٦٨٨ ، ٢٠ ،  
 انثرون ١٢م ٠٢٣م ، الطوائف الاخرى ٦٠٩م ٤٧ ، اليهود : ١٧٠م ٩٠ ، الصابئة : ٦٠٠٠٨ ،  
 اليزيديون ٨٢٨ ، ٢٣ :

(٢) حمادة ، ص ٣٥ :

(٣) الهاشمي ، ص ١٠٩ :

ويتول بعض العلماء أنهم ينتسبون الى يزيد بن ابيس الخارجي ، ويذهب فيهم الى ان الكلمة مأخوذة من "يزد" أو "يزدان" الفارسية القديمة ومعناها الله أو الثائن الاعلى ، أو "يزد" التي تعني خالق بالعبادة ، وتطلق في دين الفرس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر .  
وسأعلم ان احد هذين الاشتقاقين هو الاقرب الى الصواب فيكون أصل معنى اليزيدية "اتباع الله" أو "اتباع الملائكة" (١).

يو من اليزيديون بوجود اله اكبر خالق لهذا الكون ، الا انه قد فوض امر العناية الكون الى الشيطان ، مساعده ، ومنفذ مشيئته . والشيطان — الذي كان الملاك الاعظم — وصى الله فعاقبه لعصيانه ثم تاب عليه ، وحكمه في الكون قادر على ان ينزل بالبشر جميع انواع العذاب ، والواجب يقضي على النار ان يسبحوه ، ومجدوه ، ويمتدحوه (٢) وعلى هذا فتسميتهم بـ"مستحقلي الشيطان اصح من دعوتهم بعبدة الشيطان (٣) وقد صنعوا لهذا الشيطان ، او طاووس ملك ، تمثال ديك ، مصنوع من النحاس الاصفر ، واقف على حامل يشبه الشمعدان .  
ويوجد لطاووس ملك ، تمثال مستقر في معهد الشيخ هادي وتمثيل ستة اخرى تنتقل في القبائل اليزيدية (٤) والحق ان ديانتهم مزيج من اكثر ديانات الشرق الادنى . يقول الباحث ت . منزل ، في دائرة المعارف الاسلامية ، جلد ٤ ، ص ١١٦٤ ، "ان اصل وتطور ديانة اليزيدية المركبة لم يوضحا بعد ، غير انه يظهر ان عقيدتهم تشمل عناصر وثنية قديمة (لكها ليست من قبيل عبادة الشمس والقمر) ، وعناصر ايرانية زرادشتية (بعضها يشبه الثنوية الفارسية) ، ومانيوية (مذهب المعرفة "الفارسي) ، ويهودية (تحريم بعض الاطعمة) ، ونصرانية — خاصة النسطورية — (المعمودية ، العشاء الرباني ، زيارة الكنائس المسيحية في حفلات الزواج ، تحليل شرب الخمر) ، واسلامية (الختان ، الصوم ، تقديم الضحايا ، الحج ، الكتابات القبرية الاسلامية) ، وصوفية رافضية (كتان العقيدة ، الوجد ، تعظيم عدد كبير من شيوخ الصوفية) ، وصاهبية (التنص) ، وشامانية ( طرق الدفن ، تفسير الرؤى ، الرقص) (٥)

(٤) اسماعيل جول ، "اليزيدية قديما وحديثا" (بيروت ، ١٩٦٤) وقد عني بنشره ، وكتب مقدمته ، الدكتور قسطنطين زريق . ص ٧٧ ، ٩٣ . وانظر كذلك من "ط" من المقدمة . وسأشير الى هذا الكتاب فيما بعد "باليزيدية قديما وحديثا" .

(٥) المصدر السابق ، ص "ط" .

(٦) المصدر السابق ، ص "ي" و "ك" .

(٧) من ، ص ٦٩ .

(٨) من ، ص ٢٥ .

ينقسم الزيديون الى قبائل عديدة رغم قلة عددهم • ويشغل معظمهم في الزراعة وربية المواشي • وهم ينقسمون في حياتهم الاجتماعية لنظام طبقات واضح الحدود • صارم التطبيق • فهم ينقسمون بمجموعهم الى طبقتين • الكينة والعوام • والكينة ينقسمون الى عدة طبقات • وهي بحسب أهميتها وطول منزلتها • الشيخ • والبير • والفقيه • والكويك • ودون الجميع الفرائس والشاوش • وخادم قبر الشيخ عاد (١)

يسكن الماهية او الهبة على ضفاف الأنهار في القسم الجنوبي من العراق وخاصة في الوجة السامرة والعتك والبصرة وفي نواحي الحيرة والاموار • وقد فرغ قسم منهم الى بغداد والموصل وغيرهما من مدن العراق الكبيرة طلبا للتعليم • ويتكلم الماهية اللغة العربية • الا ان لهم لغة دينية خاصة بهم تعرف بالمندائية • وهي لغة سامية تقرب من السريانية وقد تداخلت فيها كلمات فارسية وعربية (١.١)

اما اصل الماهية فغير معروف • وهناك آراء مختلفة في الموضوع • يقول كراي شو • "يطلق هذا الاسم على فرقتين متميزتين من بعضهما تمام التمييز • (١) المندائيين والهبة • وهم فرقة يهودية - مسيحية • توارس العباد في العراق (مسيحيو يوحنا المعمدان) • (٢) ماهية حران • وهم فرقة وثنية • بقيت مدة طويلة في ظل الحكم الاسلامي • وهذه الفرقة مهمة لحفادها ولما نبغ فيها من العلماء • والظاهر ان الماهيين الذين ورد ذكرهم في القرآن والذين دعاهم مع اليهود والنصارى في ثلاثة مواضع • باهل الكتاب • اي اصحاب الكتب المنزلة وهم المندائيون • يجب ان يكون الاسم قد اشتق من الجذر المبراني ص - ب - ع • "فطس" انقص • بسقوط العين • ويجب ان يعني "المعمدون" • اي الذين يمارسون العباد بطريقة الخطن في الماء • ويحتمل ان يكون الماهية الوثنيون • الذين لم يعرفوا هذه الشعيرة اطلاقا • وقد اصطنعوا هذا الاسم ليحضوا بانتسابهم الذي اسبغوه الاسلام على المسيحيين واليهود • والماهية يعتمدون • ولكن ليس العباد المعروف عند المسيحيين • بل الانغماس في الماء والاتصال فيه • ولهذا نجدهم يعيشون على ضفاف الانهار • وعلى كل واحد منهم ان يغتسل بالماء الجاري بعد كل خطيئة يرتكبها • كانت بسيطة • وبزاول الهبة اليوم من العمل الصاغة والتجارة والحدادة والزراعة • الا انهم اشتدوا بصياغة المينا • اي تشريف النحاس وحفرها وتلبيسها بالمينا • وهم طائفة وديعة مسالمة • نشيطة •

(١) الزيدية قديما وحديثا • ص ٢١ • من المقدمة •

(١.١) الدليل العراقي • ص ٢٥٠ • والمصدر السابق • ص ٢١ • و "م" من المقدمة •

(١.١) الدليل العراقي • ص ٢٢١ •

(١.٢) B. Carras De Vaux, art. Sabia • Encyclopaedia of Islam • (London 1984) • P. 27.

أما الشبك فيسكنون القرى الواقعة في جنوب الموصل على ضفة نهر دجلة اليسرى • وهم يتكلمون اللغة التركية المشوبة بكثير من الكلمات العربية • ولا يستبعد أن يكونوا من أصل تركماني • وديانتهم مزيج من الاسلام والنصرانية واليهودية • وهم يشتغلون جميعا في الزراعة •

لا أريد أن أسهب القول في الطوائف الدينية في العراق • فأتحدث عن تاريخها وعقائدها • وشعائرها • وأحقي في صحة ما تقوم عليه من إيمان • فذلك من اختصاص الفلاسفة واللاهوتيين ورواخي الأديان • ولم أطل القول في أحوال الصابئة واليزيديين والشبك إلا لأن مذاهبهم قريبة بحاجة إلى إيضاح • أن ما يهمنا من أمر الطوائف الدينية في العراق هو علاقتها بمسألة التي نعالجها • مشكلة الحضارة • هل بين هذه الطوائف الدينية استخدام ظاهر أو خفي يبلبل المجتمع • ويقسمه على ذات • ويبذره • هل تقف هذه الطوائف عائقا يسد على الشعب طريق التقدم • والتحضّر • والانطلاق في مجالات جديدة للخلق والابداع ؟ هل تستبد الطوائف الكبرى بالطوائف الصغيرة القليلة العدد فتوقف نشاطها • وتحد من حريتها • وتفرض عليها إرادتها وإيمانها فرضا ؟

ينص الدستور • أو القانون الأساسي العراقي كما يسمى رسميا • على أن العراقيين كلهم متساوون في الحقوق والواجبات • وأن اختلفوا في القومية والدين واللغة (١٤) ومع أن الاسلام هو الدين الرسمي للدولة فإن الدستور يكفل حقوق الاقليات الدينية • فلها كامل حريتها في إقامة شعائرها الدينية • وكنائسها ومعابدها محترمة متونة (١٥) وللطوائف المختلفة حق تأسيس المدارس لتعليم أفرادها بلغاتها الخاصة • والاحتفاظ بها • على أن يكون ذلك موافقا للمناهج العامة التي تعين قانونا (١٦) وللأقليات الدينية الكبيرتين في البلاد • المسيحية والموسوية مجالس روحانية دائمة تنظر في المواد المتعلقة بالنكاح والطلاق والتفويض والنفقة الزوجية وتتصدىق الوصيات •

- (١٣) انظر الهاشمي • ص ١١٠ • يقول السيد حوراني ص ٩ • " الشبك جماعة من أصل كردي • يسكنون في المنطقة التي يسكنها اليزيديون • ولا يوجد ما يميزهم عنهم تمييزا واضحا • وديانتهم مكونة من عناصر يزيدية وشيعية مغالية " • أما أن في عقائد الشبك عناصر شيعية مغالية فحق • والمسلمون في الموصل يدعونهم الرواحن • ويقول الدكتور زريق في مقدمة " اليزيدية قديما وحديثا " "لكن هذه الفرقة (يعني الشيعة) جماعة الشبك ذات التقاليد والعادات الخاصة " • وأما أنهم يسكنون في مناطق اليزيديين • وأنهم لا يميزون عنهم تمييزا واضحا • وأنهم من أصل كردي • فشي • أراه بعيدا عن الواقع •
- (١٤) القانون الأساسي العراقي • مع تعديلاته • ( مطبعة الحكومة بغداد • ١٩٤٤ ) • المادة السادسة • وسأشير إليه فيما بعد بالقانون الأساسي •
- (١٦) المصدر السابق • المادة الثالثة عشرة •

ان بجميع الامور الشخصية خلا تلك الداخلة ضمن اختصاص المحاكم المدنية (١٧) كما  
ضمت القوانين للاقلية حقوقها السياسية ففتحها حق ارسال ممثلين فيها الى المجلس  
النيابي . فلكل من الموسويين والمسيحيين اربعة نواب . ولا يتصرف القانون بالناطقة الهندية  
الا فيما يتعلق بالاحوال الشخصية . فلا يسأل المرء عند دخوله المدارس الرسمية ، او عند  
تولفه في الدوائر الحكومية ، اسلم هوام مسيحي ؟ اكانوليك ام بروتستانت ؟ اسني ام شيعي ؟  
كل ما يسأل المرء منه ان يكون عراقيا . وشعار الحكومة في هذا الكلمة التي تحزى الى الملك  
فيصل الاول : **الدين لله والوطن للجميع** .

قد نقول : كل هذا حق لا شك فيه . وهو مسجل في دستور البلاد ، ومتبوع في القوانين .  
ولكن امليق هو حقا في الواقع ام لا يزال حبرا على ورق ؟ نقول الصفحات كهذه الحرية الفردية  
التي تقرأ عنها في الدستور ولا تقع لها على اثر في الحياة ؟ اما ان حقوق الطوائف الدينية التي  
نصت عليها القوانين محترمة منونة فعلى لا شك فيه . ولكن يبقى افراد الطوائف الدينية ، بمنتهى  
اشخاصا فردين ، هل لهم جميعا مساوون في الحقوق بغض النظر عن الدين الذي يعتنقونه ؟  
اباكر فاجيب عن هذا السؤال بالاجاب مع بعض التحفظ . فالحكومة تستهدف المساواة التامة  
في الحقوق بين العراقيين جميعا . ولكن من هي الحكومة ؟ انما مجموعة افراد من الشعب ،  
يحمل كل منهم في ذهنه تقاليد الوسط الذي نشأ فيه ، والناس الذين يستند عليهم في اقامة  
منهجه . ومن هنا كان بعض الدشليميين لطوائفهم الدينية يستأثرون مراكزهم الحكومية ويقرون  
بعض ابناء دارائهم وشملونهم على نفوسهم من ابناء الشعب في المناطة . وهذا جزء من " المحسوبية "  
التي تشيع في جهاز الدولة ، والتي مبعثها عدم تطبيق الديمقراطية الصحيحة في الحكم .  
وقد ان رقابة الشعب الفعالة على جهاز الدولة بواسطة مجالسه المنتخبة ، وضعت سيطرة الراي  
العام القوي في الاحزاب والجمعيات والصحافة الحرة . وليست تقاليد الشعب العراقي واحدة  
في جميع البلاد . فما زالت اثار الماضي البغيض حية تعمل ، وان اصبح عليها انطباعات واقل شرا .  
فقد كانت الناطقة في العهد العثماني حقيقة واقعة ، تفرق الناس وتحيق نحو البلاد . وقد  
وجدت تلك النزعات تربة خصبة في جوف الناس ، كما نمتوا الحزمة الضخمة الضخمة ، والحكومة  
العثمانية السنية ، اللتان كانتا تحتضمان على حكم البلاد . وجاء المستعمرون الانكليز فحسموا  
حومهم على اذكار هذه النفقة النارية لتفريق الشعب واضعاه ، والمائة من مائة السياسية ،



ليست عليهم حكمة (١٥) ولكن المواصلات الحديثة التي ربطت اطراف البلاد وقربت المسافات ونشأت التجارة ، صلت على قارب الشعب وتوحيد افكاره ، وازالت كثيرا من الازالة الخاطئة التي تحملها الجماعات العراقية المختلفة بعضها من بعض . ثم تالت الكليات العراقية وعلى الاخر دور المعلمين ، التي يتعلم فيها الشباب من مختلف الاديان والمدن العراقية ويحيثون فيها سوية مدة من الزمن ، فوحدت مشاعر هؤلاء الشباب ، وافت بين الفترات الطائفة ، وقد اثرا هم بدورهم في الاوساط التي اتصلوا بها ، وعملوا على خلق جو من القامح والتسامح . كما ان التجنيد الاجباري ادى خدمة ممتازة في هذه الناحية ، حيث صل على حشد الاف الشباب من مختلف اطراف العراق في ثكنات واحدة ، فاختلطوا ، وتعارفوا ، وتوحدت مشاعرهم وميولهم ، وزال من نفوسهم ما يحدده البعاد والانزواء من جهل بالآخرين ، وسوء فهم لهم . واخيرا يجب ان نذكر ما قام به رجال الفكر والمصلحون السياسيون المخلصون منذ ايام الثورة العراقية الاولى عام ١٩٦٠ من معارضة لهذه السياسة الضيقة ، وافهام الناس حقيقة امرها .

ان الحوادث السياسية الحديثة التي انتابت البلاد منذ الاحتلال الانكليزي الى وقتنا هذا ، وهذه المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي اخذ يحتمل بها الشعب احسدا صعبا ، ومحمل على اصلاحها وازالة شرونها ، قربت السكان ، ووحدت بينهم ، ووسعت من آفاق افكارهم الدينية .

على ان اللامثلية ، وان تضال ثنائيا ، لا زالت اداة بيد جماعة من المتنفذين الحكوميين ، والمصلحين ، وانصار الاستعمار ، وبعض الانتوازيين من المثقفين ، يتوصلون بها الى تحقيق غاياتهم ، ونيل ما يبتغون من منصب وسلطة وثروة وجاه (١٦)

---

(١٨) قرأت قبل ثلاث سنوات مقالة للاستاذ ساطع الحصري نشرها في جريدة الزمان البغدادية ذكر فيها ان الملك فيصل الاول ، في مفتتح عهده في العراق ، كلفه البحث في شؤون المعارف . فوجد ان المستشار الانكليزي في وزارة المعارف قد اقنع وزير المعارف الشيعي بان تؤسس ثلاثة دور للمعلمين : دار معلمين مسيحية في الموصل ، واخرى شيعية في الفرات الاوسط ، وثالثة سنية في بغداد . وذكر الاستاذ الحصري انه لم ينجح في احباط هذا التنظيم الذي يسعى الى تحقيقه المستشار الانكليزي ، وتأسيس دار معلمين واحدة للعراق بأسره في بغداد ، الا بعد جهود جبارة ، وكفاح طويل .

عندما اشتد الضغط على وزارة صالح جبر ، ووقف الشعب بوجه معاهدة بورتسموث . عمل هو وانصاره ومن يحركه من وراء الستار ، على نشر التفرقة الطائفية ، وبحث الشقاق بين السنة والشيعة . " فارسل نفرا منهم السيد <sup>ضيا</sup> جعفر وزير المواصلات والاشغال يبتون سموم التفرقة ويوزعون المنشائر الضارة ، مشعوعة بالبذل السخي ، ليمدعوا الجبهة المتناكسة . ( ٢٠ ) ولكن الشعب فهم حقيقة هذه المؤامرة على وحدة صفوفه ، فلم يولها اهتماما ، وخرجت المظاهرات الشعبية من الكاظمية ، فاثبتت عليها فشل الطرفين . كما فهم الشعب غايات تلك الجماعات التي يحمل افرادها على اذرعهم شارات " شباب محمد " والتي نظمها الحكومة والاحزاب الموالية لها ، لتفريق المظاهرات ، والاعتداء على المواكب ، فاحبط اعمالها وقابلها بالاحتقار .

ويجب ان لا اهل ذكر المحاولات التي قامت وتقوم ، بها مئات من اعداء التقدم والاصلاح لاقحام الدين في السياسة ، ودعوة الناس الى التخلي عن بعض الجماعات السياسية بحجة ان ميادئها مخالفة للدين ، معادية لمبادئه . على ان هذه المحاولات المظلمة لم تلق نجاحا الا في اوساط معينة <sup>وتن</sup> استنكرها المتفكرون ، وعابوا على القائمين بها استغلالهم هذا المشين للدين . وفي هذا العدد يقول السيد عبد الرزاق الظاهر من زعماء حزب الاحرار ( ٢١ ) : " ولقد تبدى في الافق القريب ، وفي ايامنا هذه ، اسلوب جديد في مظهره ، عتيق في طرائقه ، وصرنا نسمع اقحام الدين والالحاد في المنازعات السياسية ، حول المبادئ السياسية اليسارية او اليمينية . . . . ولو ان الذي عمد الى هذا السلاح كان من عامة الناس ( ا ) جهلائهم لهان الامر ، ولكنه رجل له مكانة في البلد ، ودكتور في اختصاصه ، هو الدكتور سامي شوكة . وعلى هذا فارى لزاما علي ان اتقدم بكل احترام ناصحا ومرشدا .

---

( ١١ ) ان هؤلاء الطائفيين ، مثل جميع الطائفيين في جميع الاقطار ، لا يعتقدون التعمص الطائفي من عقيدة وايمان ، وانما يمدحونهم من مصلحة ذاتية ومنافع دينوية او من تفكير ضيق الافاق ، ونفوس بدائية الشعور ، قبلية الاحساس . اذكر ان « مديرا عاما » متقاعد اكدني منذ <sup>خمس</sup> سنوات ان اقرا له مسودة كتاب الفقه من الدين . حلل الرجل في كتابه هذا نشوء الاديان وبرهن بالادلة العلمية والتاريخية على ان فكرة الله انما هي من اختراع الانسان ، وان الاديان جميعا ليست سماوية منزلة وانما هي في وضع الانبياء انفسهم . ولكنه عندما عرض للخلاف بين السنة والشيعة ، اندفع يفضل السنة على الشيعة ، اذ كان سنيا ، ويتعصب لهم ، ويسخف عقائد الشيعة . مع انه نفى حقيقة الدين باسره في الفصول الاولى من كتابه .

واحسبني اعبر عن رأي الطبقة المثقلة اذا صارحت بان اسلوبه لا يلقى القبول . وانه يتناول شؤون الدين وهي ليست موضع بحث . وجدل . وكان الاجدر بالدكتور ان يعالج موضوع النزاع من اساسه ، ويدلي بالادلة التي تؤيد المذهب اليميني الذي له وجهته واساليبه في طرق معالجة الاصلاح . وان يحارب العلم بالعلم والمنطق بالمنطق . اما الالتجاء الى الدين ، او ادعاء الدين ، فهو اسلوب لا يغيب عن فطنة العراقيين وما هو معروف عنهم من الذكاء الفطري .

يزعم بعض الباحثين في الشؤون الاسلامية من الاوربيين ، ويجاريهم في زعمهم هذا بعض المشككين من الشبان المسلمين المثقفين . ان الدين الاسلامي بطبيعته يعارض الحضارة العصرية ، ولا يحتل العلم الحديث . وما على المسلمين اذا ارادوا ان يتحضروا ويصبحوا امة ذات كيان عصري ، الا ان ينبذوا دينهم هذا نبذا ، او يمتاضوا عنه بدين غيره . يلائم الحضارة ويساير العلم ، ولا يحول بين معتقيه وبين هذه الحياة الجديدة المتحضرة التي تنهات عليها الام في عصرنا هذا . قد يكون هذا الزعم الحق كله . وقد لا يكون على شيء . من الحق . اما انا فادع المؤمنين من المسلمين يدافعون عن دينهم الحنيف بما يلزمهم دينهم من براهين وحجج مقنعة ، واترك الباحثين من الاوربيين والمشككين من شبان العرب يؤيدون زعمهم بادلة العلم وبراهين التاريخ ، وابحث القضية من طريق اخر ارجو ان يغنيننا عن هذا الجدل المرهق العنيف . لقد هداني تفكيري المستمر في احوال المسلمين من العراقيين الى ان الشعب العراقي باغليته غير متدين ، وان ما يمارسه من شعائر لا تمت الى الدين الصحيح بصلة ، وان الدين لم يتغلغل في قلوب ابنا الشعب ولم ينفذ الى عقولهم . ان اساس الدين الصحيح ، كل دين صحيح ، هو الشعور الدائم بوجود الله والخوف منه ، هو تقوى الله والخشوع له وتوحيده ، واحترام كل ما خلق وما اوصى به خلقه . هذه الخصائص المهمة للدين تجهلها اقلية الشعب . يحدثنا السيد احمد فهمي : " في السنين الاخيرة ارتجل احد المجتمعين تحت الطيارة في جهة الرميثة " الهوسة التالية ، واخذت تنشدها الجموع المحتشدة : " متعجب خالق له بعبيره " .

(٢٠) صدر الدين شرف الدين ، سحابة بورت ساوث (بيروت ١٩٤٨) ، ص ١٥٢ . والشائع ان من الذين قاموا باعداد تلك المنشور ، في مطابع مديرية السكة الحديدية ، وتوزيعها صباح بن نوري السعيد ، والصحافي عادل هوني ، وكلاهما سنيان .

(٢١) عبد الرزاق الظاهر ، " صور من العراق " (القاهرة ، ١٩٤٢) ، ص ٣ - ٤ .

فيما إشارة الى الآية الكرمة ( أفلا يغفرون الى الأبل كيف خلقت ) ٢٢ .

هذا شاعر سعي يسخر من الله ، ويتمك على قرانه ، والجموع المحتشدة حوله تردد هذا السخر مؤيدة له ، مخلقة ابتهاجها به . نلم الشاعر هذه الهوسة (الاهزيمة) عام ١٩٢٠ أثناء الثورة العراقية ، عندما رأى لأول مرة طيارة بريطانية ، وقد سمعت في السنوات الأخيرة أثناء تجوالي في جنوب العراق أناسا عديدين يروون هذه الهوسة ويرددونها ، ولم أرى منهم مستاء منها ، ناقما على الشاعر ، أو مكثرا إياه . وما هكذا يكون توقير الله واحترامه . وما عليك إذا أردت أن تتأكد من صدق هذه الملاحظة إلا أن تجول في أسواق أية مدينة عراقية وتسمع كيف يتلفظ الناس اسم الله والدين في شتائمهم ولعناتهم . أو اقصد أي بائع تشاء وحاول أن تسأله وتشتط في المساومة معه ، ثم سجل الأيمان المخلقة قبل الله والدين والكذب والانهيا جميعا التي يؤكدها لك فيها أنه مفرغك القول ، يريد بك خيرا ، وهو يعلم أنه يكذب عليك ومحاول فشك . وما هكذا يكون احترام الله والخوف منه . يحدثنا القرآن أنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا قرأت عليهم آياته زادتهم إيمانا . فالخشوع عند ذكر اسم الله والخوف منه ، من الخصائص المهمة للمؤمن . وابن عامة العراقيين من هذا كله . انهم يستمعون الى القرآن يتلى عليهم من المذيع ، وإلى ذكر الله تردده على أسطحهم المنائر والآذان الكبيرة المنتشرة في كل مكان ، وهم جالسون في المقاهي ، وكانهم لا يسمعون شيئا ، وإذا سمعوا فلا يفتهمون ما يسمعون شيئا ، فهم مشغولون بأحاديشهم أو لعبهم . وما هكذا يكون الخشوع لله ، والخوف منه ، والاطمئنان بذكره . وهل أول على أن الشعب العراقي غير متدين أصلا من أن الكثرة الشبان المتحلين ملاحظة لا يؤمنون بدين ؟ وهذه ظاهرة قد لا يوجد لها نظيرا في سائر البلاد العربية ، وهي أن ذلك على شيء . فعلى أن إيمان الشعب العراقي بدينه إيمان سطحي وانما ما يستتفه من عقائد ليس إلا خرافات مشوشة تنبزم أمام أقل حقائق العلم ، فقد تزول الخرافات والافتقادات الباطلة المبنية على الجهل وتبقى العقول نظيفة مفتحة للمعرفة ، أما الإيمان الصحيح المتغرس عمقا في النفس فقد يبقى مع المعرفة والثقافة ، وقد يكافح العلم زمنا طويلا .

(٢٢) أحمد فهدى ، ص ٤٧ . معنى هذه الشطرة أن الله يتعجب بأن خلق البعير ويغفر

بعمله هذا . ثم يلتفت الشاعر مخاطبا الله في الشطرة الثانية يا ..... سوى طيارة "

قائلا ولك اصنع طيارة إذا كنت قديرا .

فإذا تعدينا هذه الأمور التي تشمل بجوهر الإيمان ، إلى العبارات والفروض ، رأينا  
أغلبية الحواريين بعيدة من اداء فرض الدين بتامها ، والتي لا يكون المسلم مسلدا بدونها .  
فعلى الرغم من تشديد الحكومة النكرو على المفطرين طنا ، وظفوا السلام والمقام في أيام  
رمضان ، نرى كثرة الشعب لا تقيم وزنا لهذا الفرض الاساسي من فرض الاسلام ولا لأوامر الحكومة .  
ثم ألا يدل هذا التشديد من قبل الحكومة ، وإن كان مبعثه النفاق والتعلق لمواظف رجال الدين ،  
وإن هم المصلون ؟ أسأل الجوامع الخالية .

وما أبعد الثقة بين المسلمين وبين الاسلام الصحيح في ناحية المعاملة . إن أغلبية  
الشعب فلاحون ، بعضهم مستقرون استقاراً دائماً ويحتسب شبه مستقرين ، ولكنهم جميعهم ينتقلون  
إلى قبائل وما زالوا مستمكينين بمعاذ قوم القبيلة التي هي أقرب إلى عادات الجاهلية الأولى ،  
التي جاء الاسلام لتغييرها وإصلاحها ، منها أني الاسلام . فالأخذ بالنار ، والانتقام من  
القاتل نفسه أو من أقاربه أو أبناء منبرته قار شاعرا في القبائل السراقية ، ولا يزال ، رغم انتشار  
مؤسسات حفظ الأمن الحكومية في أطراف البلاد . وهو عادة متافية لأحكام الاسلام .  
وكانت القبائل المراقبة تخزب بعضها بعضا إلى وقت قريب . والغزو نور قبول في الشريعة  
الاسلامية ، أي وجه من الوجوه " لأنه نهب ورجح ، وفارة على أهوال النير ، والحكم به ما ينالني  
الشرع " .<sup>٢٣</sup> والوسقة شائعة في الحرف العشائري . ومعنى الوسقة أنه إذا سرق تحت الأشجار  
مال ولم يستطع استرجاعه من المارق فبما كانه أن يغرم أقارب الناهب أو ما يسمى بلزقه . وهذا  
لا يقبله الشرع بوجه . فقد أعلن القرآن ( ولا تروا زنة من أخرى ) وأن العقاب والشرع لا يقبلان أن  
يلزم غير المعتدي . وإن يؤخذ فور الجرم .<sup>٢٤</sup> وكل مثل هذا في كثير من الحرف العشائري .  
وقد تسألني : إذا كان معظم الحواريين غير متدينين كما تزعم ، وفور متقودين بأحكام الاسلام  
ولا مواعين لفرض الدين ، فهل تعتبرهم ملاحدة كفارا ، بنوا الحادهم على حدي المنطق ، وتوصلوا إلى  
الكار بالدليل ؟ وهل خلعت عقولهم من دين ، أي دين إن ؟

(٢٣) عزاري ج ١ ص ٤٠٨ .

(٢٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٤١٣ .

لا شك في ان قسما من العراقيين متدينون ، همقوا الشعور بايمانهم ، مخلصون فيما يمارسون من عبارات وشعائر . وتجد هؤلاء بين الاقليات الدينية ، التي تحصى بوجدانها الديني بحكم كونها اقلية . كما تجد هؤلاء في المدن وخاصة بين افراد الطبقة الوسطى ، التي ينتمي اليها معظم رجال الدين . وهؤلاء المتدينون ، على قلة عددهم بالنسبة لمجموع السكان ، يخلقون هذا الانطباع الذي يجعل العراقيين يبدون وكأنهم متمسكون باهداب الدين ، حريصون على صيانة حرمانه ، بحكم اتصالهم بالحركة الفكرية ، ونفوذهم على الحكومة . ولكن هذه الاقلية المتدينة لا يمكن ان تؤخذ مقياسا ونموذجا لجميع العراقيين . فالحق ان معظم العراقيين غير متدينين او هم لا يعرفون من الدين الا قضايا مشوشة هي اقرب للخرافات منها الى اصول الدين الصحيح . اما الهدو فلا تختلف عقليتهم الدينية عن عقلة اجدادهم في الجاهلية الا قليلا ، وهم ما زالوا يعيشون كما عاشوا ، وايمانهم سطحي ، وهم تدخل الشريعة في كلويهم ، اولم تنفذ فوهم نفوذا صريحا<sup>٢٥</sup> . واما سكان اثنى والارياف وكثير من سكان المدن فدينهم مزيج من اعتقادات دينية مشوشة منحلة ، وخرافات متعددة الاصول والاشكال ، قد تملكت عقلا في نفوسهم . واما الاكراد فقد اذعنوا الى هذا كله تسكهم الشديد بالطرق الصوفية التي عملت على تنويع ايمانهم وافراقهم بعبادات وشعائر بعيدة عن روح الدين الاسلامي ، خارجة على تعاليمه الصحيحة . ومن المؤسف ان تريا بالتصوف فيراهم ، ودخل المشردون من هذه الطرق المرفوب فيها ، وساروا يعطادون العوام لما لهم من كسوة الملاح . فاذا كان اصل وجود الطرق مضمونا الى الاصلاح فقد دخل في دورة المراسيم ايضا . وملاحظ من عمل اشبه باداء الفروض دون تفهم غايتها ، وانها تنهي من الفحشاء ، والمنكر ، نساء الحالة ، وعظم المصائب ، من هذه حتى حارت التلقينات باطنية ، موجهة نحو طلب (الصلاح السري) ظاهرا وحكم الاهتمام بالفروض المقررة شرعا فصارت واسطة اعمال الامرين ، وعادت اعظم آلة مخربة للدين ، واقعى عامل لهدم العقيدة ، وتباعد من السلوك المرضي<sup>٢٦</sup> .

(٢٥) المصدر السابق ج ١ ، ص ٢٢٢

(٢٦) المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢٢٤ — ٢٥٠

والخلاصة ان الشعب العراقي غير متدين ، بالمعنى الصحيح لكلمة تدين ، وان معظم اعتقاداته خرافات وحادات تحدرت اليه من عصر الجهل الخوالي ، او تحرفت من عقائد اسلامية سليمة ، وانه انما يتمسك برجال الدين ، احيانا ، ووليهم احترامه ، بحكم الجهل ، او بحكم العادة ٢٧ ، او بحكم هذا الوضع الاقلعي الذي يحيا في ظله ، والذي يجعل النار تتساق مدفوعة بهافع الرحمة او الرجا ، ورا ، منحي الاصلاح ، والمتسلطين من رجال الدنيا والدين ، وانا موثق اليقين كله ان هذا الشعب ، الذي تحمل ارواح ابناءه طاقة تامة على الخلق والابداع لا تعد ، اذا ما اتيج له ان يتعلم العلوم الحديثة ، تسرعان ما سيتخلى عن عقائده هذه ، وتصبح مقول ابنائه ، عند ذاك ، نطيفة ، خالية من كل دين ، مستعدة الاستعداد كله لتقبل الحضارة الغربية ، وهضما ، والمشاركة انخراطه فيها . رجلي هذا قانا لا اعتقد ان الدين في العراق يكون مشكلة اساسية ، تحول بين الشعب وبين ما ينشده من تقدم حضاري . على انني لا انكر ان عقائد اشعب هذه ، ربما كانت سلبية مرتبكة ، قد تكون في الوقت الحاضر خطرا موقتا على تقدم البلاد ، بحكم كونها مرضة لان يستغلها النعميون ، والمترعون ، والمارقون واعدا ، التقدم ، ويتخذوا منها وسيلة لتفريق الامة ، وسحابة الافكار الاصلاحية الحرة . وهذا الخطر الموقت لاستغلال عقائد الشعب في غير صالح البلاد ينزل نهائيا اذا تحقق امران : تثقيف الشعب بالعلوم الحديثة التي تربط الحق من الباطل ، واقامة الحكم الديموقراطي الصحيح الذي يسد الطرق على المترعين ، والنعميين ، والفرقيين ، والمذجلين .

---

(٢٧) يقول احمد فاضي ص ٤٦ : "يجل القوم السادة والعلماء غاية الاجلال ، وتارة يكون هذا بدافع العادة ، لانهم اعتادوا ان يحترموا اولئك السادة والعلماء على الوجه المذكور ودوا لخلانه امرا شائنا .

## الفصل الرابع احوال السكان الاجتماعية

يقسم سكان العراق بحسب احوالهم الاجتماعية واساليب معيشتهم الى ثلاثة اصناف : القبائل الرحل ، وسكان الارياق المستقرين وشبه المستقرين ، وسكان المدن . وهذا التقسيم غير نهائي فليس بالامكان تصنيف السكان تصنيفا مضبوطا في الظروف الحاضرة ، بحيث توضع حدود ثابتة بين جماعة واخرى . فالعشائر المستقرة ما زالت تحتفظ بعقليتها القبلية و بكثير من عادات البدو ونظمهم الاجتماعية ، وما زالت العشائر شبه المستقرة تمارس الرعي ، وتنتقل من محل الى آخر ، وتحتفظ بكثير من اوضاعها القبلية ، رغم استقرارها في الارض ، واتخاذها الزراعة اسلوبا في الحصول على القوت . كما ان هجرة الريفيين الى المدن مستمرة . والحقيقة ان المجتمع العراقي يمر الان في طور انتقال . فقد اخذ اساسه الاقتصاد يتغير . وهذا التغير استتبع تغيرات في العلاقات الاجتماعية وفي التكوين العقلي للسكان . فالقبائل الرحالة مقبلة على التوطن والاستقرار وان عارض كثير من افرادها هذه الحركة ، لان حياة الرعي والتنقل أصبحت لا تلائم العصر الحاضر ولا تعين على العيش . واخذ شيخ القبائل و رؤساؤها يتحولون الى ملاكين واقطاعيين ثابتي الحقوق . واصبح كثير من الفلاحين مستاجرين للارض او عمالا زراعيين بعد ان كانوا يشاكون في الارض التي تمتلكها القبيلة بأسرها .

واخذ كثير من الحرفيين والصناع يفقدون اعمالهم ويصبحون عمالا ماجورين نتيجة لمزاحمة البضائع الاجنبية لمنتجاتهم ولتأسيس المعامل الكبيرة في البلاد . ثم ان اتصال سكان الريف بالمدن الذي يسره طرق المواصلات الحديثة ، و تاثيرهم بعقلية سكان المدن بواسطة المدارس التي تنشأ في الريف ، وبواسطة الجنود الذين انهمأوا خدمتهم العسكرية مما ترك اثرا ، وان كان سطحيا ، في عقول الريفيين ، وجعلهم اسرع فهما لما في مجتمعهم هذا المتأخر من تناقضات ومساوئ .

### القبائل البدوية الرحالة

(١)

اشهر القبائل البدوية في العراق ثلاث : شمر ، وعزة ، والضيف . اما شمر فتتقسم الى قسمين كبيرين شمر طوقة وقد استقرت في الاقسام الوسطى والجنوبية ومارست الزراعة ، و شمر جربة و تسكن في القسم الشمالي من العراق ، في الجبهة بين دجلة و الفرات . والساحة التي تنتقل فيها هذه القبيلة تمتد شرقا . وقد استقر قسم من شمر جربة في جنوب الموصل الا ان معظم افرادها ما يزالون بدوا وحالا ينتقلون في البقعة الخصبة التي مر ذكرها فيما تقدم . وقد كانت هذه القبيلة وما زالت وفي نزاع مستمر مع قبائل الدليم والبقارة وعشائر ملو الكردية واليزيدية الساكنين في اطراف سنجار .

من تروخا دير الزور شماعة الدهر عتق قوف جنوباً ومن العزات غرباً الى هو در الموصل



- قبل ثلاثة أعوام صدام بين شمر البدوية عشيرة البوسنيوت قرب تلعفر ازهقت فيها عشرات از رواج .
- الا ان القبيلة التي يكن لها الشعرون العداء هي قبيلة عنزة ، وكثيرا ما يخزوا بعضها بعضا .
- منشعب بينهما صراع مسلح عنيف .

اما القبائل عنزة فهي من اكبر القبائل البدوية التي تتجول في بادية الشام . وهي تنقسم الى عدة قبائل كبيرة اسماء : الرولة والسبعة ، مولد علي ، والفدعان ، والعمارات . وهذه القبائل هاجرت من جزيرة العرب في اوائل القرن الثامن عشر . وقبائل عنزة يسكن بعضها من الحدود السورية . اما التي تسكن العراق منها فهي العمارات وهي تسكن في الساحة الواقعة بين دور الحمل وكربلاء ، الى ما يقرب من دير الزور . وهي تنقسم في الخريف بين كربلاء وشقاة . واما مركز انما الاعتيادي فقرية الرحالية . وهي مولفة من فرقتين العمارات والد هاشمة وتسكن عشيرة الفدعان في سوريا غير انما تتجول في ارض العراق . وهي تسكن عادة على سفان الفرات في قرب دير الزور وحوالي نهر الخابور .

واما الصغير فهي اصغر القبائل البدوية . وهي تسكن الشامية وتتجول في الموصل الواسعة المعتدة من السماوة الى الزبير . وهناك قبائل عديدة مولفا الا انهم نجد انهم تتجول في الاقسام الجنوبية الغربية من العراق في بعض فصول السنة واهمها عبدة ، والحجمان والمليح .

يسكن البدو بيوت الشعر ، محترفين في الخيل والذئب والافنام ، فبنون بشرية . وهي تكون كل ثروتهم والاساس الذي يقوم عليه اقتصادهم . وهم ينتقلون من محل الى اخر سعيا وراء العشب والماء ، ويحسب ما تلبسه عليهم الفصول والمناخ . واما اسلوب معيشتهم فغاية في البساطة . فلعلم البدو يتكون من الخبز والتمر واللبن ، واليا ، ومن اليز والحمل في فترات متباعدة . كما ان البدو قد اعتادوا حديثا على الفضة والفضة ، فاصبح هذا اذان الشرايين يولفان عنصرا اساسيا في حياتهم اليومية <sup>٢</sup> . وصروف الاسرة البدوية في السنة يقل كثيرا عن نفقات الفلاح في البلاد الشرقية اذ يكفي العائلة البدوية الفقيرة مبلغ يتراوح بين ١٠ جنينا - و ١٥ جنينا ( بمعايير ما قبل الحرب ) وهي تحصل على هذا الابرار في الظروف العادية من بيع راسين او ثلاثة من الابل يمكن تسويقها من طريق الزيارات النادرة التي يقوم بها للمدينة ان يبيع بعض البقر وهددا قليلا من الفصام ومقدارا من الزيت ثم يشتري من الثمن الذي يحصل عليه الارز والدقيق والسكر والبن والتمر . فاذا كان على قدر من الثراء اشترى جلبابا لنفسه واخر لنزوجه الى جانب سرج وبساط

- د حد قبل ثلاثة أعوام صدام بين شمر الجرية وعشيرة البوميت قرب تلعفر ازهقت فيها عشرات الأرواح .
- الا ان القبيلة التي يكن لها الشمريون العدا " هي قبيلة عنزة ، وكثيرا ما يغزو بعضها بعضا .
- وينشب بينهما صراع مسلح عنيف .

اما لقبائل عنزة فهي من اكبر القبائل البدوية التي تتجول في بادية الشام . وهي تنقسم الى عدة قبائل كبيرة اهمها : الرولة والسبعة وروك علي والفتلان والعمارة . وهذه القبائل هاجرت من جزيرة العرب في اوائل القرن الثامن عشر . وقبائل عنزة يسكن معظمها من الحدود السورية . اما التي تسكن العراق منها فهي العمارة وهي تسكن في الساحة الواقعة بين هور الحمر وكرلا ، والى ما يقرب من دير الزور . وهي تقيم في الخريف بين كركلا وشثانة . واما مركز اقامتها الاعتيادي فقرية الرحالية . وهي مرفقة من فرتين العمارة والد هاشمة وتساكن عشيرة الغدعان في سوريا غير انها تتجول في ارض العراق . وهي تسكن عادة على سفان الفرات في قرب دير الزور وحوالي نهر الخابور .

واما الضخيرة فهي اصغر القبائل البدوية . وهي تسكن الشامية وتتجول في الميسر الواسعة الممتدة من السماوة الى الزبير . وهناك قبائل عديدة موافنا الاثلي نجد الا انها تتجول في الاقسام الجنوبية الغربية من العراق في بعض فصول السنة واحدا عبدة والمعجم والمخير .

يسكن البدو بيوت الشعر ويحترفون رعي الخيل والابل والاعنام ، وقد نون بتربيةها . وهي تكون كل ثروتهم والاساس الذي يقوم عليه اقتصادهم . وهم يتنقلون من محل الى اخر سعيا وراء العشب والماء ، ويحسب ما تلبسه عليهم الفصول والمناخ . واما اسلوب معيشتهم فغاية في البساطة . فطعام البدو يتكون من الخبز والتمر واللبس غالبا ، ومن البز والاحم في فترات متباعدة . كما ان البدو قد اعتادوا حديثا على القهوة والشاي ، واصبح هذا ان الشراهار يولفان عنصرا اساسيا في حياتهم اليومية . وسوروف الاسرة البدوية في السنة يقتل كثيرا عن نفقات الفلاح في البلاد الشرقية ان يكفي العائلة البدوية الفقيرة مبلغ يتراوح بين ١٠ جنيهات و١٥ جنينا ( بمعايير ما قبل الحرب ) وهي تحصل على هذا الزيادة في الظروف العادية من بيع راسين او ثلاثة من الابل يمكن تمويلها عن طريق الزيادة الطبيعية في عدد القايح . وهاوة على ذلك اعتاد البدوي من طريق الزيارات النادرة التي يقوم بها للمدينة ان يبيع بعض السمك وهددا قليلا من الخنم ومقدارا من الزيت ثم يشتري من الثمن الذي يحصل عليه الارز والدقيق والسكر والبن والتمر . فاذا كان على قدر من الثراء اشترى جلبابا لنفسه واخر لزوجه الى جانب سرب وسباط جديد (١)

يكون البدو إحدى المشاكل الأساسية التي تعانيها البلاد والتي لا بد من حلها حلاً صحيحاً إذا أريد لهذه البلاد أن تنعم بشي من راحة وحضارة واستقرار . فالبدو يكونون إحدى العوائق التي تعوق نمو اقتصاديات البلاد . فهم كمنجمين لا يقومون إلا بدور ضئيل في الاقتصاد الوطني . وحتى هذه الحيوانات التي يعنون بتربيتها لا تستوفي الشروط المطلوبة في المواشي في الوقت الحاضر من حيث النموية والعدد ونتيجة لعدم اتباع الطرق العلمية في التربية والتغذية والنتاج . وهم كمنجمين لا يفيدون اقتصاديات البلاد إلا افادة ضئيلة جداً ونتيجة لضعف الموارد هم ومسالمة حياتهم التي يمكن سد حاجاتها بأقل البائس وبخسها ثناً .

والبدو يعيشون خاضعين لأحكام الطبيعة مستعبدين لقواها العمياء . وعومهم بذل من جهد لا يستأجر ان يغير شيئاً من طبيعة هذا النظام الاقتصادي البدائي الذي يعيشون فيه . ومن هنا كان استسلامه لاقدار وتكاسله . «والبدو لا يعرف شيئاً عن النقد أو التفكير في المستقبل والاستعداد لما ينتظر ان يقع من الأحداث . فهو متأثر بالتجارب التي مرت عليه خلال القرون والتي جعلته يرى ان الله سيهيئ له دائماً سروريات الحياة . فالعالم الذي يعيش فيه ليس فيه مجال للتفكير الخاصة بالواجب والعمل . ولا ريب ان حياة النصد التي يحياها والتي لا مثيل لها شروط من الشروط الأولية لهذا النظام الذي يعيشون فيه . ولكننا لا نتطرق في مثل هذا الجوانب التي شي له صفة الدوام أو عمل يتطلب الاناقة والابداع الواعي» . (١) ان هذه الحياة الموحشة القاسية التي يحياها وهذا النظام الاقتصادي البدائي الذي يعيشون فيه . الله وليها عقلية بلابع قريب لا يلائم الحياة العصرية التي تعدد البلاد الى تحقيقها . فهو لا يشعر بهلاً الا نحو أسرته وأفراد عشيرته . ومما اتمع افقه الاجتماعي فلن يتجاوز القبيلة التي ينتمي اليها . وهو قد تعود ان يابح شيخه ويحترمه ويأتمر بأمره ويمنحه ولاه خالماً .

(١) *Alfred Bowne, "State And Economics in the Middle East"* (London, 1908) .  
وسأشير الى هذا المصدر فيما بعد بـ "بونييه" . وهذه الفقرة من الترجمة العربية .366.

آ.بونييه الدولة والتظيم الاقتصادي في الشرق الأوسط ترجمة دكتور راند البراني ( القاهرة )  
( ١٩٥٠ ) ص ٣٢٨ .

(٢) بونييه ص ٣٦٧ من الاصل وص ٣٢٩ - ٣٨٠ من الترجمة العربية .

أما فكرة الوطن والدولة فبعيدة عن فئمة فإن لم تقل بغيضة عنده منافية لدلبعه . وهو يريد أن  
 أن يعيش حراً يتنقل من محل إلى آخره ويضع يده على كل شيء يستطيع أن يناله سواء كان ذلك الشيء  
 ملكاً لأفراد غان القبيلة أو ملكاً للدولة . وهو يسمى الجهل أن يتجاهل ما وسعه الجهد كل ما يتصل  
 بموظيفة الدولة في الشرق كما افتراف بالسلطة المركزية الإدارية وفروعها في الاقاليم والالتزام بالـ (٢)  
 الضرائب والكافة القوانين .

انه لما يبعث على الالم أن يعيش سكان البلاد على هامش الحياة هذه العينة الغريبة الشقية  
 بعيدين من المشاركة بأعمال سائر الحضارة . على أن مشكلة البد ولا تقتصر عليهم انفسهم فحسب  
 بل انها تمتد حتى تشمل جماعات كبيرة من سكان البلاد . ففقيتهم هذه النيفة وحياتهم القاسية المشقة  
 وعدم شعورهم بواجب تقديم ولائهم للدولة جعلهم ينظرون إلى الاغراب عن قبيحتهم نظيرة العداء . لقد انقطع  
 الغزو ، وخلص الناس من الغاوة (الاتاوة) التي كان البد ويفرضونها على الفلاحين ونوافل المسافرين  
 بعد أن قوي نفوذ الحكومة في البادية وانتشرت قوة الشرطة الميابة في اطرافها مستعينة بمساكن  
 النقل الحديثة السريعة . ولكن المشكلات ما زالت قائمة بين البد والمحتضرين من السكان (٤) . وبدورهم  
 محور القتال حول المراعي والمياه . فالبد ويرون أن أراضي الرعي هذه ملك لله مومن حتى الناس جميعاً أن ينتفع  
 بها ويرعوا دوابهم فيها أنى شاءوا . أما الفلاحون فيؤمنون بمحققين بأن هذه المراعي الداخلة في  
 نطاق قراهم ملك خاص لهم وأن مراعيهم هذه إذا نضب ما فيها من عشب فليس بإمكانهم الانتقال بدوابهم  
 إلى مواضع أخرى بعيدة كما يفعل البد والرحل .

(٣) يؤنيه ص ٢٦٢ وص ٢٨٠ من الترجمة العربية .

(٤) ( ذكر الاستاذ علي الشرفي عند تقديمه كتاب البادية لمؤلفه عبد الجبار الراي " ذكر بعد الباحثين  
 عن أقدم قصور التاريخ في العراق أن نزاعاً تاريخياً كان ولا يزال على حدود العراق المتصلة بالبادية  
 بين الفلاح والراعي على مياه الفرات وراجته الزراعية . فالفلاح العراقي يريد تنظيم الري وترتيب السقي والراعي  
 العربي يريد أن تكسر المدود وتحرر متون الانهر ليفلت الماء فيكثر العشب في البادية العراقية (٢)  
 راجع محمود الجندى " المشكلة الزراعية في العراق " (مقداد ١٩٥٠) ص ٤٨ . وسأشير إليه فيما  
 بعد بالجندى .

لقد أصبح سكان البد وفي الوقت الحاضر حاجة قومية ملحة ، تقتضيها مصلحة البد وانفسهم ومصلحة الفلاحين الذين يريدون ان يخلصوا من مضايقات البد واعتداءاتهم على مزارعهم ومراعيهم ويامنوا شرهم . كما ان وجود البد وخطر يهدد كيان الدولة وكل نهضة قومية واجتماعية . فالبدو كما قلت ، لا يشعرون بالولاء للوطن هولا يرون في وجود الدولة الا شرا عليهم ، وتقييدا لحريتهم . وهم لا يخضعون الا لروسائهم وشيوخهم . وهؤلاء الروساء والشيوخ مستعدون لتقديم ولائهم ووضع انفسهم في خدمة كل من يقدم لهم احسن العطاء . وقد اتخذت الحكومة الانكليزية المتفذين من روساء شمر الجربة اصداقا او نيا لها وقوت نفوذهم ليحرسوا لها شركة انما النفط البريطانية وانايب شركة النفط العراقية وليكونوا لها عوناً في توطيد نفوذها في البلاد . (٥)

وقد اصبحت حياة البد وانفسهم تستوجب توطئهم وتعودهم على ممارسة الزراعة . فقد انقطع الغزو والاتاة وبذلك فقدوا موردين من اهم موارد رزقهم ، كما انهم فقدوا ما كانوا يحصلون عليه من اجر لفا نقلهم البضائع على جمالهم بعد ان شاع استخدام السيارة والقطار في النقل . والمرامي التي يعتمد عليها البد وفي رعي مواشهم اخذت تتقلص وتضييق مساحتها شيئا فشيئا نتيجة لانتشار الزراعة . وقد قامت الحكومة باسكان طائفة من البد وفتحهم الاراضي الخصبة وشجعتهم على الزراعة والاستقرار في الارض على ان الحكومة اتبعت طريقا خاصة في تطبيق هذه السياسة فجاءت النتيجة هكذا ، مما كان يدعو اليه المصلحون ، وعكس ما تتطلبه مصلحة البد والبلاد . اعلمت الحكومة الاراضي لشيوخ البد وفاضافت الى نفوذهم هكروساء للقبائل نفوذا جديدا يستمدونه من تملكهم الارض ومن ازدياد ثروتهم من المحاصيل الزراعية . واصبح البد في الحرف فلاحا ماجورا او مستأجرا للارز فقيرا . وقد حافظ هذا الدلاج الجديد على تقاليد البدوية وخضوعه للشيوخ وولائه له . ان ارتباط البد في برئيس قبيلته واطاعته اياه اطاعة عمياء جعل منه - حتى بعد انصرافه للزراعة - هيبا او قناع . (٦) واحسن مثال تقدمه لهذه السياسة الخاطئة هو اسكان قسم من عشيرة شمر الجربة في اطراف الموصل . فقد استولى الشيوخ على الاراضي الخصبة وملكوها مواخذوا يستغلون جهود افراد ه اثرهم الذين لم ينتفعوا من توطئهم ولم يشعروا بمصلحة اساسية تربطهم بالارز وتحببها اليهم . يقول الاسناد عبد الرزاق التل هكروساء هذه القضية (روتل في لوا الموصل سفحة من الاطلاع حديثه الهور هوي من مبتكرات الاحتلال ومنشآت العهد الوطني في دور الحرب والتبليل .

---

(٥) تحتل قبيلة شمر الارض المنعوجة نموا لطيفا بين دجلة وافرات . هذه الارز التي تضم مدن اشور القديمة هوالتي تكون خضراء في الربيع وتنقلب الى صحراء في الصيف . وتحرس شمر مخازن شركة انما النفط البريطانية ومحطاتها ومستودعاتها هوهي هالي حد ما هوكلاء ومعتدون لشركة النفط هذه في الصحراء . وقد ساعدوا اثنا انكسرابات ايار ١٩٤١ الهفي قطع خط سكة الحديد

نقد انتضت السياسة — وهو اقتضا "معتول" — ان تهتم الحكومة بمقابل شعر الساكنين في الحراف  
 الموصل هوقرر اعطاءهم مساحات واسعة من الاراضي لهذا الغرض . وشيرة شعر من القبائل العربية  
 الاصلية والمهمة ولكن الايدي لعبت بهذا المشروع النميل ونفذته على انه اعطاء واقلاع لبيوت  
 المشيخة من تلك العشيرة ، وحققت مشيرة شعر " بخير لا يعوزها الا الغل واللعام " كما يقول المثل  
 المشهور ويقول الملعون ان مساحة تلك الاقلاعات بلغت ارقاما خيالية وتجاوزت النصف مليون من  
 الدونمات . وهكذا تتحول الاعمال التي يقصد منها النفع العام الى منافع فردية ومنافع شخصية . (١)  
 ان الخلة الصحيحة لاسكان البدو والرحل تتحدى بعض الارز ملكية خاعة تسجل باسماء افراد  
 القبيلة انفسهم ، وبالحمد من نفوذ المشايخ والروما " هوذلك بفشراء من في القرى الجديدة ونشر  
 التعليم بين الفلاحين هوغرسون الموائنة الصحيحة في نفوسهم . وبذلك نخلق من البدو  
 المشيعين بالقرى الفردية ، المعادين للدولة واللعام والكار المعتبر من هؤلاء الذين نافعين يقدمون  
 ولاهم لتولن ولا يشعرون بسلطة ميرسلطة الدولة والقانون ، ويشاركون بقية الشعب فيما يسعون  
 اليه من تمدن ورفق وحياة رائفة .

تقمة (٥) الذي يمر في مناقشهم اثنا زحف الجيش الامكليزي على بغداد " مسكار " ١٨٨

(٦) جواد ص ١٩

(٧) عهد الرزاق الظاهر ، الاقلاع والديوان في العراق " (القاهرة ١٩٤٦) ص ٧٣ — ٧٤

(٢) سكان القرى والارياف من العشائر المستقرة وشبه المستقرة •

والاستعداد

استقر كثير من القبائل في الارز هوتركت التنقل/على الرعي واخذت تعاصر الزراعة • وتبلغ نسبتهم الى مجموع السكان البلاد حوالي ٢٢ ١/٢ • وهم يسكنون في قرى صغيرة • بعضها لا يزيد عدد نفوسها عن ٥٠ شخصا • بعضها قد يزيد عدد سكانها عن ٥٠٠٠ شخص • اما سكان القرى والارياف من العشائر شبه المستقرة فهم وسط بين البدو والعشائر المستقرة استقرارا تاما • فقد استقره ولا • وبدأوا يتحضررون • واستبدلوا بيوت الشعر اكواخا من الخيش او مراثف من القصب البردي • اذا انهم يتخللوا من حياة الرعي تماما • بعضهم من يحمل في الزراعة جزا من السنة ويعمل ما بقي من السنة في رعي الماشية • وقد يتنقلون من ارضهم التي استقروا عليها الى ارض اخرى فاذا ما باء ارضهم اولم تعد تحمل لرعي • وتبلغ نسبتهم الى مجموع سكان البلاد نحو ٢٨ ١/٢ • (١)

تخصر داخل

وتسكن بعض القبائل العربية للمحضرة نصفا الاغوار وفي المراثف • ويوتنهم عبادة من مراثف بسيدة يشيدون لها بالقد والتصب والبردي • وتقيم هذه المراثف على الجزر الرملية التي تنتشر داخل الاغوار • فاذا ما لم توجد هذه الجزر وانهار النار لمسكن منطقة من المناطق اقاموا لهم جزيرة اصطناعية بان يضعوا لبنا من الدابر بعضها فون يدري يتخللها الحصى والتصب والقد لتصلب وتتماسك • وقد يشيرون بيوتهم على اعمدة منصوبة في الماء • وينقلون من جزيرة الى اخى داخل الاغوار بقوارب مستديرة مستديرة الحيزوم، تسمى المناحيب (مفرداها مشحون وهم يزرعون الرز ويصنعون بترية البقر والجاموس • على ان كثيرا منهم يعتمد على صيد الاسماك وايور الماء • وهو لا • الناس الذين يلقى عليهم اسم المعدان • هم اكثر المراثيين فقرا • وبلا موسو صحة، وتأخر اجتماعيا • ولا اعدوا الحقيقة اذا قلت ان احوالهم الاجتماعية والفكرية والاقتصادية ليست احسن من احوال سكان الاغوار قبل قيام الحضارة السورية الاكديت (١٠) والحقيقة انه ليس صعب التمييز بين هذين الصنفين من السكان من حيث المعيشة والاحوال الاجتماعية وان كان شبه المستقرين اقرب الى البداوة، واكثر ~~لهم~~ محافظة على التقاليد والمعاد القبلية من العشائر المستقرين استقرارا تاما • وعلى هذا فلا ان ضرورة لبحث احوال كل طائفة على انفراد الا حيث تقتضي طبيعة البحث التمييز •

(٨) حمادة ص ٢١-٢٢

(٩) المصدر السابق ص ٢٠

(١٠)

ما زال أفراد العشائر يتبعون ، بعد تحضرهم واستقرارهم في الارض ، الانظمة والمعادن التي كانوا يتبعونها وهم بدورهم . فتنقسم ينقسمون الى قبائل . والقبيلة تنقسم الى عشائر ويطلقون وانفاذ . ولكل عشيرة او فخذ شيخ او رئيس تاتمر بامرهم وتدين له بالولاء . وقد كان الشيخ يوفي وظيفة اجتماعية مهمة ، ويحتل مركزا اساسيا في كيان القبيلة والعشيرة . فهو الذي كان يدير امور افراد ، ويحني بالدفاع عن القبيلة ويوفد المنازعات والخصومات ويرشد القبيلة اثناء اقامتها ومعناها ، ويقودها في الحروب . وهو الذي يقري الضيوف وبكلمة مختصرة كان الشيخ يقوم بوظيفة الحكومة عندما كانت سلطة الحكومة لا تمتد الى البادية ولا تلال على الريف . فلما اخذت العشائر تستقر في الارض وتمارس الزراعة كانت الاراضي الزراعية والمراعي تعتبر ملكا مشاعا بين افراد القبيلة جميعا . وكان الشيخ يعين لكل فرد حصته من الارض ويوفد المنازعات التي تنشأ حول حقوق الملكية او التصرف في المياه . كان الشيخ يملك ارضا واسعة كبيرة ، كما كان افراد القبيلة يقدمون له شيئا من ايراداتهم وذلك لكي يقوم بالاعباء الملثمة على عاتقه ، يكونه الرئيس الاعلى للقبيلة كما اسلفت . كانت علاقة الشيخ بافراد قبيلته متينة الاواصر . فهو مقيم بينهم ، متصل بهم ، ولم يحوالهم .

وهو كان يحيا حياة يشبه حياة سائر افراد القبيلة في شكلها وان كانت تختلف عنها في فخامتها وابعثتها وما يشيع فيها من اسباب الترف الذي لا يستطيع ان يتمتع به الفلاحون الكادحون الفقراء . فمنازل الشيخ رحبة واسعة ، ولعابهم متنوع الالوان ، والبستيم مصنوعة من القماش الجيد الغالي الثمن ، واثاث بيوتهم وثيرة مريحة . على ان هذه الحال قد تغيرت تغييرا جوهريا منذ ان اتصلت المدن العراقية المختلفة بحدلول السكك الحديدية والسيارات ومنذ ان اتصلت البلاد بالعالم الخارجي اتصالا تعاريا محكما منتظما . فراجت التجارة وازداد الطلب على المحاصيل الزراعية للاستهلاك المحلي وللتصدير الى خارج الدار . وقد انتبه الشيخ الى اهمية الزراعة وفائدة الاستثمار من الاراضي فبعد ان كان اقتصادهم الزراعي مبنيا على سد حاجاتهم من المحاصيل الزراعية اصبحوا الان ينتجون للبيع وللحصول على اعظم ما يستطيعون من الارباح . وزاد اتصالهم بالمدينة ، وتذوقوا متارف الحياة العصرية فازداد تطلبتهم للمال . واخذوا يمتلكون الاراضي الزراعية الخصبة و يسجلونها باسمائهم حتى لقد اصبح فيهم من يملك نصف مليون مشاركة ومن يملك مليون مشاركة . واخذوا يشتغلون على الفلاحين في الايجار ، واخذون من محاصيلهم ما يستطيعون فلا يتركون لهم من ثمرات كدحهم الا ما يكاد يسد رقبتهم ويقيم اود اسرهم ، ويقيم من الموت جوعا لاجبا بهم . ومالفا عليهم ، وانما ليستطيعوا ان يشتغلوا ويعطوهم ما ينفقونه على حياتهم هذه الرخية المترفة .



لقد استبدل معظم المراثي الراسعة التي كانوا يهنونها بالقصب وسقنونها بالحصر، وبيوت الشعر، بقصور فخمة عصرية مضا، أغلبها بالكهرباء، موشة بالاثاث الأوربي الفخم، مجهزة بوسائل الراحة العصرية حيث يستقبلون فيها أصدقاءهم من كبار الموظفين والشيخ والرؤساء، ويتقدمون لهم اسمى الاطعمة وأغلى المشروبات الأوربية، بعيدين عن أبناء قبيلتهم، ولمشايع الفرات الأوسط والأسفل أبراج يشيدونها الى جنب قصورهم يحتضنون بها في القتال، وهي مبنية عادة في سهل واسع، اما على شكل مستدير وتسمى مفتولا او شكل المنشور المربع ويسمى برجاً او حصناً\* (١١) تنصب هذه القصور وسط الكواخ الفلاحين البائسة، او صرائفهم المعتمدة الكئيبة مشيرة الى هذه القرون العظيمة التي أصبحت تميز الشيخ من افراد قبيلته، وقد ألب الشيخ حياة المدن فاعتادوا شرب الخمر، وكرر تردّد معظمهم على مآلات الرثاء والمقامرة، رحلات سبيل الخيل، كما ابتنى كثير منهم القصور الفخمة في المدن الكبرى وخاصة في بغداد، واكثرها من الخشب عن قبائلهم ومقاطعاتهم، واعتاد أكثرهم قسماً أشهر الصيف في مآث لبنان حيث يفتقون فيها ~~ألف~~ آلاف الدنانير على متاعهم ولهمهم، أن التطورات التي حدثت في الأيام الأخيرة أحدثت تغييراً بالغ القدر في مركز الشيخ إذ أصبح من كبار ملاك الأراضي فلم يعد واحداً بين زملاء يساوونه في المكانة او زعيماً يرعى القوم وإنما صار مفيداً لا تبعاه الذين فقدوا بذلك استقلالهم ومالهم من حقوق في الارض داخل صفوف الجماعة\* (١٢)

وقد عظم نفوذ الشيخ ورؤساء القبائل منذ الاحتلال البريطاني للعراق، فقد ثبت قانون حقوق واجبات الزراعة، حقوقهم في ملكية الارض وزاد من استعبادهم للفلاحين، وقوى قانون دعاوى العشائر، سيطرتهم وأعلى كلمتهم، كما زاد استراك معظمهم في البرلمان واتصالهم برجال الحكومة من سبيلرتهم حتى لقد أصبحوا الحاكمين بأمرهم في مزارعهم وقراهم، ينفذ أمرهم رجال الحكومة، الذين يخضعون لهم خوفاً من نفوذهم او استجابة لما يقدمونه لهم من رشي، ولكل شيخ عدد من أنزلم\* السلاحين معظمهم من اشقياء القبيلة ومن العميد ويدعون في جنوب العراق باسم الحوشية يتخذهم حركماً وشرطة لهم، وينعم عليهم بفتات مائدته، ويسلطهم على الفلاحين زبانية لا يرحمون، بهذه القوة المسلحة، الى جانب شرطة الحكومة واجهزتها الادارية، يسيطر الشيخ على الفلاحين، ومن يجرؤ على الشكوى، او يحاول ان يصد الشيخ عن نفوس ثمرات جهوده، او يمتنع عن العمل في ارضه، فجزاؤه الحبر والتعذيب والتجوع والتشريد، فعند بعض هؤلاء الشيخ سجون موشة ملأى بالحشرات يلقون فيها ضحاياهم، ويشوه جلودهم بمياح ~~وحشيتهم~~ <sup>حشراتهم</sup>، ويسمونهم سوء العذاب، حتى يستغفروا، يفعلوا ما يريدهم الشيخ ان يفعلوه، والا كانوا من الهالكين.

(١١) الهاشمي ص ٤ - ١٠ راجع كذلك احمد فيمي ص ٢١ وعبد الجبار فارس، قحمان في الفرات الأوسط (النجف ١٣٥٢) ص ٩٢، وسائير اليه فيما بعد بفارس  
(١٢) بونيه ص ٢٦٢ من الاصل ص ٢٢٥ من الترجمة العربية.

«اعتاد الشيوخ ان يفتشوا مزارعهم بين آن وآخر تصادف ان حل احدهم في الكلد، دار احد فلاحيه ونزع فلاحه على امر زراعي ترفع الفلاح صوته على الشيخ فافاظ الزعيم هذا التجاسر وعاد فضبان فالتجأ الفلاح الى احد اصدقاء الشيخ ووسطه . وبعد الالتيا والتي اقنع الشيخ على ان يرضى عن فلاحه لقاء فصل " قدره سبعة دنائير ونصف يدفعها الفلاح، وهي ضعف عائد السنوي » (١٣) لا عجب ان يترك الاف من الفلاحين مزارع الشيوخ ويسربوا الى بغداد وغيرها من المدن الكبرى ليستغلوا بمختلف الاعمال منها كانت مجدة، قليلة الاجور .

### السركال

انقضت مشاغل الشيوخ وملكي الاراضي، واتساع اراضيهم، ان يستخدموا وكلاء لهم، يكونون وسطاء بينهم وبين الفلاحين، فيؤجرون الاراضي للفلاحين، ويوجدون الفلاحين للعمل في اراضي الشيوخ ويراقبون اعمالهم، ويوجهون جهودهم . ويدعي هؤلاء الوكلاء بالسركال (١٤) وقد قوى نفوذ السركال وازدادت اهميتهم، واتسعت سيطرتهم في السنوات الاخيرة، عندما اخذ الشيوخ يتغيبون عن اراضيهم عندما شاغ استملاك الاغنياء المتنفذين من سكان المدن اراضي في الرتبة وكل من الشيوخ المتغيب والحضري الملاك بحاجة الى من يرعى اراضيهم ويدير له مزارعه، ويراقب فلاحيه . والسركال مثل الشيخ لا يمارس الزراعة بنفسه وانما يتقاضى جزاً من الغلة ياخذ من الفلاح والمالك لقاء خدماته التي يؤديها للشيخ، الا ان ما ياخذ من الفلاح اكثر مما ياخذ من الشيخ (وتتراج حصته بين سدين الغلة وشرها ومنح في بعض المناطق بدل حصته من الغلة قطعة ارض تسمى " المصلحة " يعطيه اياها صاحب الارض ويجريه بالبدور فيصبح من واجب الفلاح زرعها وتخصيبها لئلا له من دون اي مقابل ) (١٥) وللسركال حقوق وخدمات حددتها " قانون حقون وواجبات الزراة " . ان السركال وان كان في الاصل من الفلاحين الا ان حالته احسن من حالة الفلاح كثيراً بل اريحاً حياة هي اقرب الى حياة الشيوخ والملاكين المترفة منها الى حياة الفلاحين المتعبة الشقية . فتراويع من الفلاحين داراهناهم اعلماء وواكترهم حاجة . والحق ان السركال يقوم بوليفة الشيخ ويتمتع بمثل نفوذه في القرى التي لا يعيش فيها شيخ لو ملك .

### الفلاح

الى جانب هاتين الطبقتين القليلتي العدد المتشبهتين في الرتبة تقيم طبقة ثالثة ضخمة هي طبقة الفلاحين ويكون افرادها معظم سكان الريف ان اكرية الشعب العراقي وتختلف حالة الفلاح في شمال العراق عن حالة الفلاح في وسط العراق وجنوبه .

(١٣) فارس ص ١٢٢

(١٤) سركال جمعياً سركال تحريف كلمة سركار الفارسية ومعناها الوكيل او رئيس العمال

(١٥) خياط ص ٢٢

تقي شمال العراق جميع الملكية الفردية الصغيرة ، حيث يملك قسم من الفلاحين قطعاً صغيرة من الأرض يزرعونها بأنفسهم ، أما في الأقسام الأخرى فالفلاحون محرمون من الأرض وعليهم أن يؤجروها من الملاكين والشيوخ والمراكيل ، فيؤيد فعون لهم نصف محصولهم أو أكثر إيجاراً لها ، أو يشتغلون عندهم عمالاً ماجيرين . يتفاوضون على اتساعهم جزءاً من النلة أو مبلغاً من المال . أو يشاركونهم في الزراعة ، ويتقاضون نتيجة لهذه المشاركة ، التي يقدمون فيها قوة<sup>عليهم</sup> الشيوخ والملاكون الأرض والبذار والحيوانات حصّة الشيوخ .

والذاهج العراقي مخلوق شقي بائس يعيش حياة بدائية محروماً من وسائل الرفاهية بعيداً عن الحضارة . يسكن معلم فلاح في أوساط السراى وجنوبه أكواخا معتمة تصنع من القصب البردي أو سعف النخل تدعى بالصرائف . وتتكون الصريفة من أربعة من القصب تسمى " حنايا " وترتبط بأربع جدران من نوعها بشكل اسطوانى ، وتغشى بالحصر والبوار . ويتراوح مساحة الصريفة الواحدة بين ٦ و ٧ مترات طولاً و ٦ أو ٣ مترات عرضاً . وللصريفة باب من الأمام صغير ضيق لا يستلزم الشخرا اجتيازه إلا بعد أن ينحني . وهي خالية من النوافذ والشبابيك ولذا لا يفارق الظلام الدامس داخلها . ويعني الفلاحون بتفصيل أكواخهم هذه على ارتفاع خفاف من الخرق ولذا يعتمدون على حفر الأرض المساورة ليرفعوا بالتواب أرض أكواخهم . فتتألف من هذه الحفر بعد الفناء مستفزمات يستولونها البعور الذي ينقل العماريا للفلاحين أما في شمال العراق وفي بعض المناطق الوسطى حيث يقل وجود القصب والبردي أو ينعدم فإن الفلاح يسكن أكواخاً مبنية باللبن أو اللبن المجفف بالشمس . وهي عبارة عن غرف خالية من النوافذ ، وأبوابها نوافذ صغيرة ولذا فانداء معتمة ولا ينفذ فيها الهواء إلا قليلاً . وكثيراً ما يشارك الفلاح حيواناته سكنى الصرائف والأكواخ . ولحمام الفلاحين يبيت منتقراً إلى الصرائف العناصر الغذائية والمقومة لبنان الدسم . وهو يتكون في الغالب من خبز الشعير أو خبز الذرة أو الزرهال الذي يخبزونه دون سمن ، ويقتل من التمر والحليب . ويتكون غذاء مستطام الرقيقين في أوساط العراق وجنوبه من خبز يجعل كالعجين اللين ويؤخذ على هيئة كيرة على شكل اللبن تسمى " دابق " وتحشى بالنار حتى يفتخ العجين . وأما الذين يتكفون من أن يضعوا إلى هذا الغذاء صحناً من الخبز الرز لا سمن فيه ، وتارة قد أرا من اللبن أو زيتاً من البصل فانهم يعدون غذاءهم ذلك اليوم من انفس الأغذية ، لأن تجميع ما تجود به مزارع الرز الواسعة لا يضمن لهم غذاءاً أحسن في الحال العامرة . ولا يتذوق الأفراد الدسم أو سادة اللبن إلا عند ما يأتي مشيف الشيخ والرواسا . ينف من الشيوخ المأمورين أو حينما يموت أحد هم . ويمثل لمن يرى تضافت أولئك الفقرا على المضايك في مثل تلك الأيام مثال اليوم من أمثلة الجوس والشقا<sup>١٦</sup>

والأرقام التالية (١٧) ترمزنا بوزن ان الفلاحين لا يتناولون في العام الواحد الا ما يقرب من نصف الحاجة الضرورية فقط . وقد بنى الامتداد بؤنيه بالذي استندت هذه الأرقام واهتمام هذا على عدد سكان الريف العراقي في عام ١٩٢٦ البالغ ٢,١٠٠,٠٠٠ شخص .

نوع الغذاء	ما يجب ان يتناوله الفلاحون في العام الواحد (بالألف الكيلو)	ما يتناولونه منها في العام الواحد فقط (بالألف الكيلو)
اللحوم والأسماك	٤٦	٢٤
الخضروات	٢٦٨	١٦٩
الفواكه	١٥٣	١١٠
الخبز	٣٢٣	٢٦٠
الحليب ومشتقاته	٤٦٠	١٩٢
البيرة (بالعدد)	٣٨٨,٥٠٠,٠٠٠	١٢٦,٠٠٠,٠٠٠
السمن والزيت	٣١	٦١
المسكر	٦١	٣٨
الخبث	٣١	١٥

اما فيما رالفلاحين فغداة في البساتين . وكل ما يرتد منه في الشتاء والربيع من الفواكه وحبوب وكتوفه وتقال . وهذه الملائم لا تتوافر في جسم الانسان الا بعد ان تخلص وتبقى . ويتبع ارتدادها ما غير ممكن . وهذا ان نجد بين افراد الشعائر في يرتدي حذاء في الصيف وفي الشتاء يتبع ذلك الى شمس الشمس الاقتصادية (١٨) . وانما المنزل بسيد كذا . فعزيتا في العالم من اربعة لايح الرز ويرجل ليلي النيات ومسرارة جون (التماسية واقداغ النيات وسال غليظ من النسيج المحلي . وهذا وق خشبي للثياب .

لاكثر الين والاغارة والكيل . <sup>البريد</sup> <sup>بالتعب</sup> <sup>من بيوت الفلاحين</sup> . وهذا يختلف امتدادا بنسب شرا . ما سبها امتداد اراضي وكثرة فلاحيه . وهي تشاد على اراضي مرتفعة . واما المنيث بدو واسع يسمى "الدكة" وهو مجمع كل الفلاحين والفقيروا . المنيث هو نادي الفلاحين يجتمعون فيه في العشية وفي اوقات غرامهم حيث يسمررون ويروي القصص . وهذا في ايامهم ما تعلم هذا الذين الافاق . (١٩) وللاهتمامات في العداة في اوقات وتواعد غداة . فانما يجلس الى اسفل . ليلك كانون العشية الواقع في رحل العمل مما يستلزم السيف واما الجانب الذي فهو للمراكبين من الدرجة الثانية ورجال الدين (مؤمن) وفي العداة المجلس اما في طرقات لما دورى الحكومة واعيان الشيوخ والسادة (٢٠) .

(١٧) Alfred Bonne, "The Economic Development of the Middle East", Jerusalem, 1943, p. 46.

تشبه حالة الفلاحين الذكراء في جوامعها حالة الدلاحيين العرب • فلكل قبيلة ما لكل عدة قبائل رئيسية الأفراد موزعون له بالولاة والاحتكام فيهم بما يقدمونه له من ثمرات اتعابهم • ولكن قرية رئيسية له ككندا أو شمال أو جنوب الموصل ومنها السرايا • هؤلاء يشبهون السرايا ان يقومون بالوساطة بين المالكين والفلاحين وبين هؤلاء والحكومة • وهم منشاو القرية وهم ياخذون حصص من المالكين راسا • ان يستاجرون ارض من المالكين وينزفونها له سابقا الخايم فينالون بذلك حقوق السرايا والعمال • ولهم كل السلطة على القرية وحتى اذ ارتكبوا فلا يخرج الاقرا عن طاعتهم ولا يتجاوزون رقباتهم ولا يخافون من امرهم • (٢٠)

ان الفلاح العراقي مبسوط طامع جاهل غير متعلم والقرى موزون • وهو عند امتداد حالته هذه والفلاح ما يجد به من شقاء فلم يعد يجد في حياته هذه السعادة شرا ولا ضررا هذا الظلم الذي يستقر عبر الانصار • لقد اعتاد الذي من لشيرته وولاءه والى امة ارامهم • وتنفيذ مشيقاتهم موزون في مدينتهم • حتى لقد اتبع من الدليبي في تلوه ان يسود اولئك ويتحكموا ويحسبوا على ثمرات جيودهم منسحين رانيس • وان يعيد عروضا لا وامرهم • شقيا بكسره اكلها على امة • هذه النفيسة القاتعة بمديرها الرانية بشقاء المستسلمة لظلم اسادها • هي احدى الحلول المهمة التي تؤخر الرب العراقي • وتمت لهذا الفقر القليل من الشيوخ المتقنين الكسالى ان يستعبدوا ما بين الفحين العراقيين • ولو كان الفلاح العراقي حث من الوعي السياسي والاجتماعي هارنا بقدر نفسه مقدرا لجيودها لما عبر على الظلم ولكانت الحال في الرب غير الحال الشقية السابقة • ولولا ان الفلاح العراقي من لبعه الصبر وتلقي الضيق باعتباره الاصل هوار الرناء عار وليس بدائم • لولا هذه النفيسة المتأصلة فيه لكان تدمره شديدا وشكرا عالية • ولانه وقد تعود الظلم والحرمان ولا يرى في ذلك الا الاصل الذي يقاس عليه • • • • • فينالون على قلوبهم كتيبا مكبوت العاطفة بكل امره على الله • به يستعين في احتمال الهوى • (٢١)

لمت وجاعة من اصحابي هونا على احد شيوخ الناصرية المشرقين وحند ما اردنا العود الى المدينة امرنا الشيخ بخيول ركبناها ثم اشار الى جماعة من الفلاحين الملقين حوله ان يسيروا معنا ويوصلونا الى المدينة كي يعودوا بالخيول الى القرية • كانت الخيول تخب بنا في اراضي الشيخ الخصبة الواسعة والناحون المساكين يركضون وراءنا ركضا • لقد انزني منظرهم المؤلم انذاك بعيد الرومان الاذلاء البائسين •

(٢٠) انظر مزاي من ١٥ الى ١٦

(٢١) انظر مزاي من ١٥ الى ١٦

(٢١) الظاهر اقطاع من ١٠٩

(٢١)

والعبث اليهم بعلبة دخان فتلقفوها شاكرين ، حامدين ، كاني اقطعتم ارضا .  
استغرقت رحلتنا ثلاث ساعات قطعها الفلاحون ركضا ، وما رأيتهم يتقدمون او يتأفون  
وان كانت جباههم تنضج عرقا ، وصدرهم ترتفع وتنخدر بلهاك موجه ، والتعب الانساني  
يطل من ميونهم الوديعة الحزينة ، وجعلني استخزي من نفسي ، واثور على هذا  
الظلم البغيظ المخجل الذي يجعل من الفلاحين الكادحين الاحرار عبيدا اذلاء  
بائسين .

وقد يهدد الفلاح لاه ، وسكب اوجاع قلبه ، في قصائد شعبية حزينة ،  
واغان نائحة كئيبة ، وقد يعبر الفلاح الجنوبي من ثورة نفسه بهذه الدموع التي يسكبها  
على شهداء كربلاء في عشرة ايام عاشوراء ، وهذا الحب العميق للحسين بن علي سيد  
الثائرين على الظلم . وقد ينفر عن ثورته الكامنة في اعماق روحه باشتراكه في  
المعارك والخصومات التي تشجر بين الفلاحين لاتفه الاسباب موالتي تبعد ثورتهم  
وتضيع جهودهم ، وتمزق وحدتهم . وقد تاخذ ثورة الفلاح ، احيانا ، طابعا  
ايجابيا صريحا ، كهذه الصدامات المسلحة التي تحدث بين الفلاحين والشيوخ  
المتنفذين واتباعهم ، او بين الفلاحين والحكومة ، وتكون مستورة في اكثر الاحيان  
بشعارات فاضة ، وامان بعيدة ، كهذه الانتفاضات التي تنفجر بين حين واخر في  
المناطق الكردية (٢٢)

---

(٢٢) راجع إيرلاند ص ٩٢ - ٩٣ من الصدامات بين الفلاحين وبين شيوخهم  
السعد وحيين في لواء الكوب

قانون دماوى العشائر لن تكمل الصورة التي اريد ان ارسنها للريف العراقي الا اذا تحدثت

من قانون دماوى العشائر \*

وقبل ان اتحدث عن هذا القانون ، وابين ما يلحقه من ضرر في تقدم البلاد ووحدة الشعب وتمدنه ، اريد ان اذكر بعض العادات القبلية ، والاحكام العرفية التي يدعيها هذا القانون ويمنح عليها صفة اشرعية ، حتى يكون نعمنا له اتم واوفى .

تفصل الخصومات والمنازعات طبق القواعد والتقاليد التي تستمسك بها القبيلة ، وتعترف بالمحافظة عليها ، والتي تحدثت اليها من ابائنا العاشرين على مر الزمن . ولهذه القواعد التي بنى عليها الاحكام ، والتي تسمى في عرف العشائر "سواني" اساس واحد عند جميع العشائر وان اختلفت في الفروع والتفاصيل بين عشيرة واخرى . (٢٣) تعبر الخصومات على احد المتخصصين بعادات القبيلة ، العارفين بتقاليدها واحكامها ، ويسمى بـ (العارف) او تقدم الى مجلس تحكيم مكون من بعض الرؤساء واشيوخ والسادة بعينه رئيس الوحدة الادارية ويرضى باعدائه الطرفان المتنازعان .

فقبائل الفرات الوسط ، مثلاً ، لا تتبع احكام الشريعة الاسلامية ، ولا قواعد القوانين المدنية العراقية ، في قضية الارث . فالعادة المتبعة في الغالب ، ان تحرم المرأة من الميراث . كما ان اكبر الاخوة ، اذا كان نوباً حازماً ، يخدع بما تركه ابيه ، ويقوم بالاتفاق على حاجات اخوته ونساء ابيه . وقد يعقسم اخوة الميراث ولكن على شرط ان يتنازلوا لأكبرهم من ثلثه ، وتسمى هذه الحصة بحسب (الخبرة) ، ثم تجرى القسمة بينهم بالتساوي . فان مات الأكبر من هذا الثلث أكبر الباقيين . وقد يعقسم بعض الاخوة المتكاثفين او الذين هم من ام واحدة التركة بكاملها ولا يتركون للصغار شيئاً . (٢٤)

اذ كرر اني التفتت صدفة بنظر من تبار الشيوخ ، والمتنفذين منهم ، وسمعتهم يتقدمون من عددورسكم في حق امرأة بانسب لثقة زوجها المتوفي ، ومن حلتها القانونية في الطابو المائد لزوجهها ، وانسوا على ان ذلك باطل ، لانه يخالف العرف العشائري . (٢٥)

ولنشار الان في احكام قبائل الفرات الوسط في القتل . ان قتل احد افراد قبيلته ، لا ينتسب الى قبيلته فلان المقتول ، ولكل فرد من عشيرته الحق في ان يقتل القاتل او اى شخص يصادفه من عشيرته . وقد تسوى القدية بالحمى ، وذلك بان تقدم اسرة القاتل لاسرة المقتول مبلغاً من المال ، وهذا ما يسمى بـ "الفصل" وجميع الفصل من افراد العشيرة بكاملها .

٢٣ احمد فهدى ص ٣٤ وانظر كذلك مزاوى ج ١ ص ٤٠١ وفارس ص ١٠٩

٢٤ فارس ص ١٠٨

٢٥ الظاهر ، انقطاع ص ١٣٩ .

فيدفع القاتل منه مثل ما يدفعه غيره وهذا هو السبب الذي يشجع على كثرة حدوث جرائم القتل . وقد يكون الفصل بالنساء وذلك ان تقدم عشيرة المقتول بعرض بناتها لذوى القاتل . وقد يكون الفصل بالمال والبنات معا . وان ولدت المرأة المقدمة كفصل للخدمة ولدا ذكرا ، او بنتين ، تعد فاصلة ، ويحق لها ان ترجع الى اهلها اني شاءت . وان كانت عاترا ، او ماتت قبل الولادة فلاسرة المقتول المفعول حق المطالبة بغيرها . وان قتل احد افراد عشيرة المقتول المفعول شخصا من عشيرة القاتل فيجب ان يدفع اربعة امثال الفصل المتعارف ، اى يجب ان يدفع مقدار ما معين من المال مع اربعة نساء ، وذلك لعدم احترامه عهد الامان الذي اعطته عشيرته يوم قبلت بالفصل وارتضت محل الخصومة صلحا . (٢١) وهذه الاحكام لا تنطبق على جميع افراد العشيرة بالتساوى ، فللشيخ والروسا امتيازات خاصة ، ويتكلف من يعتدي على حياة احدهم ما لا يتكلفه المعتدي على حياة احد من عامة افراد القبيلة .

حدث عام ١٩٢٣ في القصيلية ، ان قتل جماعة من روسا الغزالات رئيسا آخر فاحيلة القبية على مجلس السككين فحكم بما ياتي : بسجن القتلة لمدة سبع سنوات وينادرا اثارهم اراضيهم الزراعية ، ولا يدخلون القصيلية لمدة ثمانية سنوات ، على ان يتصرف ذوى المقتول بممتلكاتهم طيلة سني التباعد وبعد هذا يدفع لال المقتول اربعة امثال الفصل على ان يكون من خالص حلال القتلة (٢٢) اما دية الفصل في المحادثات التي تقع بين افراد العشيرة نفسها فهي اربعة اضعاف الدية المقررة للفصل في حوادث القتل التي تقع بين افراد عشيرتين . واذا كان القاتل ممن يملكون ارضا يشتغلون بالزراعة حكم عليهم بالاجلاء من ارض عشيرته سبع سنوات يزرع ارضه خلالها اقربا المقتول ويصرفون برصعا ، وتوزع دية الفصل على عشيرة المقتول بعد ان ياخذ شيخ العشيرة ثلث المبلغ وتكون حصة اهل المقتول اكثر من غيرهم (٢٨)

((٢٦)) فارص ص ١٠٩ - ١١١ ولحمد فهمي ص ٣٦٣٤

((٢٧)) فارص ص ١١١ - ١١٢

((٢٨)) المصدر السابق ص ١١٥



إذا ثبت أن أحد الأشخاص حاول الاقتداء على شرف امرأة يحكم عليه بالعطاء مبلغ من المال ، وتقديم امرأة من قريباته يتزوجها أحد اقرباء المرأة المتجاوز عليها . وإن لم يكن لها قريب من أرحامها فيتزوجها أحد أفراد عشيرتها . وإذا ثبت أن الزنا قد تم بالفعل ، فإن الفصل ، في كثير من الأحيان لا يقبل . وتحل المشكلة بقتل المعتدي والمعتدى عليها وقد تقتل الزني بها وحدها . وإن لم يتجاوز عليها بالفصل . والفصل في هذه الحالة يكون في كثير من الأحيان ، بأن يقدم المعتدي أخوته ، فإن لم تكن له اخت فيقدم ثلاثة نساء أو أربعة من قريباته إلى اقرباء المرأة المتجاوز عليها (٢٩)

إن الاقتداء على أحد أبناء العشائر بالعبودية ، كان يتهم بأنه متحدر من عبيد ، أو أن أحد أعمامه ، أو أخواله عبيد ، جريمة تستحق الفصل . وإن لم يستأبح المعتدي عليه بالعبودية رد القيمة وأثبات أنه يخطئه أصلي عبدا لا تملكه العشيرة ، ولا تعترف له بحقون الأحرار وحريتهم . أما إذا تمكن من نفي تهمته العبودية فيحق له الفصل . فإذا امتنع المعتدي من تادية الفصل يصر للمعتري عليه قتله ، على أن يدفع فسخه لاله ويدفع ذواقتيل فصل التهمة والاقتداء بالعبودية له . وقد حدث أن اتهم أحد رؤساء جليحة ، في قضا الهندية أحد الرؤساء بالعبودية . وقد حكم له المحكمون ، بعد أن اثبت بدلائل التهمة ، بأن يأخذ من المعتري بنتين و ١٦٠ ليرة . وقد تغير المبلغ واستمتع بالبنتين بدلا عما أصابه من كوار نتيجة لاسناد هذه التهمة إليه (٣٠)

إذا اعتدى شخص على شخص آخر من أبناء العشائر بالكلام ، أو إهانته ، أو تفرقه ، أو حذر دخيله أو نزيله ، أو ربه بسرقته ، أو سرته ، أو تزوج من قريبة له نكاحا من التزويج بها ولم يلتفت إلى نهيه ، أو فعل به كل ما من شأنه أن يجعله ذليلا يفقد قومه ، احترا في مجتمعه ، ناله أن يرفع على الشخص المعتدي دعوى شرف ، مطالبها بتعويضه عما ناله من إهانة وهذا الدعوى يدعى به (الحشم) وإذا حكم على المعتدي بتادية (الفصل) ولم يؤد ، حذر نفسه لخضر (العنبر) . والعقوبة : غالباً إذا كان الشخص محتاجاً ، ثائر الاضطراب لما لحقه من إهانته ، أي يكون في أسوأ القوم في حالة (فورة الدم) . فإذا أهين شخص بما يستدعي الحشم ، أو انتهك شرف أحدى قريباته ، أو قتل أحد اقربائه وكان في حالة (فورة الدم) فمن حقه أن يهجر حيوان خصمه وذلك بأن يقتل الحيوانات قتلاً أو يقطع قوائمها .

(٢٩) المصدر السابق ص ١١٥

(٣٠) فارس ص ١١٤ و ١١٥

او ان يدافع قوائم البيت ويخرجه . ويسوق له في حالة خسارة الدم القتل ايضا . \* والحشم لا ينتمون الا بثلاث هيئات ، اى ثلاث درجات ، على اموال عدوه وحيواناته وبيته ، على حين غرة ، وله في عمر اربعة سنين . يبيع هيئاته ثم يفصل بامرأته . . . . . \* ( ٢١ )

تصل جرائم السرقة في باعادة المال المسروق فقط . وقد يضاف الى ذلك شي  
اخر اذا كان المار والمسرور من عشيرة واحدة . ولا فصل في السرقات التي تقع  
بين عشيرتين . وانما لم يستلج المسروق ماله ان يسترد امواله من السارق نفسه فله الحق  
في ان يأخذ مقدار هذا المال من اي من اقارب السارق ، او من يدعي بقرنته ، الى  
خمس اظهره ، وهذا ما يسمى بالوسطة <sup>الوسكة</sup> ( ٣٢ )

هذا نموذج لبعض المبادئ والاحكام العرفية التي تطرأ على الشرائع . وهي تبدو  
 لأول وهلة ، مغالطة لاحكام الشريعة الاسلامية والقوانين العراقية والجزائية والمدنية ،  
 بالغة لاسر المدنية الحديثة التي تنهوا احترام الشخصية الانسانية وتحمي لمساواة افراد  
 جميعا . هذه العقائد والمبادئ البالية في احد الامل التي تبوء تقدم الشعب العراقي  
 وتحويل دون تحضره . راي المصلحين لمحمود لافساع عليها وتخليد النار من شرورها  
 ولكن قانون دعاوى العشائر يدعها ، ويسبق عليها عبثة شرعية . فلنلق على هذا القانون  
 نظرة فاحصة ناقدة .

(۳۱) فزای ج ۱، ص ۴۱۵ - ۴۱۶

(٣٢) المصدر السابق ص ٤١٣ .

(٣٣) (ولقد استبان بسرعة ان القانون العراقي لا يمكن تطبيقه تماما في المناطق العشائرية التي تتركز جميع المناطق المحتلة في خارج المدن كما انضم ان الحكم السياسي كانت بهم حاجة الى اصلاحات خاصة يشترط بواسطتها في القضايا العرقية والجزائية في ضمن مناطقهم . ولذا في هذا الوضع قام المستر هـ . ر . ل . ديسيرير مع نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية على نمط نظام جرائم الحدود الهندى فاصدر بهذا النظام - في شباط ١٩١٦ . . . . . وقد اثبت النظام في تطبيقه بانه متفق مع رغبات القبائل لانه يسر لهم حسم المنازعات بالطرق المألوفة عندهم منذ مدة طويلة . وكذلك ساعد في توطيد القبائل وتهدئتها لاعلائها الاهمية اللازمة العشائرية التي تحمل بالحكيم ، كما رفع من اهمية الشيوخ بمنحهم المكان المحترف بها في النظام السياسي والقضائي . فوجد الحكم السياسيون من جهتهم بان حملا ثقيلا قد رفع عن كاهلهم بذلك .)

أيرلند ص ٨٥ - ٨٦ • وقد نقلت هذه الفقرة من ترجمة الكتاب في العربية "العراق"؛  
دراسة في تطور السياسة "ترجمة جعفر خياط (بيروت ١٩٩٦) ص ٥٣ - ٥٤

حلت الشريعة الاسلامية محل الحرف القبلي والتقاليد الجاهلية ولكن الشريعة الاسلامية لم تتخلل عبقا في روح العرب الذين ظلوا مسافلين على مداوهم ، متمسكين بتقاليدهم القبلية . فلما انبثرت الدولة العباسية وتوالت على العراق حكومات لم تعن باقرار السلام واستتباب الامن والنظام في البلاد بقدر عنايتها بجمع الضرائب وابتزاز اموال الناس قوى التنظيم القبلي وابتعد الناس عن المدنية الاسلامية واستعادت التقاليد القبلية نفوذها وقوتها . وكانت سلسلة الدولة العثمانية على الريف العراقي وقبائله ضعيفة . فظلت القبائل تحل مشاكلها ونصوماتها حسب تقاليدها وعرفها ولم يتدخل الحكومة الا في القضايا الكبرى بين القبائل . فكانت تتوسل بذمتها وتستعين بالحكمين على حل الخلافات واترار السلام . فلما احتل الانكليز البصرة واخذوا يتقدمون شمالا اصدروا عام ١٩١٦ "بيان العشائر" والزموا حكامهم بالمسير بموجبه . (٣٣)

وبعد استيلائهم على بغداد وسعوا نظام العشائر هذا وسعوا فعملوا على المناطق المحتلة من العراق جميعا . فقد صدر نظام دعاوى العشائر بتاريخ ٢٢ - ٢ - ١٩١٨ . ثم عدل هذا النظام بقانون صدر في ٢٨ - ٨ - ١٩٢٤ . ثم عدل تعدىلا طفيفا في ١ - ٦ - ١٩٢٣ . واستمر العمل بموجبه الى اليوم (٣٤)

وضع هذا القانون الذي يسمى "بقانون دعاوى العشائر المدنية والجزائية السنة ١٩٢٢" لحسم المنازعات من مدنية او جزائية التي تقع بين افراد العشائر حسا سريعا وفقا للعادات الراجحة بينهم . (٣٥) ويقصد بالفرد من العشائر من كان منتسبا الى عشيرة معلومة او اتخذ من عشيرة معلومة من العشائر التي تجرت على حسم منازعتها بواسطة حكمين من اختيارها او شيوخها بدلا من المحاكم النظامية . (٣٦) ولا يشترط ان يكون الطرفان المتنازعان من ابناء العشائر لتحل قضيتهم بحسب احكام هذا القانون ان يجوز للمتصرف ان اذا ظهر له ان احد الخصمين في احدى الدعاوى فرد من العشائر وتراى له ان حسم الدعوى وفق العادات البدوية الرب الى رضى الطرفين ورضع النزاع رفا تاما ما لو حسنتا المحاكم النظامية المدنية او الجزائية ان يقوم بفصل النزاع حسب احكام هذا القانون مراة ائمت الدعوى في المحاكم المدنية او الجزائية اولم تم (٣٧) . وتقوم السلطة الادارية بتطبيق هذا القانون . فيعين وزير الداخلية المتصرف ليرى امورا عشيرة من العشائر التي هي داخل لوائه كلها او بعضها ويكون للمتصرف الحق في ان ينظر في جميع المنازعات التي تخبر العشيرة المذكورة . وقد تفوض سلطة المتصرف هذه للقائقام او المدير الناحية . (٣٨)

للمصرف الحق في ان ينظر في اية دعوة عشائرية • فاذا كانت الدعوة قد عرضت على المحاكم المدنية او الجزائية ولم تصدر المحكمة فيما حكما للمصرف اذا شاء ان يتسبب الدعوة من المحكمة وينظر فيها بنصفه حسب احكام هذا القانون • (٣٩) • <sup>١</sup> للمحاكم المدنية او الجزائية ان تسمع الدفوع التي كان المصرف قد اعد على بنائها • (٤٠) • واذا رأى المصرف ان ينظر في اية دعوى عشائرية فانه يعين مجلسا للتحكيم موليا من رؤساء العشائر وذوي الخبرة فيما • يقدم هذا المجلس تقرير القضية وسماع اعداء الطرفين المتنازعين ثم يصدر قراره • ويراعي المصرف القرار ويصدر حكما على المدعى عليه باداء التعويضات التي قدرت في القرار فيما اذا كانت الدعوى مدنية او يحكم بثبوت الجرم المستند الى المتهم او المتهمين كلهم او بعضهم في قرار المجلس اذا كانت الدعوى جزائية • (٤١) • وللمصرف وعند وجود قرار المجلس اما ان يعيد الدعوى الى المجلس ليصدر فيها قرارا اخره او يحيل الدعوى الى مجلس اخر او يورد الدعوى ان كانت مدنية او يبرئ المتهم المستنتم او المتهمين كلهم او بعضهم ان كانت الدعوى جزائية • او يقرر عدم لزوم السير على مقتضى هذا القانون • (٤٢) • وقد جيز هذا القانون معاذة افراد العشيرة جميعا لبرائهم ومناقبات يرتكبها فرد منهم او جملة افراد • فيجوز للمصرف متى حكم على احد افراد العشائر بمقتضى هذا القانون بدفع غرامة او تعويض بنائه على نوبة المجلس الذي نظر في الدعوى ان يامر بان تحصل الغرامة او التعويض اما لا قريبا المحكوم او لافراد عشيرته الذين يسمون في ذلك الامر من المال المنقول او غير المنقول • (٤٣) • وللمصرف ان ينضم اهالي احدى القرى او نازلي احد المخيمات اذا حصل له ما يدعو الى الاعتقاد بان اهالي تلك القرية او نازلي ذلك المخيم قد تواطأوا كلهم او بعضهم على ارتكاب جريمة ما او حرضوا عليها بموجه من الوجهه او تقاعدا عن تقديم ما يستلزمون من المساعدة لاستقصاء خبر الجرمين او التبرع عليهم • (٤٤) • ان القرارات والاحكام والامور السادرة بموجب هذا القانون لا تقبل الاستئناف • ولا يجوز الاعتراض عليها في المحاكم المدنية او الجزائية • (٤٥)

- 
- (٣٤) جزاوى ج ١ ص ٤٢٦ (٣٥) قانون تعديل نظام دعاوى العشائر (بغداد ١٩٢٤)، المادة الاولى، الفقرة الاولى • (٣٦) المصدر السابق - المادة الثانية الفقرة (٢) (٣٧) المصدر السابق المادة السابعة •• (٣٨) المصدر السابق المادة الثالثة الفقرة الثالثة • (٣٩) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرة الثانية • (٤٠) المصدر السابق المادة الحادية عشرة •

على ان هذا القانون قد خول وزير الداخلية سلطة استثنائية . فللوزير الحق في ان يجلب اية معاملة جرت بمقتضى هذا القانون وله ان ينقذ القرار او الحكم او الاوامر الصادرة فيها ويجوز ذلك ايضا لمن عينه وزير الداخلية لهذا الشأن خاصة (٤٦) .

ان هذا القانون يؤلف خطرا اساسيا على وحدة الامة العراقية ، ويحول دون تحقيق العدالة الشاملة بين افراد الشعب جميعا . وينفذ من خلاله ان القسم الغالب من السكان من ابنا العشائر وحتى في المدن العريقة في التحضر نجد القسم الاكبر يرجع بنسبه — ويعتبر به — الى القبائل العربية المعروفة \* (٤٧) . وان المجتمع العشائري في طور انتقال ولذا تكرر فيه الخلافات والمنازعات المدنية والجزائية وخاصة الخلافات التي تدور حول ملكية الاراضي وحقوق التصرف في المراعي والمياه . هذا القانون خطر على وحدة الامة لانه يقسم الشعب الى قسمين يخضع كل منهما لاحكام قانون غار ، يختلف عن الاخر في اسمه واحكامه اختلافا كبيرا . وهو يعيق تحضر الشعب لانه يمنع ابنا العشائر امتيازات خاصة لا يتمتع بها ابنا المدن ، ولانه يحافظ على العادات والعرف القبلي التي لا تلائم المجتمعات المتحضرة ، والتي يسعى المصلحون لازالتها وغرس روح المواطنة الصحيحة والعادات الاجتماعية المهذبة مكانها . ولعل الى هذا قصد الحكام الانكليز حين سنوا هذا النظام . فقد كان من همهم ان تبقى كلمة الامة متفرقة وان يبتعد سكان المدن عن ابنا العشائر ، وان يسود التلاحن بين الرؤسا والسيوخ ، وان يبقى الشعب متأخرا جاهلا عاكفا على تقاليد الهدية وعرفه البدوي ، ليسهل عليهم السيطرة على البلاد واستغلالها كما يشاؤون . (٤٨) وهو يحول دون استتباب الامن في البلاد وتطبيق العدالة على المواطنين جميعا لانه يقوى نفوذ رؤسا القبائل ومشايخها ، الذين تتكون منهم مجالس التحكيم في الناب ، وهو لا يراعون دائما مصالح الناحية ومصالح اصديائهم من السيوخ والمتنفذين . ويكون المستضعفون والفقراء ومن لا تمسدهم الحكومة هم الاخسر من دائما .

(٤١) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرة التاسعة .

(٤٢) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرات (١٠) ١ — ب — ج — د

(٤٣) المصدر السابق المادة الخامسة عشرة .

(٤٤) المصدر السابق المادة الثامنة والعشرون

(٤٥) المصدر المطبق المادتان الخمسون والتاسعة والخمسون

(٤٦) المصدر السابق المادة الواحدة والخمسون .

(٤٨) راجع عزاوي لمصطفى ، ص ٤٣٢ ، نظام القضاء ، ص ١٣٩

(٤٩) الظاهر من ١٣٢

ولما كان المتصرف هو الذي يصدر الاحكام النهائية، ميل على المتنفذين من الشيوخ والرؤساء توجيه هذه الاحكام لصالحهم الخاصة بحكم اتصالهم برجال الادارة وبحكم الرشوة التي يتفنون في اصطفاها، وبحكم نفوذهم القوي في اوساط الحاكمين في بغداد . التفت قبل ثلاثة اعوام في ناحية المنصورة في لواء "ديالي" بمدير الناحية . وهو شاب مثقف يحمل شهادة المعلمين العليين وشهادة المحاماة ويحمل روحا وطنية اصلاحية عالية . اخذ هذا المدير الشاب يبيت لي همومه ويشكو من نفوذ الشيخ المتنفذ في الناحية، وهو شيخ مقام متلاف قوى النفوذ وعضو في مجلس النواب وصديق لاسلطات الانكليزية . قال: يريدني الشيخ على ان اخضع لمشيئته، واخصي نهيبة للناس اى ان اعمل وكاى موظف عنده . وانا ان فعلت ما يشاء غنت واجبي، ودست على ضميري، وسحقت حقوق المستضعفين . وان لم افعل اقام على قيامة رؤسائي . وقد انتقل المدير من ادارة هذه الناحية الى ناحية اخرى . ولا ارى حظه في مقره الجديد سيكون احسن من حظه في منصبه الذي هرب منه . فني كل ناحية موفي كل لواء موفي كل قضاء، شيخ رؤساء واقباطيون متنفذون . يريدون ان تسيطر الحكومة حسب اموالهم وتحمي امتيازاتهم ونهبهم لحقوق الناس الضعفاء .

ان كثيرا من الاحكام التي يصدرها المتصرفون، والتي تد لا تستند الى ادلة متخالف الشرع الاساسي والقوانين العصرية المتبعة في العراق مروج العدالة . "يلخني ان احد المتصرفين هجلا منه حكم وقتا للحرف العشائري بتفويض وقسم ثروة الشيخ المتوفى على اخوانه واعمامه وجعل الحصة القليلة لاولاده وحرم النساء بل زاد على ذلك فحكم بقسم اولاد المتوفى القاصرين من ذكور واناث واعطى لكل من اخوة المتوفى ولدا او بنتا وكانهم جزء من التركة . جعله على هذا الجبل المركب وكون بعض الورثة الشرعيين هم في سن الطفولة وهم قاصرون فجعلهم جزءا من الميراث فقسوهم" (٤٩) كانت عشيرة البومتيوت تسكن منذ ازمان بعيدة اراضي زراعية قرب تلحفر في اللواء الموصل . وافراد هذه العشيرة فلانون نشيرون مسالمون . وقد حصل شيخ شعر هجيل الياور على حق الطابور في هذه الارض وكان ياخذ حصة الطابور من فلاحيهما . ولما توفي الشيخ هجيل اراد ورثته اجلاء البومتيوت من اراضيهم . فلم يرضوا . واستمر الخصام بين الطرفين والحكومة عاجزة عن حله اولم تناء ان تحله حتى تاور الى حرب الماحقة في صيف ١٩٤٦ . مشت جمع شعر تريد اورد الزارعين، وصعد الفلاحون يريدون البقاء حيث ولدوا ووجدوا قبل ان يخلق الداهية وقبل ان تأتي قبائل شعر الى هذه الديار . وقد بلغ عدد القتلى من الطرفين حوالي ٦٠٠ بينهم بضعة عشر قتيلا من قوات الشرطة" (٥٠) ثم قد مجلس التحكيم فصدر قرارا من جملة احكامه اجلاء عشيرة البومتيوت عن اراضيهم وتسليمها لعشيرة شعر، صديقة الحكومة والانكليز .

يقول الاستاذ عباس القزاي وهو من نشاهير المحامين في العراق ، « هذا النظام قريب في وضعه جديد في موضوعه وشكله ، لا يتألف وحالة الامة التي تتطلب النظام وحسن الادارة والسيرة الفاضلة في الحياة . . . . . احيا في اصل وضعه سنة جاهلية ، وادارة خاصة وتعاملا محليا . فهو عودة الى ما قبل حمورابي في العراق ، وقبل ظهور الاسلام في جزيرة العرب » ( ٥١ )

---

( ٤٩ ) المصدر السابق ص ١٤٠

( ٥٠ ) الظاهر ، صور من العراق ، ص ١٥٢ - ١٥٣

( ٥١ ) قزاي ج ١ ص ٤٣٨

### ( ٢ ) سكان المسد ن

اول ما يستوقف النظر في المدن العراقية سوء تنسيقها ، او انعدام التنسيق فيها اذا اردنا التنسيق . فشوارعها ضيقة ، معوجة ، قدرة ، غير مبلطة في الغالب ، تملي في الشتاء احوالا تغوص فيها الاقدام ، وتملي في الصيف فبارا بقذى العيون . وبيوتها ، ذات الطابق الواحد في الغالب ، متينة ، قبيحة المظهر ، غير صحية . وقد تلقى في المدن الكبرى ، في بغداد والموصل والبصرة بخاصة ، بيوتا عصرية الهندسة ، جميلة التنسيق ، تحيط بها الاشجار وحدائق الازهار والرياحين وقد تلقى فيها عمارات شاهقة ضخمة ، وشوارع متسعة ، مستقيمة ، جيدة التبليط ، تنتشر على حفافها اشجار اليوكالبتوس والنخيل . ولكن هذه المباني الجميلة الضخمة ، وهذه الشوارع المشجرة الوسيعة لا تحتل الاجزاء صغيرا من مساحات المدن ، ويظهر وجودها قبيح سائر انسام المدن العراقية وقتها بجلاء مؤلم . وما يكاد المرء يبتعد عن ضواحي بغداد الجميلة حتى تتغير امام ناظره المشاهد ويجتاز مدنا هي اشبه ما تكون بالقرى الكبيرة ، وحتى يحسبانه قد انتقل الى قطر آخر فرب ، بدائي ، موحش .

يسكن هذه المدن خمس سكان البلاد ، او يزيدون قليلا . والمجتمع العراقي في المدينة يجتاز طورا انتقال . فلم يتخذ الوضع الطبقي بعد شكلا مستقرا ، واضح المعالم . وارتفاع المرء من طبقة اجتماعية الى اخرى سهل اذا ما اتبع له ان يثرى ، او يصاهر المثرين ، او يرثه "مبوهه" و "اخلاصه" الى مصاف كبار الموظفين . دخلت الصناعة الآلية الى البلاد منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، ونشأت في المدن الكبرى طبقة من الصناعيين والرؤساء ماليين . جاءت هذه الطبقة من الحرفيين الاغنياء ، والتجار الكبار ، وبعض الملاكين العقاريين والقطاعيين الذين انتبهوا الى ما قدره الصناعة الآلية الحديثة من ربح وفير . والى جانب هذه الفئة من الصناعيين يعمس في المدن جماعات من القطاعيين والملاكين العقاريين ، يقيمون فيها اقامة دائمة ، او يقضون فيها بعض اشهر السنة . كما يسكن فيها جماعات من التجار الكبار ، وحوالا ليمسوا في الحقيقة الا وكلاء وعملاء للشركات الاجنبية ، والشركات الانكليزية بخاصة . هذه الطبقة من الصناعيين الكبار ، والتجار المثرين ، والقطاعيين والملاكين العقاريين تكون الارستقراطية العراقية ، وتعيش في المدن عيشة منعمة راضية ، وتسكن هذه البيوت الحديثة ، والقصور الفخمة ، التي تزين المدن ، وتتم بكل ما توفره الحضارة المادية الحديثة للمثرين من متع ولذات . ولم تكف هذه الطبقة بما احرزت من مال ونالت من جاه ونفوذ ، بل ان ابناؤها يحتلون المناصب الرفيعة في الدولة .

تأتي بعد هذه الطبقة في السلم الاجتماعي طبقة الحرفيين والصناعيين والتجار الصغار . ويكون افراد هذه الطبقة جزءا مهما من سكان المدن .



وقد كانوا يحبون حياة رخيصة بالنسبة لباقي السكان ، قبل الحرب العالمية الاولى ، ولكن تدفق المنتجات الاجنبية وتأسيس العمال الالية الحديثة ، وازدياد سيطرة الرأسماليين والتجار الكبار على الحياة الاقتصادية ، اخذت يفقدون مكانتهم الاقتصادية . فقد تحول قسم من الحرفيين الى عمال ماجورين وبقي الآخرون يكافحون للحفاظ على حرفهم وتجارتهم وصنائعهم ، ولكن تمسكهم بأعمالهم يتحقق على حساب انخفاض مستوى معيشتهم ، وتدني أحوالهم المالية . على ان نمسا قليلا من أبناء هذه الطبقة قد انزوا في الحرب العالمية الثانية ، ولكن حال الاكثية منهم ساءت الى حد كبير .

اما اكرثية سكان المدن فتتكون من العمال وصغار الباعة والبقالين ، ومن مختلف اصناف المتكسبين بأعمالهم والذين تعبر عنهم كلمة الكادحين اصدق تعبير . والعمال الفنيون اقلية ضئيلة وهم يشتغلون في السكك الحديدية ، والميناء ، والمعامل الكبيرة ، كما يشتغل كثير منهم في المؤسسات الحرفية الصغيرة . وقد اسست مختلف اصناف العمال نقابات عمالية . وقامت هذه النقابات بجهودات محسوسة للدفاع عن حقوق العمال ، ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، الا انها لم تستطع الاستمرار في نشاطها . فقد تآومتها الحكومة واغلقت كثيرا منها ، وسجنت قادتها كما تآومتها اصحاب المعامل والمشاريع الصناعية ولم يتعاونوا معها .

ومعيشة هؤلاء العمال الكادحين مضطربة فير مضمونة ، وأحوال عملهم شاقة مشنية ، ومكاسهم ضئيلة لا تكاد تكفي لسد نفقاتهم الضرورية . واكثرتهم يعيشون في حالة اجتماعية متاخرة ، وجهل وكتمان من نعم الحياة العصرية . وهم معرضون للبطالة الكلية او البطالة الفصلية في اكثر الاحيان ، وعلى الاخر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وما تجلب عليهم البطالة من جوع ، وهوس ، وقلق . وفي السنوات الاخيرة نشطت الهجرة من الريف الى المدن ، وخاصة من المناطق الجنوبية الى بغداد والبصرة والمدن الجنوبية الاخرى . هجر هؤلاء الفلاحون الريف لموا أحوالهم الاقتصادية ، وتحسف الاقطاعيين ، وظلمهم ، ولما في المدن من مجالات للعمل . واكرثية هؤلاء المهاجرين الريفيين يسكنون في ضواحي المدن ، في صرائف . ويشغل بعضهم عمالا ماجورين ، او يربون البقر والجاموس ويبيعون منتجاتها . وقد دخل قسم منهم في الجيش والشرطة متطوعين . وهم في أحوالهم الاجتماعية ، وسكنهم ، وتغذيتهم ، لا يختلفون عن سكان الصرائف الريفيين . وقد أدى وجودهم في المدن الى مزاحمتهم للعمال والكادحين ، وادت هذه المزاحمة الى انخفاض اجور العمال ، وبطالة الكثيرين منهم .

ويؤلف الموظفون فئة كبيرة من سكان المدن . اما الموظفون الصغار فأحوالهم الاقتصادية سيئة ، وهم يعانون كثيرا من ارتفاع الاسعار ، وخاصة منذ نشوب الحرب العالمية الثانية .

وأما الموظفون الكبار فينعمون بمستوى عيش مرتفع . وقد اثنى بعضهم ، فامتلكوا الاراضي الزراعية الواسعة ، وساهموا في الصناعات القائمة ، وابتنوا القصور الفخمة . واصبح هم الموظف الجديد ان يسلك سبيل من تقدمه في تجميع الثروة ، والحياسة على بيت مريح ، وهذا هو احد الحوامل المشجعة على الرشوة ، المنتشرة بين الموظفين انتشارا واسعا .  
ويكاد ينحصر وجود المثقفين في المدن . وهؤلاء ينتمون ، في الغالب الى طبقة الارستقراطية والطبقات الوسطى ، اذ ليس بامكان الفلاحين والعمال او الكادحين ان ينفقوا على تعليم ابنائهم .

## الفصل الخامس

### المرأة العراقية

#### المرأة الريفية

ان حياة المرأة الريفية انعكس من حياة المرأة الحضرية ، وان كانت تتمتع بحظ من حرية لا تعرفه اختها التي تعيش في المدينة . وهي تتحمل من المشقات ما قد يفوق ما يتحملة الرجل . فهي تعاون رجال الاسرة في بذر الحبوب ، وحصد السنابل ، ودياستها ، ونقلها الى البيت . وتظهر الارز من الاشواك والنباتات الطفيلية . وهي تهتم مبكرة لتحلب البقرة والافنام ، ان كان ثمة بقرة واغنام ، وتعلمها ، وتنظف الزريبة . ثم تغادر كوخها لتجلب ما تحتاجه الاسرة من حطب وشوك ، وكثيرا ما تصحب طفلها معها ، ان كانت مرضعا ، فليس في البيت من يعنى بالطفل لان نساء الاسرة جميعا ينطلقن الى اعمالهن مبكرات . فاذا مادت الى كوخها ، تحمل طفلها على كفها ، وعلى راسها حزمة من الحطب ثقيلة ، شرعت في اعداد الخبز والطعام للاسرة . ولا تاتي الى فراشها الرث الا بعد ان تقوم بجرس الحبوب وتعيثها لطعام الغد . وقد يشتغل بعض النسوة في الجارن العمومية لبلا ، لقاء اجرة زهيدة قد منها لرب الاسرة . واذا اصغيت الى اولئك الشقيات يغنين ، وقد انطوينا على الجارين تدور بها ايديهن المتعبة ، ورووسهن تهم من النعاس ، سمعت اعاني كئيبة تذيب القلب حزنا ، تصور حياة العبودية التي يحييها . وقد تسمع احيانا افاني ثائرة ، تريد تحليم القيد ، ولا تعرف طريق الخلاص . وقد تذهب الفلاحة الى سوق المدينة او القرية المجاورة لتبيع ما جمعتها من حطب او حشيش او يابس او ما اعدته من لبن ، فتشتري بثمن ما باعته بعض حاجاتها ، وتصرف الباقي على حاجات زوجها . وعلى المرأة الريفية ، الى كل هذه الاعمال المرمقة ، ان تقوم بجلب القصب والبردي لاصلاح المنزل قبل حلول فصل الشتاء ، وفي الانسام الوسطى والجنوبية من البلاد تعاون زوجها في انشاء المصائف ، هذه الاكواح السريعة العطب ، المتنقلة على الدوام (١) . وبالرغم من كل ما تقوم به الريفية من الاعمال وما تتحملة من اعباء ومشقات فانها لا تحظى بتقدير زوجها واحترامه . فهي ليست بنظر زوجها انسانة تشاركه حياته ، وتقاسمه اعباءه ولكنها مخلوقة منحطة ، وظيفتها انجاب الاولاد ، واعداد الطعام ، والعمل في الحقل ، والاعتناء بالمواشي ، والخضوع لسلطته المطلقة .

(١) تجد وصفا مفصلا لحياة المرأة الريفية اليومية في كتاب احمد فهمي ، ص ٢٢ ، وفي القرية العراقية لجعفر خياط ص ٤٣ وفي عامان في الفرات الاوسط لعبد الجبار فهمي ص ١١٨

وكثيرا ما يغضب الزوج على زوجته لاتفه الامور ، فيسبها وينبذها ويضربها ضربا قاسيا موجعا قد يترك جسما جراحا ، او يطردها من كوخه ، او يخلقها ويبعث بها الى دار اييها لتعاني فيها حياة متعبة ، منخفضة . وهل اذل للمرأة الريفية ، وادل على حياة اليهودية التي تحياها من تسليم اهلها او اقاربها اياها لتكون جزأ من الفصل ٢ او الدبة فقد هب الى انما اغراب معادين لاهلها ، وتترج بمن لا تعرفه ، ومن لا تحبه ، وقد يكون شيخا عجوزا ، او قبيحا ، او مريضا ، او شرسا مشاكسا ، وهي تحتل كل هذا الظلم صابرة مستسلمة لا ترفع صوتها بشكوى ، ولا تحتج على ما ينزل بها من ظلم ، لانها الفت هذه الحياة ، واعادات ان ترى اختها وامها وجاراتها مستسلمات الى هذا النفاق الغيم ، فانهات بنصيبهن من الحياة .

المراة عند الرجل الريفي آلة لانتاج الاولاد ، والقيام بادارة البيت ، ووسيلة للمتعة الجنسية . ولهذا يستكثر من النساء ما اتاحت له حالته المادية الاستكثار منهن . فقد اباح الشرع للمسلم الزواج بأربعة نساء . ولكن الشيعة حللوا الزواج باكثر من اربعة . فان زاد عدد نساء النسيحي على الاربعة يكون ما زاد على هذا العدد من نساء خاضعا لقواعد العقد القصير ، ولو لمدة خمسين سنة . ويسمى هذا العقد القصير "المتعة" (٢) يقول السيد احمد قومي : "يسكن هذه المنطقة .. يعني الشامية .. اقوام فيهم من له من الازواج عشرون او خمس وعشرون ، مع ٢٠ و ٥٠ ولدا ، وشيوخ يتزوجون اباكارا وقد ناهزوا الستين والسبعين ، واناس جاوزهوا الثمانين والتسعين" (٣) على ان الاستكثار من النساء الى هذا الحد المفرط لا يمارسه الا الرُساء والسيوخ والسادة ، حبا بالمتعة والاستزادة من الاولاد ، والاستفادة من خدمات المرأة في المنزل ، لما يتطلبه ذلك من نفقات باهظة ينوء بها دخل الفلاح الفقير .

المراة الريفية سافرة لا تعرف الحجاب ، وتكفي بان ترتدى عباءة من الصوف ، وتستتر شعرها وربتها بقناع اسود ضاف يسمى "القوطه" . وهي تسيّر حائمة القدمين في اغلب الاحيان . وهي تختلط بالرجل بحكم عملها في الحقل ، وذهابها الى السوق لبيع منتجات الحقل وشراء لوازم البيت ، ولكن سفرها هذا ، وتمتعها بهذه الحرية التي تبيح لها مواجهة الرجال ومكالمتهم ، لا تنفعها الا قليلا . فهي معزولة عن مجالس الرجال ، بعيدة عن مجتمعاتهم ، محدودة الحرية في الحقيقة . وهي خاضعة لارادة اهلها خضوعا تاما ، فليس بإمكانها ان تترج بمن تحبه وتختاره ، وانما عليها ان تترج بمن يريد لها ابوها او اخوها على ان تتزوج منه .

(٢) فارس ص ١٢١

(٣) ص ١٢

البتت هي خطيبة ابن عمها شامت ذلك ام لم تشأ . وليس لاحد ان يخطبها الا اذا سمح بذلك ابن عمها . وليس للفتاة ان تتزوج من غير عشيرتها الا اذا تنازل ابنا العشيرة من حقهم في التزوج بها . ولنا اقدم شخص قريب على تزوج فتاة ، فلا بد من ان يمنع من التزوج بها ، وينذره بالعقوبة التي سينزلها به ان اصر على طلبه . وقد اصططلحت العشائر على تسمية هذا المنع بـ "النهوة" .  
 ٣ ان خطبت البتت لاي شخص كان فلا بد من ان يمنع من الحق في النهوة حتى وان اريد زواجها من ابنا عشيرتها . وان اريد زواجها من غير عشيرتها فلكل من افراد العشيرة الحق في النهوة . واذا كان لاحد بنات اعمام عدة فله الحق عليهن جميعا ، وله ان يتزوج بمن كافة على ان لا يجمع بين الاخيين الا ما قد سبق . وله حق النهوة على بنات العم ولو كان متزوجا . كما للعم حق النهوة على ابنة اخيه ليحفظها لولده حتى ولو لم يكن له اولاد ، فانه يدمي انه سيحفظ بابنة اخيه فلربما رزق ولدا . (٤) وقد تحل مشكلة النهوة بمقدار من المال يقدمه الخاطب لاقارب الفتاة . اما اذا لم يرض اقارب الفتاة بهذا الحل ، واصر الخاطب على الزواج بها ، فقتله امر مؤكد . وعند ذلك يدفع القاتل فصل القاتل ومطالب بفصل النهوة . وهي اما ان تقدم له امرأة واما ان يخصم مبلغ محدود من فصل القاتل . (٥)

اما زواج "الصادق" فهو شرما تتعزله الفتاة الرفيعة . لا بد للخاطب ان يقدم مهرا لخطيبته حتى وان كانت ابنة عمه . وكثيرا ما يشق تقديم المهر على اكثر الفلاحين لفقهم العليم ، ولهذا يعتمد الفلاح الى زواج "الصادق" ، وهو اشبه ما يكون بالبيع بطريقة المقايضة . فمن لم يستطع اعداد المهر لزواجه ، وكانت عنده بنت او اخت ، فانه يتفق مع شخص آخر عنده بنت من ارحامه ، ويزوج كل منهما قريبته من الاخر . ويدفع كل منهما مبلغا ضئيلا من المال للفتاة بمهنة مهر ، محافظة على شكليات المقد الشري . ان شر هذا النوع من الزواج لا يقتصر على كون الفتاة كثيرا ما ترفم على الزواج بمن لا تحبه ولا تطيق العيش معه ، بل ان حياتها الزوجية غالبا ما تكون منخفضة ، خاضعة لمؤثرات لا تستطيع التغلب عليها . فان لم يتفق احد الطرفين مع زوجته فله ان يطلقها واخذ قريبته التي "صادق" بها ويرغم زوجها على ان يطلقها ايضا حتى وان كانت ملتزمة معه ، ولها نرية منه ، وراضية ببقائها عند زوجها . وقد يضطر من طلق قريبته ان يزوجه المطلق بزوجة اخرى ان كان راضيا هو بزوجته . وان لم يقتنع المطلق بذلك فله الحق في ان يصر على طلاق قريبته واخذها وان صادف ان غضبت احدى المراتين المصادق بهما مع زوجها ورجعت الى اهلها فللاخرى ان ترجع الى اهلها ايضا ولا تعود الا بعد عودة الاولى . (٦)

(٤) فارس ص ١٢٥ - ١٢٦

(٥) المصدر السابق ص ١٢٦ راجع بحث "النهوة" كذلك في كتاب احمد فهمي ص ٢٢ وشائر العراق لعباس النراوى ج ١ ص ٤١٤

(٦) فارس ص ١٢٢

وقد تتعد بعض الفتيات ، فيرفضن الزواج ، بمن ترغمن اسرهن على الزواج بهن ، وقد تهرب فتاة مع من تحب . وتسمى جريمة الشخير الذي يهرب مع بنت رغم ارادة اسرتها "مهبه" . على ان اقرباء الفتاة ، وابناء عشيرتها عامة ، لا يسكتون من هذا العمل الذي يلحق العار بالعشيرة كلها ويظنون يبحثون من محل الفتاة ، فان وجدوها ، قتلوها ، وفي غالب الاحيان يقتلون الشخير الذي هربت معه كذلك . (٧) وقد صادفت عدة حوادث مؤثرة من هذا القبيل وآخرها عام ١٩٣٤ ، يوم كنت في الدفارة وملخصها : حاول احد الفتيان الزواج من فتاة . فيران اهل البنت لم يوافقوا على ذلك . وبعد ايام فقدوا البنت . وبعد التحقق ظهروا الفتى هو الذي فربنا والتجأ "داخلا" على احد الزعماء فاجاره هذا دون ان يعلم جرمه . فجمع اهلهما وسارما يقرب من الاربعين رجلا منهم مدججين بالسلاح ليلا الى مكن البنت وعينوا المنزل الذي تسكنه الفتاة . فدخل اثنان منهم وظل الباقون خارج البيت ليقابلوها من يحاول ، مانعتهم . وصادف ان الفتى كان قائما ، فقتلوا البنت وعادوا الى قريتهم ومعهم كلبا التي انتطعموها ، فملقوها على المضيف برهانا لفصلهم العار الذي لحقهم من جراه فعلتها ، وراحوا بعد ذلك يطالبون المغري بالفصل والحسم . (٨)

وتتدخل المرأة الريفية ، الى جانب ما تعانيه من وضعها الاجتماعي هذا المهيمن ، من اعباء الحياة الريفية وشروطها مثل يتحملها الرجل . فهي مثله تعاني الفقر والحرمان ، وهي مثله عرضة لوبدة الاموال والوبيلة التي تفتك بالفلاحين البائسين فتكا والتي لا يجدون للتغلب عليها سبيلا . وهي مثله جاهلة خاملة العقل والروح ، لا تمتد افاقها العقلية الى ابعد من بيتها وقريتها . ولا تعرف من شؤون الحياة الا ما تعلمته من امها وجاراتها الباهلات ، من مقائد باطلة ، وخرافات عقيدة وايمان بالاولياء والسحرة والمنجمين .

الام ، كما يقول علماء التربية والاجتماع ، هي اول مدرسة يتلقى فيها الطفل معارفه من الحياة ويتشكل فيها ذوقه وعاداته واخلاقه . فاذا كانت المرأة الريفية على ما وصفت من جهل ، وتأخر ، وخضوع لهذه العبودية التي تفرضها عليها الاسرة والعشيرة فرضا ، لا جرم ان ينشأ الشبان والشابات في الريف العراقي على فرارها ، جهلا ، مأكبين على الخرافات والاباطيل ، مبيدا للتقاليد القبلية البالية ، خائعين لظلم الاباء واستبداد الرؤساء والشيخوخة . وان شعبا يريد الحياة الحرة المعبدة ويسعى للمشاركة في الحضارة البشرية لا يمكن ان ينسى ويتقدم وهذه حال الاكثية الساحقة من ابناءه وبناته .

#### المرأة الحضرية

اما حياة المرأة الحضرية فلا تختلف من حياة اختها الريفية الا قليلا . فمسا الكادحين والطبقات الوسطى يعيشن حياة بائسة متعبة . يكدحن طول النهار وشظرا من الليل في اعمال البيت .

(٧) يقول السيد عبد الجبار فارس ص ١٢٤ ان كان للمرأة المنهوية زوج من فير عشيرتها فللزوج (يتبع على الصفحة التالية)

ولا يغادرن الدار الا لزيارة الجارات حيث ينفقن الوقت في ثثرة عقيمة ، او للعمل خارج الدار ، حيث يشتغل قسم من نساء الطبقات الفقيرة في المعامل ، والخدمة في البيوت ، وبيع ما ينتجته في الدار من الحليب والجبن وبيع المنسوجات اليدوية البسيطة . والمرأة في المدينة ، كالريفية ايضا ، خاضعة لزوجها ، لا تخالف عن امره ، ولا تتدخل في اعماله . وهي جاهلة لا تمتد آفاقها العقلية الى ابعد من دارها وحيها ، قد امتلأ فكرها بالخرافات والاساطير ، وحفلت نفسها بكرامات الشيوخ والالياء ، وخوارق السحرة والمعجزين والمنجيين . عندما انشأت الحكومة مدارس للبنات لم يقبل عليها فتيات الطبقات العليا والموظفين اما الطبقات الوسطى والكادحون فقد ابتعدوا عنها ، ولم يروا بتعليم بناتهم ، ان كان تعليم البنات ، في رأيهم ، مخالفا لطبيعة المرأة ، مفيدا لاخلاقها ، منافيا لوظيفتها التي تقع على انجاب الاولاد ، والعمل في المطبخ . على ان هذا الرأي الخاطي لم يستطع ان يقام تيار التطور الذي طرأ على حياة المجتمع عامة . فقد اقبل الموظفون والمثقفون من سكان المدن على ارسال بناتهم الى المدارس ، وعندما رأى كثير من ابنا الطبقات الوسطى ان بإمكان الفتاة المتعلمة ان تتوظف عند الحكومة ، وتربح راتبها جيدا ، ادركوا قيمة تعليم الفتاة الاقتصادية ، فتنازلوا عن ارائهم القديمة الباطلة ، واقبلوا على ارسال بناتهم للمدارس . وعندما ازداد عدد المثقفين في المدن ارتفع "سعر" الفتاة المتعلمة في سوق الزواج . وهذا ما شجع اقبال الفتيات على المدارس تشجيعا عظيما . دخل قسم من الفتيات في الكليات العراقية المختلفة كالمعلمين العالية ، ومعهد الملكة عالية ، والطب ، والصيدلية ، والحقوق ، ومدرسة الممرمات ، واختلطن بالشبان . وهذه الجربة مستمرة ، تبشر بمستقبل مشجع . اظهرت الفتاة المتعلمة انها جديرة بكل احترام وتقدير . فقد اثبتت ، عمليا وبوضوح تام ، انها لا تقل عن الشبان ذكاء ، ومهارة .

---

حق المطالبة بالصدائق الذي دفعه لاهلها ، ولاهلها وذويها حق المطالبة بالفصل والحسم من الناهب . واكثر العشائر لا يرضون ان يقبلوا الفصل فيقتلون الناهب ويدفعون فسخه لاهله وأخذون من اهله فصل النهب .  
(٨) المصدر نفسه ص ١٢٢ - ١٢٤

واستقامة في العمل ، سواء كان ذلك في المدرسة ، أم في حقل الخدمات الاجتماعية والانسانية . تشترك الفتاة المتعلقة في كثير من الجمعيات الخيرية والنسائية كالهلال الاحمر ، وحماية الاطفال ، ونادى الاتحاد النسائي . وقد اصدرون مجلات عديدة كمجلة "تحرير المرأة" ومجلة "الاتحاد النسائي" . تعبر عن رأى المثقات في مشاكل المرأة العراقية الخاصة ومشاكل البلاد عمومًا . وكانت مجلة تحرير المرأة التي صدرت عام ١٩٤٦ نموذجًا جيدًا لأدب الفتاة العراقية المثقفة ، واطلاعيًا الواسع وروحيًا الوطني العميق . الا انها لم تعمر طويلا ، فقد لفلقتها الحكومة .

اما مجلة الاتحاد النسائي فلا تزال تصدر ، ويكتب فيها نخبة من الكاتبات والشاعرات العراقيات . واشترك جماعة من المثقات في السياسة وقمن بأعمال مجيدة أثناء الانتفاضة الوطنية التي قام بها الشعب احتجاجا على معاهدة بورنسموث . وتنضم السجون الان نخبة من الفتيات المناضلات في سبيل تحرير الوطن واصلاح المجتمع . الا ان الفتيات المثقات ، والمثقات ثقافة صعبة جيدة ممن خاسه ، اقلية ضئيلة بالنسبة لمجموع النساء في المدن .

واحدى المشاكل الجديدة التي تعانيها المرأة الحضرية هي مشكلة الحجاب . ذكرت في بداية هذا الفصل ان المرأة الريفية سافرة . وهناك جماعات من النساء في المدن سافرات كجميع المسيحيات واليهوديات ، ومعظم نساء الطبقة العاملة والفاحين وخاصة نساء المهاجرين حديثا من الريف والذين يسكنون عادة ضواحي المدن وفي الاحياء الفقيرة منها . وفي السنوات الاخيرة امفر قسم من الفتيات المتعلقات ونساء الطبقات العليا في المجتمع ، وحركة السفر هذه مستمرة في بغداد ، وان كانت ضعيفة الاثرا ومعدومة في المدن الاخرى . ويبقى ، بعد كل من ذكرنا من النساء السافرات في المدن ، قسم كبير من النساء المسلمات في المدن محجبات . واضح ان للحجاب نتائج سلبية ، انه هو قد ادى بالرجل والمرأة ان يعيشا في عالمين منفصلين ، وجعل لكل منهما عاداته وخصايته الخاصة . لقد ادى انفصال المرأة عن الرجل الى تاخر عقليتها ، وانخفاض مستواها الاجتماعي ، كما جعل الرجل يعيد حياته الخاصة ، وينفق اوقات فراغه خارج البيت ، بعيدا عن أسرته ، في القاهي ، والملاهي ، والحانات التي يضيع فيها وقته ، وماله ، واحيانا صحته .



وقد زاد انفصال المرأة عن الرجل وعدم اختلاطهما مشكلة الزواج في المدن وخاصة بين المثقفين والمثقفات ، حدة وتعقيدا . فالفتاة في المدينة مثل اختها في الريف ، لا تملك زمام مصيرها ، ولا تستطيع ان تبدي رأيها في اخطار امر في حياتها الا وهو الزواج . ويتم الزواج عادة عن طريق الخاطبات من اقارب الفتى اللاتي يدورن الهبوت بحثا عن العروس المطلوبة . فاذا وجدنها ، وتراضين مع اهلهما على المهر ، وسائر الشروط الاخرى تم العقد ، وزفت المحروسة الى المحروس دون ان يرى احدهما الاخر . وهذا برأيي احد اسباب تقلل العائلة المسلمة في المدن ، واضطراب حياتها ، وكثرة ما يشجر فيها من مشاكل وخصومات . فالاسرة عادة ، ورغم فتاتها على الزواج بارفع الخاطبين منصبا ، واكثرهم مالا ، واعلام جاها ، ومن باستطاعته ان يدفع اعظم مهر ممكن ، وان كان طاعن السن ، قبيح المنظر ، سي ، الاخلاق ، فير محمود السيرة . اما الفتاة المتعلمة التي تحرم بشخصيتها احساسا قويا ، وتدرى قيمة استقلالها ، وتنهم من الزواج معنى اعم واوسع مما يفهمه المجتمع ، وخاصة اذا كانت مستقلة اقتصاديا عن اسرتها ، تقاى ان تنزى الا بمن تعرفه ، وتختبره ، وتشعر نحوه ببيل واطمئنان . واما الشاب المثقف فيفضل ان يظل اعزب على ان يتزوج بفتاة لم يرها . وهذا من اهم اسباب ضعف اقبال المتعلمين والمتعلقات على الزواج ، الى جانب ارتفاع المهر ، وفلا المعيشة .

ان هذا الجو العائلي المضطرب في المدينة والريف ، والفقر الذي ينوء تحت وطأته الثقيلة معظم السكان ، وارتفاع مهر الزواج ، وارغام معظم الاسر فتياتها على الزواج بمن لا يرغبن فيهم ، وجعل كثير من الرجال وبنو معاملتهم لازواجهم ، من الاسباب المهمة لانتشار البغاء العنفي والسرى انتشارا عظيما . والبغاء الذي يذل الساقطة النفيسة ، ويحطم كرامتها كائنات ، ويجعلها تحيا حياة منغصة ، شقية ، محفوفة بالقلق والمخاوف ، ويحملها الى قبرها شابة ، في اغلب الاحيان محطمة الجسم والروح ، يهدد صحة الالاف من الشبان بما ينشره من امراض البيلة الفتالة ، مما اتخذت الحكومة من احتياطات صحية ، وقوانين اخلاقهم ، ويكون احد الاسباب التي تزيد ازمة الزواج تعقيدا . اليس من العجيب حقا ان يعد المصابون بالسفلس والتعقبة وغيرها من الامراض الزهريه ، الحادة والعزنة والوراثية ، بعشرات الالاف في المدن والقرى رجالا ونساء ؟ ان صيحات المصلحين لترتفع بين حين وآخر منادية بالقضاء على البغاء ، وتنشط الحكومة بين الفينة والفينة لمكافحة البغاء اطلاقا ، سربرا وعليا ، تحريما تاما .

مري ، وهي تنذر ان باستصدار قانون يحرم البغاء

ولكن البناء سيزداد شراً ثقافتاً متى نادى المصلحون ، وسمى استصدرت الحكومة من قوانين ، ما دام الفقر مهيماً على المجتمع بحول بين الشبان وبين الزواج ، وما دام المرأة مستعبدة لاسرتها ، جاهلة ، لا تستطيع ان تعول نفسها ، ولا تجد المجال الى ذلك ان استطاعت ، وما دام في المجتمع آثار قد اقاموا حياتهم المترفة الرخية على الاتجار باجسام الساقطات الضائعات .

ان المجتمع العراقي ، هذا المجتمع الاقطاعي الذي تسيطر عليه الروح القبلية والعرف العشائري ، يحتقر المرأة ولا يقيم لها وزناً . والقوانين العراقية تؤكد هذا الاحترار ، وتؤكد هذه القيود الظالمة التي تنوء تحت وطأتها . « تقول المادة ٢٤١ من قانون العقوبات البغدادي (كل زوج زنى غير مرة في منزل الزوجية ، وثبت عليه هذا الامر بدعوى زوجته ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد من سنتين ، او بغرامة لا تتجاوز مائة ليرة ) . اية كرامة ابدت هذه المادة للمرأة ؟ انها اباحت للرجل ان يزني في دار الزوجة مرة واحدة دون عقاب ولا جزاء . فاذا اراد ان يزني مرة اخرى فلا بأس ، ولكن في غير دار الزوجية ! وهناك امر آخر لا يقل نطاعة فهو ان المادة ٢١٦ من القانون المذكور قد نعمت على ان دكل من فاجأ زوجته او احدي محارمه في فراش واحد مع عشيقها وقتلها في الحال يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنين . ان المشرع يحايي الرجل في هذه المادة فيخفف عنه العقاب من الاعدام الى الحبس ولكنه لا يعامل المرأة نفس المعاملة ، اذا كانت في نفس الموقف . وقد قيل في تحليل تخفيف العقاب عن الرجل القاتل في هذا الظرف ان القانون يقرر ان له كرامة ونخوة تستلزم التخفيف عنه ، كان ليس للمرأة كرامة ولا نخوة . (٩)

والمرأة العراقية محرومة حرماناً تاماً من حقوقها السياسية . (١٠) ليس بإمكانها ان تنتخب ، اي ليس بإمكانها ان تبدى رأياً في مشاكل البلاد التي تتحمل من اعبائها مثلاً يتحمله الرجل . ومن الطبيعي ان تحرم المرأة من حقوقها السياسية في هذا المجتمع الذي لا يسمح لها بان تكون سيدة ناسها ، القابضة على زمام مصيرها . هذا المجتمع الذي يعتبرها نصف انسان ، دبتما اذا قتلت ، نصف ذية الرجل ، اذا استطاعت ان تحصل على شيء ، وشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد .

(٩) الحقوق السياسية للمرأة العراقية ، جريدة صدى الاهالي ، عدد ٢٨٥ ، ١ ايلول ١٩٥٠

(١٠) اداعت لجنة حقوق المرأة ، التابعة لمنظمة الامم المتحدة ، في احصاء لها ان النساء يتمتعن بحقوقهن السياسية كاملة في خمسين دولة ، وفي ثمان دول فقط يتمتعن بحقوق سياسية غير كاملة ، وفي ثلاث عشرة دولة متأخرة لم يحظ المرأة بحقوقها ومن هذه الدول العراق . المصدر السابق

تليق  
بأن  
تذكر  
أن  
المرأة  
عند  
الرجل  
من

على ان حرمان المرأة من حقوقها السياسية ، ومن حق الانتخاب بصورة خاصة ، ظلم صارخ ، ومخالفة صريحة لروح نظام الحكم في البلاد ، ولا يسط القواعد في الشريعة الانسانية . فالحقوق مرتبطة بالواجبات ، كما يقول المشرعون محققين . ولكن المرأة العراقية تؤدي الواجبات الضخمة الملقاة على عاتقها ولا تتمتع مقابل ذلك بما يناسبها من حقوق . فهي تدفع الضريبة ولا تشرف على الميزانية ، وهي تتحمل من جراء هذه الفتن والثورات التي تحدث في البلاد بين حين وآخر اعباءا ثقالا ، فهي ملقاة مضطربة ، موقرة ما كان ابناؤها او اقرباؤها في الحرب ، فاذا ما فجعت باحدهم عاشت عمرها البقية اللوعة والاحزان ، او القربى المترب في اكثر الاحيان ، ومع كل ذلك لا يحق لها ان تقول كلمتها في هذه الفتن والثورات ، وهي تخضع للقوانين ، وكثير منها جائر بالنسبة لها ، ولكنها لا تشترك في تسريعها . ونظام الحكم في العراق نظام ديمقراطي ، والنظام الديمقراطي يقوم على حكم الاقلية ، والمساواة في منح الحقوق السياسية بين المواطنين جميعا . فاذا بقي من هذا النظام اذا ما حرمت المرأة وهي تؤلف نصف المجتمع ، من حقها في الانتخابات ؟ او قد انضم العراق الى منظمة الامم المتحدة ، ورضي بتحمل مسؤولية كل ما تصدره هذه المنظمة العالمية من اقامة وقوانين . وقد نصت المادة الاولى من ميثاق هيئة الامم المتحدة على ضرورة اعلان المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات ، وقد ايدت وثيقة حقوق الانسان هذه المساواة وأكدت عليها . وقد اصبح ميثاق منظمة الامم المتحدة بعد ان وافقت عليه الحكومة العراقية ، قانونا داخليا ، لا يقل شرعية ونفوذاً عن القوانين العراقية الرسمية التنفيذ . وعلى هذا فحرمان المرأة من حق الانتخاب مخالفة صريحة لقوانين اعترفت الحكومة العراقية بشرعيتها . يقول المتعصبون : ولكن المرأة العراقية جاهلة لا تدرك من امر السياسة شيئا ، فنقول : ان اغلبية الرجال في العراق جهلاء ، فهل حال جهلهم هذا دون تمتعهم بحقوقهم في الانتخاب ؟ وقد يقولون : ان اشتراك المرأة في السياسة يفسد عليها حياتها ، وينسبها واجباتها المنزلية ، فنقول : وهل افسدت السياسة الرجل ؟ وهل ضيعت عليه وقته ، وانتمت حرفته ، واحلت الاضطراب في عمله ؟ ان هي الا حجة باطلة يفرضها المتسلطون المتعصبون الجهلاء فرضا وسبغون عليها صفة الشعور بالمسؤولية الوطنية ، والمحافظة على تقاليد البلاد وشعائر الدين .

ان مركز المرأة في المجتمع من ادق المقاييس التي يحكم بها على طبيعة حضارة ذلك المجتمع ، وان درجة تحررها لذي القياس الطبيعي الذي يقاربه مدى تحرره .  
 لا محبان نجد المجتمع العراقي متأخرا ، منبدا بقتاليد البالية ، يعرج في مركب الانسانية . والحق ان المرأة العراقية على العموم ، تتحمل هذه القيود الثقيلة الويلة التي تفرضها عليها الاسرة ، وتتحمل الى ذلك هذا الجهل والمر والفقر الشديد ، والتأخر المزري ، التي يفرضها المجتمع على عامة العراقيين رجالا ونساء . فاذا اردنا للمرأة حرية تامة من هذه القيود التي تخفق حيوتها ونشاطها المبدع ، واذا اردناها ان تكون عضوا حرا ، نشيطا ، متفقا ، في المجتمع فنعليها ان تحرر الرجال ، عامة مما ينزفون به من قيود الجهل ، والمر ، والتعصب الاممي ، وهذه الاوضاع الاقتصادية الطافية التي تشل الارادة ، وتفسد طعم الحياة ، وتخذ جذوة ارجح . فاذا ما تثقف الرجل ، وصقلت الحضارة روحه ، وادرك عن وهي حفيظة ذاته ، قرب يوم تحرر المرأة .  
 على ان هذا لا يعني ان نصرف الجهد لان ، من قضية المرأة ، ونلغي الكفاح في سبيل حقوقها ، منتظرين تحرر الرجل ، واستقامة الحال في المجتمع ، بل الواجب يحتم على كل رجل واع ، وكل امرأة مثقفة ، ان يبذل كل ما في وسعه في سبيل هذه القضية العادلة . ان تحرر المرأة ، وانطلاق قواها المبدعة من اسارها ، سيعينان تطور المجتمع ، ورتبه ، وتقدم الحضارة اعانة عظيمة . وكلما نالت المرأة جزءا من حريتها وحقوقها مكنت لنفسها في المجتمع ، واصبح بإمكانها ان تخطو خطوة اخرى ، ارحب واثبت . ان المرأة الاوربية لم تنل ما تنعم به الان من حريتها وحقوقها الا بعد ان تقدمت الحياة الاقتصادية ، وارتقى المجتمع عامة ، وتحرر الرجل من قبضة الجهل والتعصب الاممي ، والا بعد ان جاهدت في سبيل حريتها جهادا متابرا ، منبدا ، منبلا .

## الفصل السادس

### التعليم

لاجل ان نعطي صورة كاملة للحالة الثقافية في البلاد ، ونعين المسؤولين من هذا الجهل الذي يعيش الشعب في ظلامه ، يتحتم علينا ان نتتبع مراحل التعليم منذ العهد العثماني حتى وقتنا هذا الحاضر .

#### التعليم في العهد العثماني

كانت التربية الدينية هي التربية الشائعة في البلاد .

فكان الطفل ، عند بلوغه الرابعة او الخامسة من عمره ، يدخل الى الكتاب او ما يعرف في العراق باسم <sup>١</sup>الملا . وكانت الكتاتيب تقوم عادة في الجوامع والمساجد والمدارس الملحقة بها ، او في دار الملا نفسه ، او في دار او دار كان يستأجرها لهذه الغاية . وكان الطفل يدرس القرآن ، فاذا ما انتهى من اتمام قراءته انصرف الى مساعدة والده في مهنته ، او استمر في دراسته ، فيتعلم تجويد القرآن والخط وشيئا من الحساب ويقرأ طرنا من اصول الدين وقواعد اللغة . وقد يبقى نفر قليل من الطلاب مستمرين على دراستهم ، فينتقلون في حلقات العلماء يدرسون علوم الفقه واللغة والتوحيد والحديث والتفسير وما اليها من العلوم الاسلامية ، وينالون بعد دراسة طويلة قد تستمر عدة سنوات اجازة باكمال التحصيل تخولهم حق التدريس . كانت المراحل الاولى من هذا التعليم عقيمة ، قليلة الجدوى . فكان كثير من الطلاب ينسون قراءة القرآن بعد مغادرتهم الكتاب بزمان . وكان كثير من يحتفظون بقابليتهم على قراءة القرآن لا يستطيعون ان يقرأوا في الكتب الاخرى ، لانهم لم يعودوا الا مطالعة القرآن وحده . اما التعليم الديني العالي فكان ضيق الافاق ، قديم الاسلوب ، متعجر المعلومات . كان على الطالب ان يستظهر الشروح والفتاوى ، ويرك افكاره بحفظ الاراء المتضاربة والفتاوى المتناقضة ، وما كان له ان يبدي رأيا مبتكرا ، او يدحض قولا قديما لاحد الائمة الاعلام ، فان الافتراء على ائوال السلف الصالح وقاحة لا يطبق عليها الاستاذ صبورا ، وخطيئة لا يغفرها لتلميذه .

---

١ . قد تكون هذه الكلمة مأخوذة من كلمة الملا اي الذي يملئ الدرس على الطلاب وقد تكون محرفة عن كلمة مولى العربية بمعنى السيد ، وتستعمل هذه الكلمة في العراق اسما للمحل الذي يتعلم فيه الطلاب وللشخص الذي يعلمهم .

على ان هذا التعليم ، على ما فيه من نواقص ، كان محدود النطاق ، اذ كان الذين يتعلمون في النساب من الاحداث اقلية ضئيلة بالنسبة لساكن السكان<sup>٢٠</sup> .  
ولكن هذا التعليم الديني القديم لم يعد هو المهيمن المطلق على الحياة العقلية في البلاد . فقد رأت الحكومة التركية نفسها ، منذ اوائل القرن التاسع عشر مضطرة الى ادخال الاصلاحات الشاملة في انحاء الامبراطورية . فانشأت المدارس الاعدادية العسكرية في استنبول ، كما انشأت المدارس الابتدائية والثانوية الملكية في مراكز الولايات والمصرفيات لاعداد الموظفين المدنيين . واسفرت تشكيلات المدارس الملكية ( الى المدنية غير العسكرية ) ، منذ العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، ملون الشكل الاتي :

(١) مدارس ابتدائية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

(٢) مدارس رشدية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

(٣) مدارس اعدادية : وكانت على نوعين : النوع الاول اعداديات الالوية

ومدة الدراسة فيها خمس سنوات ، الثلاث الاولى منها رشدية ، والنوع

الثاني اعداديات الولايات ، مدة الدراسة فيها سبع سنوات ، الثلاث

الاولى منها رشدية<sup>٢٠</sup> .

كانت هذه المدارس ، بمختلف درجاتها ، ضئيلة العدد في العراق ، لا يؤمها

الاعداد ضئيل من الطلاب ، ولا تمتد حاجة البلاد الى المعرفة . يؤخذ من الاحصاءات

التي نشرتها وزارة المعارف العثمانية ، في اوائل الحرب العالمية الاولى ، ان معاهد

التعليم الرسمية الموجودة في جميع الولايات العراقية كانت تتكون من ١٦٠ مدرسة

ابتدائية ، و ٤ مدارس ثانوية ، و ٣ دور معلمين ، ومدرسة صناعية ، وكلية حقوق . وكان

عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية ٧١٢٨ ، وعدد طلاب المدارس الثانوية ٣٢٩ ،

وعدد طلاب كلية الحقوق ٢٤٤ . وعدد افراد الهيئة التعليمية ٣٢١ معلما في المدارس

الابتدائية ، و ٤٩ في المدارس الثانوية ، و ٢٢ في دور المعلمين ، و ١٠ في كلية الحقوق

٢٠ للاطلاع على التربية الدينية في العراق في العهد العثماني راجع مقالة الاستاذ

احمد حسن السلطان ، التعليم في العهد العثماني ، مجلة المعلم الجديد ( بغداد

شباط ، ١٩٤٧ ) ، السنة الحادية عشرة ، ج ١ ، ص ١١٠ . وكذلك " حولية " ص ٣ - ٤

٢٠٢ " حولية " ص ٦ - ٧ .

وكان ١٢ مدرسة من المدارس الابتدائية خاصة للبنات - وكان فيها ٢٥٦ تلميذة و ٣٢ معلمة<sup>٤</sup>

وما كانت هذه المدارس ، الى جانب ضآلة عددها ، مستوفية شروط التعليم الصحيحة ، مستكملة الالات ، مجهزة بوسائل الايضاح الضرورية ، لضآلة ما كانت تنفقه الحكومة العثمانية عليها . فقد كانت ميزانية ولاية بغداد . . وكانت تشمل آنذاك بغداد والحلة وكربلاء والرمادي والكوت وديالى ، تبلغ نحواً من ٣٤٦٠٠٠ ليرة عثمانية ، منها ١٦٠٠٠ ليرة عثمانية مخصصة من الميزانية العامة وتصرف على مدرسة الحقوق والمدرسة الثانوية ، والمبلغ الباقي وقدره ٢٥٨٠٠٠ ليرة عثمانية يجبى من الضرائب المحلية وتصرف على المدارس الابتدائية والاعدادية والكليات وغيرها<sup>٥</sup> . وكانت المناهج الدراسية مشوشة ، مرتبكة ، قليلة الفائدة بحياة الناس ، قليلة العناية بحاجة البلاد . وكان المعلمون قليلي الثقافة ، ضحي في الكفاية ، وكانت اللغة التركية هي لغة التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية . وحلى نواهد اللغة العربية كانت تدرس وتشرح باللغة التركية . وقد كان هذا احد العوامل الكثيرة التي نفرت الناس من التعليم وحالت بينهم وبين ارسال ابنائهم الى المدارس لان هذه الحالة كانت تحول دون استفادة الشعب من هذه المؤسسات التعليمية استفادة كبيرة ، لان الانتماء اليه كان ينحصر تقريباً - لهذا السبب - باولاد الموظفين من جهة واولاد الوجوه الذين يتصلون بدوائر الحكومة اتصالاً وثيقاً من جهة اخرى<sup>٦</sup> . وهناك عامل ديني ، مذهبي ، نفّر سماً كبيراً من العراقيين البعيه من المدارس الرسمية ، الى جانب عامل اللغة هذا . حيث ان التعاليم الدينية التي يلقن بها الاطفال كانت متحصرة في المذهب المسمى<sup>الشيعة</sup> فادى هذا بطبيعة الحال الى ابعاد سكان الفرات عن هذه المدارس واوجد من هذه الناحية ظهور الدعاية عند البعض بتحريم التعليم والدراسة في المدارس ، والذي لم يزل اثره باقياً عند الجسر حتى في الايام الاخيرة<sup>٧</sup> .

٤ . المصدر السابق ص ١٩٢ وراجع كذلك ص ٢٣٤

٥ . احمد حسن السلطان ، التعليم في العهد العثماني ص ١٣ .

٦ . "حولية" ص ٩ - ١٠ .

٧ . فارس ص ٦٢ وكان خوف البزديية من ان يتعلم اولادهم مبادئ الاسلام ويصبحوا مسلمين هو الذي حدا بهم الى تحريم القراءة والكتابة ، وتحريم انشاء المدارس ، (تابع على الصفحة التالية)

والى جانب هذه الكتائب والمدارس الرسمية كانت تقوم مدارس اخرى للاقليات الدينية وللارسلالات التبشيرية . فقد اهتمت الاقليات الدينية بتعليم ابنائها ، فاسست المدارس ، ولم تبخل عليها بالمال والمعلمين . اسست الطائفة الاسرائيلية ، في بغداد والبصرة ، مدرستين كبيرتين ، يتعلم فيها الطلبة مبادئ اللغة العامة بالإضافة الى اللغة العبرية والعلوم التجارية . وكانت الاديرة والكائس المسيحية في الموصل وبغداد والبصرة مدارس تعلم مبادئ اللغة العربية والعلوم الحديثة بالإضافة الى مبادئ الدين المسيحي . كما شعرت الارسلالات التبشيرية بان خير وسيلة لنشر مبادئها الدينية هي انشاء المدارس . فاسس الكرمليون مدارس في بغداد والبصرة ، وانشأ الدومينيكان مدارس في الموصل ، واقام البروتستانت مدرسة كبيرة في البصرة . (٨) وقد ساهمت هذه المدارس بتعليم نفر من ابناء الشعب ، وفتحت افكارهم للعلوم المعاصرة ، وان كان اثرها محدود النطاق ، ومعارنها مشوبة بالروح الدينية المذهبية .

هكذا كانت حالة الثقافة والتعليم في العهد العثماني : شعب غارق في الجهل ومدارس رسمية قليلة العدد تحاول "تثقيف" الشعب فينفر الشعب منها ، وكتائب تعلم قراءة القرآن ولا تفيد الطلاب الا قليلا ، ومدارس دينية وطنية واجنبية منطوية على ذاتها محنة بنشر مذاهبها ودياناتها . وهم الدولة العثمانية العلية ، بعد كل ذلك ، ابناء الشعب على جهل ، حتى يتسنى لها استعبادهم ، وسلسلها قيادهم . ونزل الانكليز في الاراضي العراقية فاتحين ، فورتوا هذا التراث الويل ، وحملوا على مواقيهم ، طوال سبع سنوات ، هذا العبء الثقيل .

التعليم في عهد الاحتلال البريطاني :

يمكننا تقسيم هذه الفترة ، من حيث شؤون المعارف ، الى مرحلتين :

(١) بين احتلال البصرة وبين احتلال بغداد (١٩١٤ - ١٩١٧) ،

(٢) بين احتلال بغداد وبين تأسيس حكومة الوطنية (١٩١٧ - ١٩٢١) .

المرحلة الاولى احتل الانكليز في المرحلة الاولى البصرة والقسم الجنوبي من العراق .

يقول اسماعيل بك جول في "البزديفة قديما وحديثا" ص ٢٢ "في بلادنا ، في تركيا ، ممنوع عندنا افتتاح المدارس خوفا من الاسلام لئلا يجلبوا اولادنا الى ديانتهم"

(٨) احمد حسن السلطان ، التعليم في العهد العثماني ، ص ١٤ .



وجدوا انفسهم بحاجة الى موظفين من العراقيين يتقنون اساليب الادارة ويطيعون  
التكلم بلغة المحتلين . ولم تجد الحكومة المحتلة ضالتها بين الفئة المتعلمة من ابناء  
البلاد ، فعزمت على انشاء المدارس التي تعد لها ما تحتاج من الموظفين . وقد  
جابهت السلطة البريطانية صعوبات جمة في التعليم . فالمدارس القليلة التي كانت  
قائمة في العهد العثماني اقلقت معظمها ابوابها ، وهدم ونهب كثير منها ، اثناء زحف  
الجيوش البريطانية ، كما انهزم معظم المعلمين ، وكثيرون منهم قرب ، مع الجيوش العثمانية  
المنسحب الى الشمال . وعهدت السلطات البريطانية بتنظيم المعارف الى البصرة  
الاميركي ، مستر فان ايس ، مدير المدرسة الاميركية في البصرة . اسس فان ايس مدرسة  
ابتدائية في البصرة ، واخرى في ابي الخصيب ، وثالثة في الزبير ، ورابعة في الناصرية ،  
 وخامسة في القرينة . ولم تكن السلطة المحتلة بالتعليم الثانوي بل تركته الى  
المدرسة الاميركية ، مدرسة الرجاء العالي . ولعل فقدان المعلمين المقدرين هو  
الذي حال دون فتح مدرسة ثانوية رسمية . وعهد امراءداد المعلمين الى المدرسة  
الاميركية ايضا مقابل مساعدات مالية تقدمها لها السلطة المحتلة . كما قدم حكومة  
الاحتلال مساعدات مالية الى مدرسة الكرمليين ، ومدرسة الكلدان ، ومدرستي الاميركان  
للبنات والبنين . (١)

#### المرحلة الثانية

بعد ان تم للانكليز احتلال العراق باجمعه ، في عام ١٩١٨ ، اخذوا  
في تنظيم الادارة المدنية في البلاد ، فانشأوا مديرية المعارف العامة . قسمت البلاد  
الى ثلاث مناطق ، الشمالية ومركزها الموصل ، والوسطى ومركزها بغداد ، والجنوبية  
ومركزها البصرة . وكان مدير كلا من هذه المناطق مدير معارف بريطاني . كما انشأ  
المشرفون على التعليم مجلسا استشاريا للمعارف يضم عددا من وجهاء العراقيين ورجال  
الثقافة ، على ان اثر هذا المجلس في توجيه سياسة التعليم كان ضعيفا .  
وضعت ادارة المعارف منهجا للتعليم مستمدا من المنهج المصري ، كما استعملت  
الكتب المصرية في كافة مراحل الدراسة ، نظرا لقلة الكتب وصعوبة الطبع ، وعدم وجود  
مؤلفين عراقيين يجيدون وضع الكتب المدرسية .

---

(١) احمد حسن السلman ، التعليم في دور الاحتلال والحكومة وقتية ، المعلم الجديد  
(بغداد ، تشرين الثاني ١٩٤٨) ، السنة الثانية عشرة ، ج ٢ ، ص ١٦ - ١١ .

واستعانت مديرية المعارف بالمعلمين القدامى • واستخدمت كثيرا من علماء الدين لتعليم اللغة العربية والدين • ولأجل ان تتخلص من الكفايات عينت بعض شيوخها مدرسين في المدارس الابتدائية • فاعلقوا كتابتهم • وتحول تلاميذهم الى مدارس الحكومة • ولكن التعليم الابتدائي لم ينفذ بفرض الحكومة المحتلة • فاهتمت بالتعليم الثانوي • وقد استعانت بالمدرسين السوريين والعصريين والبريطانيين • لعدم وجود مدرسين مراقبين قادرين على لتعليم الثانوي • وتم تنظيم المدارس في هذا الدور على الاسس التالية:

- (١) مدارس اولية • مدة الدراسة فيها ٤ سنوات • لا تدرس خلالها اللغة الانكليزية •
  - (٢) مدارس ابتدائية • مدة الدراسة فيها ٤ سنوات • يتقدمها سنتان اوليتان • ويبدأ تعليم اللغة فيها اعتبارا من الصف الاول الابتدائي •
  - (٣) مدارس ثانوية مدة الدراسة فيها ٤ سنوات • (١٠)
- كان عدد المدارس الابتدائية والاولية • في نهاية عام ١٩١٨ • عشرين مدرسة يعلم فيها ١٢٥ معلما • وفتحت • في عام ١٩١٩ • ٢١ مدرسة جديدة وبلغ عدد المعلمين جميعا في المدارس الابتدائية ٣٠٠ معلم • وفي نهاية ١٩٢٠ بلغ عدد المدارس الابتدائية والاولية ٨٥ مدرسة للبنين و ٥ مدارس للبنات • وبلغ عدد المعلمين والمعلمات ٦٠٠ • اما عدد الطلاب في هذه المدارس فبلغ ٦٢٤٣ طالبا • بنسبة طالب واحد لكل ٤٦٢ فردا من الشعب • (١١)

اما التعليم الثانوي فكان توسعه محدودا • وقد انشئت مدرسة ثانوية واحدة في بغداد • واخرى في الموصل • وانشئت صفوف ثانوية في احدى مدارس البصرة الابتدائية • كما ان الحكومة لم تعن بالتعليم العالي • لاعتقادها بان البلاد احرى الى التعليم الابتدائي منها الى التعليم العالي • وقد اعادت فتح كلية الحقوق • وانشأت دافرا للمعلمين كانت مدة الدراسة فيها ٦ اشهر ثم زيدت الى سنة • وانشأت كذلك دار معلمات في سنة ١٩٢٠ كانت مديرتها انكليزية • وفتحت مدرسة للصناعة • كما هيئت دورات باعداد المساحين ومعاوني المهندسين الذين يمكن استخدامهم في الاسغال العامة • (١٢)

---

(١٠) (حولية) ص ١٩٣ - ٢٠٠

(١١) التقرير الاداري للمعارف • لعام ١٩١٨ • ص ١٠ نقلا من احمد حسن السلطان التعليم في دور الاحتلال • ص ٢٤

(١٢) المصدر السابق ص ٢٥

ان التعليم ، من حيث الكمية ، لم يعمل حتى المستوى الذي كان عليه في العهد العثماني . وكان اهتمام السلطات البريطانية منصرفا الى تهيئة موظفين يتولون الادارة المدنية ، ولم يكن من ههما تثقيف الشعب ونشر المعرفة بين ابناءه . وعلى هذا فقد بقيت الاقلية العظمى من الشعب ، كما كانت في العهد العثماني ، امية جاهلة . وكانت حصة المعارف من الميزانية العامة ضئيلة اقل كثيرا من حصة الشرطة والسجون . فقد بلغت ميزانية المعارف في سنة ١٩١٥ المثلح ١٦ (٦٥٠٠) روبية اي نحو ٠٠٤ بالمائة من الميزانية العامة وكانت في السنة التالية ١٩١٦ - ١٧ (٢٢٥٣٠) روبية ، وفي سنة ١٩١٧ - ١٨ (٣٥٥٠٠) روبية ، وفي سنة ١٩١٨ - ١٩ (١٨٠١٠٠) روبية اي نحو ١٠ ١٧ بالمائة من الميزانية العامة ، وبلغت في نهاية هذه الفترة ١٩١٩ - ١٩٢٠ (٨٨٤٨٠٨) روبية اي نحو ١٤ ٨٦ بالمائة من الميزانية العامة . (١٣)

اما مستوى الثقافة في المدارس فكان اسفينا من هذا . وذلك يرجع الى عدة اسباب جوهرية اهمها : قلة المعلمين ، وظالة ثقافتهم ، وانحطاط كفايتهم التعليمية . لقد كان قسم منهم من بقايا المعلمين في العصر العثماني ، ومن فقهاء الكتاتيب وعلما الدين فالذين قد يتقنون المادة التي يدرسونها ، ولكنهم لا يحسنون تدريسها ، اذ لم يكونوا مطلعين على الطرق المتدريـرة الحديثة ، ووسائل التربية العلمية . يضاف الى هذا ندرة الكتب المدرسية المتاحة . ثم ان منهاج المعارف ذاته كان مقتبسا من المنهاج المصري فكان بذلك بعيدا عن ذمنية الشعب غير وان بحاجات البلاد . ومن اهم عثرات التعليم في هذه المرحلة او قل اهم سيئاته ، ان ادارة المعارف كانت تنسجع المدارس الطائفية ، وتفتخ المجال امام الروح الطائفية على حساب وحدة البلاد والتنمية . (١٤)

والحق ان عمل ادارة المعارف خلال هذه الفترة القصيرة التي كانت الثوات البريطانية تغور خلالها حريا طاحنة ، والتي جابهت في نهايتها ثورات دموية في معظم انحاء البلاد كان ممتازا في بعض نواحيه . فقد كان التعليم مجانيا في جميع مراحل وحتى في المدارس العالية . كما كانت الحكومة تساعد احيانا بعض الطلاب في المدارس الثانوية والمدارس العالية تشجيعها لهم على اكمال دراستهم . كما ان اللغة انجليزية أصبحت لغة التعليم ، وان كان الاهتمام باللغة الانكليزية قليلا ، وهذا ما حبيب المدارس للطلاب ، وشجع الشعب على الانبان عليها في ما بعد .

(١٣) المصدر السابق ص ٢٤

(١٤) انظر امين الريحاني ، "قلب العراق" (بيروت ، ١٩٣٥) ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

التعليم في عهد الحكومة الوطنية

اهتمت الحكومة الوطنية بالتعليم نتيجة لحاجتها الى عدد كبير من الموظفين يشغلون وظائفها الكثيرة ، وللوهي الاجتماعي الذي انبعث في المدن ودفع الناس الى الاهتمام بتعليم ابنائهم وبناتهم . وكان طريق وزارة المعارف شائكا محفونا بالصعاب . فقد كان المعلمون الذين يجيدون التدريس قلة في البلاد والابنية التي لا تصلح لان تكون مدارس معددها قليلة . والكتب الدراسية غير متميزة ، والمناهج الدراسية فوضى واقليمية الشيعب ال احقة امية جاهلة لا تقدر العلم ولا تتعاون مع الحكومة وينعها فقرها المدفع من يد المساعدة للمدارس واعانة التعليم ، واقنياً الامة اميون او اشباه اميين لا يهتمون بالعلم ، ولا ررون ضرورة لتثقيف الشعب . ولكن وزارة المعارف مضت قدما فحققت في التعليم تقدما ملحوظا . واقلمت الثقافة في البلاد على اسس قوية ، وان كان التثنيان الذي اشادته ناقما من نواح مختلفة مهمل البناء من نواح اخرى . كان عدد المدارس الابتدائية الرسمية للبنين والبنات في عام ١٩٢٠ - ١٩٢١ (٨٨) وعدد المعلمين ٤٨٦ ، وعدد الطلاب ٧٤٥٢ . فاصبح عدد المدارس الابتدائية الرسمية في عام ١٩٤٢ - ١٩٤٨ ، ٨١٨ وعدد المعلمين ٥٤١٥ وعدد الطلاب ١٢١٢١٣ وكان عدد المدارس الثانوية في سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ عدد المدرسين ٢٤ وعدد الطلاب ١١٠ فاصبح عدد المدرسين ٧٠٥ وعدد الطلاب ١٤٢٨٨ (١٦) . ولم يكن اثر الحكومة الحسن في التعليم منحصرا في تكثير عدد المدارس واتساح المجال لعدد كبير من ابناى الشعب لتلقي العلوم بل ان الحكومة يسرت مجال التعليم فجعلت الدراسة في المدارس الابتدائية وفي كثير من الكليات مجانية واجور الدراسة في المدارس الثانوية وبعض الكليات زهيدة لا يعجز اكثر الناس عن دفعها . وتقوم وزارة المعارف بتوزيع الكتب والقرطاسية على الطلاب الفقراء مجانا ، كما انها انشأت في بعض المدارس الثانوية ودور المعلمين وبعض الكليات الاخرى اتساما داخلية يعبر فيها الطلاب مجانا او يدفعون اجورا قليلة . ثم قامت بخطوة جيدة اخرى وهي توحيد التعليم في كافة انحاء البلاد . فجعلت اللغة العربية

(١٥) (حولية ) ص ١٩٦

(١٦) المصدر السابق ص ١٩٨

لغة التدريس في جميع المدارس الرسمية ، ما عدا الأماكن التي لئنها المحلية غير رسمية ،  
تقرر لغة التدريس في مدارسها الابتدائية بقرار من مجلس الوزراء . وقيدت المدارس الاهلية والاجنبية  
بقيود عديدة ، وأخضعها لمراقبة وزارة المعارف بحيث تضمن ان تكون هذه المدارس مشابهة للمدارس  
الرسمية في مناهجها . وطرق تعليمها ، وانظمتها ، والمواد العملية التي تلقنها لطلابها . فلا  
يجوز ان تؤسس مدرسة اهلية او اجنبية مهما كان نوعها او درجتها العلمية الا باجازة خطية من وزارة  
المعارف ( ١٧ ) وعلى هذه المدارس ان تستخدم المعلمين الذين تعينهم او تعيرونهم وزارة  
المعارف لتدريس الجغرافية والتاريخ والدروس الوطنية واللغة العربية ( ١٨ ) كما تشرف وزارة  
المعارف على ملاك مدرسيها وميزانياتها السنوية ( ١٩ ) وسعين مديرو هذه المدارس ومعلموها بموافقة  
وزارة المعارف ( ٢٠ ) وتكون لغة التدريس اللغة العربية والتاريخ والجغرافية والدروس  
الوطنية حسب منهج وزارة المعارف وفي الكتب المقررة له باللغة العربية الزاميا ( ٢١ ) كما  
يجب ان تقرر مناهج التدريس والكتب في هذه المدارس بمصادقة وزارة المعارف ولا يجوز  
تغييرها الا بموافقة وزارة المعارف . وهكذا ألحقت الحكومة للشعب ثقافة موحدة وخلصت البلاد  
من هذه الفوضى الفكرية التي تخلقها المدارس الخاصة والمدارس الاجنبية الشائعة في بعض  
الاقطار العربية والتي تخضع لنظام تربوي موحد ، ولا تتقيد بخطة عامة موحدة للتعليم .  
واهتمت وزارة المعارف باعداد المعلمين ونتيجة للتوسع في فتح المدارس في مختلف انحاء  
البلاد غابشات دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٢٣ وكلفت مكونة في بادئ الامر  
من صفوف مسائية يشترك فيها معلموا المدارس الابتدائية الذين يترجون اعداد انفسهم للتدريس  
في المدارس الثانوية . وفي سنة ١٩٢٧ تحولت الصفوف المسائية الى صفوف نهائية يقبل فيها  
خريجو الدراسة الثانوية او ما يعادلها ، وكانت مدة الدراسة فيها سنتين . وفي سنة  
١٩٣١ اغلقت هذه المدرسة ثم اعيد فتحها في سنة ١٩٣٥ وفي سنة ١٩٣٧ اصبحت مدة  
الدراسة في هذا المعهد ثلاث سنوات . وفي سنة ١٩٣٩ اصبحت مدة الدراسة اربع سنوات  
وبدأت تقبل الطالبات . ويوجد الان في هذا المعهد خمسة اقسام دراسية . قسم الاداب  
وقسم الاجتماع ، وقسم الطبيعيات ، وقسم الرياضيات ، وقسم اللغة الانكليزية ، وقد استطلع  
هذا المعهد ان يخرج منذ تاسيسه حتي نهاية السنة الدراسية ١٩٤٦ - ٤٧ ( ٦٢٣ ) طالب

( ١٧ ) قانون المعارف سنة ١٩٤٠ الفصل الثامن ، مادة ٢٦ نقلا

( ١٨ ) ( حكاية ) المصدر السابق مادة ٢٧

( ١٩ ) المصدر السابق مادة ٢٨

( ٢٠ ) المصدر السابق مادة ٢٩

( ٢١ ) المصدر السابق مادة ٣٣

وطالبة (٢٢) • وبلغ عدد الطلاب فيه ١٩٤٧ - ٤٨ (٥٣٢) منهم ١٧٨ من البنات (٢٣) وأنشأت معهد الملكة عالية سنة ١٩٤٥ ليكون بمثابة دار المعلمين العالية • والغرض من انشاء هذا المعهد هو انصاح المجال للدراسة لبنات العائلات المحافظة التي لا تحبذ اختلاط الجنسين في المدرسة • وكان عدد الطالبات هذا المعهد في سنة ١٩٤٦ - ٤٧ ١٦٣ واصبح عددهن في سنة ١٩٤٧ - ٤٨ ٢٣٢ (٢٤) - ويوجد عدد من المعاهد لاعداد المعلمين والمعلمات للمدارس الابتدائية والاولية •

(١) دار المعلمين الابتدائية ببغداد مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد الدراسة المتوسطة •

(٢) دار المعلمات الابتدائية ببغداد • مدة الدراسة فيها سنتان بعد الدراسة الاعدادية الكاملة •

(٣) دار المعلمات الاولى ببغداد مدة الدراسة فيها اربعة سنوات بعد الدراسة الابتدائية

(٤) دور المعلمين الرفيعة في الرستمية وفي المحاول وفي دهوك وفي بعقوبة (٢٥) مدة الدراسة فيها خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية • وكان عدد الطلاب في دور المعلمين سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ (١٤٥٤) وعدد الطالبات في دور المعلمات ٢٤٤ (٢٦) وقد تخرج في دور المعلمين الابتدائية والرفيعة منذ سنة ١٩١١ - ٢٠ الى نهاية سنة ١٩٤٦ ٤٧ (٣٠٣٢) طالبا وتخرج في دار المعلمات الابتدائية والاولية منذ سنة ١٩٢٣ - ٢٤ الى نهاية سنة ١٩٤٦ ٤٧ (١٢١٨) طالبة • (٢٧) •

وارسلت الحكومة عددا من الطلاب والطالبات الى مختلف الجامعات الاجنبية لتستعين بهم في التدريس وفي الاعمال الحكومية الاخرى • وكان عدد الذين ارسلتهم الحكومة منذ سنة ١٩٢٢ - ٢٣ الى سنة ١٩٤٦ ٤٧ ٨٣٦ عاد منهم ٤٧٦ يحملون شهادات دراسية (٢٨) •

وانشأت في عام ١٩٢٧ كلية للطب وكلية للصيدلة • واسست في سنة ١٩٤٢ كلية للهندسة وكلية التجارة والاقتصاد في سنة ١٩٤٧ • وكلية الاداب والعلوم في سنة ١٩٤٩ لتكون نواة للجامعة العراقية التي تفكر الحكومة بتاسيسها •

(٢٢) حولية ص ٢٦٠ (٢٣) حولية ص ٢٧٧

(٢٤) حولية ص ٢٨١

(٢٥) الغيت دار المعلمين الرفيعة في المحاول سنة ١٩٤٨ ونقلت رتبة للتسمية الى الكراة الرسمية واندجت فيها دار المعلمين الرفيعة في بعقوبة ثم نقلت الى بناية دار المعلمين الرفيعة في بغداد هذا العام لتندم بنايتها بفعل الفيضان في الربيع المنصرم •

(٢٦) حولية ص ٢٥٥ (٢٧) حولية ص ٢٦٠

(٢٨) حولية ص ٣٠٢



ارتفاعاً في سنة ١٩٣٨ - ٣٩ حيث وصلت إلى ١٦١ ٪/٠ من الميزانية تم اخذت في الانخفاض في السنوات التي اعتبرت انتعاشاً الحرب (٣٣) وبينما كانت المعارف وحصلتها من الميزانية الاعتيادية لسنة ١٩٤٦ - ٤٧ (١٧٣٧٦٠٤) ديناراً (١٦٧٦٨٧١) ديناراً (٣٤) على ان وزارة المعارف عملوا تحت المشر للمعارف (٥٤٧٦٨٧١) ديناراً وللشؤون (١٤٨٧٦٨٧١) ديناراً على ان وزارة المعارف لو اهتمت بالامر ومالجت القضية بحكمة وتبصر وحزم لاتاحت فرصة التعلم بمواردها القليلة الحاضرة لاكثر من نصف الاطفال الذين هم في سن الدراسة الابتدائية ان ٢٠ ٪/٠ من بنائات المدارس الابتدائية لا تملح لان يتخذ مدارس فمن مجموع بنائات المدارس يوجد ٣٧٩ مدرسة بنائات مستاجرة و ٧٧ مدرسة بنائاتها اكواخ وحرائف . وهذه الابنية التي لم تتشأ في الاصل لتكون مدارس لا شك ان تكون خيفة مفتقرة الى المرافق الصحية والمساحات الضرورية عاجزة عن استيعاب العدد اللازم من الطلاب . ولو كانت جميع بنائات المدارس الابتدائية متساة لان تكون مدارس لا يمكن ان يتعلم فيها ما يقرب من ٢٤٦٠٠٠ طالب وطالبة بالكلفة نفسها . ودون الاضرار الى زيادة عدد المعلمين . فمجموع الصفوف في المدارس البنين والبنات الابتدائية ٤١٦٣ صفاء وان العدد المقرر للطلاب في الصفوف الواسعة <sup>(٣٥)</sup> الية اربعون طالباً . فلا بد ان تسع تلك الصفوف ٢٤٦٥٢٠ طالباً وطالبة (٣٥) .

والى جانب هذا النقص الكلي الخاير في التعليم الابتدائي توجد نقائص اخرى لا تقل عنه خطراً وشراً فالمدارس الابتدائية بالاضافة الى كونها غير كافية لساجة البلاد غير موزعة في انحاء القطر توزيعاً عادلاً منتظماً . ولا تتبع وزارة المعارف سياسة معينة في فتح المدارس بل تعتمد الى مدى السكان اللوا ومدى نفوذ رجاله عند الحكومة . فاذا ما كان العدد الفعلي للملبة الدراسة الابتدائية في لواء الدليم مثلاً ٣٠ ٪/٠ مما يجب ان يكون فانه في مدارس اربيل ما يكاد يبلغ ١١ ٪/٠ مما يجب ان يكون (٣٧) . ومدارس البنات غير موزعة توزيعاً منتظماً في انحاء البلاد . ان تعليم البنات يسير سيراً مرفحاً في الية بغداد والموصل فقط . اما في الية الاخرى فلا يزال متدنياً وعلى الاخرى في الية الديوانية والمنتفك ودياربي واربيل . وهناك الية لا توجد مدارس للبنات في قرادها كاليه كركوك والنظيم والكوت والحلة وكربلاء والديوانية والمنتفك (٣٨) . وقد انخفضت سوية التعليم في السنوات الاخيرة انخفاضاً واضحاً . فقد زاد الالتحاق بالمدارس الابتدائية في المدن . وانضمت وزارة المعارف الى فتح مدارس جديدة وهذا اضطررها الى

(٣٣) حولية من ١٩٣٤

(٣٤) (المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧) ع ١٢٤

(٣٥) احمد حسن السلمان التعليم الابتدائي ص ٥٠

(٣٦) المدرس السابق ص ٦٠

(٣٧) المصدر السابق ص ٤٧

(٣٨) التقرير السنوي ص ١٣



استخدام عدد كبير من متخرجي دور المعلمين الريفية ودور المعلمات الأولية ذات المستتين والثلاث سنوات والاربع سنوات بعد الدراسة الابتدائية كما استخدمت عددا من متخرجي الدفعة الثانية الذين لم يعدوا اعدادا فنيا لمهنة التعليم . يضاف الى هذا ضالة ميزانية وزارة المعارف التي تثارها في سوء البنيات وكثرة وسائل الايضاح ، وتندرة الكتب .

وجيب ان نذكر ان كثيرا من الدلائل الذين يدخلون المدارس الابتدائية يشق النفس لا يتقون دراستهم فيها بل يتركونها قبل ان يحصلوا على قليل من الثقافة الابتدائية . وفي هذا تصحيح لجهد المعلمين ، وإدارة المعارف والبلد عامة بصورة غير مباشرة . لا يزيد عدد المتخرجين في المدارس الابتدائية عن ربع الطلاب . فقد ان مجموع المقبولين في الصف الاول الابتدائي عام ١٩٤١ - ٤٢ ٢١٦٠٠ طالبا ، وكان مجموع المتخرجين في المدارس الابتدائية عام ١٩٤٥ - ٤٦ نحو خمسة الاف طالب . ( احمد السلطان التعليم الابتدائي ص ٦٠ - ٦١ ) . اين ذهب الباقون وعدد هم حوالي سبعة عشر الف طالب ؟ لا شك ان قصما منهم رسب وفي مداوما في المدرسة على ان اغلبهم تركوا المدارس ، وقوا عائلين مجهولين في بيوتهم او قفلوا الى محترق الحطب لمساعدة الأسرة ماليا ولا شك ان المسئول عن حرمان هذا العدد من الاحداث من التعليم هو الحالة الاقتصادية السيئة التي يعانيها معظم الحرفيين والعمال والكادحين في المدن الذين لا يستطيعون الانفاق عن ابناءهم طوال سنوات الدراسة كما ان جزءا من المسئولية لا بد ان يقع على عاتق المدرسة التي لا تستطيع ان تحتفظ بهذا العدد من الاحداث اما لسوء ادارتها او بسوء مناهجها ، وعدم وجود المشوقات فيها . يضاف الى هذا جهل كثير من الاباء الذين يجعلهم لا يهتمون للعلم والثقافة نائدة ، او منفعة لاشغالهم .

### التعليم الابتدائي الريفي

لا تقل نسبة سكان الريف العراقي من ٧٨ ٪ / ٨٠ مجموع السكان منهم واليهوس بالريف ال رائي ، ثقافيا وسجيا واقتصاديا ، من الدعائم الاولى للتطور بالشعب العراقي عامة . ونشر التعليم في الريف ضرورة تومية ماسة لا يرجي للعراق تقدم بدونها . ومع كل هذا فان الامة تخفق على الريف وير التعليم فيه بلا إنجاز وامانة نجاحه اذا استقرت اوضاع الريف القائمة على حالها ، ضئيلة . بلغت نسبة المدارس الريفية ، في سنة ١٩٤٥ - ٤٦ ٤٤ ٪ / ٥٠ من مجموع المدارس الابتدائية . ولكن عدد الطلبة مدارس الارياف اقل بكثير من عدد الطلبة مدارس المدن فان نسبتهم لا تتعدى ٢٤ ٪ / ٥٠ من مجموع الطلبة في المدارس الابتدائية الحكومية (٢٩)

(٢٩) احمد حسن السلطان التعليم الابتدائي ص ٥٥

(٤٠) « القرية العراقية » ص ٣٩

• بلغ عدد المدارس في الكويت ثمانية عشر (١٨) مدرسة تضم ٣٢٥٣٠ طالبا وطالبة  
ونوم بتعليمهم ١٥٦٨ معلما ومعلمة (٤٠) واغلب المدارس الريفيه ليس فيها صفاً الاول الا نصف  
العدد المطلوب او المتوقع اودون ذلك • وتنفذ هذه النسبة كثيرا في الصفوف العليا فقد  
لا نجد في الصف السادس الا احادا (٤١) •

وقد شاءت الحكومة ان تشرط التعليم في الكويت فرضا على الناصر فادخلت مادة في قانون المعارف  
العامة تستلزم جعل التعليم الابتدائي الزاميا في الاماكن التي تظن ان دواعي هذا النوع  
من التعليم او وسائل انجاحه تتوفر فيها • والمثلثة الحكومة التعليم الزامي في اربع عشرة مدرسة  
قرية من مدارس لواء الكويت عام ١٩٤١ • فكان مجموع طلبتها في ذلك العام يقرب من اربعمائة  
وبعد خمس سنوات اي في سنة ١٩٤٥ لم يزد عدد طلبتها اكثر من ٢١٩ طالبا فقط • وهذه  
الزيادة البسيطة كانت نتيجة من ثلثة اقسام نفسا دون حاجة الى فرض التعليم الزامي • اما في لواء  
دوالي وهو اللواء الثاني الذي اعلن فيه التعليم الزامي فقد زاد عدد الطلاب بنسبة ٣٠ / ١٠٠ •  
ولا شك في ان جزءا كبيرا من هذه الزيادة كان ناشئا عن تشجيع الحكومة انصار على الالتحاق بال  
المدارس وذلك بتوزيع الكتب والقرالسية واللوازم الاخرى على عليمين مجاني (٤٢)  
وكلفت لائحة فرض التعليم الزامي في المناطق التي اعلن فيها لائحة خيرية كثيرة الصعوبات تحتاج  
الى تعاون عدد كبير من الموظفين • (٤٣) • من ضمن المدرسة في اوائها ان عام دراسي بجميع المعلومات عن  
الفلاحين الجدد في القرية ومن اولادهم من الطلبة المسيحيين في المدرسة سابقا ومن قرارها  
المدرسة وينظم باسماء الاولاد واثاثهم ثمانية عشر من " منيف " الشيخ او الميركاك ليلا حيث  
يجتمع الفلاحون فدالب اليهم <sup>الشيخ</sup> ولد في المدرسة الرسمي ان يدرس ولده الى المدرسة فان  
امتنح احداهم او تخلت عن ارسال ابنه اسماعيل المدرسة كتب المضم كتابا الى اقرب مركز  
والى مديرية معارف اللواء <sup>الشيخ</sup> الباشا تقديم والد التلميذ المتفاني المحمودة • وامر بالاداء  
يحمل المشارة على الشراقة لتقدم الى المحكمة والشرطة بدورها تحلف القاضي وتقدم والد التلميذ  
الى المحكمة ان عشر عليه والا اخلت التهمة • وسكت عنه • وفي حالة العجز <sup>عن الدفع</sup> فان يقدم  
الى المحكمة فيحكم عليه بغرامة اثنية او ان يخلص سرا • ومن الغريب ان يذهب الى قسم المدرسة  
المدير الى المحكمة بدفعه شاحدا او مدنيا فيظهر الى ترب مدرسته وايضا في المدرسة غير ابعدة

ايام •

(٤١) ناجي يوسف «الريف والتعليم الريفي» مجلة المدام الجديد (يناير ١٩٤٩) ج ٦ ص ٦٠

(٤٢) احمد حسن السلطان «التعليم الابتدائي» ص ٨٥

يتوقف عدد ما على بعد المدارس من مقر المحكمة او قربها اليها . وفي احيان كثيرة يضطر المعلم الى التردد على المحكمة اباما متعددة لان القضاة التي يحضر فيها احيانا ترجل من اسبوع الى اخر . ولما كان في هذا الحال ضياع لاوقات المعلم وحاله فان في احيان كثيرة يتعين تقديم اسماء ابناء المتخلفين من الاولاد والطلبة الى المراكز الادارية . (٤٣)

ان الاسباب التي تعوق انتشار التعليم الابتدائي في الريف موائى تجعل التعليم الالزامي نائلا مما اتخذت الحكومة من حراسة ومما اتخذت من حيطة ومديدة متشعبة متبوع من مشاكل البند الاقتصادية والاجتماعية . فالنجاح العراقي نتيجة لنظام ملكية الارض الناحر ولناحر وسائل الزراعة فقير معدم يضطر الى تشغيل ولده ~~في الزراعة~~ معه في الزراعة بدلا من ارساله الى المدرسة . وهذا النجاح اجير يعتقد بقاؤه في المزارع رغبة المالك وعلى ارتعاه من معالجة المالك له . ولذا نراه غير مستقر . ينتقل من قرية الى اخرى . وانتقال المالكين مما يعوق دون تعليم اولادهم . وانما المعتبرين وماكو الراضي ثيرا ما يسولون دون انشاء المدارس في نراهم لتعليم بار النجاح المتعلم لا يمكن استغلاله بالم دولة التي يستغلون بها النجاح (٤٤) الناجح . وفي المدارس تحرم من ايد عاملة يريد ان يعمل في مزارعهم وخونهم .

يتبين ان مساندة جعفر خيا . : وانما كوا ان احد ابناء المالكين في لواء من الولاية من تلك المناطق الناحر في الدولة كجاني يوما . في وزارة المعارف . ويشكو من ان تامة مدرسة في وسط القرى النائية في اراضيهم الزراعية قد سبب عدم تيسير الرعاة لغفائه . يناشدني الكتب عن توسيع المدرسة وتنميتها . (٤٤) . ومهمة نشر العلم في الريف كبله التعليم الالزامي كمتطلب تعاون مختلف دوائر الحكومة مع ادارة المعارف . ولكن هذا التعاون شكلي او مفقود في اشراف الناحر .

ردونا انذكر ان المتصرف الذي زاره في احدى الالوية الجنوبية وقد ~~يذكر~~ يزار في وزارة المعارف كان يتناول في الالوية بنية الوقوف على احوال المعارف ويسأل عن التعليم فيها . فقد خاب اذا المتصرف الوقت بقوله : " لماذا تتجبرون انفسكم وتعلمون مثل المشرك ؟ ان دوا ~~الناظر~~ الناصر العسا لا المدرسة . " وقد صادفت المتصرف نفسه في لواء اخر يامر تانما احد اقمية التابعة له بردم الاسر التي شقة قبل مجيئه الى اللواء ايضا مدرسة في احدى القرى .

تبرع ببنائها احد النيوخ بعد ان ائتمعه القانظام وادارة المعارف بذلك . (٤٥)

(٤٣) احمد حسن السلطان التعليم الابتدائي ص ٥٧ - ٥٨

(٤٤) القرية العراقية ص ٥

(٤٥) المصدر السابق ص ٥٥ الصفحة نفسها

وماذا تجدي الفلاح ثقافته ؟ أين النوادي الثقافية في القرى ؟ أين المكتبات في القرى ؟ بل أين المكتبات المتنقلة توزع الكتب والمجلات والجرائد على الفلاحين ؟ الحق أن العلم والثقافة لم يصبحا حاجة ضرورية عند الفلاح . وما لم يصبح العلم ضرورة ، ما لم يجد الفلاح نفسه بحاجة إلى التعليم ، لا يقبل على العلم ولا هذه العوامل خارجة عن قدرة وزارة المعارف . ولكن يجب أن نضيف لها إهمال الوزارة وتقصيرها في حق التعليم الريفي . أن معظم ابنية المدارس الريفية أما صرائف بالية أو بيوت من الطين واللبن وجذوع النخل المتداعية وقليل من ~~البن~~ مبني بالاجرة . وهي خالية من الأثاث الجيد ومن وسائل الإيضاح المشوقة ، ومن الساحات ووسائل الراحة ، أي أنها لا تفرق من بيوت الفلاحين الكثيرة إلا قليلا ، وليس فيها ما يشوق الطفل ويجذبه إلى التعليم والبناء في المدرسة . وأعداد المعلم الريفي ناغص وثقافته سطحية ، ومعرفته بشؤون الفلاحين وعقليتهم ضئيلة . يضاف إلى هذا أن حالة المعلم الريفي مزروعة بائسة ، فراتبه ضئيل ، ومعيشته غير موفقة ، وبنته كخ ، وبقاؤه في الوسط الريفي الموحش يملا روحه مللا ، ويجعله لا ينشط في تعليمه . ومناهج التعليم في الريف لا تختلف عن مناهج التعليم في المدن مع ~~ذلك~~ ما في المحيطين من فارق هائل . فامدارس الريفية لا تعلم ابنا الفلاحين الطرق الحديثة في الزراعة وكيفية استعمال الآلات الزراعية والاستفادة من الأسمدة والمياه ، وطرق مكافحة الآفات الزراعية ، والاستفادة من الأسمدة الحديثة والطرق الفنية في تربية الدواجن ، لعدم خبرة المعلمين الريفيين بهذه المواضيع . ولعدم وجود مزارع حكومية نموذجية ملحقه بالمدراس ، ولعدم وجود الآلات الزراعية يستلج الطلاب أن يمتحنوا عليها . والنتيجة الحتمية للدراسة الحاضرة في الريف أن يسعى المتخرجون في هذه المدارس إلى الالتحاق بدور المعلمين أو في المدارس الأخرى ~~أو~~ أن استأعوا إلى ذلك سبيلا ، أو ينضموا ~~لها~~ في سلك الشرطة أو يصبحون فراشين وموظفين صغارا في دوائر الحكومة فيخسرهم الريف . ~~(لأن~~ يبقى منهم في القرى نسوهم ما ينسبون ما تعلموه ويعودون إلى حياة أبائهم وأجدادهم ويبفون كأكفان على جهلهم وخرافاتهم وعاداتهم العشائرية البدائية . وهكذا نرى أن المسؤولين عن تأخر التعليم في الريف لا يمكن أن يكون وزارة المعارف وحدها ، ولا الحكومة وحدها ، ولا نظام ملكية الأراضي وحدها ، ولا حالة الفلاحين الاجتماعية وحدها ~~و~~ بل كل هؤلاء مجتمعين . ~~(والعامل الاقتصادي هو~~ أهم هذه العوامل وأشد تأثيرا في عرقلة التعليم في المناطق الريفية . ومشكلة نشر التعليم وتوسيع دائرته متوقفة إلى حد بعيد على حل مشكلة الأراضي . فإذا ما حلت هذه المشكلة حلا يرفع من سوية حياة الفلاحين ~~بدون اللجوء إلى~~ وباخذ بيدهم لتحسين أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية نستحل مشكلة نشر التعليم بدون اللجوء إلى القانون وإلى المحكمة .

( أحمد حسن السلمان التعليم الابتدائي ص ٥٩ )

### مكافحة الأمية

لا تقدر مشكلة التعليم في العراق على الأحداث الذين في من المدرسة ، بل ان الاغلبية العظمى من السكان جهلاء اميون . ومشكلة تعليم هذا العدد الضخم من الاميين ، وكثير منهم قد تجاوز السن المدرسية ، مشكلة معقدة صعبة الحل . وان كان على حلها حلا سريعا موقفا يتوقف تقدم البلاد وخيرها .

قامت الحكومة بمكافحة الأمية منذ قيام الحكم الوطني في البلاد وان كانت جهود الحكومة في هذه السبيل ضعيفة ومحدودة الدلالة . تقوم وزارة المعارف بالعناية الاكبر من مكافحة الأمية في المباني المدرسية وتساعد بها في هذا وزارة الشؤون الاجتماعية في السجون ، ووزارة الدفاع في الوحدات العسكرية وبعض المدارس العسكرية ، وبعض الجمعيات الموسومة لهذا الغرض لما قامت نقابات العمال بفتح دورات تعليمية لاعتائنها ايام ان كانت هذه النقابات حرة النشاط . كان عدد مراكز مكافحة الأمية التابعة لوزارة المعارف للسنة الراحسة ١٩٤٦ او ٤٧ ، ١٥٨ ، وعدد الصفوف في هذه المراكز ٢٢٢٤ وعدد المعلمين ٢٥١ ، وعدد الطلاب ٥٧٠٠ . وكان اربعة من هذه الصفوف خاصة بالبنات وعدد البنات اللاتي يتعلمن فيها ٧٥ (٤٦)

يقضي الطالب في صفوف مكافحة دورتين دراسيتين مدة كل منهما اربعة اشهر . يدرس فيها القراءة والكتابة والحساب . وهذه المدة قصيرة لا تمكن الطالب من اتقان القراءة والكتابة ، وكثيرا ما ينسى ما تعلمه بعد مغادرة الدورة الراحسة بعدة قصيرة . والجهود التي تبذلها الحكومة لمكافحة الأمية قليلة محدودة لا تجدي الا قليلا ، فان معدل المخرجات التي تصرف لهذا الغرض و ٢٢٨ ديناراً في العام الواحد (٤٧) . بل ان حركة مكافحة الأمية اخذت في التناقص ، كما يتضح من الجدول الاتي (٤٨) وثلاث اعانات الحكومة لهذا المشروع .

(٤٦) حولية ٧٠٢ - ٨

(٤٧) احمد حسن السلمان "مكافحة الأمية" مجلة المعلم الجديد (عدد ٤٦٤ - ١) ص ١٠٦

(٤٨) حولية ص ٢٠٨

السنة الدراسية	عدد الطلاب	السنة الدراسية	عدد الطلاب
١٩٢٧ - ١٩٢٨	٢٠٧٤	١٩٢٧ - ١٩٢٨	١٢٢١٥
١٩٢٨ - ١٩٢٩	١٦٤٥	١٩٢٨ - ١٩٢٩	١٦١٣٢
١٩٢٩ - ١٩٣٠	١٤٨٤	١٩٢٩ - ١٩٣٠	١٧١٤
١٩٣٠ - ١٩٣١	٢٣٩٨	١٩٣٠ - ١٩٣١	١٠٠٦
١٩٣١ - ١٩٣٢	٢٧٤٩	١٩٣١ - ١٩٣٢	٧٥٩٥
١٩٣٢ - ١٩٣٣	٤٩٨٣	١٩٣٢ - ١٩٣٣	٤٢٢٩
١٩٣٣ - ١٩٣٤	٢٥٠٠	١٩٣٣ - ١٩٣٤	٤١٧٦
١٩٣٤ - ١٩٣٥	٩٧٠٥	١٩٣٤ - ١٩٣٥	٣٧٨٨
١٩٣٥ - ١٩٣٦	٧١١٥	١٩٣٥ - ١٩٣٦	٥٥٦٥
١٩٣٦ - ١٩٣٧	١١٠٤٨	١٩٣٦ - ١٩٣٧	٥٧٠٠

والحق ان الامية مشكلة معتدة ترتبط بالوضع الاقتصادي والاجتماعي ارتباطا وثيقا ، ولا يمكن القضاء عليها نهائيا الا اذا بدلت اوضاع الناس الاقتصادية ، وتحسنت ظروفهم الاجتماعية .

فان الثقافة والعلم لا يتأتيان للانسان الا مع الفراغ والرفاه المادي . وما دام الفلاح والحامل وكثير من الكسبة في المدن فقرا معدمين ، يكاد حزن طول يومهم بوسائلهم البدائية للحصول على اللقمة فلن يدركوا فائدة العلم ولن يهتموا به . ولن يجدوا متعسا من الوقت للتعلم ان ارادوا . وكيف يتعلم البدوي وهو ينتقل وراء ماشيته من ارض الى ارض سعييا وراء العشب والماء ؟

واي رغبة يحسن للتعلم ؟ لقد اجتاه مير الشعب حالاتنا الاقتصادية والاجتماعية حتى اصيحت تراها ليبعية . ووجد الناس اباهم اميين جهلا قالوا الجدل ولم يجدوا فيه فائدة بل وجدوه شيئا ليبعيا كنهه العبودية التي يقدمونها لاسيادهم الاقلاميين وهذه الحياة البائسة التي يدعونها وهل يشعر الفلاح الامي المتعب الفقير بحاجة للتعلم في محيط لا يرى فيه مكابا ؟ ان تغيير هذا الوضع الاقتصادي الذي للسواد الاعظم من السكان الى جانب كونه سيرفع مستوي معيشتهم ويزيد باستقرارهم الاجتماعي واكتسابهم النفسي وسبل اوقات راحتهم وفراغهم سيحدث تغييرا عاما في عقليتهم وجزء في نفوسهم ويعيد اليهم شعورهم بذواتهم كائنا من احرار ، ويجعلهم اكثر استعدادا لتلقي العلم والاستفادة منه في حياتهم .

ولكن هذا لا يعني ان نقف مكتوفي الايدي مستسلمين للياس منتظرين انتظام الحالة الاقتصادية وتحسن حالة الناس المادية ولنشر في محوادية ونشر التعليم بين الناس . فان الحياة الاجتماعية وحدها قمترا بلة الاجزاء يؤثر بعضها في بعض . فكما ان اعادة تدعيم الحياة الاقتصادية يسهل حل مشكلة الامية فان تعليم العامة من الشعب وتثقيفهم واحد العوامل الاساسية في انتظام الحالة الاجتماعية وتقدم الحياة الاقتصادية . فالى انتم العمل على رفع مستوى معيشة السكان بصورة عامة يجب ان نبذل الجهد والمداومة الثمرة لحو الامية . وذلك يتطلب خطة مدروسة مبنية على الاحصاءات الدقيقة تقوم بها الدولة على نطاق واسع بحيث تشترك في تنفيذها كافة الوزارات والمعاهدات والمؤسسات الشعبية التي تعمل لتفكر الناية . ويحتاج تالين هذه الخطة الواسعة الى نفقات باهظة لا تكفي لمدادها هذه الاعتمادات الضئيلة التي تخصصها الحكومة الان ، ولا يد من اعادة التدريس في توزيع ميزانية الدولة ، واعلموا هذا المشروع ما يستحقه . ويجب ان يعد معلوم مكافحة الامية اعدادا ضخما . فان تعليم الاميين الراشدين يختلف اختلافا كبيرا عن تعليم الاميين من الاطفال فلكل عقلية وسوراته وماداته ، وتكوينه النفسي الخاص . ويجب الى كل ما تقدم ، ان تعد ليو لا

الاميين كتب خاصة تناسب غليتهم وكما يجب ان توفر وسائل الراحة في مراكز المكافحة . بحيث يجد العامل المتعب والفلاح المكود ، مشوقا للذهاب اليها .  
على ان هذا يحتاج الى مبالغ جسيمة من المال ، والى محكمة تشتر شعورا عميقا مادنا  
بضرورة تعليم العامة من الشعب . وهنا نعالجنا مرة اخرى المشالة المالية ومشكلة جواز  
الدولة القائم .

### التعليم الزراعي والصناعي

#### الاقتصاد العراقي قائم على الزراعة . ولكن الزراعة

الحراقية متأخرة : تباعها الدول البدائية واستمداتها الآلات البسيطة ، ولولا ان الفلاح  
وسوء توزيع الاراضي . ولأجل النقص بالزراعة وانما على اسرع حصرية ، لا بد من  
اعداد عدد كاف من الفنيين والخبيراء الزراعيين ، يملكون الفلاحين الذين الحديثة في  
الزراعة ، مشرفون على الحقول النوعية التي ترشد الفلاحين وتبين لهم اهمية الاساليب  
المالية في الزراعة ، وكيفية مكافحة الآفات النباتية ، والذين العصرية في تربية الدواجن  
على ان الحكومة لم تدم بهذا امر الحيوي الى مؤخر . ومع ذلك جاءت تـجـرود  
ناقصة شوها .

استمدت مديرية الزراعة العامة مدرسة للزراعة في عام ١٩١٣ . يفتي في هذه المدرسة

خريجون المدارس المتوسطة كمدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . ان مستوى

هذه المدرسة الثاني يعادل الدارسة الثانوية . اما مستواها الزراعي فوالى

تخر في هذه المدرسة ٢٣ طالبا في عام ١٩٤١ - ١٩٤٢ و ٢١ طالبا في ١٩٤٢ ، و ٢٨ في ١٩٤٣ ، و ٣٢

٢٧ و ٢٨ في عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ، في عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، و ٥٨ في عام

١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، و ٣ في عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ( حولية ١٩٥١ ) . كان المتخرجون

يعينون في الحقول الزراعية التابعة لمديرية الزراعة العامة . ولدى عدد هم اصبح كمنذ

سنة ١٩٤٨ ، يفتي من حاجة هذه الحقول القليلة . ولم يجد هؤلاء مجالا للاستغناء في العمل

الزراعي الحالية لان الملاكين لا يتقون بخبرتهم الزراعية ومعارفهم الفنية ، وقد لور عليهم الفلاحين

المجربين ، والعمل الزراعيين والملاكين . وفكرت الحكومة كمنذ سنة ١٩٤١ في

اعلاء خريجي هذه المدرسة مساحات صغيرة من الاراضي الزراعية يتولون زراعتها بانفسهم

واعد تشريع لتنفيذ هذه الفكرة السائبة غير ان هذا التشريع لم ينفذ ، وبقيت الفكرة

حلما جعيا . ولعل تنفوذ الحكومة او الملاكين من امتزاج المشتفين بالفلاحين وما

يجره هذه الامتزان من انتقال الافكار العصرية الى الفلاحين هو الذي حال دون تحقيق



هذه الخاية ( ٤٨ ) • واخذت وزارة المعارف تستخدم هؤلاء الطلاب في ملائمة التعليم الابتدائي • وفي هذا خسارة من جسيمة • أولا ان الثقافة الزراعية • مما كانت نافعة التي يحصل عليها هؤلاء الشبان تبقى مضمورة لا تنفذ • ومن جهة اخرى فان هؤلاء الشبان لم يعدوا اعدادا فنيا لمصلحة التعليم ومنتجته استخدام في التعليم انخفض مستوا الدراسة الابتدائية وانحسرت ثقافة النشء الجديد • وفي العراق صناعات قائمة ومعامل حديثة فكلها قد داهى في ازدياد • وامكانية قيام الصناعات الكبيرة في البلاد متوفرة • سيما الصناعة التي تعتمد على المتطلبات الزراعية والحيوانية • ولا بد ان من تهيئة عدد كبير من الفنيين يدبرون هذه الصناعة وينفذونها • وحاولت الحكومة تحقيق هذه الفكرة ولكن جودها جاءت ناقصة شوها • كجودها في اعداد فنيين وخبراء زراعيين •

اسست اول مدرسة ثانوية في بغداد في عام ١٩٢٠ وبعد سنوات انشئت مدرسة اخرى في الموصل • وقد انطلقت هذه المدرسة قبل ثلاث سنوات • وفتحت مدرسة للصناعة احدهما في كركوك والاخرى في البصرة • لتكونا على مقربة من شركة نفط العراق ومن الميناء • ومدة الدراسة في المدارس الصناعية خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية وتخرج في هذه المدارس جميعا منذ عام ١٩٢٠ - ٢١ الى سنة ١٩٤٦ - ٤٧ • ٤٥٢ (حولية ٢٥) • ويقدر نفس المدارس الصناعية على تخرج عدد ثل من الطلاب خلال هذه المدة الأولية حسب اهل ثقافة هؤلاء الطلاب الدائرة الفنية ناقصة بحلة • ومرجع ذلك الى ضعف الدراسة النظرية في هذه المدارس المنسجمة من عدم وجود اساتذة الخبير فيها • والى عدم وجود معامل المعدات ملحقة بهذه المدارس يتدرب فيها الطلاب ولا يقولون انهم تعلموها • ان خرجي هذه المدارس لا تمكن مساواتهم حتى يعملوا بالامم الذين تلقوا مهارتهم بالتجربة العملية • وانهم ميسر هؤلاء الشبان ان تلقوا منهم ليسو بالمهندسين الفنيين الذين تحلجهم المعامل وسك الحديد وشركات النفط والميناء • ولا هم بالعمال الفنيين الماهرين الذين يستأجرون ان يجدوا عملا في المصانع الصناعية في البلاد • ولم يكن امامهم من سبيل الا الالتجاء الى الحكومة ولحق باب الوظائف الكتابية •

(٤٨) مدى الاهالي العدد ٢١٦ • خرجوا مدرسة الزراعة وبمصر مشاكل الزراعة القائمة

هذه الخاية ( ٤٨ ) • واخذت وزارة المعارف تستخدم هؤلاء الطلاب في ملاك التعليم الابتدائي • وفي هذا خسارة من جنتين • أولا ان الثقافة الزراعية مما كانت نافعة التي لم يحصل عليها هؤلاء الشبان تبقى مسخرة لا فائدة • ومن جهة اخرى فان هؤلاء الشبان لم يجدوا اعدادا فنيا لمادة التعليم ونتيجة استخدامهم في التعليم انخفض مستوى الدراسة الابتدائية وانحلت الثقافة الفنية الجديدة • وفي العراق صناعات قائمة ومعامل حديثة قلقة عددها في ازدياد • وامكانية قيام الصناعات الكبيرة في البلاد متوفرة • سيما الصناعة التي تعتمد على المنتجات الزراعية والحيوانية • ولا بد ان من تهيئة عدد كبير من الفنيين يدير هذه الصناعة وينرفقها • وحاولت الحكومة تحقيق هذه الفكرة ولكن جودها جاءت ناقصة شوها • كجودها في اعداد فنيين وخبراء زراعيين •

استحدثت مدرسة ثانوية في بغداد في عام ١٩٢٠ وبعد سنوات انشئت مدرسة اخرى في الموصل • وقد انطلقت هذه المدرسة قبل ثلاث سنوات وفتحت مدرسة للصناعة احدهما في كركوك والاخرى في البصرة • لتكونا على مقربة من شركة نفط العراق ومن الميناء • ومدة الدراسة في المدارس الصناعية خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية وتخرج في هذه المدارس جميعا منذ عام ١٩٢٠ — ٢١ الى نهاية ١٩٤١ — ٤٢ ٤٥٢ (حولية ١٥١) • ولا يقتصر فني المدارس الصناعية على تخرج عدد قليل من الطلاب خلال هذه المدة الطويلة حسب ما يمل ثقافة هؤلاء الطلاب الفكرة الفنية ناقصة بحلة • ويرجع ذلك الى ضعف الدراسة النظرية في هذه المدارس المسببة من عدم وجود اساتذة الخبير فيها • والى عدم وجود معامل المعدات ملحقه بهذه المدارس يتدرب فيها الطلاب ويأخذون ما تعلموه نظريا • اخرجت هذه المدارس لا تمكن مساواتهم حتى هم بالعمال الاميب الذين تلقوا معارفهم بالتجربة العملية • وانهم ميسر هؤلاء الشبان ان تلقوا منهم ليسو بالمهندسين الفنيين الذين تحصلهم المعامل وسكن العديد وشركات النفط والميناء ولا هم بالعمال الفنيين الماهرين الذين يستطيعون ان يجدوا عملا في المنشآت الصناعية في البلاد • ولم يبين امامهم من سبيل الالتجاء الى الحكومة وطرق باب الوظائف الكتابية •

(٤٨) عددى الاهالي العدد ٢١٦ • خرجوا مدرسة الزراعة وبصرى لكل الزراعة القائمة

هذه الخاية (٤٨) • واخذت وزارة المعارف تستخدم هؤلاء الطلاب في ملاك  
التعليم الابتدائي • وفي هذا خسارة من جسيمة • أولا ان الثقافة الزراعية • مما  
كانت نافعة التي يحصل عليها هؤلاء الشبان تبقى مسخرة لا تفيد • ومن جهة  
اخرى فان هؤلاء الشبان لم يعدوا اعدادا فنيا لمصلحة التعليم • نتيجة استخدامهم  
في التعليم انخفض مستوا الدراسة الابتدائية وانحلت الثقافة الفنية • الجديد •  
وفي العراق صناعات قائمة ومعامل حديثة قائمة عددها في ازدياد • وامكانية  
قيام الصناعات الكبيرة في البلاد متوفرة • سيما الصناعة التي تعتمد على المنتجات  
الزراعية والحيوانية • ولا بد ان من تهيئة عدد كبير من الفنيين يدير هذه  
الصناعة ويرفوها • وحاولت الحكومة تحقيق هذه الفكرة ولكن جهودها جاءت  
ناقصة شوها • كجودها في اعداد فنيين وخبراء زراعيين •

استبداول مدرسة ثانوية في بغداد في عام ١٩٢٠ وبعد سنوات انشئت مدرسة  
اخرى في الموصل • وقد انضمت هذه المدرسة قبل ثلاث سنوات • وفتحت مدرسة للصناعة  
احداها في كركوك والاخرى في البصرة • لتكونا على مقربة من شركة نفط العراق  
ومن الميناء • ومدة الدراسة في المدارس الصناعية خمس سنوات • بعد الدراسة الابتدائية  
وتخرج في هذه المدارس جميعا منذ عام ١٩٢٠ - ٢١ الى نهاية ١٩٤١ - ٤٢ •  
٤٥٢ (حولية ٢٥١) • وقد ينصرف عن المدارس الصناعية على تخرج عدد  
ثقل من الطلاب خلال هذه المدة الأولية حسب ما قبل ثقافة هؤلاء الطلاب الداية  
الفنية نافعة • ومرجع ذلك الى ضعف الدراسة النظرية في هذه المدارس المسببة  
من عدم وجود اساتذة الخبير فنياء والى عدم وجود معامل كاملة المعدات ملحقه  
بها • المدارس يتدرب فيها الطلاب ويلبثوا ما لا يتعدى اربع سنوات • اخرجت هذه المدارس  
لا تمكن مساواتهم حتى في الاعمال الاعيانية الذين تلقوا مهارتهم بالتجربة العملية • وان  
مدير هؤلاء الشبان الى قلنا منهم ليسوا بالمهندسين الفنيين الذين تعلمهم المعامل  
وسكة الحديد وشركات النفط والميناء • ولا هم بالحما الفنيين الممارسين الذين يستطيعون  
ان يجدوا عملا في المنشآت الصناعية في البلاد • ولم يكن امامهم من سبيل الا الالتجاء  
الى الحكومة ولحق باب الوظائف الكتابية •

(٤٨) عدد الاهالي العدد ٢١٦ • "خرجوا مدرسة الزراعة وبملاك الزراعة القائمة"

وما هذا بالحل الجدي، وما لهذا انفتحت الحكومة على تعليمهم الأموال الثالثة من  
خزائن الشعب • ان انخفاض الثقافة الفنية والفنية والعملية في هذه المدارس ،  
وعدم تيسر العمل لخرابها هو الذي ينفذ الشبان من الاقبال عليها بالرغم من ان  
الحكومة تدفع بدراية الطالب ومعيشته طوال سنوات الدراسة الخمس •

اذا اردنا ان نربي\* للزراعة والصناعة مهندسين وخبراء فنيين ، وعمالا ماهرين ،  
واذا اردنا انتاج الماشا والالات من المثقفيين ، واذا اردنا ان نحول اذ ار الشبان  
المتعلمين من الوثائق الحكومية الى العمل الحر المشرء فعلينا ان نقيم التعليم  
الصناعي الزراعي على اسس سليمة كما نفوس هذه المدارس ونجهزها بالمعدات  
الفنية وما تستلزمه من معامل وحقول للتجربة ، وان نرسل البعثات الى المدرسة الزراعية  
والصناعية والمعامل في الخارج ، وان نعدها بما تحتاجه من اساتذة وفنيين وعلماء  
على ان هذا وحده لا يكفي • بل يجب ان يتم بتيسير سبيل العمل والعمر  
ليسوا\* لا الفنيين الزراعيين والفنيين الذين تعددهم هذه المدارس ، وذلك عن طريق  
التشغيل الحكومية لهم في الشغل والمبنة والمؤسسات الحكومية واجبار الشركات الحربية  
وشركات النفط بخاصة على توظيفهم على العمال والفنيين الاجانب ، ومن طريق قيام  
الحكومة بالمشاريع الزراعية والصناعية الكبيرة التي تفيد البلاد اقتصاديا ، وتوفر العمل  
لكثير من ابنا\* البلاد ، ومن طريق تدعيم الحياة الاقتصادية بصورة عامة ، لا فدا لم يكن  
هنالك في البلد توجيه اقتصادي يسير على حسب خطة مرسومة ومنهاج ثابت لتحصين الصناعة  
ومدى التصنيع وتوسيع الانتاج الزراعي وتنظيم التجارة وتنسيق هذه المرافق كلها بالنسبة  
لبعثاتنا البعذر فنانا في توجيهنا المسمى الجديد لنكون الا قد ابدلنا جيش المتعلمين  
المقعدير بجيش من العمال المدربين العالمين • (٤٩)

(٤٩) دكتور علي الصافي، "التعليم الوطني" مجلة المعلم الجديد، (١٩٤٩) بغداد

## الفصل السابع

### الصحة العامة - مقدمة

ان سلامة الانسان من الامراض ، وصحة تكوينه الجسدي والعقلي من مقومات حياته ، ومن الامور التي يقوم عليها المجتمع السليم . والمراد بان الانسان يثق ، لا ينتم بحياته ولا يجد لذة لوجوده ، ولا يستطيع ان يقدم الا اقل الخور للمجتمع ، ان لم يكن عبثا ثقيل عليه . ان المجتمع لا يقوم بعداد ما فيه من الافراد بل بعداد ما فيه من الافراد النشيطين ، الناشطين ، العاملين . والمجتمع المرمر اغلبية افراده مجتمع ماهر حصاريا واقتصاديا لا يستطيع ان يجاري ركبا انسانية السائر اهدا الى الامام . ومن تاريخ الانسان باسره الاكفاح ضد المرض ، ومنذ كل ما يقف عائقا امام الحياة الحرة الرغية ، ليس الجسم الصحيح السليم هو الجسم الخالي من الامراض والعاهات فحسب ، بل هو الذي يتمتع بحيوية تامة للقيام باعماله ، والتمتع بحياته ومقاومة ما عسى ان يتصبه من مر . ان صحة الفرد هي وجوده في حالة تمكنه من القيام بوظائفه الجسدية والعقلية غير قيام وتجعله يعيش في الو عمر . ويخدم احسن خدمة في حياة الشخصية والاجتماعية (١) تتوفر صحة الفرد وسالته من الامراض على عوامل عديدة منها ما هو شخصي كقدرة الجسم ، في وقت ما على مقاومة المؤثرات التي تؤدي الى المرض او الموت ، ومنها ما هو اره عن كيانه كالمنز الذي يعيش فيه والغذاء الذي يتناوله ، والماء الذي يشربه ، والدم الذي يمارسه ، في المحبة الذي يعيش فيه . وسواء ندركه في هذا الفصل الامراض المنتشرة في العراق ، والخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب ، وتأثير العوامل المحيية والحياة الاجتماعية والاقتصادية على الصحة العامة .

#### انتشار الامراض

تقدر عدد الاحابات بمختلف الامراض نحو مائتين امائة في العام الواحد . والجدول الاتي (٢) يوضح لنا النسب المئوية لاهم الامراض السارية واكثرها انتشارا في البلاد .

(١) الدكتور شريف عسيران «علم الصحة» (بغداد ١٩٤٦) ج ١ ص ٣٠٢

(٢) جواد ص ٩١

## المعالجة في المؤسسات الصحية لسنة ١٩٤٣

المالريا	٥٩٤	بالعثة من مجموع الامراض السارية
التراخوما	٤٠٥	- - - - -
الزهرية	٢٠٢	- - - - -
الذئبة	١٠٦	- - - - -
البلهارسيا	١٠٢	- - - - -
النزلة الصدرية	١٠٦	- - - - -
الانكلستوما	٠٩٥	- - - - -

المالريا مرض سارسيه ميكروب ليثلي يسمى المالريا، ينتقل بواسطة نواقل البعوض يسمى الانوفيلس، تعيش على دم الانسان. والمالريا مرض خبيث يؤدي الى انحلال لقوى العضابين انحلالا شديدا، والى فقر الدم بسبب اذلال كريات الدم الحمر والى تضخم الكلى، كما انها تؤدي الى العمى او الاجهاض عند المرأة. وتنتشر المالريا في المناطق المنخفضة كالواديان وفي المزارع وقرب الشوارع والمستنقعات. اي في المناطق التي توجد فيها الرطوبة والمياه الراكة والحرارة التي تساعد على نمو البعوض الذي ينقله. وقد ازداد هذا المرض انتشارا في العراق في السنوات الأخيرة بسبب ازدياد قنوات الري، والتي السيجي، ودون وجود نظام تصريف للمياه مما ادت الى حدوث المستنقعات والى كثرة الحداث والبعات في المدن الكبرى، وعدم وجود نظام لتصريف المياه فيها، وبذلك الى هذا فقر السكان، وانحلال مستنقعاتهم الاقتصادي، وسوء تغذيتهم، مما يضر اجسامهم على مقاومة المرض. (وشراح عدد الذين يراجعون المستشفيات الحكومية من المصابين بالمالريا بين ٠٠٠ و ٢٠٠ في سني اقباض التي تنتشر فيها المالريا بشكل وباء. ومن الملاحظ جدا ان يكون مجموع الاصابات من المراجعين وغير المراجعين حوالي الثلاثة ملايين اصابة. ومعزز هذا التقدير نسبة تضخم الكلى في القرى وغيرها حيث لا تقل نسبتها من ٦٠ ٠/٠. وتقدر وفي المالريا في العراق ب ٠٠٠ و ٢٠٠ سنويا. (٢) وفيما يلي جدول باصابات المالريا لسنة ١٩٤٣ موزعة حسب الاولوية مع البيار عن نسبتها المئوية الى مجموع الاصابات بمختلف المراكز في العراق. (٤)

- (٣) عسيران ص ١٢٤ - ٧٥ وقد ذكر الاستاذ هاشم جواد ص ٩١ نقلا عن المالريا والمالريا في العراق (للدكتور علي غالب) ويعتقد الحارون بهذا المرض ان المالريا تسبب ما لا يقل عن ٠٠٠ و ٥٠ وفاة في السنة الواحدة.
- (٤) جواد ص ٩٢ - ٩٣

النسبة المئوية	عدد الاصابات	اللسوا*
٣٠.٧	٢٤٩ ٨٤٦	بغداد
٢٠.٧	٥٩٩ ٦٦٢	البصرة
١٤.١	٥٦٩ ٨٢٦	المرج
٦.٥	١٤٩ ٦٦٤	العمارة
١٧.١	٢٢٩ ٩١٦	اربيل
١٤.٩	٥٢٩ ٥٨٤	الديوانية
١٣.٥	٢٩٩ ٤٥٤	ديالى
٨.٣	١٣٩ ١٤٣	الديلم
٢٢.١	٥٩٩ ٥٠٦	الحلة
٢٦.٦	٨٣٩ ٤٠٨	كربلاء
١٣.٩	١٢٩ ٣٩٤	كركوك
٩.٢	١٧٩ ٤٠٥	الكوت
١١.١	٢٤٩ ٤٢٦	المنظك
١٢.٣	١٥٩ ٥٠٦	السليمانية

ينبغي لنا من هذا الجدول ان انتشار الماريا على اشد في الوجة كربلاء والحلة والبصرة والمرج والديوانية وهي من الالوية الزراعية المصبغة بالزهرية الصفراء .  
والتراخوما مرض سار مزمن يصيب مساحة العين ويولد فيها حبيبات صغيرة او كبيرة  
وحدث تشريبات في العين نفسها ، وقد تكون سببا في تلك العين كلها . والنتبار  
عامل مهم في نقل العدوى ان يخرس انخسبة العين المخالفة ، وحمل اليها البرائيم  
كما ينقل الذباب المرر من المرر الى السليم . وهذا المرض ينتشر عادة في المحلات  
القدرة ، وحيث يكون المستوى الصحي والحقا ، والتغذية ناقصة والجمل مخيما على العقول  
وقد بلغ مجموع الاصابات في العراق سنة ١٩٤٦ مقدار ٣٢٢٣ ٥٥٨ اصابة ( ٥ ) .  
والبلهارزيا مرض سار تسببه نوع من الديدان المسماة متعيا في المياه وتنقل

منه الى الانسان اثناء الاستحمام او الشرب • تتولى هذه الديدان الكبد والوريد  
الباني وتنقل منه الى القناة والمستقيم فتغرسهما وتسبب يولا او ابرازا دمويين •  
ويضعف المصاب جرا فترى الدم يخرج من السهم المتولدة من الديدان وكما ان هذا المرض  
يحدث اضرارا عامة في الجسم • وهو موجود في العراق وخاصة في التوبة العراق •  
حيث يقدر ان ثلث الجوبيين مصابون به (٦) وقد بلغ مجموع الاصابات المسجلة  
في دوائر النجف سنة ١٩٤٦ (٢٦١ - ٢٦٢) (٧) اصابة • ويمثل هذا الاسماء  
المرضى الذين يراجعون طبيا خا • واكثر المرضى الرئيس الذين لا يراجعون  
طبيا على الاطلاق •

والانكلوستوما مرض يسببه نوع من الديدان • تغرس بيروضا مع ان انا • ويتسبب  
حكة في الشير او الارز الرابية او المياه الكرة • وقد غر اجنتها الجسم عن ابيض الجلد  
واعلم • وهو يصيب فقر دم شديد واخر ابرازات موهنة مديدة هوسولة • وسفاه في القلب •  
وهو منتشر بين الفلاحين كثيرا • بسبب فقرهم وسوء النظافة <sup>تقضي</sup> وسوء رعايتهم على ارضهم • ولا  
يقل عدد المصابين بهذا المرض في بلاد السكا (٨) وتبلغ نسبة اصابا في بعض  
نواحي العراق ٥٠ / ١٠٠ من مجموع السكان (٩) •

وانما انقلنا الى هذه الامراض المل والذبي انما يزداد انتشارا بين الطبقات  
الفقيرة وخاصة في اربيل وكركوك والعتبات المقدسة والديستراكتين • ويضاف الى انقل  
التي تكلمت عنها في الفصول الاولى • وانزوي الذي يعد المصابون به بعضهم الاول في  
المدن والقرى • كملت صورة الامراض الاكثر انتشارا في البلاد كومي صورة لعموم فابحة •  
(يضمن المعارفون بانحوال الصحة ان كل فرد من سكان التوبة والعراق والديستراكتين وانفراد كل  
البلقة العاملة والفقيرة • وهو • يوفون نحو ٩٠ بالمائة من السكان مصاب بها لا ينقل  
من مرضين او ثلاثة في وقت واحد • هذا بالامانة الى الامراض النارية التي تنتابها من  
حيث لاثره وكل واحد من هذه الامراض اذا احل في الانسان يوتر في حيوية وثرة جسم  
الفرد ويثاثيرا واحا فيقتل من قابليته الفكرية والعقلية فيوتر في انتابه • ويضاف الى هذا  
ان الامراض المذكورة تنخر كيان اجيال الجديدة باستمرار وتوتر زيادة السكان تاخيرا  
محسوسا • ولا شك ان مكافحة هذه الامراض يجب جدا • ما دامنا كثرية الساحة من

(٦) جواد ص ١٤

(٧) (المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٢) ص ٢٤

(٨) جواد ص ١٤ نقلا عن "المؤسسات الصحية في العراق" الدكتور هاشم المكي (الوتر)

(٩) سيران ص ٢٤١



السكان فقيرة وجاهلة (١٠) .

### المؤسسات والخدمات الصحية .

لم يتجاوز ما خصص للخدمات الصحية منذ سنة ١٩٣٨ - ٢١ إلى

سنة ١٩٤٦ - ٦٥٧٤٤٧ بالتمن من مجموع الميزانية والتي بلغت ٢٥ مليون دينار في

سنة ١٩٤٦ - ١١٠٤٧ (١١) . وهذه نسبة ضئيلة جداً بالنظر لعلم انتشار المرض وتسلح

ضالتها إذا ما قورنت بما خصص لشؤون الدولة الأخرى والتي لا تضم البلاد مثل الصحة

فقد خصص للبحر عام ١٩٤٦ - ٤٧ (٧٠٢٨٠٠ / ٠) وللشرطة (١٤) ٠ / ٠ وللمعارف

٥٠٠ / ٠ (١٢) وتظهر الحالة ما يقدم للشعب من خدمات صحية من مراجعة

المؤسسات الصحية . وفيما يلي جدول (١٣) بالمؤسسات الصحية في الحكومة العراقية

للسنتين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .

المؤسسة الصحية	العدد	مجموع السرر الحكومية
المستشفيات الحكومية	٦٦	٤٤٣٥
المستوصفات الحكومية	٤٠٣	مجموع السرر الأهلية ٣٤١
شعب جمعية حماية الطفل	١٤	مجموع الأسرة في ٤٠٠
مستوصفات جمعية الهلال الأحمر العراقي	١	شركات النفط
مستوصفات جمعية بيوت الأمة	٢	
المستشفيات الأهلية	٨	
المستوصفات الأهلية	١٠	
مستشفيات شركة النفط	٤	
مستوصفات شركة النفط	٦	

الليونة

(١٠) جواد ص ١٥ في سنة ١٩٤٦ كان عدد الكهاتين بالسفلى والرحمة والسيلان والسيل

الرئيسي من راجعوا المؤسسات الصحية فقط كما يلي

السفلى ٢٣١٠٤ ، القرعة ٢٥٢٥ ، السيلان ١١٤١٥ ،

السيل الرئيسي ١٥٢١ ، أنواع السيل الأخرى ٢١٢١ (راجع المجموعة الإحصائية لسنة ١٩٤١) ص ٣٤

(١١) القرعة العراقية ص ٣٥

(١٢) المصدر نفسه ص ٣٥

(١٣) الحكومة العراقية وزارة الشؤون الاجتماعية شعبية الإحصاء "إحصائية المؤسسات

الصحية في العراق حسب الأولوية ومرافقها بموجب التوكيلات الإدارية وعدد الأسرة

الموجودة فيها ودرجتها للسنتين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ،

وبلغ عدد الاطباء جميعا في عام ١٩٤٦ ( ٦١٦ ) ( ١٤ ) طبيا ، موقفا وغير موظفين . وهذا العدد من الاطباء ضئيل لا يفي بحاجة الشعب ، ان لو وزعوا بانتظام في جميع انحاء البلاد لاصاب كل طبيب ( ٨٢٤٠ ) شخصا ، وهذا عدد كبير لا يستلزم طبيب واحد ان يقوم برعايتهم وعلاجهم مما قد يحسبهم من مرضى . نعم بال اذا كان هؤلاء الاطباء غير موزعين توزيعا عادلا في البلاد ان معظم الاطباء يقيمون في بغداد والموصل والبصرة ، بينما الامراء تفتت باكرية الشعب في الريف . بلغ مجموع الاطباء في لواء بغداد وحده عام ١٩٤٦ ( ٢٤٥ ) ( ١٤ ) طبيا . ومعنى هذا ان يكتفي اكثر من اربعة ملايين مراقي ب ٢٧٤ طبيا . ويوجد في لواء البصرة عام ١٩٥٠ ( ١٠٢٦ ) طبيا يقيم منهم ٦٨ في مركز اللواء و ١٤ لواء فقط في بقية انحاء . ومعنى هذا ان حصة الطبيب الواحد في لواء البصرة عدا مراكز اللواء ٦٧٠٨٣٦ نسمة ( ١٥ ) . هذا مع العلم بان لواء البصرة اهم لواء لزراعة النخيل ومن اهم مناطق الملازما في العراق .

وكان يوجد الى جانب هؤلاء الاطباء سنة ١٩٤٤ ٢٢٧٦ موقفا صحيا ، ٧٠٤ مخططا و ٢١٢ ممرضة و ١٠١ قابلة ، موزعين على مختلف المؤسسات الصحية ( ١٦ ) . وقد بلغ عدد المراجعين من المرضى للمستشفيات في هذه السنة ٤٢٠١٣ مريضا والمستشفيات ٤٣٢١٣١٤ مريضا ( ١٦ ) . ورغم كثرة عدد المراجعين والمستشفيات فانها لا تعني الاقل من ضعف مجموع الاطباء المعتمدين عند الحكومة كما يعوزها الكثير من الادوية والادوات الطبية ولغيرها انقسام داخلية . وهي تنقسم الى ثلاث درجات . يعتبر المستشفيات من الدرجة الاولى اذا اشغل طبيبها يوجد من هذا النوع ( ١٠٣ ) ( ١٧ ) وهي تقوم بغدات لا بأسرها بالنظر الى وجه الطبيب فيها ومن الدرجة الثانية اذا اشغله مولاة صحي . ومن الثالثة اذا اشغله ممرض . وهذه المستشفيات من السفين الثاني والثالث لا تقوم الا ببعض المراجعات البسيطة ، لا سيما تلك من الدرجة الثالثة حيث يكون الممرض عادة دون اي تدريب فني وثقافة طبية اذ وينال تدريبه الضروري في المستوى نفسه وما اكثر ضحايا هؤلاء الممرضين الجاهل من الفلاحين

( ١٤ ) المجموعة الاحصائية لسنة ٤٧ ١٢٦٠ وقد كان عدد الاطباء في السنوات الأربع السابقة لهذه السنة حسب ما ورد في الاحصائية نفسا كمايلي .

٤٨٨ لسنة ١٩٤١ ، ٤٩١ لسنة ١٩٤٢ ، ٥١٦ لسنة ١٩٤٤ ، ٥٦١ لسنة ١٩٤٥

( ١٥ ) من تقرير لديرية الاحياء التابعة لديرية الصحة العامة نقلا عن جريدة مدى

الاهالي عدد ٢٨٤ بغداد ١٣١ اب ١٩٥٠

( ١٦ ) القرية المراقية ص ٢٦

الابرياء ١١ • ان الخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب على الرغم من ضالتها وتأخرها التي مقتصرة في المدن الكبرى ولا يكاد يستفيد منها البدو والرحل وسكان الاهوار والجبال والقرى النائية لا بدع ان ان يملأ الفلاحون كدفوعهم بجرائم وسداجتهم والحق المر عليهم ، الى الاستعانة بالشيوخ والصورة والعزيم لشفاء امراضهم ، وعلاج افاتهم •

### الصحة العامة والحياة الاقتصادية والاجتماعية •

قلت ان الخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب أثيلة كحدود الدال ، الى جانب كون معظم المؤسسات الصحية متأخرة فنيا واداريا منهجرة في المدن ولا تشمل ان تنفذ جملة من الشباب من هذه الامور التي تغفل اجساما • وتقدر حيوتها • وتقضي على الاف من ابنائنا كل عام • واذا ارادت الدولة ان تضع لهذه العاهة الفاجدة حدا فليبدأ ان تعيد النظر في توزيع الميزانية لتمنع مديرية الصحة حصة كبيرة لتتمكن من انشاء المستشفيات والمستوصفات وتجهيزها بما تحتاج من المياه وممرات وادوية طبية • واقامة المستشفيات المتفلة وموسم الكليات والمدارس التي تنفذ اسبابا والمرفق الحسين والمرضى والمرضات •

ولكن الاكثار من انشاء المستشفيات والمستوصفات على انفراد المستحيل ، لا يتكفي وحده لحل مشكلة الصحة ، والبناء على الامور • فاعلمية انما سببية جاذبة لا تعرف ان الوقاية من المرض لانها لا تعرف طبيعة المرض واسبابه ولا تعرف النمط الصحي في المعيشة والحياة • يموت كل سنة اربابا في العراق الوضع في الصيف • بعد اسباب الوفاة مشددة معروفة ومعها لا يعود الى مرمره • فاذا ما انما ليبيا ملما باخوان الاطفال وعادا الامهات الجاهلات يجرن ان الله الرضيع لا يتقى ماء ما دام برسع حليب امه هو لكن ما ما في الحليب من الماء لا يتقى جسمه الذي في حيث الحال انما الذي يستنز ما في جسم الطفل من ماء عرقه ويتلف انسجته الثرية الرنة فيدك او يندك نجيلنا واهي العظام ، ملول لا يفسد الحوام اللطف من هذا النقص خير من يفسد هذه المادة المجرمة شائعة على الاتى في الموصل والمناطق الشمالية • وجعل الامم بالامور الصحية هو المسؤول عن هذه القذارة التي تغفل اجسام الاطفال الملدنة وتعيش وجوههم الجميلة • حلت عندنا احدى القرويات والفلما فيف فلينا ذاب • وكانت ملاصق الدفلما تكاد تبين من تحت بيته سمينة من الحماة والندى والقراب الممزق بالعرق •

والج الذباب على عينك الدافل متى لم يعد <sup>يصير</sup> على الوجع فاخذ يصرخ . فقامت  
ترضعه محاولة اسكاته ، كمادة الامعاء في اسكات صراخ الاطفال ، ولكن اللذان كانا شهما فلم  
يقبل السماع وظل يصيح . وعندما اخبرتها ان تحصل وجهه . وكان الماء تريبا منها  
عجيبا ان تكون اية علاقة بين الصراخ وتدارة وجهه . ولكنها فعلت مرغبة فذا الدافل  
المسكين . وقد اعتاد الناس في كربلاء والنجف وغيرها من المدن التي يسكن فيها الشيعة  
ان يقيموا في مساجدهم وبيوتهم احواضهم يسمونها احواض " الكر " يملأونها ماء ويحلبون  
فيها ايديهم واجسامهم . وانية طعمهم ولاعتقادهم ان ماء هذه الاحواض مباركة  
يلتزم من القذاثر والخطايا . وقد يبقى الماء في السور دون تبديل مدة طويلة فياسن .  
هذه الاحواض ذات المياه الائمة الراكدة احسن مرقع للبيمو الخبيث الذي ينقل المازيا  
وقامت الحكومة بحملة لكافة المازيا واستلأى ان تودم احواض الكر العامة . ولكن الناس  
قاموا فعله ولم يتسارنوا معها ولم يرضوا بتدوم احواضهم العامة . وبيعت كربلاء منذ ان  
محتلة باكثر من ثلاث ارباب من هذه الاحواض القدرة الموبوءة . وذلك كذلك من اكثر المدن  
العراقية تحملا لولادة المازيا وهذا المرر الخبيث . قالت جانب اقامة المستشفيات يجب  
مكانة الامة ورثتيف جماهير الشعب .

على ان المرر هوان خا اذا اتبعت هذه الوسائل السلبية والوقائية . سيبقى لولاء  
ما دامت حياة الناس الاقتصادية متأخرة متخلفة . تستلحق المستشفيات ان تنفذ  
الانسان من المازيا والبليارنيا . ولكن اذا ما عاد الى وسطه الموبوء عاد اليه المرر .  
وتدوم ما جددت المستشفيات من عاقبته . تتولد المازيا في المستشفيات والمياه الائمة  
الراكدة والتي تولد بها المياه الزائدة عن حاجة المزارع نتيجة لفقدان نظام محكم لتدوير  
المياه . فاذا اريد التخلص من المازيا نهائيا وجب القيام بتجفيف المستشفيات ووردم الحفر  
الملا بالمياه الراكدة ووضع نظام محكم لتصرفها عن الزائدة عن الحاجة . ان  
جميع القرى العراقية معروفة من مياه صحية للشرب . فاذا اردنا ان نقضي على مرر  
البليارنيا والانكستوما مثلا . يجب علينا ان نجهز القرى بمياه ممتعة نظيفة هوان نقيم  
فيها مراحيض عامة او خاصة . وكيف يتخلص جماهير القرويين من هذه الامراض وكيف  
تتحسن صحة الكادحين في المدن اذا طلت عيش في هذه الكواج والرائث والعمان  
المحتة المرباة . القدرة والقيمة المسالك . بل كيف يتخلص الفلاح من البليارنيا

والانكسوتوما اذا كان الفخير والحرمان قد كتب عليه ان يسير عمره حالي القدمين ؟  
 على ان هذه جميعا عوامل خارجية ، اذا حصلت تحمست صحة الانسان ، وخفضت وطأة المرض  
 عليه ولكنها ليست كافية لانقاذ الانسان نهائيا من المرض . فلا بد ان يكون جسم الانسان  
 نفسه مستعدا لمقاومة المرض . فيكون باستئلاج الانبياء ذ الله مناعة ضد . • والمناعة  
 التي نريد ما هنا هي التي يتكسبها الجسم نتيجة للتغذية الكافية السليمة . ان  
 تغذية جماهير الشعب تغذية ناقصة وغير صحية . فهم لا يتناولون الاقليل من النشويات  
 من الاطعمة الاساسية كاللحم والخضر والحليب ، والفاكهة ، والسكر ، والسمن ،  
 وما اليها ( راجع صفحة ٥٨ من هذه الرسالة ) .

اذا اريد لجماهير الشعب ان تكسب مناعة ضد المرض وان يكون قوتهم الاجسام  
 مقدرة على الصبر ، فخير على عملها بنشاط ، وتغني مشقاتها بجلد وسير وجسار . يضمن  
 لها الغذاء الجيد الكافي والمنز السلي العريك واللبنة اللينة ، والتموية الفائقة وما  
 الحرب والصبي والثقافة الضرورية . ومن اين لهؤلاء المساكين ان يفتقروا هذه الموارد  
 بواردهم الضئيلة الضاعرة هو فقرهم هذا المذل . وهنا نجد انفسنا مرة اخرى  
 وجنا لوجه امام المشكلة الاقتصادية ، ومشكلة جواز الدولة القائم . ان هذه  
 الضرورية الصحية لا يمكن ان تتوفر للفلاح والمعامل جميعا ماد حير الا اذا  
 ارتفع مستوى معيشتهم وذلك لا يتم الا باعادة النظر في توزيع الثروة القومية  
 وانما هذا على اسرع عجلة ممكنة كما ان الدولة لا تستطيع ان تجد الاموال اللازمة للقيام  
 باء اصلاحات الصحة المملوءة ومناخحة الامراض مناجحة جديدة كما ان ارادت ما لا اذا  
 حاولت ان تنظم الحياة الاقتصادية وتقوم بمشاريع كبيرة ، فهي الاقتصاد الوطني ، وتعلم  
 الخزينة لديها .

## القسم الثاني : الكيان الاقتصادي

### الفصل الاول : نظرة اجمالية في ارض العراق ومواردها الطبيعية .

#### ١ سطح الارض

يتكون سطح العراق من اراضٍ تختلف اوصافها الجغرافية اختلافاً واضحاً . وهي تقسم الى اربعة اقسام طبيعية : (أ) الاراضي الرسوبية الجنوبية والوسطى (ب) الاراضي المتوجة او الصعيدية ، (ج) المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية ، (د) الاراضي الصحراوية الغربية .

(٥) الاراضي الرسوبية - تولد هذه الاراضي معظم مساحة العراق ، وتعد من الخليج الفارسي الى شمالي بغداد . ويمكن تحديدها من الشمال بخط وهمي يمر بناحية هيت على الفرات ، وناحية بلد على دجلة ، وناحية السعدية على ديارلي . وقد تكونت هذه الارض من ترسبات دجلة والفرات وتوابعهما وروافدهما على مرالدهور . ويضاف الى هذه الارض مقدار ميل واحد من الارض في كل سنة تقريباً وهذه الارض خصبة التربة ، ووفرة المياه ، لاسيما القسم المحصور منها بين دجلة والفرات ، وقد اطلق عليها العرب اسم "السواد" لكثرة ما فيها من نباتات ونوع . وهذه الارض سهل مستو لا يزيد اقصى ارتفاعها عن ١٥٠ قدماً عن سطح البحر .

وتكثر الاهوار والمستنقعات في الاراضي الرسوبية ولاسيما في قسمها الجنوبي . بعض هذه الاهوار هي بقايا المياه التي تركها البحر اثناء انسحابه وبعضها ناتج من انخفاض الارض ولغيان مياه الفيضان عليها . ويمكننا تقسيم منطقة الاهوار الى منطقتين رئيسيتين (١) منطقة الاهوار والمستنقعات القائمة حوالي نهر الفرات ، وتبدأ من غربي الرمادي وتمتد حتى "لوا" البصرة ، وهي تستمد مياهها من الفرات وفروعه . واهم اهوار هذه المنطقة هي : بحيرة الحبانية ، وفتح فربي الفرات ، وتبلغ مساحتها ١٤٠ كيلومتراً مربعاً ، وهور ابي دبسر ، وفتح شمال فربي كربلاء ، وتصل اتصالاً طبعياً بمنخفض الحبانية ، وبحيرة النجف وفتح الى جنوبي مربي الديوانية ، وهور فلك وفتح شرقي الديوانية ، وهور الحمار وهو اكبر اهوار العراق اذ تبلغ مساحته ٥٢٠٠ كلم مربع ويمتد بين لوائي المنتفك والبصرة ، وهو صالح لملاحة السفن الشراعية ، وتصله بشط العرب كربة علي ، شمالي البصرة . منطقة الاهوار والمستنقعات الواقعة حوالي دجلة . وتمتد من لوا الكوت حتى قضاء القرنة واهمها : هور الحوزة وفتح في لوا العمارة ، ويمتد حتى يصل بمنطقة الاهوار الايرانية ، وتغذيه مياه دجلة وتوابعها ، وهور ابي كاتم ، وفتح على الضفة اليمنى من دجلة جنوبي العمارة ، وفي مواسم الفيضان يمتد حتى يتصل بهور الحماق ويصب مياهه فيه ، ويستمد مياهه من نهر العبر الكبير ومن

اقيمت المتعددة ببحر الشوكة وقع في لوا الكوت ، وهور المنية ، وهورام البقر ، وهور صودة ، وتقع جميعها في لوا العمارة على الجانب الايمن من دجلة .  
يكثر في هذه الاموار القصب الذي يستخدمه السكان في بناء صرائفهم واكوخهم والاسماك والايور التي يعتاشون عليها ، كما ان ضفافها تعتبر من احسن مناطق زراعة الرز . على ان اضرارها اكثر من نوائدها . فهي تسبب انتشار الملاريا والبلهارزيا التي تضعف صحة السكان ، وتقتل باروان الالاف منهم ، وتعين طرق المواصلات وتلقي ، وتنت الفيزان ، على مساحات واسعة من الارض ، وتمنع الفلاحين من زراعتها .

(ب) المنطقة المتوجة او الصعيدية . وهي تولف منطقة الانتقال بين الاراضي الرسوبية والمنطقة الجبلية . وهي ترتفع ارتفاعا تدريجيا حتى تفصل بالمرتبات الجبال . وتتراو ارتفاعها من سطح البحر بين ٢٠٠ و ١٢٥٠ قدما ، ومعظم اراضي هذه المنطقة خصبة ، صالحة للزراعة ، وتقدر مساحتها بنحو مئتين مساحة العراق .

(ج) المنطقة الجبلية . تقع في القسم الشمالي الشرقي من البلاد ، وتولف نحو ١٠٪ من مساحة البلاد . ويزيد ارتفاعها كلما تقدمنا شرقا او شمالا . حيث يبلغ ارتفاعها هناك بين ١٠٠٠ و ١٤٠٠ قدم . وتتخللها السهول والوديان الخصبة ، كما ان بعض اناسها مكسوبا لاجراج والغابات .

(د) الاراضي الصحراوية وهي تقع الى الغرب والجنوب الغربي من السهول الرسوبية وترتفع عنها قليلا . وهي اراار واسعة المساحة ، قليلة المياه ، جديبة التربة ، لا تختلف عن صحرا بادية الشام وصحرا نجد في طبيعتها . وتقلب انسام منها الى مراع وافرة العشب في اوائل الربيع ، كما توجد في انسام اخرى منها آبار . (١)

(١) للتوسع في هذا الموضوع يراجع حمادة ص ٦٣ و ٨٢ - ٨٤ ، ومجد الباني ص ١٣ - ٢١ ، والهاشمي ص ٢٤ - ٢٨ ، والدليل العراقي ص ٤٣٥ - ٤٤٤ .

## ٢ الانهار

يجري في العراق نهران دجلة والفرات ، وروافدهما وفروعها العديدة ، وشط العرب .  
 اما نهر دجلة فينبع قرب بحيرة كولجك ، شمالي مدينة ديار بكر ، ويبلغ طوله من  
 منبعه الى التقائه بنهر الفرات في القرنة ١٨٥٠ كيلومترا ، يتطبع منها ٤٠٥ في  
 الاراضي التركية ، ويتطبع ما بقي منها في العراق . وتصب في دجلة روافد  
 عديدة اهمها ، في العراق ، الخابور ولوله ٢٤٥ كيلومترا ، والزاب الاعلى ، الذي  
 ينبع من جبال كردستان الى الشمال من الموصل ، وتصب في دجلة جنوبي الشراف ،  
 ويبلغ لوله ٤٥٠ كيلومترا ، ونهر الحليم وهو اقل اهمية من روافد دجلة الاخرى  
 لانه يجت في الصيف والخريف ، ونهر ديبالي والذي ينبع من الجبال الشرقية التي  
 تكون الحدود بين العراق وايران ، وتصب في دجلة جنوبي بغداد ، ويبلغ لوله  
 ٤٥٠ كيلومترا .  
 وتبلغ سرعة جري دجلة في اوقات الفيضان ١٠ ميل في الساعة في الساقية  
 ونحو ميلين في الساقية في اوقات انخفاضها ، ولهذا لا يستفاد منها في الزراعة  
 الا قليلا . وتختلف درجة تصرف هذا النهر باختلاف فصول السنة . ففي فصل  
 الفيضان يبلغ معدل تصرفه في بغداد ٤٥٠٠ مترا مكعبا في الثانية ، ويبلغ معدل  
 تصرفه في فصل الشح ٣٠٥ امتار في الثانية . وكلما تقدم الى الجنوب قلت  
 درجة تصرفه لتسرب كميات من مياهه بواسطة الجداول وقنوات الري القائمة على  
 جانبيه واهمها نهر الفرات الذي يتفرع من دجلة قرب الكوت ، والبتيرة والمشرع  
 والكحلا وابوخير والمجر في منطقة العمارة . ويصل نهر دجلة للملاحة . وبالامكان  
 ان تسير فيه السفن الصغيرة من حدود ديار بكر شمالا الى الخليج الفارسي جنوبا .  
 وينبع نهر الفرات كمثل دجلة من الاراضي التركية ، ويبلغ لوله ٢٣٥٠ كيلومترا  
 يتطبع منها ٥٥٠ كيلومترا في الاراضي التركية ، و ٧٠٠ كيلو مترا في الاراضي السورية  
 و ١١٠٠ كيلومترا في الاراضي العراقية . وجميع روافد الفرات تصب فيه قبل ان  
 يدخل الحدود العراقية . وهو يدخل الحدود العراقية عند ابو كمال . وبين  
 هذه القرية ومنصف المسافة بين هيت والرمادي الى الجنوب معلوم مستوى النهر  
 من السهل المحيط به . وبداية الري الدائم من شمالي الفلوجة حيث تتفرع منه بين  
 شمالي الفلوجة وسد الهندية فروع عديدة اهمها المتكثرية وابو غريب واليوسفية واللطفية  
 والاسكندرية .

وتسرع واديه كلما تقدم في جريه من الشمال الى الجنوب . ويبلغ متوسط عرضه ١٠٠ ميلين واربعة ايام .  
 وتختلف في ضيقه ، في جهاته العليا ، حيث الارض الجافة ، ولهذا يتجه الري في فصل الصيف (الأمير مود)  
 الى السقاية بالآلة لسد الرافعة . اما في اقلها ، حيث الارض الممتلئة به فتنخفض  
 في سهل ديار بكر . ان من صفاتها جارية عميقة جدا .



كان نهر الفرات يشطر منذ الهندية الى فرعين هما نهر الحلة ونهر السبابة .  
 ومنذ ان تم إنشاء سد الهندية عام ١٩١٣ أصبح مجرى نهر الحلة جديداً متجديداً  
 فيه كميات وافية من المياه وتصار نهر الهندية هو المجرى الرئيس لنهر الفرات .  
 وينشطر الفرات نهرين بلدة الكفل الى فرعين هما نهر اللوة ونهر الشامية .  
 هذان النهران يياهما في الباطن العراقية لهما مخرج منفصل الى نهر الفرات  
 تبلغ مساحتهما زهاء ١٢٠٠٠٠ هكتار .  
 تتسرب مياه هذه البطائح في مجاري عدة  
 ثم تتصل هذه المجاري فيكون منها مجرى يدعى نهر الفرات في حال بلدة السبابة .  
 ولكن النهر يشطر للمرة الثالثة في جنوبها ثم يتحد بالقرب من الهامة ثم انما  
 قارب النهر الى دجلة فيستجمع مياهه الى نهر الحمار ثم تتحد مياهه في دجلة  
 عند كومة علي شمال البصرة . لا يزيد عرض الفرات من الكيلومتر الواحد في بعض  
 الاماكن وقد يبلغ عرضه عشرة كيلومترات في اماكن اخرى .  
 يوجد اختلاف فاحش بين اعلى واوطأ تصريف للمياه في كل من دجلة والفرات  
 في مختلف المواسم . فقد ان تصريف الفرات في فيضان عام ١٩٢٩ ٤٢٠٠٠ متر  
 مكعب في الثانية وقد انخفض تصريفه الى ٦٥٠ متراً مكعباً في الثانية عام  
 ١٩٣٠ . وكان تصريف دجلة في فيضان ١٩٤١ اكثر من ١٠٠٠٠ متر مكعب في الثانية  
 على حين كان تصريفه في فيضان ١٩٣٠ اقل من ١٥٠٠ متر مكعب في الثانية .  
 ويختلف تصريف النهر في موسم الفيضان . فقد بلغ تصريف الفرات في فيضان ١٩٤٠  
 ٣٥٠ متراً مكعباً في الثانية ولكن تصريفه في شرايط موسم ١٩٣٠ ١٤٠٠ متراً  
 مكعباً في الثانية فالحال ١٥٠ متراً مكعباً في الثانية في شرايط موسم ١٩٣٠ . ولا يصلح  
 نهر الفرات للملاحة في كثير من اجسامه المتباينة في العرض وقعره شبر الرواسي .  
 اما شط العرب فيشكل من اتحاد نهر الفرات بدجلة في همدان ثم يصب في الفرات . على ان  
 تحول مجرى النهر في شط العرب الى نهرين واتصاله بدجلة في شمال البصرة . على ان  
 المروي اعتبار القسم الثاني بين الفرات وكومة علي جزءاً من دجلة . ويبلغ طوله ١٨٥  
 كيلومتراً . ويصب في الخليج الفارس . ويصلح من هذا النهر ١٠٠٠ متر . ومعدل  
 عمقه نحو ٢٤ قدماً بين الفرات والبصرة . وفي وسطه ترتفع مياهه تزيد الخمس من ٦ الى  
 ١٢ اقدام عن مستواه . وتمتد بساتين التين المنشرة على شاطئيه فتيه موالث تعد اشجاره



وتسبب على الحرار رياح جنوبية غربية تكون جافة شديدة الحرارة صيفا موزونة معتدلة الحرارة شتاء • وتكون هذه الرياح مثقلة بسحب من الغراب الذين الذالك موزونة الحركة • ورياح شمالية غربية وهي تسبب من شبه - زيرة اميا الصوري وتكون باردة جافة شتاء ومعتدلة جافة صيفا • وقد تسبب رياح جافة من حلبة ايران ومن جنوبها الشرفي بخاصة • (٣) •

#### ٤ - المراعي والغابات

في العراق مساحات واسعة من المكراعي والغابات الطبيعية • اما المكراعي الخصبة التي يمكن الاعتماد عليها فتكثر على الخالب في المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية • كما تحتوي الجبال المتاخمة للحدود الإيرانية التركية على مراعي ممتازة ترضي فيها القفال الدرية الرخالة وسبه المستقرة مواشها فاقرب الاموار في جنوبي البلاد • وتوجد مراعي اخرى في القفار الشمالية الغربية وفي الصحراء العربية وفي اراضي البادية في الجنوب التي لم تعد تصلح للزراعة لقلّة ما يسقيها من الامطار • وتعد البساتين في هذه المراعي على المدر • فان نزل الماربكميات مناسبة لنا الصنوب والبنج والرز • وشجر الموابي التي تعد بالملايين • وان كانت امارتيلة ماء موسم الربيع فونفق كثير من الموابي • وللمراعي أهمية عظمى في اقتصاديات البلاد كما ان الحيوانات تكون جزءا منها من هذا الاقتصاد فونفق هذا فحجب الاكثر هذه المراعي على حالتها الطبيعية الحاضرة تحت رحمة قوى الطبيعة اله ميا بل يجب ان نعلم ان هناك طلبا • بل ان مكان مثلا فتوسيع نطاق المراعي الهامة اذا اطلقت مياه ان نهر على اراضي الجنوب المخصبة فنبنت فيها الصنوب بمروعة الشدة حرارة الجو •

واما الغابات فتتبع في المناطق الجبلية وخاصة في الشمال الشرقي حيث تقع وعلى شكل حلال عريض يمتد من نواحي شمالا الى خليجة شرقا ومن الوجة الموصل وارسل والسليمانية • وتقدر مساحة المنطقة التي تشغلها الغابات البلوطيين ١٥٠٠٠ ٢٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع (٤) • وقد عدد ما تحويه منطقة الغابات من الاشجار ب ٢٥٥٠٠٠٠٠٠ شجرة (٥) اهمها المنديار والصفان والراة والجوز واللوز •

(٣) انظر حادثة من ٢٢ - ٢٤ • وبعد الباتي من ٢٢ - ٢٣ والمالك العراقي ٤٠

وسوسة من ١١ - ١٦ •

(٤) القرية العراقية من ٢٢

(٥) حادثة من ١٠٧

والزهور والبطيخ والبنجر الخ ٠٠٠٠ وهذه الغابات هي إحدى منابع الثروة في البلاد يعتمدون على خشبها وأشجارها ونجم الونود كما يستفيد بها فيها من علف وكثيرا تغطي حاجات البلاد ويصدر قسم منها إلى الخارج .

ولقد هذه الغابات أهمية أخرى فهي تلتصق بقطاع البلاد وتحتضن شجرة القرفة ، وتكون تسرب المياه التي تنهار في الشتاء والربيع فتخفف من حدة الفيضان وتجعل الضفة النشطة وتجعل منها مضاف ممتازة في حوض العراق الألهي . إلا أن العناية بالغابات ضعيفة . وهي مهددة بالانقراض . وأشجارها تدهج بصورة فورية وقد زاد قطع الأشجار منذ الحرب العالمية الثانية لانقطاع وارد نجم الونود من الهند وارتفاع أسعار الخشب في البلاد . وقد أصدر وزارة الاقتصاد في ٢٤ / ٢ / ١٩١١ (١) التعليمات في رعاية الغابات (٦) ولكن هذه التعليمات تكللت بالفشل وأقوانين والأنظمة العفيدة بقيت بعدة من التأسيس السليم مرة لنفوذ المتنفذين من الأقاويل وأدب العيب . وسجرت الحديث عن الغابات إلى التأم من ضرورة إقامة الغابات التي تامة في الأقسام الوسطى والجنوبية والوسطى من البلاد . يفسر السيد سليم والمؤيد في تقريره عن الأقسام الوسطى المستنقعات والبحيرات الواسعة وذلك بفساد المياه بها ، وعلى الأشجار فيها فساد وسوء على رطوبة المياه البائسة تحسب في ربيع واحدة حرارة الجو المرتفعة . وهو يعتقد بأن هذه الأشجار تنمو بعد مدة من الزمن سواء على فضاء مساحات من الأرض تحلها أو المستنقعات وتغير حالة إقليم (٧) ومن الممكن إقامة هذه الغابات على حشائفي أنهر الرافدين ودأوله فمحول القري . ويتولى هذه الغابات إلا أن ناعية فإذا تم إنشاءها إلى فوائد أخرى للبلاد فتسد حاجات من الأخشاب ونجم الونود وموتى المزارع في فصل الشتاء إلى يبلغ معدل حرارته ١١٠ درجة فهرنهايت في الليل فتتدهى بذلك للحيوانات وهي ولا تمنع جري السيول للقرية فتتلف رطوبة الأرض وتنتج تراكم التربة في الأنهار والوديان . وستكون هذه الغابات مصدر رباح . تسد الأرض على عواصف الدمار الشديدة التي تنهب على الأقسام الوسطى والجنوبية من البلاد في فصل الشتاء فتتلف بذلك

(٦) القرية العراقية ص ٢٤

(٧) الهاشمي ص ٢٠٥ - ٢٠٦

المزروعات الصيفية من لفحات هذه المواسم المحرقة وتختلج النار من سحب الدمار التي تدب على الجوبيين حين وآخر وقد تمتد أياها موتاد تخفق الأنفاس بين لقد تخفق أنفاس بعض الأطفال والعرضى بأمرار الصدر فعسلا .

## • المعادن

لا نستطيع أن نبحث في ثروة العراق المعدنية بدقة وتفصيل لأنه لم تجر فيه أبحاث فنية واسعة النطاق عن المعادن . وكل ما قام به العلماء ينحصر في دراسة الصخور المسككية أثناء البحث عن الحاديات وفي التحريات الفنية التي قامت بها شركات النفط في بعض أقسام البلاد مبحثا عن هذا المعدن . وأهم المعادن التي ثبت وجودها في العراق هو أن لم يثبت مقدارها ومدى جودتها أهم النفط وقد أثبت أنه غنيا خاصة في غير هذا المجال ، وأغار مواكبر ، والفحم الحجري ، والحديد ، والزنك ، والتخاس ، والفلس ، والبرام ، والطح ، كما عثر على الذهب في البادية بين الرابطة والحدود العراقية السورية . ويجمع هذه المعادن ما هذا النفط ، تستس هو أن استغلت بصورة بدائية غير فنية ، وعلى نطاق ضيق .

## ٦ الحيوانات

أشهر الحيوانات الداجنة في العراق هي الدسم ، الباعز ، البير ، والاموس ، والخيول ، والبغال ، والحصير ، والجمال . وفي البلاد بالإضافة إلى ما تقدم طيور داجنة عديدة الأنواع وطيور برية ونهرية ، وأسماك متنوعة من الأسماك تعيش في الأنهار والامور . وأهم هذه الحيوانات من الوجهة الاقتصادية هي الأغنام ، موثر حيث توجد المراعي في الأقسام الشمالية والجنوبية ، ويقدر عددها بين ١٠ و ١٢ مليون رأس (٨) . وتقسّم أغنام العراق إلى ثلاثة أقسام (١) العرق العربي ، وحيد في السهل ، ويمتاز بصفته المتبعيد في الشعر الدقيق الناعم ، وحمول واللوان مختلفة أبيض وأسود ، وأحمر ، وأخضر ، من هذه اللوان الثلاثة . ويصلح هو الأغنام العربية

(٨) القرية العراقية ص ٦١ ويقدر عبد الحميد بلال " البعير أيضا اقتصاديا " (بغداد ١٩٤٤) ص ١٥٠ بين ٧ و ١٠ ملايين رأس . وسأشير إلى هذا المصدر بهلال .

لنسخ الدنافر والاحرمة والاقمسة ويصدر ما يفيد من حاجة البلاد منه الى بريطانيا  
وفرنسا وهو يضارح اجود اصناف الصوف العندي والصيني وم ساحل افريقيا الشمالية بما في  
ذلك مصر • (١) • (ب) العرق الكردي ويميز في المنطقة الجبلية وهو اقوى واسم  
جسمه من الاقنم العربية موصوفه اخشن واطول قليلا موصنع من صوفه الساد وادمنه  
الغالية • ويصدر الى اوربا واميركا (ج) العرق العواسي وينسب الى قبيلة عربية  
ويميز بين الموصل وحلب والم نون انه تولد من امتزاج العربيين الكردي والكردي •  
ويجمع صوفه بين ميزات « وف عذيق العرقين مولو انه يكون على الخالب ايسر • وقد كثر  
الطلب عليه في اسواق اوربا واميركا • استعماله في النسيج • ويكثر المعز في شمالي  
العراق • وهو يربى في الاغلب من اجل لبنه هو منه ويستفاد من شعره في نسيج  
الشعر والحدقة • والاقمسة الخسنة • ان الامراء التي تحب الاقنم والماعز كالباير  
واغلبها من مستورة بكثرة • اصة في المناطق الشمالية • ولا يبعد ان يكون نائل هذه  
الامراء هو الفراء الذي يلصق بجلدها • كما تتعز الاقنم والماعز للجرير الذي  
يتخذ جلدها ويخذ من الصوف • وف من قيمتها • اما القمل فهو اخطر ما تتعز له الاقنم  
وقد يستولي على الفايح بأسره في موسم الشتاء وينزله وخاصة في السنين الماحلة •  
فيسبب تلفيات كبيرة تنراوح سنويا بين ١٥ / ٠ و ٢٠ / ٠ ان لم يكن اكثر • ان جميع  
هذه الطفيليات التي تزيد في انتشارها وساخة الحائر وتلقا العناية بنسالة الماشية  
وسوء تهذيبها تتلفها الحيوان وتمتددها وتميزله وتلفه في اكثر احيان • وقد قامت  
الحكومة احوالها لتعابير المواشي وعظمتها في بعض المناطق واخذت تدعو الرعاة والفلاحين  
الى الاستفادة منها •

ويوجد في البفر مليون راس • (١٠) وهو يفتقر الى بانه ود منه يستخدم في  
الحراثة وتدر جلوده المديونة تحت دباغة الى الخارج • كما يدر عدد كبير من البقر  
كل عام الى البلاد المجاورة •  
ويوجد من الجاموس زهاء ١٥٠٠ ٠٠٠ راس (١١) • وهو يكثر بقرب المستنقعات

(١) حمادة من ١٢٥

(١٠) بلال من ١٥٢

(١١) المصدر السابق من ١٥٤

والاهوار مستفاد من البانء ود عنه مالحومء مءلودء .

اما الخيل فيقدر عدد ها بمائء وثمانية وتسعين الف فارس (١٢) وربي البدو الجمال ومستفيدون من اوبارها والبانءا موكانوا يستخدءونها في النقل فقدر عليهم رزقا حسنا موكن هذا المورد تضاعف بعد شموع السيارات والقطار . ويقدر عدد جمال العراق ب (٢٧٥٠٠٠٠) وعدد البغال ب (٥٥٠٠٠٠) وعدد الحمير ب (٤٥٥٠٠٠٠) .

وربي القرويون الديور الداجنة الدجال مواد وز موانءا . كما توجد اصناف عديدة من الديور المائية مءخاعة في الاهوار مءءاد النوروء ومءانءن على لحومها مريبءون منها في المدن القريءة . الا ان الطريقة البدائية التي يتبعها القرويون في تربية الدجاج او عدم اتباع اءة خريفة في التربية اذا اردنا التدقيق فمءرك الدجاج عرءة للامراض المختلفة مولا تساعد على تثيرها موالاستفادة منها اقتصاديا . ويوجد من الاسماك اءانء عديدة اهمها الجني والسبيوط موالا موانءر الذي يتراوح طول الواحدة منه بين ٦ و ٧ اقدام . الا ان تجارة السمك مءاخرة محدودة الضائق . بالامءار ان فءرءهءر تجارة السمك محليا موءءد بركياء منه الى الخارج اذا نءمت مءائد السمك . وقد قام المورد الساعي الزراعي بترامسء مشروع لصيد الاسماك في العراق موءكن من اختيار بقعة معينة على الخليج الفارسى مءرة بانواع عديدة من السمك واوصى على باءرة للمشروع بلمءكلفتها ٣٠٠٠٠ دينار . ولم يبداء الءل من بهذا المشروع بعد . (١٤) .

ان تحسين الماشية وتكثيرها والعناية بالخيول والبغال والحمير موالءتام بترية الدجا موءتليم مءائد الاسماك سيزيد من مءادارك البلاد موءتبع للفلاحين ما يحتاجون في الزراعة من حيوانات باءمار خريءة موءذا ما يءكنهم على الاستفادة من اء مشروع يءهدف الى توزيع الاراضي على الفلاحين للمصارع وممكن الناءر عامة من تناول ما يفتءرون اليه ان في غائهم من لحوم وزيد وءليب ودءن مكما اءمكن الفلاح من تربية الماشية والدواجن موالعناية بها موءسيرفء من المستوى الاقتصادي موءخفف من تاثير ما قد يصيبه من ضائقة اقتصادية مءسبب فشل الزراعة في سنة من السنوات .

(١٢) الشرق الاوسط ٢٥٩

(١٣) المصدر السابق للصفءة نفسها

(١٤) التقرير السنوي لمءمال المصءف الزراعي المءء في سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦  
(بءءة ٤٠٠٠) ١٩٤٧ ص ٦٠

ان بإمكان العراق بمقاييلاته الزراعية الواسعة ان يقيم انتاجات الحيوانات الموجودة فيه الان . ولكن العوامل التي ادت الى تاخر اقتصاديات البلاد عموماً هو الزراعة بخاسة ، تقوى بحرقلة نمو هذا المورد المهم من موارد الدخل القومي . فالعراقي كما قلت سابقاً ، في وضع بدائي ولا بد من تحسينها ، وان شاء الله ، مراعاة ثابتة بتوفير مياه الشرب فيما اذا ارد انتاج الماشية باعداد كبيرة . وطرق تربية الماشية بدائية معبدة كل البعد عن الطرق العلمية . فالنظافة معدومة ، والعلف غير منضد في اكثر الاحيان ، كما ان مواش منتشرة بيننا ، هناك . انتخاب النسل الجيد من الماشية يكون معدوماً . ولله اسبابها . ان اكثر القائمين على تربية الماشية هم فلاحين . والفلاح العراقي جاهل بالطرق الصحيحة في تربية الماشية ، من اجل طول الوقت بحقله ، لا يجد تسهماً منه ينقله على العناية بحيواناته . هو فقير لا يستطيع <sup>ان يتحمل</sup> الاصناف الجيدة من الحيوانات ، هذا اذا استطاع ان يشتري منها ما يستحقه الملاك . وهو في كثير من الحالات مستاجر مهتقل وتربية الاصناف الجيدة تطلب الحيوانات تحتل الى البساتين ، موت ميراث اثر والمخازن والمحاسن وما اليها . تقنية تحسين الحيوانات العراقية ، وتكثير اعدادها متوقفة على حل المشكلة الزراعية في البلاد بصورة عامة حلاً <sup>منه</sup> جوهرياً صحيحاً .

## الفصل الثاني

### الزراعة

#### اهم المحاصيل الزراعية

اهم محاصيل البلاد الزراعية هي الحبوب ، والتبغ ، والقطن ، والفاكهة ، والاشجار ، وما منها النخيل .

التبغ الحنطة وهي تزرع في مناطق واسعة ، ولا سيما في الاقسام الشمالية حيث تكون الامطار غزيرة ، والرياح ملائمة . ويوجد من الحنطة اصناف عديدة ، الا ان اهمها هو الصنف المسمى بالحنطة العجيبة الذي ادخلته مديرية الزراعة الى العراق حديثاً . وتمتاز الحنطة العجيبة بمناعتها ضد اكثر الامراض النباتية ، ونسجها الباكر ، ووفرة انتاجها ، وتوفيق اسعارها عن اسعار الاصناف الاخرى في الاسواق .



- وقد زرع من الحنطة العجيبة في موسم ١٩٣٥ - ٣٦ ارضا مساحتها ٤٠٠٠٠٠ دونم •
- ويقدر معدل الناتج للدغم الواحد من الحنطة العجيبة ٢٠٠ و ٣٥٠ كيلوغراما (١) •

الشعير وهو يزرع في اكثر المناطق التي تزرع فيها الحنطة لا سيما في الجنوب • وشعير العراق يصلح لمنع الليرة • ويستهلك معظم محصول البلاد من الحنطة والشعير داخل البلاد • ويصدر ما يفور منها عن الحاجة الى الخارج • وتتوقف جودة محصولها على فزارة سقوط الامطار ومحاولة الفينان موخلو البلاد من الحراد وغيرها من الافات الزراعية •

الرز وتقع مزارعه في الغالب على سفان الانهار مواتق • والاعوار • ومحصول الرز ما يكاد يسد حاجة البلاد • وقد اثر في عدم تقدم زراعة الرز عوامل عديدة اهمها الاقتصاد في مياه الري (٢) • وتحول الزرع الى زراعة القطن • وتزرع حبوب اخرى اهمها المرقطان والباقلان والذرة والذخن والعدس وجميعها تستهلك محليا •

القطن تقدمت زراعة القطن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية • واهم اصنافه الاكالا وهو ممتاز بجودة الشعرة والنضج الباكر ومقاومة العوامل الجوية الحادة ومفزارة المحصول • وارتفاع نسبة العاني بعد الحلق • وينتج الدونم الواحد ٢١٧ كيلوغراما من القطن الزهر (٣) • ويصدر معظم القطن العراقي الى الخارج • وبالامكان تعمير زراعة القطن وزيادة المنتوج منه لان هنالك عوامل عديدة تحول دون انتاج الاراضي المزروعة قلنا اهمها : نظام الحماصة الذي يحول دون استعمال الآلات الميكانيكية والاسمدة الكيماوية والذي يجعل الفلاحة في تعود العمل تحت نظام الحماصة لا يضع كفته بالسائل التي لا يستطيع ان ينتفع منها مباشرة • والتي يتحتم عليه ان ينتظر حتى يبيتها ويحولها الى نقود • وعدم وجود نظام لتصرف

(١) بلال ص ٤٦ - ٤٧

(٢) راجع في حمادة ص ١٧٦ - ٧ تفصيل القانون الصادر سنة ١٩٣٤ الذي يحدد

مناطق زراعة الرز بقصد الاقتصاد في مياه الري •

(٣) بلال ص ١١٣ ويقول الدكتور سوسة ص ١٩ ان متوسط غلة المزارعة الواحدة منه

يتراوح عادة بين ٣٠٠ و ٦٠٠ كيلوغراما من القطن الخام كل حسب نوعه •

الماء منتولد من كثرة المياه الاملاح التي توافي القطن مولد سيما في بلاد حرها شديد  
ومناخها جاف كالعراق . على ان زراعة القطن آخذة في النمو لتأسيس محمل لغزل  
القطن ونسجه . ولاقبال الاسواق الخارجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .  
على ثرائه . وتشير تقارير المختصين بشأن موسم القطن الذي سيبدأ في زراعته في  
شهر اذار ١٩٥١ مالى ان العراق سينتج من القطن الزهر في هذا الموسم كميات  
تتراوح بين ٥٠ الف طن و ٦٠ الف طن (٤) .

### التبغ

يزرع التبغ في المناطق الشمالية وعلى الاخص في السليمانية ورائية  
وراندوز وكركوك سنجق وبعراقضية الموصل الكردية . وقد اهتمت الحكومة بهذا المحصول  
فانما حثولا تجريبية عديدة مجريت فيها اصنافا مختلفة للتبغ استوردتها من البلاد  
الجنبية وقامت بتوزيع الشتائل على اللاحين مجاناً . وقد نمت زراعة التبغ وتعددت  
الاصناف الجيدة منه مواجنته الحكومة . وتحترم مديرية انحصار التبغ تقدير كميات من  
الاصناف الجيدة من التبغ العراقي الى الخارج . وقد اصبحت مساحة الارض المزروعة  
تبلغ ( ١٠٠٠٠ ) ايكرا عام ١٩٣٩ متراوح غلتها بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ طن وقد  
بلغ المحصول في عام ١٩٤٦ اكثر من ١٠٠٠٠ طن .

وقد تقدمت في السنوات الاخيرة زراعة السمسم والكتان فلووجود بعض  
المعامل في البلاد التي تستخرج الزيوت النباتية وتصنع الصابون كما ان الكياف  
المنتجة منها لا تزال غثيلة . ويوجد نبات ينمونوا طبيعيا على سفوح الانهار  
هو عرق السور وتصدر كميات كبيرة منه الى خان موانى اميركا بخاصة .

### التمر

وتقدر ما يصدره العراق الى الاسواق العالمية بما يزيد عن ٨٠ مليون  
مجموع التجارة العالمية في التمر . وهو يكون ما لا يقل عن ٢٢ ٪ من مجموع صادرات  
البلاد (٥) . وتقدر عدد اشجار النخيل المثمرة بـ ٣٠ مليون شجرة يوجد منها  
زهاء ١٣ مليون نخلة في منطقة شط العرب . وتمتد بساتين النخيل من ناحية الفاوج جنوبا

(٤) جريدة صدى الاهالي بغداد ٨ شباط ١٩٥١ عدد ٤١٦

(٥) حمادة ص ١٨٤

الى قضاء منه من الجبال الشمالية الغربية والى طوز خرماتو من الجهة الشمالية الشرقية • ويوجد منه نحو ١٨٠ صنفا اشعبا السائر هو الحلو هو الزهرى والخضراى • وتتراو معدل انتاج كل نخلة بين ٢٥ و ٦٠ كيلوغراما • وذلك بحسب اختلاف نوع الشجرة وعمرها وطبيعة الارض (٦) •

وفي البلاد اعناق متدد قس انطار الحفنية هو الخشب هو القيق هو الرمان والكوشا والتناج هو القوت • والحق منها يستطرد جميعه في داخل البلاد • وكانت زراعة الخضار مقتدرة على الحدس لان الفلاحين هو على الحد في الجنوب • كما انهم يستحبون ممارسة هذه الحرفة • على ان هذه الحقلية اخذت تقلاى تدريجيا مواخذت زراعة الخضار تتقدم وتزدهر •

## اسباب تساهل الزراعة

الزراعة هي محور اقتصاديات البلاد ، واساس الثروة فيها ، فلو ان الدخل الزراعي ما يزيد عن ٦٥ ٪ من مجموع الدخل القومي (٧) . ويشتغل ثلثا السكان في الزراعة ويعتمدون عليها اعتمادا مباشرا في معيشتهم ، بينما يشتغل معظم الباقين في اعمال تعتمد على الزراعة او تتصل بها <sup>اقتصاديا</sup> وثيقا (٨) . واول ما يلاحظه المرء في الدخل الزراعي انه وادني جدا بالنسبة لعدد السكان الذين يعتمدون على الزراعة ولمساحة الاراضي القابلة للزراعة ، وبالنسبة لمعدل انتاج الهكتار الواحد من الدروما . . .

تقدر مساحة الاراضي القابلة للزراعة في العراق بـ ١٢١ / ٠٠٠ كيلومتر مربع او ٤٨٦ ٤٠٠ / ٠٠٠ مائة (٩) . ولكن لا يستغل من هذه الاراضي استغلالا فعلياً الا ثلثا نحو خمسها اي ٢٣٦ ٠٠٠ كيلومتر مربع او ٩٦ ٣٥٠ / ٠٠٠ مائة (١٠) .

توجد عوامل عديدة تحول دون استغلال هذه المساحات الواسعة من الارض اعمداً ، فعدم استخدام المياه المتوفرة في البلاد استخداما صحيحا وهذا ما جعل مساحات واسعة من الاراضي لا تصلح للزراعة في الوقت الحاضر . فالتربة التي تروى سنويا تقدر مساحتها بـ ٢٦ ٢٠٠ / ٠٠٠ اكر ، ولكن هذه المساحة يمكن زيادتها اذا ما تم مضاربع التربة واستخدام المياه استخداما صحيحا ، فالى ٤٠٠ / ٠٠٠ اكر (١١) . ان استغلال هذه الاراضي يتوقف بالدرجة الاولى على توفير المياه اللازمة لاروائها . يداء الى هذا اعتماد الزراعة على الوسائل البدائية بوزلة اريدي العاملة في الري ، التي اخذت تشتت نتيجة لهجرة الفلاحين الى المدن وعدم استخدام الآلات الحديثة واعتماد الزراعة على قوة عمل الفلاحين فحسب . وعلى هذا يكون من المستحيل

(٧) المصرف الزراعي العراقي التقرير السنوي الثالث - رلسة ١٩٤٨ - ٤٩

(مطبوعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٥) ص ٢ .

(٨)

Final Report of the United Nations Economic Survey Mission for the Middle East (New York, 1949) .

(٩) المشارة هي الدونم العراقي ومساحتها ٢٥٠٠ متر مربع

P. 2

(١٠) المصرف الزراعي العراقي التقرير السنوي الثالث (وانظر القوة الزراعية ٩٠)

(١١) التقرير هيئة الامم القسم الثاني ص ٣١ .

زيادة المساحات المزروعة اذا ظل السكان على حالتهم من القلة مما اذا استمر على اتباع الطرق الزراعية القائمة في الوقت الحاضر (١٢) . على ان الاراضي المزروعة لا تستغل استفاداً لا صحيحاً فهي تزرع على الدوم زراعة خفيفة بمعدل ما يستجده الهكتار الواحد من الماء اصيل الرئيسية وادي جداً حتى يملأ بالمقارنة مع الاقطار المجاورة . فقد كان معدل قلة الهكتار في السنة للمنتجين ١٦٣٤ و ١٦٢٥ ضمن الحنطة والشعير والرز والتبغ ٣٣٤ ٦٠١٠ ١١١٢ ٧٦٠٠ على التوالي في العراق و ١٠١٦٥ ٧١٥ ١٠١٦٥ ٣٦١١ ٦٧٣٠ في سوريا ولبنان (١٣) .

ان السواحل التي تسبب ضعف انتاجية الارض وقلة فلتها عدة اهمية الاساليب الزراعية القديمة المنتشرة السيادة على المياه بوقلة اهتمام المزارع بالاراضي الناتجة عن نظام التصرف بالاراضي مضعف كفاءة الفلاح الزراعية .

### الاساليب الزراعية

#### (١) الحراثة والحصاد والدارسة والتذرية

ان الطرق المتبعة في الزراعة متينة مواردات المستعملة بسيطة . تحرث الارض بمحاريث خشبية ذات رؤوس حديدية مونتخ عادة خفيفة ليست على الحيوانات سريها . وهذه المحاريث لا تشق اثناء عميقة في الارض . فيضطر المزارع لاعادة حرث الارض مرة او مرتين ومع كل جوده تبقى الحراثة سطحية والتربة غير مقلوبة قلباً حسناً ولا معرصة لنور الشمس التمر الكار . وقد هذا لا يستطيع المزارع ان يحرق اكثر من منارة ونصف المنارة في اليوم الواحد . هذه الطريقة العتيقة في الحراثة تضيع وقت الفلاح مونتخ قوام .

وتستعمل المناجل في الحصاد . وهي بسيطة متينة . ويستعمل النوع النسيجي في الدارسة عادة . وفي بعض المناطق يكفي الفلاح بان يرمي الحيوانات الى وقد في

(١٤) جاء في المصدر السابق من الممكن ان يتحقق التوسع في المساحات المزروعة من الاراضي بتسجيع الهجرة من الفلاحين او استخدام الآلات في الزراعة فوجدوا ان العراق مشجع الى اتباع الوسيلة الأخيرة (١٥) ان اقتراح الهجرة من الفلاحين اقتراح غريب لا ضرورة تقتضي ان يوضع حد للهجرة اللاجئين الى المدن وذلك بالعمل على ازالة اسباب تدفعهم وحل مشاكلهم خلافاً لا والعمل على حل مشاكل السحة والنضار على الاسباب التي تؤدي الى كثرة الوفيات .

وسط البيدل ويتركها تدور الحديد بحوافرها حتى ينفث وتتم دراسته فاذا انتهى من الدراسة جمع الحصيد كومة يواخذ يذويه بذراته الخشبية معتمدا على الريح في فصل الحب من التبن يكرر هذا العمل مرارا حتى يتنقى الحب • وتتوقف هذه العملية على قوة هبوب الريح • وتتطلب وقتا طويلا وجهودا متعبة • ان الاسلوب المتبع في الزراعة بالالات المستخدمة فيها يستغرق معناه وقت الفلاح ولا تترك له المجال للقيام بأي عمل اخر او حتى لا تقام عمله • ومن هنا كانت الارض التي يزرعها الفلاح الواحد صغيرة المساحة والبذور التي يزرعها قليلة الكمية لتلائم قواه الجسمية • ومقدرته على العمل (١٤) •

## ٢ - استعمال السماد

يشتمل الفلاح السماد الطبيعي اوزيل الحيوانات • والقمامات والازواخ والفضلات الذي يبقى في الارض بعد الحصاد ويمتزج بالترية عند الحراثة • وهذا السماد الذي يستخدمه الفلاحون بنطاق محدود لانهم يستعملون هذه المواد في التوتود لحكم وجود مواد اخرى للتوتود تحت تصرفهم فلا يمد حاجة الارض ولا يمد بها بالمواد التي تفقد على الدوام • وهذه احد عوامل ضعف انتاجية الارض • واما الاسمدة الكيماوية فمحدودة الاستعمال مولا تعرفها اقلية الفلاحين • واهم الحوائج التي تحول دون زيادة استعمال الاسمدة الكيماوية هي اولا شيوخ نظام المزارعة بالحفاصة الذي يمد مستاجر الارض من تحمل اية نفقة اضافية من اجل غلة يذهب القسم الاكبر منها الى صاحب الارض ومن اجل ارز لا تعود ملكيتها له مواتيا فقر الفلاح الذي يحول دونه دون ابتلاع السماد مواتيا جوع الفلاح لاهيق السماد وطرق استعمال الكيماوي منه •

(١٤) بدأ بعض اصحاب الاراضي يستعملون المكائن في الزراعة وخاصة منذ الحرب العالمية الثانية • وموجد في البلاد الان نحو ٥٠٠ فتراكتور • وقد انشأت الحكومة مديرية المكائن الزراعية • وخولتها حر استيراد وتوزيع مختلف مكائن الزراعة • الا ان هذه المكائن محدودة كما ولم يؤثر ادخالها الا تأثيرا محدودا على الطرق الشائعة في الزراعة •

٢ انتخاب البذور :

درج الفلاح على زراعة البذور التي تنتجها مزرعته أو التي يشتريها من السوق المحلية مماثلة تكون رديئة الصنف لأن فتره ينفعه من شراء الاصناف الجيدة . وهذه احد العوامل التي أدت الى رداءة الانتوج من الحبوب العراقية .

الدورة الزراعية :

الطريقة النائية في مناوبة المواسم الزراعية هي الطريقة الثنائية . وهي ان تلمس الارض الى قسمين يزرع احدهما ويترك القسم الاخر بورا ثم تعكس الحال في السنة الثانية . والطريقة التي يتبعها الفلاح في تبوير الارض غير صحيحة لانه يترك الارض على حالتها بعد الحصاد دون ان يقوم بحراستها مع ان الحراثة عامل اساسي في حفظ كيان التربة من التوهمه الجكترولوجية والكيماوية . وقد نشأت طريقة ترك الارض بورا عن عوامل كثيرة منها سعة اراضي الزراعة التي تحت تصرف الملاكين موقلة الايدي العاملة موقلة مياه الري وحبوطها في فصل الصيف وعدم مقدرة الفلاح على مستوى مختلف البذور والملائمة لاختلاف المواسم . وتنتج الفلاح احيانا طريقة اخرى وذلك بان يزرع قطعة الارض موسما شتويا ثم يزرعها موسما صيفيا في السنة التالية . وهذه الطريقة تؤدي الى اجهاد الارض وهدر موارثها .

السيبي :

تنقسم اراضي العراق الى سابتين واسعتين : المنطقة الشمالية وتقع على المطر والمنطقة الجنوبية وتعتمد على الري .

تبلغ مساحة الاراضي القابلة للزراعة في المنطقة المطرية عشرة ملايين هكتار على ان ١٥٥ مليون هكتار تقريبا من هذه الاراضي يزرع فعليا الان . (١٥) . وما تبقى من هذه الاراضي يمكن زراعته اعتمادا على مياه الامطار والفيضات . والتي سيحيا . اما في المنطقة الجنوبية فان الامطار غير كافية للزراعة ان يتراوى معدل

سقوط الامطار في بغداد بين ٤ و ٥ بوصة - وهذه الكمية من المياه غير كافية لحاجة المزروعات . وعلى هذه فان هذه المنطقة تعتمد اعتمادا كبيرا على مياه دجلة والفرات وما يتفرع منها من اقنية وري داول . . . وهكذا النهران لا يسقيان ما في وسط العراق وجنوبه من مزارع وحقول فحسب بل ان فيهما كمية كبيرة من المياه الفائضة لا روا مساحا واسعة من الاراضي فيما اذا اقيمت مشاريع الري الضرورية . والجدول التالي (١٦) يوضح لنا امكانية توسيع الاراضي الزراعية في العراق بواسطة انشاء مشاريع جديدة للري .

مساحة الاراضي التي تروى حاليا	مساحة الاراضي التي يمكن ريوها اذا تمت مشاريع اخرى	المساحة النائية
الفرات ١٦٢٠٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠٠٠
دجلة ٢١٠٠٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠٠٠	٤٢٠٠٠٠٠٠
المجموع ٣٧٢٠٠٠٠٠٠ اكر	٣٧٠٠٠٠٠٠٠ اكر	٦٤٠٠٠٠٠٠٠ اكر

على ان مشكلة الري في العراق لا تقتصر على وجود هذه المساحات الواسعة من الاراضي التي تحوزها المياه لتصبح سالحة للزراعة بل ان الاراضي المروية حاليا معرضة للبوار نتيجة لتسليط المياه عليها واستقرارها فيها فلو لم يوجد الاهلاج فيها فوهذه الاراضي هي التي تسمى بالسباح . كما انخفضت القابلية الانتاجية ل ٦٠ ٪ من الاراضي التي تسمى سيحاً . ولما كانت مساحة الاراضي التي تسمى سيحاً تبلغ ١٦٧١٠٠٠٠٠ اكر تكون مساحة الاراضي التي انخفضت قابليتها الانتاجية اكثر من مليون اكر (١٧) .

ان الطريقة الاساسية الناجحة لاستصلاح الاراضي واعادة قابليتها الانتاجية هي ايجاد نظام لتصريف المياه الزائدة لان الاهلاج الرئيسية المودعة في الاراضي سيحة

(١٦) تقرير هيئة الامم بالقسم الثاني ص ٣١

(١٧) المصدر السابق ص ٣١



الاذابة في الماء فإذا ما وجدت مشاريع التصريف منها التخلد منها • ولكن ضروريا للتصريف لم يتم في البلاد حتى الآن •

ان مشكلة الري من اهم المشاكل التي يتوقف على حلها حل جميعها موسريا تقدم الزراعة في البلاد • فمع الضرر في كل النواحي فتح الجدول والنفوس • منها السدود على ان تمارر للتحكم في توزيع المياه وانشاء نظام لتصريف المياه الزائدة • واقامة الخزانات على غرار دجلة والفرات لخزن المياه وقد القيا • وهذا تنفذ البلاد من خطر الفيضان الذي كثيرا ما يهدد المدن كوسيدم القرى • هيتك الزراعة • ويرد الاتك من النار • هيتك كل عام وهذه المياه المختزنة تنفق في الربيع لتسقي المزروعات الصيفية والتي تنق زراعتها • لقله المياه المتوفرة في الصيف • (دار عدم الانتظام في التجديز • يعني المياه بحرارة راضي الزراعة لخطر الفيضان في كثير من الاحيان على حد بحرهما • الكميات الوافية في اشهر الصيف • هيتك ما يعل انشاء القناطر الحارة على مر مجاري الانهر لرفع مناسيب المياه امامها في موسم الفيضانات • واقامة خزانات لدرء اخطار الفيضانات وخزن المياه الزائدة • لاستفادة منها لافرا • الري في موسم شحة المياه من اهم الاعمال الرئيسية التي ينبغي انجازها لتنظيم شوء الري في القناطر • ان هنالك حالات غير اعتيادية تصبغ فيها مياه الانهر الطبيعية غير كافية لسد احيايات الزراعة من دور الاعتماد على مياه الخزن • فالحل الذي حصل في صيف عام ١١٣٥ - ١١٤٤ ان احسن مثال لذلك ان كانت اكثر اثار تلك الفلكية في منطقة دبالى تتلف وذلك من جراء هبوط التربة الذي يعني للنهر الى نقص الكمية الاعتيادية في موسم الصيف • (١٨) •

منذ ان وضع ولكوكس تقريره المشهور عن الري في العراق عام ١٩٠٨ أصبحت الخطوات الضرورية لحل مشكلة الري واضحة • وقد اهتمت الحكومة العراقية بدراسة مشاريع الري فاستقدمت الخبراء وانشاء اللجان واخرها اللجنة التي اشرف عليها مستر هاغ والتي درست من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٤٩ مشاكل الري ووضعت خطط المشاريع والاعمال الضرورية (١٩)

(١٨) سوسة مر ١٠ - ١١

(١٩) للاطلاع على اهم المشاريع الضرورية التي اقترحتها لجنة هاغ فمكتبة تاليفها البالغة اكثر من ١٠ مليون دينار راجع تقرير هيئة الامم القسم الاول مر ٧١ - ٧٤

وقد نفذت الحكومة بعض مشاريع الري المهمة مثل مشروع سدة الكوت والظرف  
والحويجة وبقي القسم الأكبر منها ينتظر التنفيذ . واول الحوائج التي تقف دون  
تحقيق هذه المشاريع هي عدم وجود المال اللازم . وقلة المهندسين والفنيين  
والاختصاصيين بالري . على ان هذه المشاريع لا يمكن ان تتحقق على الوجه  
السليم مولا يمكن ان تعطي نتائج محدودة ما لم تسو مشكلة الاراضي تسوية طرفة  
وما لم يتشك الفلاح ثقافة زراعية صحيحة . بحيث يمكن قادرا على استخدام الماء استخداما  
صحيحا .

### كفاءة العمل الزراعي

ان كفاءة الفلاح العراقي الانتاجية محدودة لانه لم يدرب تدريباً فنياً  
على الزراعة بل هو ينشأ في الحقول ، وينتقل معارفه الزراعية عن حوله من الفلاحين  
ويتبع اعمالهم بكل ما يراه من اخطاء متكرار ، ويصدر للجهل دوراً هاماً . فهو  
مثلاً يسمي من الآلات الزراعية البدائية نفسها في مختلف مناطق البلاد دون مراعاة  
نوع التربة وطبيعة الارض . والى البسيطة التي يستعملها هو الحيوانات المنزلية  
التي يعتمد عليها تسخير الجود ، وتجهز زراعة الحبوب تستمر وقته طول العام .  
فعملية سقية المحصول تستمر المدة منذ بدا الحصاد حتى رفعه من الميادين وهي  
المدة الواقعة بين نيسان وايلول من كل سنة هلى حين تنو الغزير والآخر  
اي الصيفية او الخريفية في حال قالى ما يلزمها من خدمة ووقاية . كما ان الاتعداد  
لزراعة الموسم الشتوي تأتي مباشرة بعد الدراسة . وهكذا ينشأ الفلاح للاستغناء  
بعملياً عديده متنوعة في وقت واحد وهذا مما يثقل من كفاءته في العمل وما ثم  
بضعف الانتاج . وان استمرار الفلاح الى الانتماء الى زراعة الحنطة وللشعير  
وانقائه - يوده كلها عليها طول السنة يحول دون زراعة المحاصيل الصيفية او  
يساعد عناية بها ان استطاع ان يزرعها فهذا هو احد عوام فقر الفلاحين وتدنوي  
مستواهم الاقتصادي . ان قيام الفلاح بكافة العملية الزراعية من حراثة ومجودة  
ودراسة وتذرية ومحرسة للميادين ووقاية للسود وال داول هو و شديته .

وابتلاءه بمختلف الامراض يتعرض له لشغل الصيف واللافتة هو برد الشتاء الزهير دون ان يكون له من ملاهيه الاخلاق وقاية منها تجعل جسمه متعبا مهدورا ذا مقدرة واطاقة على العمل . فاذا اضفنا الى هذا حالته النفسية المريرة المتأينة عن شعوره بان ثمره اتعابه ستذهب للملاك مهما بذل من جهد . ومن هذه الديون التي يزرع تحت ثمرها هو العيشة الخسنة التي يحباها في كوخه الخالي من كل ما يخفف عنه فناء العمل هو بيع جسمه المكثون هو اسبابه المشوكة هو خلو الهيف من المباح التي تحب الحياة الى انسان هو تدفعه للعلم مادركنا سره - دول الفلاح هو احتياط قدرته الانتاجية .

### علاقة الفلاح بالارض

#### (١) اصناف الاراضي

حدد قانون تسوية الاراضي لسنة ١٩٣٢ الاراضي في العراق بالاصناف التالية

(١) الاراضي المملوكة : وهي التي لاساحبها حق التصرف المطلق بها وكما ان له حق رقيبتها .

(٢) الاراضي المشروكة : وهي الاراضي التي خصصت لغرض من اغراض المنفعة العامة او وسميت الجذور هو مر على استعمالها للسر المذكور - مائة سنة كالفقار والحدائق والملاعب والبيادر والاسواق ٠٠٠ الخ (٢١) .

(٣) الاراضي الموقوفة : وهي عبارة عن اراض مرسدة لحايات دينية او خيرية او عائلية . والوقت نومان : (١) وقف صحيح ويشمل الاراضي المملوكة التي تحولها صاحباها الى وقف فتصبح الارزورقيتها هو حقوق التصرف فيها موكل الفوائد الناتجة منها موقوفة . (ب) وقف غير صحيح ويشمل الاراضي المقررة من اراضي الاميرية التي اوقفها السلاطين او غيرهم من اصحاب السلطة وخصصوا منها فاعها العائدة الى الدولة من منور ورسم اميرية لجهة ما . (٢٢)

(٢١) حمادة ص ١٣٥

(٢٢) المصدر السابق ١٣١ - ١٤٠

(٤) الاراضي الاميرية : وهي الاراضي التي تعود رقيبتها الى الحكومة ولكن حقوق التصرف بها واستغلالها يجوز ان تعود الى الافراد . وهذه الاراضي تشمل جميع الاراضي في البلاد التي يوجد نصوص صريحة بمعادنها الى احد الافراد ، او احد المؤسسات الخيرية . وتنقسم الى ثلاث اصناف .

(١) الاراضي المفوضة بالطابو : وهي الاراضي التي يعود حق التصرف بها الى الافراد . وتكون الاراضي مفوضة بالطابو في احدى الحالات الآتية : (١) اذا كانت مسجلة في سجلات الطابو على هذا الوجه (٢) اذا لم تكن مسجلة في الطابو باسم احد ولكن وجدت لديه وثائق او دلائل تبرر تسجيلها باسمه مجددا . (٣) اذا كانت مضمومة بالاشجار بها فيها النخيل والحمم لمدة لا تقل عن عشر سنوات على ان لا يتقبل عددها عن اربعين شجرة لكل دونم بمعنى ان يؤخذ بنظر الاعتبار معدل عدد الاشجار وان يكون عمر اكثرها لا يقل عن عشر سنوات وان لا يقل عدد الاشجار  $\frac{1}{4}$  المشورة فيها عن عشرين شجرة لكل دونم . (٤) اذا كانت تحت تصرف شخص او من حل محله وكانت مستقرة حسب التماس الزراعي المحلي لمدة لا تقل عن عشر سنوات سبقت قرار التسوية بشأنها ولازال مستثمرا ولم تدفع عنها اجرة الار في المدة المذكورة (٢٣) . ويتمتع صاحب الاراضي المفوضة بالطابو بنفس الحقوق التي يتمتع بها صاحب الاراضي المملوكة (ماعدا رقيبتها فهي للدولة) . وله الحق في ان يبيعها او يؤجرها او يرهنها او يورثها مؤدا يدفع عنها اجارا للدولة لانه قد وقع عند حيازته لها لأول مرة رسما يسمى بدل المثل او الممثلة . وله بحق له ان ينفقها وفقا لصحبا او ان يقفها دون ادنى من الحكومة (٢٤)

(ب) الاراضي المنوطة باللزمة : ان حقوق اللزمة هي عبارة عن الحقوق التي نالها افراد القبائل التي احتلت تدلعا من الاراضي الاميرية غير المفوضة بالطابو وتمتعوا بها مدة من الزمن والمعنى الصحيح لهذا التعبير كما يذهب الى ذلك دوسن (٢٥) هو حق السكنى والزراعة . وينتج اللزمة رئيس التسوية الثالث عشر العراقي الذي يتصرف بها مؤمن حل محله من العراقيين في خلال الخمسة عشرة سنة

---

(٢٣) قانون التسوية مادة ١٠ ب نقلا عن شاكر ناصر حيدر " احكام الاراضي والاموال غير المنقولة " (بغداد ١٩٤٧) ص ٢٤٥ وشاكر الى هذا المصدر الاخير بحيدر

(٢٤) حمادة ص ١٢٧

(٢٥) دوسن ص ٢٥

السابقة لإعلان التسوية • والمقصود بالتصرف هنا هو زراعتها حسب التعامل المحلي  
أو غرسها بالاشجار حسب التعامل المحلي • ولا يشترط أن يكون التصرف دالة هذه  
المدة وإنما أن يكون خلالها حتى ولو كان واقعا قبل إعلان تسوية الارض بسنة واحدة (٢٦)  
ويجوز لمجلس الوزراء منع اللزعة في الأراضي الاميرية المرفقة التي تمت تسويتها  
بشرط أن يكون إلى العشائر لمراسلتهم بقصد استثمارها من قبلهم •  
أن حقوق صاحب اللزعة مضمونة عامة كحقوق المتصرف بالأراضي الاميرية المفوضة  
بالتطابق مع بعض القيود الواردة على تلك الحقوق •

#### (ج) الأراضي الاميرية المرفقة :

وتشمل جميع الأراضي الاميرية غير المفوضة بالتأجير  
أو الممنوحة باللزعة • والدولة وحدها تعتبر صاحبها ولها حق التصرف فيها وحتى  
رقيتها • وبشراء أفراد الذين يستلمونها مستأجرين أو ملتزمين لمدة محدودة •  
لا توجد لدينا احصاءات مضبوطة بمساحة كل صنف من اصناف الأراضي  
ولا نسبتها إلى بعضها • وفيما يلي جدول بمساحة الأراضي التي تمت تسويتها  
منذ تأسيس دائرة التروية حتى نهاية عام ١٩٤٧ محسوبة بالدونم (٢٧)  
المجموع الكلي للأراضي المنجزة تسويتها : ٤٣٨ ٢٤٤ ٠ ٧٠  
الأراضي الاميرية المرفقة : ٢٧٨ ٥٨٣ ٢٤١  
الأراضي الممنوحة باللزعة : ٦٨ ٨١٤ ٢٤١  
الأراضي المفوضة بالتطابق : ٧ ٣٢١ ٤٢٠  
الأراضي العائدة للوقف : ٤١٢ ١٦٦  
الأراضي المملوكة : ١٣٥ ١٨٨

#### (٢٦) حيدر ص ٢٨٥

٢٧١٦ (٢٧) القرية المرافقة ص ٥٦ • وقد أُنجز الاستاذ جعفر خياط في المصدر  
٥٧ هذه الملاحظة " وما يجب أن يلاحظ في الأراضي التي أُنجزت تسويتها  
هذه أن قسما كبيرا من الأراضي الاميرية المرفقة لم يرد في هذا الموجز منها  
بالصفة ملاحظات في لوائح العمارة التي لا يزال وضعها وضعها خاصا من حيث  
ملكية الأراضي الزراعية فيه • وأن الأراضي " اللازمة " كلها منزوعة تقريبا بينما يكون  
معظم الأراضي الاميرية المفوضة مملوكة بالسلطان وتعد جميع الأراضي  
الاقواق تقريبا أراضي منزوعة وكذلك المملوكة (٢٨)

## (ب) حيازة الاراضي والتصرف بها

حيازة الاراضي قبل مدحت باشا : كانت الدولة العثمانية تعتبر جميع الاراضي في العراق كما هذا الاراضي التي يملكها الافراد ملكا عرفيا واسع البنية يملكها الميرج الذي نالته بحق الفتح والاستيلاء . وكان السلاطين والوزراء والرق يقطعون بعض هذه الاراضي لمن يشاؤون من المحاربين والمقربين والمنفذين مودى الخدمات النافعة للدولة . وكانت الدولة تمنحهم سندات وعقودا بحقوق في الارض . وكان هؤلاء يسمون باصحاب الاراضي وكانوا يفوضون ما تحت سيطرتهم من الاراضي الميرة الى المستأجرين . كما كانوا يبيعون الارائب موبدانون باجراء معاملات البيع والافراغ ويحفظون سندات موقعة من قبلهم . وكانت الدولة توقف ثلثها من الاراضي على المقاصد الخيرية والمصارف الدينية . كما كانت تستوفي قسما منها كالتعويضات الخيرية فتتوزعها للفلاحين وتستوفي منها ما تستحق من فسخ او خراج (٢٨) .

على ان القسم اعظم من الاراضي الزراعية في النعناع والريوب كان يملكه العشائر . وكانت الوحدة الزراعية في النعناع هي القرية كما في الوسط والجنوب فكانت الواحدة الزراعة هي القبيلة او العشيرة . كان لكل عشيرة قطعة من الارض خاصة بها تدعى " دبرتها " يزرعها افراد العشيرة موزعين موائيمهم في مراعيها . وانت العشيرة ترى ان دبرتها ملك <sup>خاص</sup> بها . لانها قد استوطنت فيها ومصرتها منذ مئات السنين . فهي التي نقت - داولها - وقامت بحوثها وزرعها ابا عن جد . وكان ثلث اراضي الدبرة مباحا ناسخا مفرز للذبيح لمستعين بالعلقة على القيام بواجباته تجاه القبيلة . وكانت هذه الحصة تقدم للذبيح بصفته رئيسا لعشيرة على الى الوليفة التي يشغلها وليس بصفته الشخصية . كما الانعام الباقية من الارض فكانت توزع على اسر الفلاحين حسب عدد المحاربين في كل اسرة . او حسب اتساع الارض وخصوبتها موقلة ايدي العاملة او كثرتها فيها . (٢٩) .

والحق ان ملكية الارض كانت محققة بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخاصة

(٢٨) انظر حيدر ص ٢ - ٨

(٢٩) انظر جواد ص ٤٥

Doreen Warriner " Land and Poverty in the Middle East ( London , 1948 ) P. 104 . وسأشير الى المصدر الاخير باسم وارنر .

مائعة فوضى في معظم أنحاء البلاد • وكانت الأراضي تتعاورها ادعاءات عديدة بالملكية • فالدولة تعتبرها ملكا صرفا لها • وكان احفاد الاقباةيين من اصحاب وحدات التيمار متمسكين بالوثائق والعقود التي منحتم اياها الدولة • وكان بيع الأراضي وشراؤها مستمرا على جاري العادة منذ اجيال من غر علم الحكومة اراعرافها • (٣٠) ولم تستطع الحكومة الترفية ان تمارس سيادة مطلقة فعالة على الاراضي المبرية الواسعة التي تكتسب معظم البلاد لان نفوذها خارج المدن الكبيرة كان محدودا واحيانا معدوما بالملكية • وكان استقرار العشيرة في الارض مترقفا على قدرتها على مقاومة غارات العشائر الاخرى • فنفوذ الحكومة يوصلح الار لسكانها • (٣١) وعندما عرفت الدولة العثمانية على اصلاح الاوضاع في ان الامبراطورية في مطلع القرن التاسع عشر • كانت هذه القبائل التي استقر بعضها واخذ بعضها في سبيل الاستقرار وممارسة الزراعة • لا تعترف للدولة العثمانية بسلطة هذه الدولة التي كان جميع الخرائب البادية • فابتزاز اموال الفلاحين عندها الاول • وكانت هذه القبائل متمسكة بعرفها وعاداتها • تخضع لردائها وشيوخها • وتحاول الابتعاد عن المدينة والخدمين لانظمة الحكومة وقوانينها • ما وسعيها الا لاجل ان واسمها • معارضة في ادسار مع اية دولة منسمة وكانت جالعة لا تقوتها لومة تلح للحصول على منعم الا انتفرت في غير عيابة من قسام الحكومة وتنكيد • (٣٢) • ومن الباشوات الاتراء على محمد بن "ابناء العشائر وتنكيد" كيانهم القبلي بالعنف والفتنة كانوا يحركون قبيلة على قبيلة اخرى وانوا يردون الهجمات التاديبية عليهم • ولكن سياسة العنف هذه لم تجدد نفعا • وقد فشلت لان الدولة لم تستطع ان تتبع اسلوب الصحيح في اسكان العشائر ومساعدتهم على الاستقرار • ان سياسة تفكيك القبائل والقضاء عليها بصورة مادية كافية • يجب ان يبيها الفشل على كل حال • وقد فشلت في هذه الحقة من الزمن لاسباب خاصة واخرى عامة • وكانت النتيجة ان زجت الاصنام العشائرية من العراق في اتون مسيل من الفزائل • وفي احضان اسراء ما يتذكره الناس

(٣٠) *Modern Iraq* - " (Oxford, 1925) p. 306 (٣١) انظر دوسن ص ٢٤

(٣٢) انظر لوتريك ص ٤٨٩

من القوضى موضح الفلاحون المستوطنون الى البادية من جديد . ( ٢٣ ) .  
 على ان الحكومة العثمانية كانت ملزمة في الاجابة وقد اراد ان تضع  
 نظاما جديدا للاراضي بجميع استقرار في البلاد ، وينسحب على الزراعة موسمي  
 الخزينة من الضرائب ، ويترك وحدة القبائل ، ويحد من نفوذ الشيوخ والرواسخ  
 فالتفت مقام القضاء القديم سنة ١٢٥٥ هـ ، واحالت بجاية ال راس را رسوم الى  
 الخزينة بواسطة الجباة واحصلوا ما يولوا . الملتزم . موزع منه سنة ١٢٦٠ هـ ( ١٨٧٨ )  
 باعنا . سندات التصرف بالاراضي من دوائر الدفترخانه ، واحد . سنة ١٢٧٤ هـ  
 ( ١٨٥٨ ) قانون الاراضي فاصبح الاراضي الاميرية خاضعة لاحكامه بينما بقيت  
 اراضي المملوك والموقوف خاضعة للاحكام الفقهية . واستمرت الدولة في سنة  
 ١٨٦٤ تعليمات حول تفويض الاراضي المراقبة التي انزل مالكيها والتي  
 جزا صاحبها عن زراعتها واعادها . وفي سنة ١٨٦٨ صدر فيا مدح باعنا  
 حول ارادة <sup>الحقيرة</sup> المتروكة في الدار ( ٢٤ ) . وبسبب مدحتنا الى السراي  
 ( ١٨٦٨ - ١٨٧٠ ) ، وعرضه بتأسيس قانون اراضي ، دخلت مشكلة ملكية الاراضي  
 في دور تاريخي جديد .

### حيازة الاراضي والتصرف بها في عهد مدحت باشا .

حدثت بعض التبدلات الاساسية في معاملات الاراضي بناء على التعليمات  
 التي ارسلت من قبل الحكومة المركزية الى ولاية بغداد سنة ١٨٦٤ وبناء على قرار  
 تولية مدحت باشا المؤرخ في ١٨٦٨ واهم ما جاء فيها :  
 ١ - اراضي المجردة داخل ولاية بغداد والبصرة والتي بادلت ملك مالكيها  
 وانقرضت اسباب التصرف فيها ، فاكسبت حكم الاراضي الاميرية ، كما كان هذا  
 عامرة وانهارها موجود ، فحال الى مالكيها ، وتفق لهم بموجب سندات الدايو  
 وطبقا لاحول العزادة .  
 ب - تشميل هذه المساعدة لمن يرفع في ارض المأمور بخطة حدود الاموال في  
 الاراضي الواسعة  
 ج - وما كانت منها بعيدة عن الحواض او خالية من انهار فتق وتكان الى  
 طالبها بلا بدل " مجاناً " .

الترجمة العربية  
 ( ٢٣ ) نقل عن الترجمة العربية  
 نقل عن الترجمة العربية  
 ( ٢٤ ) نقل عن الترجمة العربية  
 ( ٢٤ ) نقل عن الترجمة العربية



(٢٥) ان شروط التصرف والاحالة والتفويض تضمن اما على اسيار تعدد المالكين بمصاريف  
حفر وتصوير ا نهار الخاصة بالاسماء مجددا واما على اسيار انقطاع هذه المصاريف  
لمرة واحدة من قبل الخزينة في بادئ الامر والمصاريف التي تلي وتستمر بعد ذلك  
من قبل اصحاب الاراضي (٢٥) . . . . .

واخذ مدحت باشا يبيع مساحات صغيرة او واسعة من اراضي الدولة  
بائمان بخسة مقسطة القساطل سهلة الدفع لحاملي الفرومانات العسكون فيها .  
ولاصحاب الامتيازات القسطا على ان ينهي لهم حرية التصرف التامة ( لا الملكية الصرف )  
والمقربين الذين حفروا في الارض نفرا جديدا او تعمروا نفرا قديما او غرسوا  
فيها جرا مولجس مولجفي الدولة هو المستفيد من تجار المدن واعمالها . كما  
ان خطة مدحت باشا كانت تتضمن بيع اراضي واسعة لتسريح التباثل تتسع ل واحدة  
منها ل قبيلة باصرها . (٢٦) .

على ان خطة مدحت باشا الاصلاحية لم تتحقق على الوجه المطلوب .  
لقصر المدة التي قضاها في العراق والروم باصرة لم يستطع التسلب عليها منها  
جبل مولجفي انسابه ومائة خيرة من النية وتعود على الرقعة . فقد كان يحفر  
دائرة انساب الكثير من الامور الجارية في يد الدولة لئلا يهربوا . فلم يبق  
الدائرة تلك الخرائط ولم تكن لها ساحلون . و هو من مشغول تزيين . وكانت  
تحتوي مديات التملك لاراضي بطنها البحر والاراضي في مودها الحيفي او ليس  
لها حدود معلومة . ومنها عدم اعتماد جباة غير الناحية بالاستفادة من الوضع  
الجديد . فقد حسب كثير من الدلاحيين ان الحكومة تبني من وراء تسجين الاراضي  
باسمائهم ويغلبهم بالاراضي حتى تسجل عليها التحكم فيهم وجباية الضرائب منهم .  
وتجنيدهم عند الحاجة كما استغلوا وضع اثنان الاراضي وان كانت غشيلة . (بالإضافة  
الى ذلك فقد برزت هذه الخطة ان تمنح التماس السائح المهمل المأخذ بسيطة  
للمائة ) (٢٧) وكانت نتيجة هذه الخطة ان استعمل الوصح المائنة من سكان المدن  
المقربين عند مولجفي الطابو مولجفي المستفيدين وغرم اصحاب امتيازات .

(٢٥) راجع احمد فهمي ص ٦٥ - ٦٦

(٢٦) انظر لوكنكريك ٢٢٦

(٢٧) دوسن ص ١٧

### القدماء مجموعة من الموظفين الكبار •

لقد أدى منح حق ملكية الأراضي الشيوع إلى خلافات ومساومات بينهم وبين أبناء منافعهم والتي فوض عامة مما جعل الاستثمار بتسجيل الأراضي غير ممكن ولما رأته الحكومة الحديثة أن تسجيل الأراضي سيقضي نفوذ الشيوع أوقفت عملية التسجيل • ولم يكن قد سجل عند ذاك إلا خسرا راضي • وأصدرت عامي ١٨٨٠ - ١٨٩٢ مرسومين يؤدانها أن الحكومة ستكون المالك الحقيقي للأرض • وهكذا كانت معظم أراضي العراق في سنة ١٩١٩ ملكا للدولة نظريا (٣٨) • إن وضع راضي الذي تكلمت عنه فيما تقدم ينبغي به عرقلة على الاتسام الجنوبية والوسطى من البلاد • أما في المنطقة الشمالية فكان الناحيون يسيطرون في قراهم تحت سيطرة الأقاوات وغيرهم من الشيوع والمتنفذين • وكان هؤلاء الأقاوات والمتنفذون يديرون شؤون القرى ويحطلون منازل القديسين ويقيمون بينهم وبين الحكومة • وقد ازداد نفوذهم بعد أن تحصنوا من العراق • فوكرر ترددهم على المدن وتوطيت ملاقاتهم رجال الحكومة • فلما سرع بنفوذ الأراضي بالأنباء المشتغل هؤلاء الأقاوات والمتنفذين بملاقاتهم بالدولة فوصل القديسين وتزلزلت تسجيلوا الأراضي جميعها أو جزءا منها بأساليبهم خالفا لقانون الأراضي • فواصبوا يتصرفون بهذه الأراضي تصرف القديسين بعد التصاريح فيما من حقوق قديمة للقديسين • الذين وصلوا الإقامة فيها وقاموا ببراعتها ورعوا فحانهم فيما مدة دولة من الزمن •

### التصرف بالأراضي منذ الحرب العالمية الأولى

كان الاقتصاد العراقي على قيد نهاية القرن التاسع عشر هو اقتصاد المجهني • فكان الزراع بما فيهم من الشيوع والسراكية ينتجون من المصاحيل المقدار الذي يسد حاجات مجتمعتهم • ولكن هذا النظام أخذ في التغير منذ نهاية القرن التاسع • فقد فتح النقل البحري في الخليج الفارسي السور العالمية للحيوان العراقي فآخذ الزرا ينتجون الحبوب لبيعها في الأسواق المحلية وتوكل يربها إلى خارج البلاد • فالتصدير العراقي من الحبوب في مطلع الحقد الأخير من القرن التاسع عشر ٦٥٠٠٠٠ طن فأصبحت ١٢٠٠٠٠٠ طن في أعوام ١٩٠٩ - ١٩١٣ مو ٢٨٠٠٠٠ طن في ١٩٢٤ - ٢٩ (٤٠) •

(٣٨) انظر وارنر ص ١٠٦

(٤٠) انظر وارنر ص ١٠٦

وكانت نتيجة هذا التحول ان انبل اشيوخ المستفدون مواثيق المدن ،  
والموظفون الكبار على حيازة الاراضي الزراعية الخصبة وتسييرها با مائهم هويتم  
جماهير الفلاحين الصغيرة محرومة من الارض وتوجهوا من هؤلاء المالكين الجدد ،  
والانتفاعيين المحدثين . وقد ادى الى قيام هذه الحالة عوامل عديدة منها  
غزو ملكية الارض موسو تانوس اراضي في عهد مدحت باشا والوصى التي انقبت  
اصلاحاته وعلى الاخر عندما انسحبت الجيوش التركية فحلت محلها جيوش الدايو  
وانظمت قسما منها . فلب ان اراضي العراقية انذاك سنة ١٨١٦ من الوجهة  
القانونية على اقل ملكا للدولة تسع بامان القابضين على رهاى الحكومة ان يسيروا  
من يشار على حيازة ما يشار من اراضي الخصبة . وفي سنوات الحرب العالمية  
الاولى وجد القوات البرية انفسها بحاجة الى مساعدة جيوش البائل ليعينوها  
على التوكل وساعدوها في تسييرها العربي ماويغفروا على الديار فوسسوا من  
تقدم الصناعة لانتاج اوت لمراد من والنظام في الجدد على الارض . وقد  
اعتمد عليهم في ادارة شؤون القباطل وجعلتهم اعمد عرج الميسر ونبت ثوب  
الموالي منهم ووسس عليهم فيما راى في راضيتهم بحدودهم ووقفت القبطي فاصدرت  
بالاعتماد مراسيم انتظامها فيما بعد قانون دوائر المصايف والى جمل للشيخ  
مركزا قانونا معترف به من قبل الحكومة . وقد اعتمد الملكات البريطانية في  
عهدى الاحتلال والانتداب اراضي الزراعية وسنة لا يرام اوكيدي . فوجب الانتظام  
ولمحافظة الخصص والاعدا والمناوش للنفوذ البرياني . فتاب اراضي الموالين  
لكم البرياني تتسج حيلب الميراثى المقارن لهذا الحكم وخاصة الذين اشتركوا  
في الثورة العراقية عام ١٩٢٠ تتنقر وتعلم ( ٤١ )

( ٤١ ) للاطلاع على الدور الذي لعبته السلطة البريطانية في عهد الاحتلال  
والانتداب في تدعيم نفوذ النجوى الضهار وتوسيع اراضيهم فخلق ذبقة اقليمية  
متنفذة منهم راجع اميرلاند . موريسر من ٢٢ - ٢٤ ومعدود البيندي  
" المصلحة الزراعية في العراق " ( بغداد ١٩٥٠ ) ص ١٢ - ١٣ والناسر . انتاع  
ص ١١ - ٢٠ والمجل الجادري " الانتاع واثره في افساد جهاز الدولة " جريدة صدى  
الاعالي ببغداد ، الانتاد ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ السادرة في ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ من  
تشرين الاول ١٩٤٩ .

وقد شجعت الحكومة العراقية هؤلاء الشيوخ والمتنفذين والاقطاعيين  
المحدثين وخلفت منهم طبقة اجتماعية ذات نفوذ قوي في تسيير امور الدولة  
ليكونوا لها حلفاء ومعاونين على تسيير امور البلاد .

ووجد نفر من تجار المدن ما في الزراعة من ربح وفير فاقبلوا على نصب  
المضخات . وقد زاد عدد المضخات من ١٤٣ مضخة عام ١٩٢١ الى ٢٠٠٠  
مضخة عام ١٩٤٣ تسقي ارضا مساحتها ٧٠٠٠٠ هـ ٢٠٠٠ ايكرات نصف الاراضي  
المزروعة في الاراضي الروائية . والمضخة التي كانت تكلف قبل الحرب الاخيرة  
٢٠٠٠ دينار كان يشتق على شروطها على الفلاحين والمزارعين الفقراء فكان السهم  
والسراكيل يتسلمون مضخات في اراضيهم مواخذ تجار المدن في اغلب الاحيان ،  
يتسلمون مضخات ليعملوا بها في الاراضي الاميرية فتصبح ملكا لهم فارتببوا بها  
لحساب الفلاحين ويتقاسمون عن ذلك فاكما مرتفع النسبة فتسحقل الاراضي ملكا  
لهؤلاء التجار بالتدريج نتيجة لاجز الفلاحين من تمديد ديونهم . ولما  
ولما حدثت الحرب العالمية الثانية وتضمن النقد ، وظلت السائقة  
الاقتصادية بالبلاد ، وارتفعت اسعار الحبوب ، ازداد اقبال الاقطاعيين على توسيع  
اراضيهم واملاك المساحات الواسعة من الاراضي الاميرية ، واستخدموا نفوذهم  
عند الحكومة فاثروا على لجان التسوية ، واستعملوا نام دعائي الحساب فحولوا  
احكامهم لصالحتهم فتحولت اليهم بذلك اراضي هي ملك غيرهم من المزارعين الفقراء  
او ملك اقاربهم مع هم ديونهم قوة ونفوذ ، او ملك الدولة الصرف .

ولقد شرعت في عهد الاحتلال والانتداب والاستقلال عدة قوانين لتعيين  
ملكية الارض وتنظيم الزراعة فاهمها قانون تسوية الاراضي رقم ٥١ لسنة ١٩٢١ .  
وقانون الترمه رقم ٥٥ لسنة ١٩٣٢ وقانون تحديد حق المقر رقم ٥٥ لسنة ١٩٣٢  
وقانون تحديد حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣ .

على ان هذه القوانين جميعا كانت تخدم في المصلحة الاقطاعيين .  
وتثبت حقوقهم المدعاة التي اكتسبوها بمختلف الطرق غير القانونية وغير العادلة .  
فالاراضي تسجل باسماء اصحابها اذا كانوا يحملون سندات تثبت ملكيتهم لها .  
واذا اثبتوا انهم كانوا متصرفين بها تعرفوا فعليا مدة من الزمن قبل اعلان التسوية .  
وبما ان الارض كانت ملكا للعشيرة ولم يكن للانفراد حق صريح في بقعة منها ،  
ولم يكن بإمكانهم ان يثبتوا تصرفهم خلال هذه المدة في بقعة من الارض محيطة  
تمكن الشيوخ والملاك ان يسجلوا هذه الاراضي ملكا لخصمهم الفلاحون

حقوقهم المشروعة فيها ، واصبحوا محرومين من حقوق التصرف في الارض موافقا لما  
على ان يكونوا عمالا زراعيين ماجورين ، او مستاجرين للارض وقد فسخ بدق ايجارها  
نسبا كبيرا مما تشبه الارض بمرق جباههم ، يؤكد سواعدهم . يقول دوسر (٤٤)  
(عثرى من وجه عام ان الذين ينسحبون ارضا اميرية وينزفونها يسمح لهم بان  
يفعلوا ذلك عند عدم وجود منازعة من جانب اصحاب النفوذ . ان التصرف  
بالارض اعم نقلة في تاييد الادعاءات . انما لا التصرف بالارض لمدة طويلة ولا  
الحصول عليها بكل اثاره من البقاء فيها . ان الارض النفوذ الشخصي مع اثير  
مرجع له علاقة بهذه الامور بدو عادة العول النفس في اي وقت كما لو في امة منازعة ثالثة  
من منازعات اراضي . ولذا نرى انه قد لا يلتفت الى الادعاءات التي تدعيها  
براعين ساذجة ، كما انه قد يحاد فتح اي كار منها في اي وسطان اذا ساعد  
الاروس على التلويح على الخلاف في قضية فريق لم ينل مبتداه (٤٥)

### ج سعة الملكيات الزراعية

لا توجد لدينا احصاءات دقيقة لعدد الملاكات الزراعية التي يمتلكها  
الافراد بمساحة كل قطعة منها ، ومقدار ما يربى منها فعليا كل عام . ولكننا نستطيع  
ان نقول بصورة عامة ان عدد الملاكات الصغيرة في شمال البلاد اكثر منها في جنوب  
وان عددا ضئيلا من الملاكين يستحوذون على معظم اراضي الزراعة الخفيفة في  
الجنوب ، ففي الموصل ففي سهل دجلة الخفيف وجبة اتميد المضخات يوجد نظام  
قبلي شبيه بالنظام القبلي الموجود في جنوب البلاد ، يمتلكه الاروس على الدوام  
الشيوع والوجهاء والمتنفذون . وفي الحنا عند النظام القبلي منه في غرب الموصل ،  
في الاراضي المتعوجة ذات الامطار القليلة . وفي السنوات الاخيرة ازداد اقامة المضافات  
في هذه المنطقة واستند اقبال الشيوخ على توسيع رجة اراضيهم . ما في المنطقة  
الشمالية الشرقية هي كركوك واربيل والسليمانية ، في حالة الفلاحين احسن .  
ففي هذه المنطقة نظام زراعي ثابت يمتلكه الملاكون الفقار حوالى ٧٥ ٪ من

(٤٤) ص ٢٦

(٤٤) انظر وارنر ص ١٠٢ - ١٠٨

الاراضي الزراعية موقد تصل مساحة الارض التي يملكها كل واحد من هؤلاء الفلاحين  
والغزارعين الى ٢٠٠ دونم • (٤٤)

اما في الاقسام الوسطى والجنوبية من البلاد فقد اصبحت قسم كبير من الاراضي  
الزراعية تحت تصرف نفر قليل من النسيج والمتنفذين بالتجار • ففي الوجة الكوت  
والمتنك والحمار يتصرف الملاكون الكبار بقطع من الاراضي قد تتجاوز مساحة الواحدة  
منها المائة الف دونم موقد تصل مساحة الاراضي التي تحت تصرف بعض الملاكين الى  
نصف مليون مشارة • والى الثالث اربع مليون مشارة • (٤٥)

«ومن المعلوم ان هناك شخصا واحدا يملك مليون مشارة مواخر ارضية الفمشارة  
وثالث مئتي الف مشارة ومئتين الف • وتتراوح مساحة الملكيات الكبيرة الاخرى  
المنبشة في البلاد مابين ثلاثة الاف مشارة وعشرة الاف » (٤٦)

ومعطينا الجدول التالي - ورة تقريبية لاتساع المكيال - الزراعية في العراق وهو  
مبني على مساحة الاراضي التي اجريت تسويتها في الوجة بمقداد والثوب والحة والدليم  
وكركوك واربيل وقسم من لواء الموصل •

المساحة بالدونم	عدد الملكيات
اقل من دونم واحد	١٦٢ ٤١١
١ - ٥	٤٥٢ ٦١٨
٦ - ١٠	٢٧٢ ٢٦٢
١١ - ٢٠	٢٢٢ ١٢٢
٢١ - ٥٠	٢١٢ ٣٤١
٥١ - ١٠٠	٨٩ ٦١٥
١٠١ - ٢٠٠	٤٢ ٢٨٣
٢٠١ - ٥٠٠	٢٢ ٤٧٦
٥٠١ - ١٠٠٠	١٢ ٠٣٤
١٠٠١ - ٢٠٠٠	٦٧٦

(٤٥) انظر الظاهر، انقطاع ص ٥٠ و ٨٢

(٤٦) جواد ص ٤٨

(٤٧) الفرية العراقية ص ٦٠



في هذا اللواء ملك صرف للدولة • وتقوم الحكومة بتأجير الأراضي الى القطاعيين من الشيخ • وتصرف في الأراضي الزراعية الصالحة للزراعة في هذه اللواء مائة مائة مساحتها ٢٦ ٥٠٠ ٠٠٠ مشارة ١٧١ ٠ ملاكا • وحال سبعة من بين هؤلاء القطاعيين بتصريف كل واحد منهم بأرض تتراوح بين واحد <sup>منها</sup> ~~منها~~ <sup>منها</sup> ~~منها~~ مساحتها بين ١٠٠ ٠٠٠ و ٤٠٠ ٠٠٠ دونم (٤٩) •

ان اجار هذه الأراضي يبلغ حوالي ٢٠٠ ٠٠٠ دينار سنويا وهذا ما يدفعه الشيخ من اموال وهدايا لاتمام هذه العقود • ويقوم هؤلاء الملاكون بتأجير اراضيهم قطعاً صغيراً للفلاحين • واذا قلنا ان شيوخ العمارة من اصغر القطاعيين في العراق ثروة مادركنا الحب الملقى على طاق الفلاح العمالي يمدى استغلال القطيع الذي يتعرض له • لا يجب ان يهاجر فلاحو الامة الى بغداد وغيرها من المدن ليستلوا باحدا ارضاً غزيراً من سوء الكالة في العمارة وممن القوم المكتوب لهم فيها •

لوان المقصود من وجود هذه المقامات الواسعة ادخال الآلات الزراعية وتبني الفن الحديث على الزراعة ولو ان هؤلاء القطاعيين الذين يستأجرون اراضي العمارة ليعملوها بدورهم للفلاحين دور في تحصيل انتاج وتقسيم العمل لكان لواء الحالة في العمارة ما يبررها • اما وان القطاعيين لا يعملوا شيئاً سوى ان يبيعوا الارض للفلاحين ليعملوها بدورهم البدائية فما كان يحصلوا مرفعين على حساب عشرات الآلاف من الفلاحين النادحين فيقتسموا ارباح الزبانية عند قسمة الحاصل فما لم يكن الا ان الحكومة تريد ان يبيع هؤلاء مرفعين على حساب الآلاف من النادحين • ان هذا الظلم النازح لم يعد يشعر به الفلاحون انفسهم هؤلاء المصلحون السياسيون فحسب من حتى الحكومة ففهمها اخذت تشعر ان هذا الظلم اصبح لا يقاوم بحيث وعد السيد نوري السعيد في خطاب العرض باصلاح الحال في العمارة (٥٠)

ان هذه العلاقات الزراعية الكبيرة تكون احدى السمات امام تقدم الزراعة في العراق • والحجة القائمة بان المديان الكبيرة تمام على استخدام الماش في الزراعة وتبني

(٤٩) هذه المعلومات عن لواء العمارة مأخوذة من تقرير للمرجع محمد صالح عندما

كان متصرفاً للواء العمارة سنة ١٩٤٤ • نقل عن الجندي ١٧ - ١٨ •

(٥٠) انظر الظاهر، اقطاع ص ٤٣ - ٤٤



الطرق الملكية قديما ولا معنى لها هنا . لان هذه الاراضي لا تشمل على اسلوب  
صحيح فملاكونها يتدافعونها دائما صغيرة يجبرونها للتأجيرين موافق الفلاحين يبراعتها  
على الارض القديمة البالية . ثم ان هؤلاء الملاكين لا يستطيعون ان يقيموا  
العقارات الواسعة التي تحت تصرفهم . فيتمكنون من ايجاد اليد العاملة  
لزراعتها بناملها وعلى هذا تبقى مساحات واسعة منها غائرة . وهذه للكلعاء الكبيرة قد  
خلقت طبقة مشقة في البلاد تعتبر نفسها فوق الحكومة والناظر فان لم تستخدم  
الحكومة والدان في تنفيذ ما عارضا . ان نافذ يبقى للحكومة في هذه تبيع مساحاتها  
كجميع مساحات الجمهورية اللبنانية بأسرها فوالله ما يخدم واحد فوسيد رضى ما يراها من  
تلاشين سيادة مطلقة . ينادى الى هذا انه لا يدرى ان سياسة قوية التي في ظل  
هذه الطائفة الكبيرة لان هؤلاء الملاكين يحكم نفوسهم في دوائر الدولة فيستبدون  
ان يتصرفوا بالمياه كما يشاءون وفي احيان كثيرة يأخذوا ما ينبت عن حاجاتهم من  
المياه فبسبب ذلك تراكم الحطب في اراضيهم موحرا ما لا يحصى من المياه اراضي  
المزارعين الآخرين من الماء كما يسير كثيرا من الماء في انايا المصلحة .  
ان سياسة تجريد الاراضي التي البعثها الحكومة العراقية في دوائر  
الاستدباب واستغلالها قد تمسك الملاكين اربابا مخلصين في اراضيهم  
تتحكم في دوائر البلاد موافق ما يبرأه حين محرومين من اراضيهم لا يحسبون  
راية تروى بها ٥٥ وهي لافان اراضي كثيرة . وفي اثاره هذه السياسة الخائفة  
نقدنا كثيرا حتى ما في العراق المسؤول في الحكومة ومن قبل دوائر الحكومة نفسها .  
نقد ١٩ في القرار السور الثالث بعد اعلان القرار الرابع الرابع لسنة  
١٩٤٨ - ٤١ في ٢ ماي (١) انا لا نسير في سياسة توزيع اراضي في كثير من الملاحين  
على غلة اعتبار الناس هو المحور الاقتصادي وواستثمرنا في كل الدول العالم  
من استغلالها . ولذا لا بد من ايجاد التي يستغلها في ارضه من  
المتفرد . وقد عادت الى جميع الجزيرة ما من التفرقة من الملاكين . وقد أدت  
هذه الحالة الى تشييد اقطاع في بعض الجهات . ان السياسة التي التي يجب  
ان نسير عليها في السياسة التي نتمسك بها نحقق ما نسميه بالملكية الجديدة او الملكية الجديدة  
المتوسطة . على رورة تحديد بين ارضي وادنى للملكية الزراعية وجميعا عند

عند توزيع الأراضي الأميرية المبرقة • ان مسئلة اراضي ان لم تحل وفق الاساليب الاقتصادية الصريحة فلا تفلح في الاطلاق فحظي شي كثير مما تسببه الاصناف الزراعية في البلاد (٥٠) توزيع الأراضي، ومقتضى هذه السياسة يجب ان لا يخصص للمصالح الخاصة

وتحت تأثير النقد لسياسة المستعمرات والمالية بمساعدة الفلاحين المنهار قام الحكومة بمحاولة لتوزيع اراضي اميرة الغرة بعد استصلاحها على الفلاحين ~~الذين كانوا يقيمون في اميرة الغرة~~ الحكومة عن تقسيم اراضي "ابو غريب" و"الحويجيلة" على ان محاولة الحكومة لم تتعد الاسم فقد اصبحت هذه الأراضي تحت تصرف مشايخ العشائر المتوطنة فيها (٥١) ويصر المتنفذين من تجار المدن ورجال الحكومة • لم يرموا بان يماروا واستثمار اراضي الدجيلية رقم ٢٢ لسنة ١٩٤٥ • وتوزيع اراضي الدجيلية بحسب هذا القانون، مبنا على كل مستثمر ليست له اية ارض اخرى لا تزيد عن عشرين مسارة فوطيه ان يقوم بزراعتها او استثمارها والتصرف بمشروعاتها الزراعية وفق تعليمات يعينها خبراء الزراعة (٥٢) • ويحرم ان لا تزيد مساحة كل قطعة على مائتي مسارة ولا تقل عن مائة مسارة • كما لا يحق للشخص ان يملك اكثر من قطعة واحدة (٥٣) •

وقد تم تقسيم جزء من اراضي مشروء الدجيلية بعد مقاومة عنيفة ابدائها اذ اقيم مكتب مساحته بحوالي ٢٠٠ ٨٦٩ مسارة موزعة على ١٦٢ وحدة زراعية بنسبة ١٠٠ مسارة للمستثمر الواحد • وعناك ٨٠٠ قطعة اخرى جاهزة فاذا تحضر استثمار جميع اراضي الدجيلية حوالي ٢٠٠٠ ٠٠٠ ٢٧ مسارة فستتمكن ثلاثون الف عائلة من التمتع بالارزاق وتنت الحسابات اناس • وعلى الرغم من قدر عمر هذا المشروع فقد دلت التجربة على سرعة تحريك الناس من رتبة الفقر بارتفاع مستوى الانتاج من جهة وزيادة دخل الفلاح من جهة اخرى (٥٤) •

تنص المادة الحادية عشرة من قانون استثمار اراضي الدجيلية المتقدم ذكره • "ينطبق هذا القانون على اراضي اميرة السليمانية احدى الجهات التي تمت توسعتها في

(٥١) انظر الجندي ص ١٧

(٥٢) انظر نمر هذه التعليمات في كتاب سوسة ص ١١٦ - ٢

(٥٣) «قانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلية رقم ٢٢ لسنة ١٩٤٥» المادة ٣١ الثالثة

والرابعة تجدد نص القانون في كتاب الدكتور سوسة ص ١٩١ - ١٩٥

المناطق الأخرى وذلك بقرار من مجلس الوزراء وأرادة ملكية • وقد طبق هذا القانون فعلا على أراضي النزع الشرقي من مشروع الحديقة النباتية رقم ١٤-٢٩٢٧١ دونما وعلى أراضي الجازية وأم الدليان الواقعة في لواء كربة والحلة وعلى القطعة المرقمة (١) من المقاطعة ٢٧ بزاز الدليانة الواقعة في لواء القوت (٥٥) • وعلى غيرها من هذه الأراضي •

إن هذا التشريع كافيا يحمي جزءا مهما من ممتلكات العراق فيما إذا وجدت حكومة تعنى بشؤون الفلاحين وتساعد على تقدم بوجه محاولات الاداء عيّن المزارع للاستيلاء على أراضي الاميرة بمرحلة توزيعها على الفلاحين المزارعين • قد حدد ان كثيرا من هذه الأراضي التي يقرر مجلس الوزراء توزيعها على صغار الفلاحين بحسب قانون اعمار واستثمار أراضي الدولة لا تزيّن عليهم لانه لا يزيّن على الاداء عيّن وتجارة المدن واغنيائها وبعض موظفي الدولة المتنفذين •

على ان توزيع الأراضي على الفلاحين المزارعين وحده لا يحقق فعلا لا يكفي ما لم تدعم الحكومة بوزارة الزراعة بالتفويض اللازمة لاعداد اراضيهم وتوزيعها حسب الخطة المرسومة بواسطة وزارة الزراعة كما ساهبت في العمل الفاعل كغيرها من دول في حالة الحاجة فان يستد حاجات الفلاحين لتلا راسماله • كما لا بد من العمل على تحديد الملكية الثبوتية بوزارة الزراعة بقرار من هذه السلطات التي يقررها مجلس الوزراء بمرحلة خفيفة • دون ما يحد هذه الملكية الثبوتية التي بقيت مملوكة • ودورها في عرقلة نمو الزراعة كمثل توزيع الأراضي المملوكة على الفلاحين المزارعين فان ادعيوا لا يريدون ان يتخربوا الفلاحين من ملك انهم هؤلاء يرضيهم ان يستولوا بأراضيهم الخاصة لا يرضون ان يبيعوا أراضيهم على الدولة بتوزيع أراضيهم ويحتفظوا على ترك خدمتهم وان يستأجر أراضيهم فيخدم أراضيهم من اراضي الدولة الزينة فيكون دون استيلائهم على الأراضي الاميرة المستصلحة المستصلحة •

(٥٤) انظر الجندي مر ١٢

(٥٥) انظر جريدة صدى الاهالي ٢٢ حزيران ١٩٥٠ العدد ٢٣٠ •



هذا اذا كان الفلاح نفسه يجوز البذور والحيوانات والآلات ولزام الزراعة الاخرى .  
اما اذا كان الفلاح يقدم قود عطفه والمالك يقدم البذور والحيوانات الخ . . فان  
الفلاح يحصل على نصف المنة بعد دفع حصة الحكومة .

اما في المناقعة الارثائية في الوسط والجنوب فان حصة الفلاح تتراوح  
بين ربع المنة ونصف . . في مناطق دجلة حيث يسود الري بالواسطة يحصل  
الفلاح نصف الحاصلات الشتوية وبعد اربوخذ منه ثلثية لصاحب الارض تتدرج  
باتسب ونصف في المائة من ناتج الحنطة والسمسم . اما في ارض اميرية مؤجرة او  
منوطة بالثمن مؤجرة بالمائة اياها الارض مؤجرة بالدينار . اما في مناطق الفرات  
حيث يسود الري المبيحي فتقسم الحاصلات الشتوية بين الفلاح وصاحب الارض الى  
خمس حصص يأخذ الفلاح حصتين وتأخذ المالك ثلاث . اما الحاصلات الصيفية  
فأصلا ان يأخذ الفلاح ثلث المنة وتأخذ المالك ثلثيه وذلك بعد ان يترك  
من محصول الفلاح ثلثية تذهب حصة الفلاح وثلث المنة من المنة من المنة ( ٥٨ )  
واما السراة فالخريف تأخذ الفلاح ثلث المنة وثلث المنة من المنة . وتتراوح حصة  
بين سدس الناتج وعشره . وفي بعض المناطق يحصل عليه صاحب الارض بدل حصته  
من المنة فحصة الفلاح تسدس المنة وثلثية المنة من المنة . وواجب الفلاح زرعها  
وتسقيها بالماء دون مال ( ٥٩ ) واربعة الدكرير واربعة ( ٦٠ ) رباي الثالثة  
نموذجاً لقسم المحصول الزراعي في جنوب العراق .

حصة الحكومة	١٠ / ١٠٠
حصة المالك	٢٠ / ١٠٠
حصة السراة	٢٥ / ١٠٠
حصة الملاك للشيخ او التاجر	٤٠ / ١٠٠
حصة الفلاح	٤٠ / ١٠٠

( ٥٨ ) انظر سورة ص ١٢٢

( ٥٩ ) انظر جواد ص ٤١

( ٦٠ ) ص ١١٤ - ٥

ويجب على الفلاح ان يدفع من حصته اجرة العناية بالنهر او الجدول الذي يسقي  
المقاطعة وتتراوح هذه الاجرة بين ٢٠ و ٤٥ بالمائة من حصته . ولا يتمتع الفلاح  
بدخله هذا الضئيل خالصا ، ولا ينعم بشجرة كدحه طول النظم بل يجب عليه ان يدفع  
ضرائب يفرضها العرف عليه . فهو يدفع حسب تقاليد المنطقة التي يبيع فيها .  
خدمة الحارس ، والديوان ، والوحاشي والملا ، والكتائب ، والمومن . ويجب عليه ان يساعد  
الملك مجانياً بما يعادل ثلاثة اشهر في السنة ، في نيل محاصيله الخاصة ، موباء مسكة  
وجمع الحطب ، والقيام بمداواة زرع الخمار الذي يسمى " اشكارا " ، ويسخر الفلاحون  
لتطهير الجدول ، وتعمير السدود ، اثناء الفيضان وهذا ما يسمى بـ " الحشر " .  
الى غير ذلك من الاعمال دون مقابل . وعلى كل فلاح ان يلبى دعوة الملك اذا  
استدائه في معادمة مسلحة مع قبيلة اخرى او مذبحة اخرى او اقام بعضا  
مسلح ضد الحكومة . ( ٦١ ) .

وتقدر حصة الفلاح في السنة من محاصيله الشتوية والبيضية بمبلغ

يتراوح بين ٦ دنانير و ١٥ ديناراً ( ٦٢ ) ولا يتجاوز عشرين ديناراً بحال من الاحوال .<sup>١٤٥</sup>

( ٦١ ) انظر الجندي ص ١٠ - ١٢ و ص ١٨ واحمد فهمي ص ٢٩

( ٦٢ ) فخر حسين جميل " سياسة العراق الشارعية " ( القاهرة ١٩٤٦ ) ص ٨٤

وساثير اليه بجميل .

( ٦٣ ) الطاهر الانداع ص ١٠٦ ويقول السيد محمود الجندي ص ٢٠ بمبلغ

انتاج الفلاح العراقي حوالي ١٨٦٦ ديناراً في السنة ( يخرج من الانتاج حصة

الملاك والاعراب ) وقد قدرت اللجنة العالية في مجلتي النواب سنة ١٩٤٥

في تقريرها عن لائحة قانون الميزانية ان معدل الدخل اليومي للفرد الواحد

من العراقيين يتراوح بين العشرين والواحد والثلاثين فلساً في السنة

دنانير وسبعمائة فلس ، والحد عشر ديناراً ، ربعاً ثمة خمسة سنوياً على  
اثره الدائم .

انشأت الحكومة في سنة ١٩٢٦ "مصرف زراعي - صناعي - عراني" "غايته مساعدة

والمصنف المصريح ان راعى واحدا من الغرائز الخمسة واحسب على المحصول  
وبيع الا ان الزراعة والماشية والسعدة والبنود باقيا والتوت يبيع المحصول

(٦٤) حمادة ص ٤٥٢

(۶۵) فارسی ۵۱

(٦٦) قانون: تأسيس المصرف الزراعي رقم ٨ لسنة ١٩٤٠، وإرادة السيد المرمقة

٢٤٩ والمؤرخة ٢٦ - ٥ - ١٩٤٥ وذا اسمه رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٢ وعند تأميمه

ونظام الداخلية» (مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٦٤) ص ٢٧ وما يليه.

المصدرون المصرف الزراعي ونظام الصرف الزراعي حسب مقتضى القانون .

(٦٧) التقرير السنوي الثالث عشر ١٤١٨-١٤١٩ من أعمال المحرك الزراعي العراقي ١٩٥٥

الزراعية (٦٨) ولا يقل مقدار المسلفة التي يمنحها المصرف لكل شخص من ١٥ ديناراً ولا يزيد لمن ٣٠٠٠ دينار (٦٩) ولا يجوز أن يزيد أجل القرض عن عشر سنوات ولا يتجاوز أجل كل قسط سنة واحدة . على أنه يجوز لمجلس الإدارة تأجيل القسط الأخير من مرة على أن لا تتجاوز مدة التأجيل سنتين من تاريخ استحقاق القسط (٧٠) ويتم التسليف لقاء ضمان مالي منقول أو غير منقول على أنه يجوز اقتران الزرع من اهالي الناحية الواحدة بكفالة متسلسلة مبلغاً لا يتجاوز ما كدينار عدا الجمعيات التعاونية ، للشخص الواحد منهم على أن لا يقل عدد المستقرضين المتضامنين بسند واحد عن ثلاثة اشخاص كما يجوز اقتران أحد الزراع بكفالة زراعيين آخرين من ناحية واحدة مبلغاً لا يتجاوز مائة دينار . لا يقبل كفالة المتسلسلة ان يستعمل المبلغ لتفقات الزرع حراً (٧١) . اسر المصرف فروماً في البصرة والكرب والموصل وكركوك والسليمانية لتسهيل تسليف المزارعين المعدين عن مركز ادارة . وقد قام هذا المصرف باعمال تسليف للمزارعين لا بأمرها منذ تاسيسه . فقد سلك في سنة ١٩٤٨ - ٤٩ فقط مبلغ ٤٩٩٦٢١٠ دينار . وان مجموع المبالغ المسلفة حتى نهاية تلك السنة ٤٠ م ٢٦٨ دينار . ان مدة العشر سنوات كوفي الحد اعلى لاجال الدين لا يفاء السلفات التاميلية اي لا سكان افراء المسائر والسلفات اقواس التسجير واحياء الاراضي احياء هاما قديمة انه في حالات كهذه يستوفي الدين من ارباح اموال المستمرة وارباح عشر سنوات لا تكفي عادة لايفاء ديون كبيرة مع فوائد ها (٧٢) . ثم ان المبالغ المقرضة لقاء السلفات المتسلسلة التي يعتمد منها ملعدة صغار المزارعين قليلة جداً لا تساعد على مساعدة فعالة في اعمار مزارعهم . ولكن الذي يؤخذ على هذا المصرف هو انه يهني بالمزارعين الثبار اكثر من عنايته بصغار المزارعين والفلاحين . فالمبالغ المقرضة الى المزارعين الصغار قليلة . والذالما فيست بالمبالغ الكبيرة المعداة الى المزارعين الكبار (٧٣) . رغم ان حاجةهم الى المال اشد من حاجة هؤلاء .

(٦٨) قانون المصرف الزراعي ص ١ - ٢ المادة الثانية

(٦٩) نظام المصرف الزراعي ص ١١ المادة الثالثة

(٧٠) المصدر السابق المادة الخامسة

(٧١) المصدر السابق المادة الخامسة فقرة ا و ب ص ١٧

(٧٢) هذا النظم لنقله المصرف الزراعي ص ٤٥٤ المصدر السابق المادة الخامسة

(٧٣) للتايد من هذه الحقيقة راجع الجدول الذي يبين معاملات السلفات الزراعية

المنجزة سنة ١٩٤٧ المنشور في التقرير الثاني عشر عن اعمال المصرف الزراعي ص ١٦

والجدول المنشور في التقرير الثالث عشر عن اعمال المصرف الزراعي ص ١٣

منه الواحد وقد ان يقرض أكثر من مرة واحدة . . . . . من بالغا



أما حجة المصرف بأنه "يقدم بعض المساعدات إلى قسم من الزراع الكبار أو متوسطيهم باعتبار أن هؤلاء إنما يستلثون لتقديم المساعدات اللازمة إلى الفلاحين الذين يشتغلون في أراضيهم فيكون المصرف والحالة هذه قد ساعد الزارع الصغير أيضا ولكن بطريقة غير مباشرة" (٧٤) • فحجة ضعيفة متهافتة لأننا نعرف بآي تأكيد مرتفع يقوض هؤلاء الزراع الكبار فلاحين •

إن هذا المصرف هو نواة حسنة للتفكير الزراعي في البلاد • ولكنه برأسه له هذا الضيق لا يستطيع أن يقدم إلا خدمات ضئيلة للزراعة • ولا يستطيع أن يخفف الزا ضائقة عدد قليل جدا من الزارع والفلاحين • كما يتبين من مساهلات التسليف التي قام بها • وقد اضطر إلى إيقاف التسليف في سنة ١٩٤٨ لأن ما عنده من المال • وإلى أن يجب • رأسا هذا المصرف أيضا لا تقوا عدد كبير من الفلاحين والزراع مستبقي جماعة الفلاحين الفادحة عروبة منهم المراهبين الجشعين واسراكيل والشيخ • (١) أن المصرف الزراعي يجب أن يكون الدعامة الأولى والرئيسية للإسكان الزراعي في البلاد • لا أن يترك الزارع سواء كان في المدن أو في القرى والأرياء فريسة للدائيات والمراهبين الذين لا يقومون إلا بقرارات بفوائد مرتفعة بحيث تبطل المزارع بقيود ثقيلة يندران يفلت منها فيما بعد ليستفيد من اتعابه وأرباحه وتنشع حريته اقتصاديا • (٧٥)

— x —

(٧٤) المصدر السابق ص ٢

(٧٥) المصدر السابق ص ٢

## (و) قسامة الديمن

كانت حقوق وواجبات كل من صاحب الأرض والسراكال والفلاح فيما يتعلق بإدارة شؤون المزرعة ماثمة ، غير صريحة • وكانت سببا لمنازعات عديدة •  
 فاصدرت الحكومة قانون (واجبات الزراعة رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣) •  
 صاحب المزرعة هو المدير للأرض التي تحت إسمه وإدارته وهو المسؤول  
 من تعيين مقدار البذور الواجب زرعها أو المساحة التي تخصر لها ، الفلاح أيضا  
 الصالحة لزراعة نوع من أنواع البذور ، وتنصيب القسم الذي يزرع منها في فصل معين  
 وتخليق أفضية السقي واتجاهاتها وكثافة شجرتها ، وتعيين أوقات الحراة وإساليبه  
 المعتادة ، واختيار اجناس البذور وأنواعها على أن لا يفتح الفلاح من زرع ما يتلوى  
 لمعينته من الحبوب • وتعيين أوقات السقي وكيفية توزيع المياه بين انقسام الأرض  
 بين مراعاة الحاجة والعدالة بين هذه الانقسام وتعيين مواعيد الحصاد والقد  
 واللقط والذات والدراسة والتدريفة (٧٦) • ويقوم السراكال بتوجيه الفلاحين الى  
 كل عمل يقتضيه نوع الزراعة واسلوبه ومنجاح نتاجه موسافلة ذلك الفتاح بمراقبة اعمال  
 الفلاحين (٧٧) • وعلى الفلاح ان يزرع المزروعات المقرر زرعها في الأرض ويسعى  
 في انماطها ، والمحافظ لتعليمها ومجمعها ونقلها داخل المزرعة الى الاماكن المخصصة  
 لها ، وان ينفذ الترتيبات والمقررات الصادرة من صاحب المزرعة أو السراكال وان  
 يقوم بالامل اللزم وفق هذه الاوامر وفي الاوقات المعينة لها ، وان يسعى فورا  
 لدرء الافات الطبيعية أو الأرضية أو التجاوزات الفارة بالزرع بأي وجه كان ، ~~والتجاوزات~~  
 واخبار السراكال أو صاحب الأرض عن وقوع هذه الافات والتجاوزات من غير تأخير (٧٨)  
 وعلى الفلاح ان يعمل في سبيل التحيلولة دون حصول او توسع خسارة طبيعية  
 أو أرضية مؤني اصلاح الطرق والمحافظة على السداد بالموجودة في المنطقة التي تحت  
 إدارة السراكال الذي يعمل تحت إشرافه • (٧٩) • وإذا ثبت على السراكال  
 أو الفلاح انه اعمل ما وقصر ما وخالف عن قصد ، وشا من ذلك سر في الزرع  
 فليمن السراكال أو الفلاح بتعويض الضرر الحادث ، وإذا ثبت ان السراكال أو الفلاح

(٧٦) من لائحة قانون حقوق وواجبات الزراعة ( ) لسنة ١٩٣٣ مادة ٣

(٧٧) المصدر السابق مادة ٥ فقرة ب

(٧٨) المصدر نفسه مادة ٩ فقرة ١ ، ب ، ج

(٧٩) المصدر نفسه مادة ٩ فقرة د ، ومادة ٧ فقرة ١ ، ب

كرر الاعمال المذكورة اعلاه عن قصد خلال سنة زراعية واحدة او انه تقصد اضرار المزرعة فلصاحب المزرعة ان يفصله عن الشركة او الفلاحة ويخرجه من المزرعة (٨٠) على ان اهم ما في هذا القانون هو اعطام الدين الزراعي • والدين الزراعي هو القلي ما يدفعه صاحب المزرعة الى السركال او الفلاح من البذور وحيوانات الكراب والآلات الخاصة بالزراعة او اتمانها وكذلك ما يدفعه اليه بصورة القرض من الحاجيات والنقود للحاجيات المذكورة خلال مدة اشتغاله في المزرعة • والمبالغ التي يسدد لها صاحب المزرعة لقاء دين سابق للسركال والفلاح • وجميع المبالغ التي صرفها صاحب العمل عند اثباته بانه صرفها لانجاز او اعمال عمل هو من واجبات الفلاح او السركال وامتنع عن القيام به (٨١) • وسحقير الدين الزراعي ممتازاً على غيره من الديون عند استيفائه من اموال السركال او الفلاح بما عدا ما للحكومة من حصة او ضريبة على المزرعة (٨٢) • وعندما يستوفي الدين الزراعي من اموال السركال او الفلاح يجب ان يحتفظ له بما يلزم من حيوانات ومن حاجيات المعيشة لموسم واحد كذلك ما يلزمه من حيوانات الكراب والآلات والادوات الزراعية فيما اذا تعمد بالتقاضي في مزرعة الدائن والقيام بواجبات الشركة او الفلاحة فيها

مواسم زراعية اخرى (٨٣) • ويجب على صاحب مزرعة ان يستدسم سركالا او فلاحا ان يتأكد بان السركال او الفلاح غير مدين بدين زراعي لصاحب مزرعة قد سبق مباشرة باستخدامه • واذا علم بوجود هذا الدين واصر على ابقائه فيكون كغيبا ملقاً من السركال او الفلاح من اجل الدين الزراعي العار الذكر • ولا يسوغ لاية دائرة حكومية او بلدية او شركة مسجلة ان تستخدم ان شخص مع علمها بانه مدين بدين زراعي • واذا تحقق لديها فيما بعد ان الشخص المذكور الذي استخدمه مدين بدين زراعي فعليها ان تحجز ثلث راتبه او اجوره او ثلث المنافع المخصصة له لقاء ذلك الدين مدة بقاءه في خدمتها وتدفعه لصاحب المزرعة تسديدا لدينه الزراعي • (٨٤)

(٨٠) المصدر نفسه مادة ١٨

(٨١) المصدر نفسه مادة ١٠ فقرة ١ ج ب

(٨٢) المصدر نفسه مادة ١٢

(٨٣) المصدر نفسه مادة ١٣ والخط من وضعي

(٨٤) المصدر نفسه مادة ١٥ فقرة ب ، المحض من وضعي

لقد وضع هذا القانون الفلاح تحت رحمة الملاك ، وجعل منه آلة بشرية مسخرة له . وما ان دخله الضئيل لا يمكنه من تحديد ما عليه من دين للملاك ، يضطر للاستدانة من جديد ، فتتراكم عليه الديون وفوائد الديون ويصبح قنا ملازما للأرض لا يستطيع براحتها ، وما بقي عليه الملاك في المعاملة ومنها امحى في استغلاله لان القانون لا يجيز له ترك الارض قبل تسديد ما عليه من دين لمالحيها ، اي لا يستطيع التحرر من عبوديته للملاك ابداً . (( وهذا نشأ نوعاً من القنانة ، هو قنانة الدين ، حيث يستطيع الملاك الذي يحتاج للعمال ، ان يسلط فلاحى قرية بكاملها او عدة قرى فينال بذلك حتى المالكية بنقل هؤلاء العمال الزراعيين الذين "حررهم" من ديونهم الى ارضه )) (٨٥)

### الفصل الثالث

## الصناعة

#### اهمية الصناعة

تذهب كل سنة عشرات الملايين من الدنانير الى الخارج لقاء بضائع يمكن انتاجها في البلاد نفسها . <sup>وتتدفق</sup> صادرات العراق اقل من وارداته تجد ان الميزان التجاري مختلاً ابداً لغير صالحه . ولو كانت الصناعة العراقية متقدمة لتمكننا من تلقي هذا الامر ، ولبنيت البلاد محشقة بجزء كبير من ثروتها . ان معلوم ما يتصدره العراق من المواد الأولية كالصوف والفلس والجلود هو بيعه بأسعار راقية يعود اليه بشكل بضائع مصنوعة مرتفعة الاسعار . ان تقدم الصناعة الالية الكهيرة في البلاد هو احد العوامل الاساسية التي يتوقف عليها تطور البلاد وارتفاع مستوى معيشة الشعب وزيادة واردات الدولة . ان انشاء المصانع الالية الحديثة يوفر العمل لآلاف الشبان المسلمين الذين يتزاحمون على وظائف الدولة وما يكادون يجدون عملاً فيها مولاتا الحرفيين الذين ما تكاد حرفتهم ومناكبتهم تدر عليهم ما يمد الرزق ، وتيسر العمل للكثيرين

من سكان المدن في العديد من الخدمات الوسيطة كالتجارة ، والنقل ، والبيع  
بالقرن هو الأعمال الحسائية والكتائية وغيرها . وسيؤدي ارتفاع دخل العمال الى  
رفع مستوى حياة اكرية السكان في المدن ومن ثم الى رفع دخل الفلاحين عموما ،  
وتشيط الزراعة .  
في التي تعد مستوى الاجور العام في البلاد . ولا تخرج الصناعة

ان الاجور التي تدفعها الصناعة الاساسية في العراق هي الزراعة ولما  
كان دخل الفلاح او العامل الزراعي واطنا وكما هي الحال في معظم البلاد التي اساسها  
الاقتصاد هو الزراعة وكان دخل العمال واطنا بالتبعية . فاذا ما تغيرت الحال  
وتقدمت الصناعة الالية الحديثة في البلاد فستكون هي الصناعة الرئيسية او هي  
الصناعة الرئيسية الثانية على اقل تقدير فتؤدي الى رفع دخل الفلاح بالضرورة  
لان اصحاب الاراضي يواجهون عند ذاك امرين : زيادة حصة الفلاح من غلة الارض  
ان كان شريكا في الانتاج ورفع اجوره ان كان عاملا زراعيًا اجيرًا او مجانية هجرة  
الفلاحين الى المدن حيث الاجور مرتفعة نسبيا . ومن جهة ثانية فان ارتفاع مستوى  
الحياة في المدن وزيادة قوة الدار السراية ستزيد الطلب على منتجات الريفي فتؤدي  
ذلك الى رفع اسعاره ومن ثم الى رفع دخل الفلاح .

الصناعة الالية الكبيرة تشيط الزراعة لانها تستهلك النسم الاكبر من الانتاج  
الزراعي القائم الان هو تربية الزراعة الصحايل المختلفة التي لا تنزع الان لعدم  
وجود اسواق محلية لها . وهذا كله يؤدي الى رفع مستوى الانتاج الزراعي الذي  
يجنى منه الزراعة دخلا والمنا في الاسواق العالمية اذا صدر تلبا لتأخر مدوره  
الى هذه الاسواق ووراداة تربه لآخر انتاجه الذي يعتمد على الآلات البدائية ، ولصع  
ولصعوبة المعاملات وارتفاع تكاليف الشحن . لقد نجحت زراعة الكتان من اجل  
اليافه نجاحا باعرا ولكنها اهملت لعدم وجود محامل خاصة تستخرج الياف الكتان  
باللح الفوية وتقوم بنسجها . ونجحت تربية دود القز نجاحا جيدا في بحرية  
والرسمية حتى تار المنتج من الحرير الليمعي عام ١٩٢٤ ، عن الحاجة المحلية  
ولكن عدم وجود معمل لنسج الحرير ادى الى اهمال تربية دود القز اعمالا تاما .  
وقد قامت مديرية الابحاث الصناعية بتجار عديدة اثبتت نجاح زراعة انواع من البنجر  
تصلح لنسج السكر . ان تامين معمل لصناعة السكر بالاساقه الى كونه يوجد عملا

للعديد من الناس، ويوفر على البلاد مازيين الدنانير تنفي كل سنة على هذه المادة الحيوية، يضيف الى منتوجات البلاد الزراعية مادة جديدة مرفوعة السعر تزيد من دخل المزارع وترفع من مستواه. هذا الى جانب ما يستفاد من بقايا البنجر في تغذية الماشية، وتسميد الارض. " ان تقدم الزراعة التي تكون في الوقت الحاضر الصناعة الرئيسية في الشرق الاوسط والتي ستبقى كذلك في المستقبل في اغلب النظم، قدما فعلا يتطلب مساعدة الصناعات الاخرى المساهمة للزراعة والتي تستمد منها موادها الخام. وبالإضافة الى هذا فان هذه الصناعات توجد اقتصادا متوازنا في البلاد وتوفر العمل للسكان المتزايدين ابدا وعلى الاخص في المناطق التي ترتفع فيها نسبة كثافة المكان بالنسبة للأراضي القابلة للزراعة (١).

### امكانية قيام الصناعة في العراق :

يختر كل قطر من اقطار العالم بانواع معينة من الصناعات الكبيرة المصممة وذلك بحسب ما يتوفر في ذلك البلد من امكانيات تجعل من تلك الصناعات مشاريع مربحة. وفي العراق امكانيات لقيام عدد من الصناعات الاساسية التي تحتاجها البلاد حاجة ماسة. والصناعات التي يمكن ان تقوم في البلاد هي الصناعات التي تعتمد على المنتوجات الزراعية والحيوانية كصناعة الغزل والنسيج، وادباجة، والاذنية والسكاير، والدبس، والكحول، والزيوت النباتية، والصابون، والكبريت، والسكر، ومنتجات الالبان والاسمدة الكيماوية والورق وغيرها. وذلك لتوفر عدد من العوامل الهامة المواد الخام كالقطن، والصوف، والجلود، والحليب، والتمر، والتبغ، والخشب، وامكانية زراعة البنجر السكري والكتان، والمشمس، وزراعة واسعة وتوفر الايدي العاملة الرخيصة التي تجعل تكاليف الاناج واطقة. واخيرا ازدياد الطلب على المنتوجات الصناعية وخاصة في المدن التي اخذ سكانها يزدادون ومستوى معيشتهم يرتفع.

### العوامل التي تهبط تطور الصناعة :

على انه توجد عوامل عديدة كانت تحول دون قيام الصناعات الالية الكبيرة في البلاد ولا يزال بعضها فعلا في وقتنا هذا الحاضر ومعيق انشاء الصناعات او يبطئ تلوورها في اقل تقدير. ان قيام الصناعات الالية الكبيرة يتوقف على عوامل عديدة

اهمها توفر راس المال وتيسر الحصول على الآلات ووجود طبقة من العمال الفنيين الماهرين والهديرين المجريين ، وخلق السوق المحلية من البضائع الاجنبية اليدة الرخيصة التي تتراحم منتجات البلاد الصناعية الناشئة ، واخيرا وجود الطلب على هذه المنتجات .

يحتاج قيام الصناعات الالية الكبيرة الى رؤوس اموال ضخمة . وهذه الاموال الضخمة يحصل عليها بما يوفره الناس في العمارات او ما يقدمه الافراد المثرى . ولما كان الدخل العام في البلاد والنا هو ما كان دخل معظم الافراد ما يتكاد يمد حاجات معيشتهم فان مستوى التوفير والى " جدا لا يستطيع ان يمد الصناعات الكبيرة والصناعات الاقتصادية الاخرى . وبلاضافة الى : اذا فان ثروة البلاد منجمعة بيد افراد قليلين وهو لا افراد ينفقون معظم دخلهم على وسائل الترف وبضائع الاستهلاك وينفون ان يقرضوا الباقي قروضا خصوصية تدر عليهم نائفا مرتعفا وبدلا من ان يوظفوها في المصارف ويتقاضون عليها نائفا والنا محدودا ما وان يشروها في التجارة وبناء العمارات وبدلا من ان يشروها في الصناعات التي يعملون مستقبلها . على ان موقف اغبيا العراق قد تغير بالقدريج . فبعدما اخذت اسعار المعاميل الزراعية في اليمول واخذ مركز المنتجات الزراعية يتقلل وعندما تكد هو لا الماكون والتجار من طويح الريح الوفير الذي تدره الصناعة واخذ تسم منهم يتقبلون على انشاء الصانع بتودة وحذر قبيل الحرب العالمية الثانية هويمة ونشاط منذ ابتداء الحرب وانقطاع واردات العراق من كثير من اصناف البضائع وان كان هذا الاتبال ضئيلا محدودا .

ومن العوامل التي تعوق نمو الصناعة الوطنية قلة عدد العمال الماهرين . يقدر عدد العمال الصناعيين بين اربعين وخمسين الفا . وتبلغ نسبة العمال الماهرين (٢٥) ١٥ / ٠ . وانما الماهرين نحو ٢٥ / ٠ . وما تبقى منهم من العمال الماهرين غير الماهرين<sup>(١)</sup> . ان انخفاض مستوى الماهرة للعمال العراقيين هو نتيجة لحالتهم الصحية السيئة والعمو تغذيتهم ، وفقرهم ووجهلهم . ان كان كفاءة العامل الصناعية تعتمد على عوامل عديدة اهمها قوة العامل الحسدية ومرايبتة

على العمل ، ودرجة ما ناله من التعليم والتدريب الفني المعني ، والاحوال  
 المحيطة الجيدة ، ووجود وسائل الرقابة من الاختلاف في المعامل ، واخيرا على  
 ادارة المعمل ادارة صحيحة . ان معظم العمال العراقيين اميون ولم يتألقوا من  
 التدريب الفني الا اقله " ولهذا يلاحظ ان العمال في المعامل هم فييد المسكة  
 وليسوا اسبادا لها . فبم لا يفهموا الصنعة فلو ان يساعدون على استغلالها  
 بسرعة دون قصد منهم على خلاف ما هو موجود في البلاد الصناعية الرائدة  
 حيث يجري تدريب العمال فنيا ( ٢ ) .

على ان قلة العمال الماهرين لا تشكل عائقا اساسيا بحلول دون قيام الصناعة  
 وقد مما فبالامكان تعليم العمال وتدريبهم تدريباً فنياً في المعامل وفي دورات  
 خاصة وفي المدارس الصناعية . وخلال الحرب احتاجت القوات البريطانية الى عمال  
 ماهرين لمعاملها فقامت بفتح عدة مراكز لتدريب العمال تدريباً فنياً فاستلحمت ان تسد  
 حاجتها من العمال خلال وقت قصير . ولقد استفاد العامل العراقي من هذه  
 التجربة فزادت نسبة الماهرين واشبه الماهرين بين العمال . وبالا كمال اعادة  
 هذه التجربة على نطاق واسع مني يد الحكومة او اصحاب المعامل والمشاريع الصناعية . ولوا  
 شك من اقبال العمال والشبان على هذه المدارس الصناعية ومراكز التدريب الفني اذا  
 ما تهيئوا من الحصول على اعمال تدريبهم دخلاً جيداً . وما يقال عن قلة العمال  
 الماهرين يصح على المديرين والمعلمين والخبراء . فالفنيون والوطنيون الذين  
 يستطيعون ادارة المعامل وتنظيم العمل على الاشراف على الآلات اقلية ضئيلة  
 ولكن هذا النذر يمكن سده بارسال البعثات من الشبان العراقيين الى اوروبا  
 واميركا واستقدام الاجانب واستخدامهم مؤقتاً حتى يتمكن العراقيون من الحلول محلهم .  
 وهذا ما يجري في الوقت الحاضر هو ان كانت البعثات الفنية الى اوروبا واميركا من  
 النالة بحيث لا تبشر بمستقبل زاهر للصناعة العراقية .

بما فان تقدم الصناعة الوطنية في البلاد هو لا يزال يفتقها مقاومة  
 المصالحات البريطانية لحركة التنمية . " اننا نجد في الحقيقة انه في البلاد المشمولة  
 بالانتداب وقف العراقيون الاجانب والدوائر الحكومية مؤقتاً سلبياً واضحا ازا  
 اية اتجاهات ترمي الى اقامة الصناعة . . . .



ان الدول الخيرية لم تستلح ان تقبل فكرة قيام صناعات قومية ، اي مستقلة  
تتصر السوق على منتجاتها المعدة للاصدار (٤) .

وكانت مقاومة الاستثمار للصناعة تتخذ اشكالا مختلفة فمارة باثران السوق  
المحلية بالمنتجات الاجنبية التي تزاخم المنتجات الوطنية الناشئة وتقضي عليها ،  
ومارة بمعرفة استيراد معدات المعامل ومارة اخرى بمعرفة توسع هذه الصناعات  
وانتظام سيرها على يد الخبراء والفنيين المشرفين على المعامل او المنشآت في  
دوائر الحكومة المختلفة التي لها مساس بالصناعة (٥) .

ان تقدم الصناعة العراقية يتوقف الى حد كبير على تحسين الحالة في الريف  
العراقي . ولما كان الريف هو السكان القرويون يوتقون اقلية سكان البلاد  
فان ازدياد دخلهم وارتفاع مستوى معيشتهم سيزيد الدخل على منتجات الصناعة  
القائمة الآن وسيهيئ الفرصة لقيام صناعات اخرى . ان مساكن الفلاحين خالية من  
سور للنعم ومن منافذ وكراسي ومن نوافذ الزجاج . فلو استلح الفلاحون  
ان يوفرنا اثمان هذه البضائع فوفروا من الادوات المنزلية المصنوعة لادى ذلك  
الى قيام مصانع للأسرة مما شجعت مصانع النجارة والزجاج اتماما عليها ونقل  
تشغيل عشرات الآلاف من المال (٦) . والعمل المنظم على نشر التعليم وانشاء  
المؤسسات التعليمية يستدعي انتاج الورق وادوات الكتابة ، ولبح الكتب المدرسية  
وانشاء المباني المدرسية بمعدات لها . وفي حالة مشابهة اذا ما ادخلنا  
الخدمات الصحية والادوية والمستشفيات . والمختبرات الحديثة لو حد ارتفاع  
مستوى معيشة الفلاحين بحيث يقترب من احوال السائدة في اورها  
فان هذا يفسح المجال لتمام زيادة في الانتاج الصناعي بالبلاد الشرقية تصل الى  
الملايين من الجنيهات (٧) .

(٤) بونية ، الدولة والتعليم الاقتصادي في الشرق الاوسط ص ٣٠٦ من الترجمة  
العربية و ص ٤٨٠ من الاصل

(٥) يقول الدكتور منظر حسين جميل ص ٥٧ (معارضة السلطات للاجراءات التي من  
شأنها المساهمة في الارتفاع من قوتها او بعيدا عن مظاهر ذلك عدم انعقاد  
بعدم ضرورة السلع للاستهلاك عند تقرير رسم الاستيراد ومعارضة الجهود التي اذت الي  
انشاء مطبخ الاقوان العراقي باعتبارها قائما عند مطبخ جمعية انباء الدن البرلمانية )  
( هذه الفقرة مأخوذة من تقرير خاير ص ١٦٦ حاشية من المؤلف ) وتمتد حصول  
معلي نزل السوق وتسجعه على معدات لها من برلمانيا (٨) وراجع كذلك الجندبي

## الحكومة والصناعة الوطنية

ولكن الحكومة العراقية أدركت منذ نهاية فترة الاحتلال ضرورة تشجيع الصناعة فصدرت في ١٦/٣/١٩٢٩ «قانون تشجيع المشاريع الصناعية رقم ١٤ لسنة ١٩٢٩ (٢٠)» وكان المحفز المتوالي في الميزان التجاري، والحاجة إلى المشاريع الصناعية الحديثة التي يعود إنتاجها من بعض مفردات تجارة الاستيراد هو الذي حدا بالحكومة إلى اعتماد هذا القانون . وقد عدل هذا القانون عدة مرات ليساير التطور الصناعي الوطني (٧) . ويشر هذا القانون على إعفاء الصناعات الآلية والتي توفر فيها شروط معينة من الرسوم الجمركية على الآلات المستوردة وإعفاءها من ضرائب الدخل والأملاك مدة معينة من الزمن (٨) . ويتمتع نحو سبعين مشروعاً صناعياً بالإعفاءات المنصوص عليها في هذا القانون (٩) . وقامت الحكومة بحماية بعض الصناعات الوطنية المهمة كالأحذية والكمول والسيارات بحماية مباشرة عن طريق زيادة رسوم الاستيراد على البضائع الأجنبية المماثلة لها . وإن كانت هذه الحماية خفيفة النطاق محدودة بحيث بقيت كثير من الصناعة الناجمة المهمة كالصابون والجلود والكبريت والمنسوجات السخوية والحلويات معرّضة لمزاومة البضائع الأجنبية . (١٠) .

---

من ٣٠ و ٣١ عن عتلة الشركات البرمائية والفنيين المشرفين على الخدمات الحرفية المرتبطين بهذه الشركات لتبني المشاريع كمنفعة فزل ونسج الامتحان الحرفية وتأخير تنفيذ مشروع السمك هود مير عمل (الكوكوز) السكر الحنبي في الدالية . وانصار اكثر معامل الصابون والكبريت والزجاج الى ترك المعمل (٦) بونية الدولة والتعليم في الشراء . وسال بر ٢٢٩ من الترجمة العربية وص ٣٠٦ من المال . (٧) عدل هذا القانون بالنواين رقم ٤٥ لسنة ١٩٣٠ ، ورقم ٦٢ لسنة ١٩٣٦ ورقم ٢١ لسنة ١٩٣٩ (٨) انظر جويل ص ٢٨٢ - ٨٨ (٩) انظر مكي بصري «مباحث في الاقتصاد العراقي» (بغداد ١٩٤٨) ص ١٥٥

واهتمت الحكومة بتنظيم التسليف الصناعي . فقد صدر " قانون الاعمال العمرانية الرئيسية رقم ٧٩ لسنة ١٩٣١ " على تخصيص مبالغ لمساعدة المصانع الاهلية وذلك بعدها بالسلف او القرض ، وفق شروط يعينها وزير المالية بموافقة مجلس الوزراء . وقد تكرر مثل هذا النص في قانون رقم ٣٩ لسنة ١٩٣٤ ومرسوم رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٥ . وفي سنة ١٩٣٦ تم تأسيس المصرف الزراعي الصناعي . وقد استقل المصرفان عن بعضهما في سنة ١٩٤٧ . وقد اصبح واجب المصرف الصناعي كما يشر على ذلك نظام المصرف رقم ٤١ لسنة ١٩٤٧ انشا مصانع البلاد ومساعدتها وذلك من طريق التسليف لاقرارات انشاء المصانع او توسيعها او تحسينها والتوسط في استيراد المواد الاولية وتصدير المنتجات المصنوعة ، والتسليف على تلك المواد والمنتجات . ومن واجبات المصرف الاخر القيام بالمشاريع الصناعية بصورة مباشرة وتاليف شركات مساهمة او الاشتراك في شركات صناعية قائمة (١١) وقام هذا المصرف بتاسيس عدد من المشاريع الصناعية ماواشتراك في المساهمة بتاسيسها، واهمها محالج القطن في العزيزية وشركة المنسف ويملك المصرف ١٢٠٠٠ سهم من اسهمها البالغة ٥٠٠ و ٤٠ سهم والتي يبلغ رأسمالها ٥٠٠ و ٤٠٠ دينار ، وشركة استخراج الزيوت النباتية المحدودة ويملك المصرف ٥٠٠ و ٣٠ سهم من اسهمها البالغة ٥٠٠ و ١٥٠ سهم ، والتي يبلغ رأسمالها ٥٠٠ و ١٥٠ دينار (١٢) وشركة تجارة القطن ولحن الحبوب العراقية المحدودة يمتلك المصرف بالثلاث سهم من اسهمها البالغة عشرة الاف والتي يبلغ رأسمالها ٥٠٠ و ١٠٠ دينار ، وقد حالي المصرف في ٢٩ - ١٢ - ١٩٤٥ ، بموافقة الحكومة على تاليف شركة مساهمة تقوم بانشاء معمل لخزل القطن ونفجه . وقد اصبح تنفيذ هذا المشروع من اختصاص المصرف الصناعي . كما ان هذا المصرف يهتم بانشاء معمل لصناعة

- 
- (١٠) انظر جميل ص ٢٣٤ - ٢٤٤ وقد جاء في جريدة عدى الاهالي عدد ٤١٧  
 ٩ شباط ١٩٤٩ اطلبت مديرية الاموال المستوردة الحامة من وزارة الاقتصاد  
 دراسة موضوع انتاج الشحاح (الكبريت) في العراق والطرق التي تومن حماية هذا  
 المنتج دراسة شاملة واعلمها من التدابير التي تراها الوزارة المذكورة ضرورية  
 لزيادة الانتاج في المعامل الاربع المنتجة له في العراق في الوقت الحاضر .  
 ومنها معمل في الموصل وثلاثة معامل في بغداد وهي التي باشرت بانتاجها فعلا .  
 وبما ذكرته مديرية الاموال المستوردة بهذا الصدد ان في وسع تلك المعامل تأمين  
 حاجة العراق من الشحاح ولذلك فقد وجب حمايتها من الشحاح الاجنبي .

الحليب ومستخرجاته كاللبن والزبدة والقشطة بالذوق المصرية الفنية وإنشاء صناعة الكواني والجنفاس والسوتلي • (١٢)

وعلى الرغم من الخدمات النافعة التي يقدمها هذا المصرف للصناعة الوطنية فإن أثره محدود الدال • وذلك لقلة رأسماله الذي لا يتعدى نصف مليون دينار والواجب يستلزم زيادة رأسمال المصرف وذلك عن طريق إشراك رؤوس أموال الأهلية فيه وبالإشراك الفعلي في المؤسسات الصناعية الممثلة القائمة الآن على أسس رصينة وفي خفض التكاليف التي يجنبها لقاء القروض التي يسلفها للمشاريع الصناعية تشجيعاً للناس على الإقبال على استثمار رؤوس أموالهم وتوفيراتهم في الصناعة • وهذا الممدد يكتبه الدكتور مظهر جعيل جميل مقترحاً (١٢) أن يوضح واجباً للمصرف فيما يتعلق بالتسليف مما تقدم ذكره بشأن التسليف الزراعي من ضرورة عقد فكرة الاسترباح بل إن نبذ هذه الفكرة أشد ضرورة في مجال التسليف الصناعي باعتبار كون استثمار رؤوس الأموال في المشاريع الصناعية لا يزال معدوداً في العراق من قبيل المظالمات وباعتبار أن تشجيع هذا النوع من الاستثمار يقتضي تسهيلات استثنائية لتجهيز رؤوس الأموال الامانية اللازمة لإقامة المصانع وإارتها على أن الميزة الرئيسية في الظروف الحاضرة إنما هي ميزة حشد رؤوس الأموال المشتركة وتنظيم استثمارها • وأسلم الميل المودية إلى هذا الخرج إن تتبع أصول شركات الاقتصاد المختلط • وفيما يتعلق بكيان المصرف وفيما يتعلق بمؤسساته فيحول المصرف إلى شركة مساهمة تحتفظ الحكومة في رأسمالها بنسبة كافية لتحقيق على أعمال مجلس الإدارة ثم تولف المؤسسة الجديدة شركات فرعية لمباشرة الإنتاج الصناعي وتساهم في هذه الشركات بالقدر الذي يكفل لها الرقابة على أعماله رقابة مجدية • وبهذه الوسيلة يتيسر للدولة أن تشرف لقاء رأسمالها في المصرف التالي على نحو من ثلاثة أمثاله من رؤوس الأموال الأهلية وأن تحقق التعاون بين المصالح والأموال العامة وبين المصالح والأموال الخاصة في إدارة المؤسسات الصناعية وأن تحسن

(١١) انظر جميل ص ٢٦٨ - ٢٦٩ وص ٥٨٩

(١٢) انظر التقرير السنوي الحاضر من أعمال المصرف الزراعي الصناعي (م لمبعة

الحكومة بغداد ١٩٤٧) ٢-٤

(١٣) ص ٥٩١ - ٥٩٢

استغلال الثروة المتراكمة باقامة صناعات وصنعة هوان تقرر ما يقتضي لهذه الصناعات من امانات ومن حماية كمركية وهي على هيئة من امر ملائمتها للصالح العام .  
في ٢٤-٦- ١٩٣٥ اقر مجلس الوزراء تأسيس مديرية المباحث الصناعية واقر رتبها بوزارة الاقتصاد والمواصلات . ويشتمل منهاجها على الاعمال التالية :  
١ - دراسة تأسيس الصناعات الجديدة التي تفتقر اليها البلاد والتي يمكن قيامها في البلاد .

- ٢ - دراسة الخامات الصناعية وتعيين مدى صلاحها للاستخدام في الانتاج الصناعي القصوي ووضع منهاج لاصلاح خواصها الفنية وتاجرها باشكل محسنة .
- ٣ - العمل على ادخال الاساليب الفنية المعاصرة الى الصناعات الكبرائية القائمة بالانتاج حاليا وتصنيع اساليبها القديمة وتعيين احداث الاساليب فيها .
- ٤ - تقديم الارشاد الصناعي الفني لمن يرغب فيه من ذوي العلاقة بالصناعة الوطنية .
- ٥ - مراقبة المؤسسات الصناعية من الناحية الفنية .
- ٦ - تدريب الموظفين الفنيين على الاعمال الفنية لمختلف الصناعات واعداد اخصائيين في فنون الصناعة من اهلاء البلاد (١٤) .

وقد قامت هذه المديرية التي اصبحت عنوانها "مديرية الصناعة العامة" والتي اضيف الي اعمالها تامين قانون تشجيع المشاريع الصناعية بخدمات مفيدة للصناعة الوطنية بما قدمت لها من نصائح وارشادات وهما اجرت من تحاليل على المواد الاولية ومن تجارب للتأكد من نجاح بعض الصناعات . ولكن نظرا لظروفها المحدودة لسالة مواردها المالية والتي لا تتجاوز الاحد عشر الف دينار في السنة (١٥) نرى من هذا ان توسيع هذه المؤسسة وزيادة مواردها المالية ضرورية لترقي الصناعة في البلاد .

(١٤) مديرية المباحث الصناعية "المباحث الصناعية في عشر سنوات" (مطبوعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٦) ، ص ٢-٣

(١٥) جاء في معيد المباحث الصناعية "التقرير السنوي للسنة المالية ١٩٤٩ - ١٩٥٠" (بغداد ١٩٥٠) ص ١٠٢ "لم يتجاوز ما خصص للمعبد في ميزانية السنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ مبلغ احد عشر الف وخمسمائة دينار . فكانت وسائل العمل على قياس متناسب وتلك الميزانية بالبيعة الحال . فلم يتعد ما سرف منها للاجهزة والالات والادوات والمواد الكيميائية لمختبرات المعبد ومعمله التجريبي ٢٢٠٨ / ٢٣٠ دينار وما صرف رواتب للموظفين الفنيين ٢٢٨٨ / ٧٥٥ دينار وما صرف اجورا للموظفين الموقنين والمستخدمين ٢٢٦٤ / ٧٢٣ دينار . وكان نصيب فصل الكتب والمراجع والمجلات الفنية الاخرى ٢٢٨ / ٧٢٣ دينار ."

## الصناعات اليدوية

ان معظم الصناعات القائمة في البلاد هي الصناعات اليدوية الصغيرة وتستخدم الواحدة منها آلات بدائية بسيطة ، وتشغل عددا قليلا من العمال ، والذي يعمين وجود هذه الصناعات ومساعدتها على البقاء ، وهو مستوى معيشة الفلاحين الواسع . قد دخل النسيج النخيل يندلج على القيام ببعض الاعمال الصناعية البسيطة كعمل الحراث او تصليحه ، وقيام المرأة الرقيقة بنزل الصوف او الفلين وحياسة ملابس لافراد الاسرة ، ولحن الحبوب وخبزها ، وبناء البيت الخ . . . . . ولما كانت حاجات الفلاح قليلة وبسيطة كان بإمكان الريفين في القرية والمدينة ان يجزوه بها . وقد خضعت الحرف اليدوية الى تأثيرات داخلية وخارجية عديدة اربكت احوالها وعملت تقدم بعضها وتخت على كثير منها . فالمنتجات الاجنبية التي فزت اسواق البلاد منذ نهاية الحرب العظمى الماضية ، وقيام الصناعات الآلية الحديثة في البلاد ، وارتفع مستوى المعيشة في المدن فغنى على بعض الحرف اليدوية المهمة كصناعة الحياكة والنسيج ، واستخراج الزيت والكحول والاحذية ، والصابون ، والصفاة ، والدباغة ، والتقليل مراكز اكثرها على اقل تقدير . وقد اضطر قسم من الحرفيين الى تولي حرفهم نهائيا ، والاشتغال عمالا ماجورين في المعامل الآلية الحديثة ، والاشتغال في اعمال اخرى وبقي الآخرون محتفظين بحرفهم وان اخذت مد اخطهم تضائل وتقل . وقد استعادت بعض الحرف شيئا من مكانتها السابقة خلال الحرب العالمية الثانية لانقطاع البضائع الاجنبية عن الاسواق ولكنها عادت الى تضائلها وتأخرها منذ ان اخذت هذه البضائع تتدفق على الاسواق المحلية بعد استقرار السلام . وسيبقى قسم من هذه الحرف محتفظة بكيانها ما دامت الرأسمالية الحديثة لا تجد الربح الكافي في ~~الصناعات~~ احتلال محلها ، وما دامت طبقة الفلاحين محتفظة بمستوى عيشها ، مهتمة على أسلوب حياتها البدائي البسيط . والحق ان بعض الحرف ~~مهم~~ خاصة تلك التي كانت تعبير بحسب تنظيم شبيه بتنظيم المصنع كالحدادة ، والنجارة ، والدباغة ، وصنع الاحذية ، ~~والصناعة~~ تطورت خلال فترة ما بين الحربين ، وحسنت تنظيمها واستخدمت الآلات الحديثة بحكم تزايد الطلب على منتجاتها ، الا ان هذه الصناعات محدودة العدد لا تولد الا جزء صغيرا من مجموع الصناعات اليدوية .

يقدر عدد الحرفيين بنحو ٤ بالمئة من مجموع السكان (١٦) ويختلف وضع الحرفيين

المالي باختلاف الحرف التي يمارسونها ، وباختلاف الرصيد الذي يمارسون حرفهم فيه .  
 أي أن دخلهم يعتمد على القوة الشرائية للطبقة التي تستهلك منتجاتهم . (١٦)  
 ويمكن القول بصورة عامة بأن نحو سبعين بالمائة من الحرفيين في مستوى معيشة منخفضين  
 وهم في ذلك يخضعون لمقدار القوة الشرائية المودعة بيد السكان الزراعيين والطبقة  
 العاملة . وما تبقى منهم أحسن حالا . وتقل النسبة كلما ارتفع الدخل وسارت الحرفة  
 فنية كصياغة الذهب والفضة وعمل السجاد وغيرها . (١٧)  
 أن الحرف اليدوية لا تزال <sup>غير</sup> مفيدة بشركات العمل الحديثة فصاعداً العمل  
 غير معينة هو الامل يشتغل من الصباح الباكر حتى الخروب ولا يتمتع بعائلة اسبوعية  
 ارشدية . ولا ينال عن يوم اشتغاله من العمل اجرة مهما كان سبب اشتغاله من العمل .  
 وتندم الشروط المحيطة في العمل . والحقيقة أن أكثر العمال اليدوية غير صالحة  
 لل عمل . أما أجور العمال فثلثة ما تكاد تمد حاجاتهم الأساسية ، وهي تختلف بين  
 حرفة وأخرى ، وتعتمد على مقدار دخل صاحب العمل والذي يتوقف على مقدار الطلب  
 على منتجاته وعلى المقدرة الشرائية للطبقة التي تتعامل معه كما تقدم معنا .

### الصناعة الآلية الكبيرة :

الصناعة الآلية حديثة النشأة في العراق . فقد بدأت في  
 العقد الثالث من هذا القرن وسارت بخلي مليئة متعشرة . ولكن تأسيس المصانع  
 الآلية أخذ ينشط منذ الحرب العالمية الثانية نشالاً بظاهراً ، ولأن قطاع كبير من البضائع  
 من الزرود إلى الأسواق المحلية ، وتراكم الثروات المائلة بأيدي ملاكي أراضي ،  
 والتجار واسياد المون المحلية السودا . وقد تأسست منذ ذلك الحين مصانع  
 عديدة ونجح بعضها نجاحاً ممتازاً وتقدر بعضها الآخر ، وأزال من الوجود نهائياً  
 بفضل العوامل التي ذكرتها تحت عنوان العوامل التي تعرف نمو الصناعة ، وبفضل  
 عوامل أخرى أهمها : سياسة اختيار نوع الاستثمار الصالحة للبقاء في الظروف الدولية  
 الاقتصادية ، وتعدد المشاريع الصغيرة ، والاهتمام على تقليد نوع الإنتاج الأكثر ربحاً  
 وعدم تحريم الاسرار الرصينة في الإدارة والتنظيم ، وقيام بعض اصحاب هذه المشاريع  
 بمهمة العمل والمضام في أن واحد على قلة خبرتهم ومنعت كفاءاتهم التقليدية .

وقد أدرك الناس خسارة الصناعة في الحياة الاقتصادية ولمسوا ما تدره من أرباح وفيرة فأنهلوا على الاكتتاب في المشاريع الصناعية كما أخذ بعض رجال الدولة والمتقنين فيها يشتركون في تأسيس الشركات الصناعية (١٨) وهذا تحول خطير في تاريخ الصناعة العراقية لأن اشتراك رجال الحكم في الصناعة سيؤدي إلى استفلال هؤلاء نفوذهم في الدولة لترقية شؤون مصانعهم وفرض التشريعات والأنظمة الملائمة للصناعة وإن كانت تضر المصالح العام، وسيؤدي إلى زيادة اضطهاد العمال والحد من حرياتهم وتضييق جهاز الدولة لحرمانهم من حقوقهم وإخصائها حقهم في تأسيس نقابات لهم وحتمهم في الأرباب مثل . وفيما يلي أهم المشاريع الصناعية القائمة في البلاد .

بلغ عدد المعامل التي تمتفيد من قانون تشجيع الصناعات المحلية في عام ١٩٤٥ ٨٥ ممملا موزعة على الشكل الآتي :

نوع الصناعة	عدد المعامل	نوع الصناعة	عدد المعامل
الطابوق (الاجرة)	١١	النزل والنسيج	٧
الطباعة	٨	تقطير الكحول	٥
المطاحن	٦	الكبريت	٥
الصابون	٦	الدباغة	٤
الاحذية	٣	حلج القطن وكبسه	٣
التريديد	٣	صناعات أخرى مختلفة	١٥

(١٩)

(١٨) جاء في التقرير السنوي العاشر من أعمال المصرف الزراعي الصناعي ص ٥٥ وإن راسمال شركة تجارة ولحن الحبوب العراقية المحدودة ١٠٠٠ م ١٠٠ دينار موزع على ١٠ م ١٠٠ سهم لكتتب المصرف ب ١٠ م ١٠٠ منها وقد وفيت من قيمة الاسهم كلها ٥٠ م ١٠٠ حتى الآن ٠٠٠ ومن الجدير بالذكر أن اقبال الجمهور العراقي على اقتناء اسهم هذه الشركة كان اقبالا متدليا نظير . إذ نفذت الاسهم في أقل من يوم منذ اعلانها . ولا شك أن هذا يدل على رغبة الشعب في استثمار موارده وموازاة الشركات الوطنية (المشاهمة) (١٩)

(١٩) الشرق الاوسط ص ٦٤



وفيما يلي جدول بانتاج بعض المصناعات التي تناولها الاحصاء للسنة المالية ١٩٤٨ - ٤٩ هـ (٢٠)

المصنعة :	النتاج
١ - الغزل والنسيج	
الصوفي معملان	٨٠٠م ٤٤١ متر قماش
	٨٠٠م ٨٦ كيلو غزل
القطني : معمل واحد	٤٠٠م ٢٠٤ باوند قماش
	١٠٠م ٣٦٠ باوند غزل
٢ - الدباغة	٦٠٠م ١٣٦ كيلو غزل
ثلاثة معامل	١١٤م ٤٠٠ قدم مربع وجه
٣ - الزيوت النباتية :	
معمل واحد	١٠٠م ١ طن زيت
	١٠٠م ١ طن كسبة
٤ - البيرة : معمل واحد	٤٠٠م ٥٤٥ لتر
٥ - الكحول ثلاثة معامل	٢٠٠م ٢٢١٦ لتر
وتنتج معامل الميكانيكي العراقي ٥٥٠٠ مليون سيارة سنويا ، ويصنع حوالي نصفها باليد والباقي تنتجه المعامل التي يوجد منها خمسة في بغداد تنتج جميعها ١٣٠٠ مليون سيارة في السنة . وتنتج اكبر معمل للدبابات في بغداد مقدار ٤٠٠م ٤٠ طابوقة في اليوم (٢١) . وان معظم ما ينتج من الاحذية تصنع باليد ولكن هناك سبعة مصانع تشغل مائتين مصنع الاحذية تدار بالقوة الكهربائية . وان اوسع واكبر هذه المصانع السبعة ينتج غزل ستين عاملا ينتج ثلاثين الف زوج من الاحذية في السنة (٢٢) .	

(٢٠) تشغل بتزويدي بهذه الاحصائية معادة الاستاذ شيت نعمان المدير العام لاديرة

الصناعة العامة .

(٢١) الشرق الاوسط ص ٢٦

(٢٢) ف . هـ كاميل "ملاحول الاقتصادية والتجارية في العراق" معرب : جريدة "لواء"

الاستقلال ببغداد العدد ١٢١ هـ ٨ آذار ١٩٥٠

## تشريع العمل :

أوجد تقدم الصناعة الآلية الحديثة في البلاد طبقة من العمال أخذت في الازدياد ، ورا لتوسع المنازيع الصناعية القائمة وتأمين مشاريع جديدة . وقد استلزم وجود هذه الطبقة المنة تشريع قانون يعين حقوقها بالنسبة لأصحاب المصانع ويحميها من استغلالهم ويعالج القضايا الناشئة من العمل . وقد صدر عام ١٩٣٦ قانون العمال رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦ ثم عدل سنة ١٩٤٢ ليكون أكثر تنميا مع حاجات العمال وتطور الصناعة . وقد ضمن هذا القانون على ما فيه من نقائص ، كثير من حقوق مال وعين طرق حصولهم على مبالغهم . فقد حدد ساعات العمل اليومي بمشائي ساعات تجعل الاستراحة الأسبوعية اجبارية ، ومنح العامل حق العائلات الاقتصادية على تأمين يوم واحد في الأسبوع والعربية أربعة أيام في كل ثلاثة أشهر ، ومنع تشغيل النساء والمرضقين ليلا وتشغيل الأحداث الذين هم دون الثانية عشرة في الصناعة . وترعى العامل في نيل تعويض عما يتكبته من عذاب جسمي أثناء قيامه بالعمل . وقد اعتبر هذا القانون تشكيل النقابات العمالية وفقا من حقوق العمال ، وجعل الغاية من العناية بشؤون العمال وتثري التعاون بينهم والمضي في السبل الديمقراطية والثقافية والصحية والاجتماعية والاقتصادية بولترية المصانع في البلاد الى غير ذلك من المواد التي تتعلق بشؤون العمال . ولكن هذا القانون بقي بصورة عامة خيرا على ورن دون ان تحاول الحكومة تلبية روحها ونصا . بل انها كانت وما زالت تحمي المخالفين له من اصحاب المصانع بوقاوم العمال الذين يناهلون في سبيل تأمين هذا القانون الذي شرعته الحكومة نفسها . فتفتيش المعامل الذي ينشر عليه هذا القانون نفسه يقصد الى علاج على احوال العمال لم يكن له وجود .

وعندما تأسست اربع عشرة نقابة عمالية في عام ١٩٤٥ ، وابتدأ السد على مصالح العمال والناس في سبيل تأمين قانون العمال لم تكلل من الحكومة اي تأييد . بل لقد كانت الحكومة الحركة النقابية منذ قيامها . واخذت تتلارد زعماءها وتنادتها فاعلنت سبعة منها موجبات اعمال ثلاثة منها . ودالت وزارة الداخلية هذا العام متابعة مصالح التجار بحجة ان هذه النقابة ايدت مؤتمر انصار السلم .

(٢٢) راجع دراسة الهيئة الادارية لنقابة عمال التجارة المنشورة في رودة مدى

الاهالي ، ٢٢ كانون الثاني ١٩٥٠ ، عدد ٤٠٢

## الفصل الرابع

### النفط

اتجهت انظار شركات النفط والدول الغربية الى نفط العراق منذ اواخر القرن التاسع عشر. ونشطت مختلف المساعي لنيل امتياز منابع هذه المنطقة الغنية بالهترول. وكانت كل من الحكومتين الالمانية والانكليزية تسعى للاستحواذ على منابع نفط العراق. وبعد مناورات طويلة، مختلفة الاساليب، ما بين شركة سكة حديد الاناضول الالمانية، وشركة النفط الانكليزية الفارسية، وشركة رويال دتش شل، تالفت شركة النفط التركية المحدودة. وقد نالت هذه الشركة من الحكومة العثمانية، بتدخل من الحكومتين الانكليزية والالمانية، امتيازاً باستثمار نفط ولايتي الموصل وبغداد وذلك في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤. وكان توزيع حصة هذه الشركة على الدولة الاتية:

٥٠ ٪ لشركة النفط الانكليزية الفارسية.

٢٥ ٪ لدتش بنك الالمانى

٢٥ ٪ لرويال دتش شل (١)

على ان هذه الشركة لم تستطع ان تستغل المناطق الداخلية في امتيازها بسبب قيام الحرب العالمية الاولى. وبعد ان انتهت الحرب، وتأسست الحكومة العراقية، ورثت هذه الحكومة التزامات الحكومة العثمانية تجاه شركة النفط التركية، وتحتم عليها تنفيذها.

(٢)

ولكن انهزام المانية في الحرب، وظهور الولايات المتحدة كقوة عالمية، تزيد مساهمة بريطانيا وفرنسا في اقتسام موارد العالم النفطية، فير وضعية النفط في العراق، ومن ثم فير تكوين شركة النفط التركية المحدودة.

(١) E.H. Davenport and Sidney Russell Cook, "The oil Trusts And Anglo-American Relations" (New York, 1924), P.P. 24 - 7

وساير اليه بـ "دينينجورت". وانظر كذلك حمادة ص ٨٦ - ٨٧. ورائد البراوى، "حرب البترول في الشرق الاوسط" (القاهرة، الطبعة الثانية) ص ٢٨ - ٢٩. ساير اليه بـ "براوى".

(٢) انظر تقرير خاص ص ٢١٨ وكذلك المادة التاسعة من البروتوكول المتعلق ببعض الامتيازات الممنوحة في الامبراطورية العثمانية، والموقع في لوزان في ١٤ تموز ١٩٢٣ والمنشور في معاهدات الملح ج ٢ ص ١٠٤٩

في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ عقدت اتفاقية نفط في سان ريمو بين فرنسا وانكلترا. تنص هذه الاتفاقية على وجوب اشراك فرنسا في نفط العراق • وقيام فرنسا باجراء التسهيلات اللازمة في حالة نقل البترول الى البحر عبر سوريا • وعلى اشراك الحكومة الوطنية في احوال الشركة في حالة قيام شركة اهلية باستغلال نفط العراق • وتنص هذه الاتفاقية كذلك على ان الشركة المشار اليها ستكون تحت السيطرة البريطانية • وبناء على هذه الاتفاقية اعلنت الاسهم الالمانية الدائمة لفرنسا ( ٣ ) •

ولكن كمؤسسات النفط الامريكية لم تمكث من احتكار الانكليز والفرنسيين لنفط العراق • واخذت تطالب بنصيبها من نفط العراق حسب مبدأ الباب المفتوح • وقد احتجت وزارة الخارجية الاميركية • في عام ١٩٢٠ • على فرنسا وانكلترا واتهمتهما بخرق مبدأ الباب المفتوح ( ٤ ) • وفي سنة ١٩٢٢ • وتدخل من وزارة الخارجية الاميركية • منعت مجموعة من الشركات الاميركية نصف اسهم شركة النفط الانكليزية الايرانية • مقابل حصة معينة تستلمها هذه الشركة كعموم • وقد ابدت اربع عشرة شركة امريكية اعتاماً بنفط العراق • على ان خمسة منها فقط وافقت على الاشتراك في تاليف مجموعة الشركات الاميركية التي تكون "شركة ترقية الشرق الادنى" "Near East Development Company"

على انه لم يبين في هذه المجموعة • في الاخير • غير شركتين فقط • هما شركة "ستاندرد اويل اوف نيو جيرسي" و "شركة سوكوني ناكم" ( ٥ ) •

ومنذ سنة ١٩٢٣ اخذت شركة النفط التركية تفاوض الحكومة العراقية بشأن تجديد امتيازها • وكانت المفاوضات طويلة • شاقة • لان الجانب الحكومي العراقي كان يطالب بان يكون للعراق حصة في رأس مال الشركة • كما تنص على ذلك اتفاقية سان ريمو • ولكن الحكومة العراقية • وكانت تخضع في مقرراتها للمندوب السامي البريطاني • حملت اخيراً على الاكتفاء بمقايضة رسم مقطوع بصفة ربح ( او ربحاً ) اي حصة ملاكية •

(٣) انظر نمر المواد ٨٠٧ • ٨٠٩ • ١٠ • ١١ • من اتفاقية سان ريمو المنشورة في ديفينبورت ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٤) انظر يونيه • الدولة والتظيم في الشرق الاوسط • ص ٣١٠ - ٣١١ من الترجمة

ونهم • من الاصل • وانظر كذلك Raymond P. Mikesell and Hollis

"Petroleum Cheney, Oil" P. 12, and 14. (Chapel Hill, 1949),

(5) Wallace E. Pratt and Dorothy Good, "World Geography of Petroleum" (Princeton University Press, 1950) P. 180

شركة البترول العراقية

وفي ٤ آذار ١٩٢٥ تم عقد اتفاقية بين الشركة والحكومة العراقية • وحدلت هذه الاتفاقية • في ١٤ آذار ١٩٣١ • ولا زالت نافذة المفعول حتى وقتنا هذا الحاضر • وقد تبدل اسم شركة النفط التركية المحدودة • ابتداءً من اليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٩٢٦ • فأصبح شركة النفط العراقية المحدودة • وكانت حصص رابر المال قد توزعت بصورة نهائية في ٢١ توزسية ١٩٢٨ كما يلي: (٦)

٢٣٠٧٥ ٪ / ٠ شركة النفط الانكليزية الايرانية •

٢٣٠٧٥ ٪ / ٠ جماعة رويال دتش شل

٢٣٠٧٥ ٪ / ٠ شركة نفقة الشرق الادنى

٢٣٠٧٥ ٪ / ٠ شركة النفط الفرنسية • (٧)

٥ ٪ / ٠ يملكها كولميكيان

مدة هذه الاتفاقية ٧٥ سنة ابتداءً من تاريخ عقدها • (٨) وتشتمل المنطقة المتعلقة بهذه المناولة على جميع الاراضي الواقعة في ولايتي بغداد والموصل والتي تحدها خط دجلة الشرقية • والحدود العراقية التركية • والحدود العراقية السورية باستثناء المنطقة التي يشملها امتياز شركة نفقة خانقين • (٩) وتبلغ مساحتها نحو ٣٥٠٠٠ ميل مربع • واعطت هذه الاتفاقية للشركة صلاحيات واسعة منها انه يحق للشركة تاليف شركات فرعية اخرى وتكون الفروع متمتعة بجميع الحقوق والامتيازات الممنوحة للشركة • (١٠) وللشركة الحق بان تشغل من الاراضي في العراق ما يقتضي لاجل القيام باعمالها • (١١) الاراضي الاميرية غير الصالحة للزراعة توجر للشركة لمدة هذه المناولة ببديل اجارة قدره آتان من كل هكتار في السنة • (ب) الاراضي الاميرية الصالحة للزراعة توجر بشروط موافقة للحكومة • (ج) الاراضي غير الاميرية تستملك بالاتفاق بين الشركة والشخص صاحب الشأن • واذا تعذر الاتفاق بينهما تعتبر الحكومة هذه الاراضي كأنها لازمة لاحد مشاريع المنافع العامة وتستملكها وفقاً للقانون العربي الاجراء آنفد على ان تتحمل الشركة جميع النفقات الناتجة من ذلك بشرط ان لا يلتفت عند تعيين قيمة هذه الاراضي الى الخسائر التي قد تستعملها الشركة لاجله •

(٦) انظر بركات ص ١٨٠ وكما ص ٨٩ •

(٧) تملك الحكومة الفرنسية ٣٥ ٪ / ٠ من اسهم هذه الشركة • راجع "النفقة العراقي ص ٤٥

(٨) شركة النفط العراقية المحدودة • اتفاق معقود في ٢٤ آذار سنة ١٩٣١ لتعديل

المناولة المنعقدة في ١٤ آذار سنة ١٩٢٥ مع الحكومة العراقية (بغداد • ١٩٣١) المادة ٢ •

ويشترط كذلك ان تسجل الاراضي المستملكة من قبل الحكومة على هذا الوجه باسم الحكومة ولكن توضع تحت تصرف الشركة في اثناء مدة هذه العقولة وذلك بلا مقابل (١١) ويحق للشركة انشاء وصيانة وتشغيل خطوط تلغراف وتلفون لقاء دفع ليرة انكليزية ذهباً في السنة . رسم اجارة شاملة (١٢) . كما يحس لها انشاء وتشغيل سكك حديد وطرق المواصلات الاخرى داخل حدود الشركة او على كل التخليط الممتد من المنطقة المحدودة بطريق حيث الى خليج عكا او على اي قسم كان (١٣) وتتعهد الشركة بان تدفع للحكومة العراقية بصورة منتظمة قبل ٢٢ نيسان ١٩٣١ وفي اول كانون الثاني من كل سنة تالية حتى يبدأ تصدير النفط بانتظام مبلغ ٤٠٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية ذهباً كل سنة . ويعتبر نصف هذا المبلغ او ٢٠٠٠٠٠٠ ليرة ذهبية سلفة تستردها الشركة بلا فائدة من حصة الحكومة بشرط ان تزيد هذه الحصة عن ٤٠٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية بعد اثنى (١٤) . واما الـ ٢٠٠٠٠٠٠ الثانية فهي عبارة من اجار مقطوع لا تسترده الشركة . وتتعهد الشركة بعد ابتداء الشحن بصورة منتظمة بدفع اربع شللات ذهباً من كل طن من النفط الخام ما عدا الغاز الطبيعي على انتاج لا يقل عن مليوني طن في السنة بشرط ان يكون في الامكان انتاج مثل هذا المقدار في موضع الامتياز . وهذا الشرط قابل للتعديل بعد انقضاء ٢٠ سنة من افتتاح خط الانابيب . وتدفع الشركة ١٥٠٠٠٠ ليرة انكليزية ذهبية عن كل مليون طن من الغازين الاربع الاول من النفط المصدر و ٢٠٠٠٠٠ ليرة ذهبية عن كل مليون طن بعد ذلك ، مقابل الاعفاء عن الضرائب واررسوم الحكومة والبلدية . (١٥) وتتعهد الشركة عند طلب الحكومة ذلك في خلال اثني عشر شهرا عقب الشروع في اصدار النقل او في خلال الشهر الذي يعقب ١٤ آذار ١٩٤٥ بان تنشيء بكل سرعة مناسبة مصفى في مكان تعينه الحكومة وتشغله الحكومة لسد حاجة العراق .

(٩) المصدر السابق المادة ٣

(١٠) المصدر السابق المادة ٢٣

(١١) المصدر السابق المادة ٢١

(١٢) المصدر السابق المادة ١٩

(١٣) المصدر السابق المادة ٢٠

(١٤) المصدر السابق المادة ١٠

(١٥) بعد مفاوضات دامت نحو سنتين بين الحكومات العراقية المتعاقبة في تلك الفترة

وبين شركات النفط صاحبة الامتياز في العراق توصل الطرفان الى اتفاق خلاصته

اولاً ان تلتجى الحكومة العراقية للبت في قضية سعر الذهب

وستتطلب الكمية الكافية لسد هذه الحاجة ٠٠٠ وعند انقضاء ثلاثة اشهر على تسليم المصفي الكامل تنتهي على الفور عقود الشركة او شركة البيع وفق احكام المادتين ١٤ و ١٥ من هذه المقالة . وينبغي ما امكن ان يكون مستخدمو الشركة في العراق من رعايا الحكومة اما المدبرون والمفتوسون والكيميائيون والحقارون وملاحظو العمال والميكانيكيون وغيرهم من العمال الفنيين والكتبة فيمكن استقدامهم من خارج العراق اذا لم يمكن ايجاد الاشخاص الاكفاء من هذه الانواع في العراق . ويشترط ان تقوم الشركة ، بقدر ما يمكن عمليا ضمن المعقول وباترب ما يمكن من الوقت ، بتدريب العراقيين في هذه الاعمال . (١٧)

وقد اتمت الشركة انشاء خطين من الانابيب يصلان كركوك بحيفا وطرابلس . وقابلية هذين الخطين المشتركة تبلغ اربعة ملايين طن في السنة . وانشأت شركة النفط الانكليزية الايرانية وشركة نيل مصفى في حيفا لتصفية حصةهما من النفط . وقد كمل هذا المصفى في الايام الاولى من الحرب العالمية الاخيرة . وقد وسع هذا المصفى حتى اصبح ذا قابلية على تصفية ١٠٠٠٠٠ برميل في اليوم . اما نفط طرابلس فيشحن الى مختلف المصافي في اوربا . وقد مد خطان اضافيان الى حيفا وطرابلس قطر كل منهما ١٦ بوصة .

#### شركة نفط خانقين

هذه الشركة فرع من شركة النفط الانكليزية الايرانية وقد تأسست حسب الاتفاقية المعقودة بين شركة النفط الانكليزية الايرانية والحكومة العراقية في ٣٠ آب عام ١٩٢٥ . وتنص هذه الاتفاقية على ان مدة الامتياز سبعون سنة .

(تابع ١٥) الذي تدفع به حصة العراق من النفط اى لتقرير ما اذا كان يجب ان يدفع بالسعر الرسمي المعين من قبل الحكومة البريطانية ام بالسعر السائد في الاسواق الحرة . وثانيا ان تزداد حصة العراق من النفط من مقدارها الحاضر وهو ٤ شلنات ذهب الى الحد الاعلى وتقدره ٦ شلنات ذهب ابتداء من سنة ١٩٥٠ بدلا من ابتداء في سنة ١٩٥٤ كما تنص على ذلك الفقرة الثانية من المادة العاشرة من المقالة المعقودة بين الحكومة العراقية وشركة نفط العراق . راجع مذكرات فخامة نوري السعيد عن المفاوضات الاخيرة بشأن النفط المنشورة في جريدة صدى الاهالي ، العدد ٢٦٢ ، بتاريخ ١١ آب ١٩٥٠ . وانظر كذلك العدد ٢٦٨ من الجريدة نفسها

(١٦) المادة ١٤ الفقرة (٢) من مقالة الحكومة وشركة نفط العراق

(١٧) المصدر السابق المادة ٢٦

وعلى انشاء مصفى للنفط في العراق لتصفية ما يحتاجه العراق من النفط ومشتقاته .  
وفي ٢٤ ايار ١٩٢٦ عقدت بين الشركة والحكومة العراقية اتفاقية اخرى تندر على ان  
تدفع الشركة للحكومة العراقية ربحا محدودا بدلا من اشتراكها في الارباح الذي نمر عليه فقد  
الامتياز الاصلي . وتدفع هذه الشركة للحكومة العراقية (لربما التي) قدره اربعة شللات  
ذهبا عن كل طن من النفط الخام . (١٨) وتشغل الشركة بقعة من الارض في لواء  
ديالى مساحتها ٦٨٤ ميلا مربعا . كانت قد حولت من ملكية ايران الى ملكية الدولة  
العثمانية سنة ١٩١٣ فاصبحت تعرف باسم الاراضي المحولة . وقد اقامت شركة نفط  
خانقين مصفى على نهر الوند قرب مدينة خانقين . وتم انشاء هذا المصفى سنة ١٩٢٧  
ويبلغ المعدل السنوى للنفط الذي انتجته هذه الشركة في السنوات ١٩٣١ - ١٩٣٤  
نحو ٧٦ الف طن . وقد حولت شركة نفط خانقين تعهداتها بشأن بيع النفط في العراق  
الى شركة "نفط الرافدين" وهي فرع من شركة نفط العراق .  
شركة ترقية النفط البريطانية (بي . او . دي .)

تأسست هذه الشركة في اوائل سنة  
١٩٢٨ . ونالت . بحسب الاتفاقية الموقعة بينها وبين الحكومة العراقية والموقعة  
في ١١ نيسان ١٩٣٢ . امتيازاً باستثمار النفط في جميع الاراضي الواقعة قرب نهر  
دجلة ونحالي خط السمر الثالث والثلاثين . والتي تبلغ مساحتها ٤٦٩٠٠٠ ميل  
مربع . ومدة امتيازها ٧٥ سنة . (١٩) وتملكها الجماعة التي تكون شركة نفط العراق . (٢٠)  
وتتعهد الشركة بان تعد الوسائل الكافية لنقل مليون طن نفط على الاقل في السنة  
من المنطقة المحدودة الى شمر بحرى واقع على البحر المتوسط . كما تتعهد بالشروع  
في اصدار النفط اصدارا منتظما خلال سبع سنوات ونصف من تاريخ هذا الاتفاق .  
وباستثناء سنة الشروع في الاصدار يجب ان لا تقل الكمية المأدرة من مليون طن في  
كل سنة بشرط ان يتمصر للشركة . بعد بذلها الجهود الواضحة للحصول على الكمية  
في المنطقة المحدودة وتسليمها في شمر بحرى واقع على البحر المتوسط . (٢١)

---

(١٨) انظر مختصر خاص ص ٢٢٢ وحامدة ص ١٤  
(١٩) وزارة الاقتصاد والواصلات ، المقالة الموقعة بين الحكومة العراقية وشركة  
النفط (بي . او . دي) المحدودة في ٢٠ نيسان ١٩٣٠ . (نسخة مكتوبة بالالة الكاتبة  
في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت) ، مادة ٢  
(٢٠) برات ص ١٢٨  
(٢١) مقالة الحكومة مع شركة (بي . او . دي) المادة ٦



وتتعهد الشركة بان تدفع للحكومة ١٠٠٠٠ ليرة انكليزية ذهباً في اول سنة ١٩٢٢ يزداد ٢٥٠٠٠ ليرة في اول كل سنة تالية حتى يبلغ ٢٠٠٠٠ ليرة ذهبية في اول سنة ١٩٣٢ ، ويستمر على دفع المبلغ المذكور كل سنة بعد ذلك كايجار مقطوع حتى يبدأ تصدير النفط بانتظام . كما تتعهد بان تدفع للحكومة ربعاً (لويالتي) قدره اربعة شلنات ذهباً عن كل طن من النفط الخام الذي تستخرجه الشركة على ان لا يقل مجموع المبلغ المدفوع سنوياً من ٢٠٠٠٠ ليرة ذهبية ، على ان يتيسر استخراج ما لا يقل عن مليون طن سنوياً . كما تتعهد بان تقدم للحكومة مجانياً في تم البئر مشرومين في العلق من كل النفط الذي تستخرجه الشركة . (٢٢)

وتدفع الشركة ١٥٠٠٠ باون استرليني ذهباً عن كل مليون طن من المازين الاربعة الاولى من النفط المصدر ، و ٢٠٠٠٠ عن كل مليون طن بعد ذلك ، مقابل الاعفاء من الضرائب والرسوم الحكومية والبلدية . وقد انشأت هذه الشركة ، في شهر كانون اول ١٩٢٤ ، شركة خدوشية تحت اسم " شركة نفط الموصل " . وقد اثبتت الحفريات في التيارة على نهر دجلة ، وفي الساحة الواقعة بين الرمادي وهيت على الفرات ، وجود كميات عظيمة من النفط . ولكن النفط الذي استخرج كان ثقيل الوزن ، يحتوي على مفادير كبيرة من الكبريت بحيث وجد ان انتاجه غير مرجح عملياً . ولكن وجد في عام ١٩٢٩ ، في مين زالة الواقعة في شمال الموصل ، حقلاً للنفط من نوعية نفط كركوك ذاتها . (٢٣)

شركة نفط البصرة المحدودة : نالت هذه الشركة ، في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ امتيازاً باستثمار النفط في جميع الاراضي العراقية التي لا تشملها امتيازات شركة نفط خانقين ، وشركة نفط العراق ، وشركة ترقية النفط البريطانية . وتبلغ مساحة الاراضي الداخلة في امتياز هذه الشركة ١٣٠٠٠ ميل مربع . ومدة هذا الامتياز ٧٥ سنة . وتمتلك اسهمها الجماعة التي تكون شركة نفط العراق المحدودة (٢٤) ولا تختلف شروط عقد هذه الشركة من شروط عقد شركة انماء النفط البريطانية على هذا لا ارى حاجة لتفصيلها . وتستمر الحفريات الاستكشافية في هذه المنطقة .

(٢٢) المصدر السابق المادة ٢٢

(٢٣) براءات ص ١٨٢

(٢٤) براءات ص ١٧٨

وقد اثبت البتران اللذان بدى بحفرهما في عام ١٩٤٧ في نهر عمروالزبير ، في عام ١٩٤٦ وجود كميات عظيمة من النفط في هذه المنطقة . وقد وجد ان نوعية النفط المستخرج من نهر عمرو هي احسن نوعيات النفط المكتشفة في الشرق الادنى قاطبة . (٢٥) بعد هذا العمل الموجز لتاريخ النفط في العراق اتقدم لتحليل الوضع الحاضر للنفط . ان اربعة شركات نفط تحتكر بينها موارد البلاد النفطية باجمعها . وتمتلك مجموعة نفطية واحدة ثلاثة من هذه الشركات . وقد تولد من حصر ملكية النفط هذه بايدي جماعة من شركات النفط واحدة ان ثروة العراق من النفط لم تستغل الا استغلالا بسيطا ، وبقيت اجزاء كبيرة من البلاد دون استغلال . فان شركة نفط البصرة ، وشركة نفط الموصل لم تنتج النفط حتى الوقت الحاضر ، بالرغم من وجود كميات عظيمة من النفط في منطقتي امتيازهما ، وبالرغم من جودة نوعية هذا النفط ، كما طهر لنا فيما تقدم . وهذا مخالفة ظاهرة للاتفاقية التي وقعتها الشركتان مع الحكومة العراقية (٢٦) .

---

#### (٢٥) المصدر السابق ص ١٨٢

(٢٦) استقرضت الحكومة العراقية ، عام ١٩٣٩ ، ثلاثة ملايين دينار من اثاث شركات النفط لقاء تعديل بعض مواد امتيازات هذه الشركات . فقد توصلت شركة النفط العراقية وشركة نفط البصرة ، وشركة استثمار النفط البريطانية الى الاتفاق مع الحكومة العراقية في ١٩٣٩ / ٥ / ٢٥ على تعديل التزام الشركة الاولى بشأن كمية النفط الواجب نقلها سنويا على فرع الانابيب المتصل بحيفا . وتعديل التزام الشركة الثالثة بشأن المقدار الواجب حفره سنويا بين بدء العمل وبدء تصدير النفط بانتظام . والتزامها بهدء هذا التصدير خلال سبع سنوات ونصف . راجع جيل ص ٢١٥ .

وتحت هاتان الشركتان بان الحرب قد منعتهما من اعمال الاستكشاف والحفر . وهذه حجة واهية ، غير مقبولة ، ففي الوقت الذي ادعت فيه الشركات انها لا تستطيع الاستمرار في التنقيب بالعراق خلال الحرب العالمية كانت اعمال التنقيب على اعظم نشاطها في ايران والبحرين والمملكة العربية السعودية \* (٢٧)

اما شركة نفط خانقين فقد اقتضت في استثمار النفط على مناطق صغيرة محدودة وتركزت المناطق الاخرى دون استغلال . ولم تفتح شركة نفط العراق والتي باشرت باستخراج النفط منذ عام ١٩٣٤ ، الا كميات قليلة من النفط بالنسبة لما في استطاعتها انتاجه . ولولا احتجاج الشركة الفرنسية التي ليس لها امتياز في قطر آخر ، وانما هي الدعوى على شركاتها في امتياز العراق ، لما بدا من شركات الامتياز بعد الاهتمام بالاستعداد ولزيادة تصدير النفط من العراق بعد الحرب العالمية الثانية بعد خط جديد للانابيب من كركوك الى البحر المتوسط \* (٢٨) والجدول التالي يبين مقدار الاحتياطي من النفط ، ومعدل الانتاج السنوي ، ومجموع ما استخرج منذ الابتداء حتى عام ١٩٤٨ في اهم بلاد الشرق الادنى . (والارقام التالية محسوبة بملايين البراميل)

القطر	سنة الابتداء	مجموع ما استخرج من النفط الخام	معدل الانتاج السنوي ١٩٤٨
ايران	١٩١٣	١٩٣٨ ٦٢	١٩٠٠ ٣٩٥
العراق	١٩٢٢	٤١١ ٠ ٦	٢٦٠ ٤٦٦
الكويت	١٩٤٦	٦٨ ٠ ٢	٤٦٠ ٥٤٢
القطر	١٩٤٠	٢٦ ٠ ٠	
المملكة السعودية	١٩٣٦	٣٤٥ ٠ ٠	١٤٢٠ ٨٥٣
البحرين	١٩٣٣	٩٨ ٠ ٩	١٠٠ ٩١٥

القطر	احتياطي النفط المقدور في ١ كانون الثاني ١٩٤٩
ايران	٢٠٠٠ ٦٠
العراق	٥٠٠٠ ٦٠
الكويت	١٠٩٥٠ ٦٠

(٢٧) محمد حديد " كيف يجب ان تعدل امتيازات النفط " (بغداد ١٩٤٩) ص ٦  
(٢٨) المصدر السابق ص ٦ وانظر كذلك " النفط العربي " ص ٤٦ .

ما "وسبب تناطى" شركات النفط بانتاج النفط في العراق ؟ وما هي العوامل التي تدفع هذه الشركات الى عدم انتاجه ، او انتاج كميات قليلة منه ؟ يعود سبب ذلك الى ان امتيازات نفط العراق محصورة بايدي شركات تمتلكها مصالح واحدة . وما ان انتاج النفط في كركوك وخانقين يكلفها اقل من انتاجه في منطقة الموصل والبصرة لذلك فهي تفضل انتاجه من المنطقتين الاوليين . وما ان هذه الشركات تحتكر مصالح نفطية اخرى في البلاد الاجنبية لذلك نراها لا تريد ان تنفتح من النفط الا المادير التي تحتاجها اسواقها العالمية ، وتحول دون انتاج كميات ترفع اسعار النفط في العالم ، او تضارب منتجاتها من البلاد الاخرى . فهي اذن تريد ان تبقى نفط العراق ، بصورة عامة ، دون استغلال ، محتفظة به كاحتياطي للمستقبل . ولكن هذا اذا كان في صالح هذه الشركات فانه ليس في صالح العراق قطعاً . ان مقدار دخل العراق من النفط يتوقف على كمية المنتج منه ، فكلما زادت الكمية المنتجة زاد الدخل والسكن . ومع ان امتياز النفط في العراق قد منح لهذه الشركات قبل جميع اقطار الشرق الادنى ، باستثناء ايران ، فان مجموع منتوجه من النفط ، ومعدل انتاجه السنوي يكاد يكون اقلها جميعاً . ومعنى هذا كله ان دخل الحكومة من عوائد النفط ضئيل جداً . فلم يزد مجموع واردات الحكومة من النفط عن ١٢٥٠ ٠٠٠ ٢٩ ديلدر في السنة . (٢٩)

ونالة دخل الحكومة من النفط لا تعود الى قلة المنتج من النفط فحسب بل الى خالة ربح الحكومة المأخوذ عن كل طن من مستخرج النفط الخام ايضاً . فان اربعة شلنات ، عن الطن الواحد من النفط الخام ، ضئيلة جداً وعلى الاخر اذا لاحظنا ارتفاع شركات النفط ، وازدياد اهمية النفط ، وارتفاع اسعاره في الاسواق العالمية . فقد كانت اسعار النفط الخام ، في عام ١٩٤٩ ، ٢٠ ٪ / ٠ اقل من اسعار (٣٠) ١٩٤٨ ، ٣٠ ٪ / ٠ ارفع من اسعار ١٩٤٧ ، ١٤٠ ٪ / ٠ ارفع من اسعار ١٩٣٥ ، ٢٩٠ ٪ / ٠ ان شركات النفط محفزة من الرسوم الكمركية ومن ضريبة الدخل ، وهذا امتياز عظيم للشركات لان الحكومة لو كانت تتقاضى عنها الرسوم الكمركية وشرائب الدخل والضرائب البلدية ، لكنت حمتها عظيمة جداً .

(٢٩) المصدر السابق ص ٥

(٣٠) من مقال لـ "ويلارد لـ . نروب" في مجلة "بوليتيك" ، الصادرة عن وزارة خارجية الولايات المتحدة ، المجلد ٢٢ ، العدد ٥٦٤ ، ٢٤ نيسان ١٩٥٠

ان يقدر اعتنا شركة نفط العراق وحدها من الرسوم الكبركية ومن ضريبة الدخل بمبلغ يزيد مما تدفعه للحكومة العراقية . (٣١)

وما يزيد في ضالة دخل العراق من النفط ان شركات النفط لم تقتيد بنشر الاتفاقيات المعقودة بينها وبين الحكومة العراقية وذلك بان تدفع المبالغ بالليرة الاسترلينية ذهبا . بل هي تدفع بالسعر الاسي الذي حددته الحكومة البريطانية \* لليرة الاسترلينية الذهبية . فقد حدد بنك انكلترا سعر الباون الذهب الذي يزن ٢٢٢٢٣٨٢ غرام ب ٥٨ شلن . (٣٢) والفرق بين هذا السعر الرسمي لليرة الذهبية وسعرها في السوق الحر عظيم . وقد كانت الشركة تدفع فعلا على اساس سعر السوق الحر منذ ان دفعت القسط الثاني في كانون الثاني ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٠ حين بدأت تدفع على اساس السعر الرسمي . (٣٣) وان العراق ليذكر بمرارة انه حينما كانت شركات النفط تدفع بدل الامتيازات بسعر يساوي نحو دينارين لكل باون ذهب كانت الحكومة البريطانية نفسها تبيع الذهب في العراق بسعر يزيد على ٥ دنانير لكل باون ذهب في زمن الحرب (٣٤)

وتنشر الاتفاقية المعقودة مع شركة نفط العراق على ان تنسب هذه الشركة عند طلب الحكومة العراقية \* مصفى للنفط لحساب الحكومة . وقد مر الوقت المحدد والمصفى لم ينشأ \* والحكومة العراقية لم تطلب انشاء \* وقد ضيع عدم انشاء هذا المصفى على الحكومة العراقية ارباحا عظيمة ، وترك المستهلكين العراقيين يدفعون اسعارا مرتفعة لما يستهلكونه من النفط ومشتقاته . فان النفط ومنتجاته يباع في العراق \* بلد النفط \* باسعار لا تقل عن الاسعار التي يباع بها في الاقطار النائية التي يصدر اليها النفط العراقي ، وترجع شركة نفط الرافدين \* وهي فرع من شركة نفط العراق \* نحو مليوني دينار في السنة من بيع منتجات النفط في البلاد .

(٣١) حديد ص ١١

(٣٢) الدكتور عبد الرحمن الجليلي ، "حول سعر الذهب" ، جريدة صدى الاهالي

بغداد ٢٠ كانون الثاني ١٩٥٠ عدد ٢٨٥

(٣٣) المصدر نفسه

(٣٤) حديد ص ٩

وهذا المبلغ يتكاد يعادل نصف البدل الذي تدفعه شركة النفط العراقية عن استثمار امتيازها باجمعه ٠ (٣٥) واغلب الظن ان شركة نفط العراق ومن ورائها شركة نفط خانقين ، هي التي تعرقل مساعي الحكومة في انشاء مصفى للنفط ، لان ذلك يحرمها من ارباحها الطائلة من بيع النفط في العراق . وقد شرعت الحكومة قانونا يخول وزارة الاقتصاد اقامة مصفى للنفط في بغداد . ووافق مجلس النواب على لائحة هذا القانون في جلسته المنعقدة في ٢١ كانون الثاني ١٩٥١ . وقد صرح وزير الاقتصاد في مجلس النواب انثناء مناقشة هذه اللائحة : " ٠٠٠٠٠ ان هذا المشروع سيدر على الخزينة مبلغا يتراوح بين مليون ونصف ومليون دينار سنويا ، وهو يقرب من ثلاثين بالمائة من راسمال المشروع ولا اعتقد ان هناك مشروعا اقتصاديا يضاهي هذا المشروع بالربح " (٣٦) وقد اقترضت الحكومة العراقية من المصرف الوطني مبلغ مليوني دينار كدفعة اولى للقيام بانشاء هذا المشروع (٣٧) وبمؤل كما صرح بذلك مدير الاقتصاد العام الدكتور نديم الباججي ، ان يكمل انشاء هذا المصفى في مدة ثلاث سنوات ، اذا سمحت بذلك الظروف العالمية !!!

(٣٥) انظر حديد مر ١١ . وقد صرح وزير الاقتصاد في البرلمان العراقي ، ٢١ كانون الثاني ١٩٥٠ ، قائلا : " واجب ان اذكر للمجلس العالي ان الشركة تستطيع فور اسعار تقترح بين ١٦٠ و ١٧٠ فلسا للغالون الواحد من البنزين . وهذه الارقام ستتضخم باستهلاك العراقيين للمنتجات النفطية . فاستهلاك العراق لمنتجات النفط يتجاوز ستائة الف طن في السنة ويمكن ان يزيد هذا الرقم خلال السنتين القادمتين الى مليون طن وبهذا ستدفع المملكة للشركة ما يتناضاف من رسوم على النفط " راجع جريدة الاستقلال عدد ١١٨٢

(٣٦) المصدر السابق .

(٣٧) يقول وزير الاقتصاد في تصريحه في البرلمان العراقي المشار اليه سابقا : " وقد حاولت مرارا ان اخرج هذا المشروع الى حيز الوجود . وقد اتصلت في لندن ببعض الجهات واخذت معي جميع المواصفات فباءت جهودى بالفشل حتى ان اصحاب رؤوس الاموال الهندية والباكستانية لم يتمكن من الحصول على وعود صريحة منهم على القيام بهذا المشروع كما ان البنك الدولي وعد ولم ينجز شيئا ولذلك لجأنا الى المصرف الوطني الذي امد الحكومة بمليون دينار في السنة الاولى " .

لماذا رضيت الحكومة العراقية منح امتياز النفط لهذه الشركات الأربع بهذه الشروط المجحفة بحق البلاد ؟ لماذا قبلت الحكومة العراقية ان تمنح العراق باجمعه لهذه الشركات التي تحتكر اراضيها احتكارا ، وتبقي ثروته مضمومة تحت التراب ولا تمتزج منها الا النزر اليسير مع حاجة البلاد الى المال الذي تعتمد عليه نهضتها العلمية ، وتقدمها الاقتصادي والاجتماعي ؟ لاجل ان نجيب على هذه الاسئلة اجابة موضوعية قائمة على الدليل الرصين يحسن بنا ان نلقي نظرة على تكوين كل شركة من هذه الشركات الأربع التي تحتكر نفط العراق .

ان شركة نفط خانقين هي فرع من شركة النفط الانكليزية الايرانية ، واما الشركات الثلاث الاخرى فهي ملك لمصالح اربعة هي : كما تقدم معنا ، شركة النفط الانكليزية الايرانية ، وشركة رويال دتش شل ، وشركة النفط الفرنسية ، وشركتان امريكيتان . فما هو تكوين شركة النفط الانكليزية الايرانية التي لها ابرز نصيب في نفط العراق ؟

في عام ١٩٠١ نال وليام نوكنس دارسي امتيازاً باستثمار النفط في جميع بلاد فارس ما عدا المقاطعات الشمالية الخضر المتاخمة لبحر قزوين وهي اذربيجان ، وجيلان ، ومازندران واستراباد وخراسان . ولكن واداه لم تمكنه من مواصلة العمل فاستعان بشركة بورما للزيت ، وجعل لها حصة في المشروع . وفي ١٤ نيسان ١٩٠٦ تالفت شركة الزيت الانكليزية الفارسية (٣٨) براسمال قدره مليونان من الجنيهات . وفي هذه الفترة من التاريخ كانت البحرية الانكليزية تفكر بتسيير بواخرها بالزيت عوضاً عن الفحم الحجري . وفي سنة ١٩١٢ قررت الامبرالية البريطانية التحول الى البترول واتخاذ وفودا لاساطيلها . ولكن موارد بريطانيا من النفط يرد اليها من امريكا ، ولم ترس البحرية البريطانية ان تعتمد في وفودها على انتاج خان نظامي سيطرتها . وهنا قدم اقتراح باشتراك الحكومة البريطانية في هذه الشركة اشتراكاً يمكنها من السيطرة عليها . فتضمن بريطانيا بذلك مورداً ثابتاً من النفط لبحريتها . وقد اقر البرلمان الانكليزي هذا الاقتراح عام ١٩١٤ ، واصبح للحكومة البريطانية اكثر من نصف اسهم الشركة ، وتمت لها السيطرة الفعلية عليها . (٣٩) وتوزع حصر راسمال هذه الشركة في الوقت الحاضر بالنسبة الآتية :

(٣٨) تغير اسهمها فاصبح شركة النفط الانكليزية الايرانية

(٣٩) انظر ديفينبورت ص ٢ - ٢٢ ، وبراوي ص ٢٢ - ٢٦ .

الحكومة البريطانية ٠ / ٠ ٥٦

شركة بورما للزيت (٤٠) ٠ / ٠ ٢٢

اسهم شخصية ٠ / ٠ ٢٢ (٤١)

وما هو تكوين شركة رويال دتش شل التي تملك ٠ / ٠ ٢٣٥٧٥ من اسهم جميع  
نفت العراق ، هذا منطقة نفط خائفين ؟ تأسست شركة الزيت الهولندية الملكية في  
عام ١٨١٠ لاستثمار البترول في جزر الهند الهولندية حيث منحها حكومة هولندا  
الكثير من الامتيازات . وفي عام ١٩٠٢ اندمجت هذه الشركة بشركة شل للتجارة والنقل  
التي تسيطر على نقل البترول في المحيط الهندي بمصار اسماها الجديد " رويال دتش  
وشل " . وكان يرأس هذه الشركة مدير كفاء هو هنري ديتر دنك ، الذي تولى ادارتها  
عام ١٩٠٠ وكان ديتر دنك ميالا لانكلترا . وقد ثبت له هذا من المساعي التي بذلها  
في سبيل تكوين شركة النفط التركية . وقد منحت الحكومة البريطانية الجنسية عام ١٩١٥  
ولما رأى ان الشركة التي يراسها لا تلقى الحماية الكافية من الحكومة الهولندية نقل  
مركزه الرئيس الى لندن . ومنذ ذلك الحين اخذت هذه الشركة تقع تحت سيطرة  
الحكومة البريطانية شيئا فشيئا . وقد تحققت هذه السيطرة بواسطة لجنة سياسة  
البترول الامبراطورية\* التي اسستها الحكومة البريطانية في نهاية عام ١٩١٨ ،  
وبواسطة الجهود التي بذلها في هذا السيل هنري ديتر دنك نفسه . وقد استولت  
الحكومة البريطانية على عدد كبير من اسهمها فيما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ . وهذه  
الشركة تعد اليوم مؤسسة بريطانية نظرا لحلبة المصالح ورووسا الاموال البريطانية فيها . (٤٢)  
نستخلص مما تقدم ان الحكومة البريطانية ، والمصالح البريطانية الخطصة ،  
تملك حصة كبيرة في نفط العراق . وهذه الحقيقة تفسر لنا سبب هذا الظلم الذي  
يعانيه العراق في اهم موارد ثروته . لقد منح امتياز شركة نفط العراق ، وهي اهم  
شركات النفط في العراق ، في عهد الانتداب ، ايام ان كانت كلمة المندوب السامي البريطاني  
هي العليا في البلاد . وقد استغلت الحكومة البريطانية قضية الموصل ، التي كانت  
تركيا لم تتنازل عن حقها فيها بعد ، للضغط على العراقيين في قبول امتياز هذه  
الشركة . ولم يسمح الانكليز باعلان الدستور العراقي رسميا الا بعد ان انتهوا عقد  
الامتياز لئلا يضطروا الى عرضه على البرلمان العراقي ، كما تنص على ذلك المادة الرابعة  
والتسعون من الدستور ، فيعرضوا لخطر رفضه من قبل النواب . وقد عدل هذا  
الامتياز المهم في عهد الانتداب كذلك . لا عجب ، بعد ان علمنا هذا ان تكون  
شركات النفط حكومات تحكم بامرها داخل حدود المملكة العراقية ، تخدمها الادارة



المحلية ، وتخضع لمشيئتها الحكومة المركزية ، وتنحكم في معاملها العراقيين كما تشاء ،  
وتغير وتبدل في اسعار النفط الذي تبيعه داخل البلاد دون ان تلقى من الحكومة  
اعتراضا . (٤٢) ان بناء امتيازات النفط هذه التي بينت اجحافها بحق البلاد  
على حالها دون الغاء او تعديل ، وان مخالفة هذه الشركات لشروط تعهدها فيما  
يختربكمية النفط المستخر ، وفي دفع العوائد المستحقة عليها بسعر الذهب في  
السوق الحرة ، وفي تدريس العراقيين على هذه الصناعة المهمة ، رغم الحاج العراقيين  
ومطالبهم المستمرة ، وشكواهم المتعالية ، ليدل على امر واحد هو ان الانكليز ما  
زالوا هم المسيطرين على مقدرات البلاد الحقيقية ، وان وضع الحظم العراقيين  
بالنسبة للسلطات البريطانية ، لا يختلف عن وضعهم في فترة الانتداب لا في الظاهر .

(٤٠) تمتلك الحكومة البريطانية اسما في راسمال هذه الشركة .

(٤١) راجع " النفط العربي " ، المطبق الثاني ، الجدول الخامس ، ص ١٨١ .

(٤٢) انظر ديفينبورت ص ٤٠ - ٤٣ ، وبراوي ص ١٩ - ٢٠ ، وص ٥١ .

(٤٣) انتهت الحرب في سنة ١٩٤٥ وكان سعر البنزين في العراق ٧٠ فلسا للغالون  
الواحد ، تذهب ٢٤ فلسا منها للحكومة كرسوم ، وتذهب ٢٦ فلسا الباقية الى  
الشركة . وخلال الخمس السنوات العاصية رفعت الحكومة والشركة معا سعر البنزين  
فزادت الحكومة ، بدفعات ، رسم المكر عليه حتى بلغت ٤١ فلسا ، وزادت الشركة  
قيمة البنزين ، بدفعات ايضا ، حتى بلغت ٤٦ فلسا واصبح مجموع سعر البنزين بسبب  
ذلك ١٠٤ فلوس لكل غالون . ولم تصير ايام قليلة على اعلان الاتفاق بين الحكومة  
الحرانية وشركة نفط العراق بشأن زيادة حصة الحكومة من عوائد النفط من ٤ سلطات  
الى ٦ سلطات ، حتى اضافت الشركة اربعة فلوس على سعر كل غالون بنزين ، وزادت  
سعر النفط الايسر ثلاثة فلوس لكل غالون ، وسعر نفط الغاز ثلثة فلوس لكل غالون ايضا .  
وهذه الزيادة لا مبرر لها فليس هناك ارتفاع في اجور العمال ، ولا في اجور النقل  
ولا في النفقات الاخرى مما قد تحق به الشركة . وكل ما في الامر ان الشركة تستغل  
مركزها الاحتكاري الذي منحها اياه فقد امتيازها . ان هذه الزيادة ، التي سيقع  
مبورها على اصحاب اللوريات وسيارات النقل وسيارات الاجرة وجمهور المستهلكين ، ستجلب  
للشركة ، علاوة على ارباحها الضخمة السابقة ، واردات اضافية تقدر بمائتي الف دينار  
في السنة .

عندما قررت الحكومة الإيرانية تأميم النفط في بلادها ترك هذا القرار  
دوا هائلا في اوساط العراقيين ، المهتمة بشؤون البلاد ، العارفة بأهمية النفط في  
حل مشاكل البلاد الاقتصادية والثقافية . وقد استبانت للعراقيين امكانية  
استغلالهم باستغلال اهم ثروة في بلادهم . وخير ما يعبر عن هذا الاتجاه الجديد  
في العراق الطلب الذي تقدم به مشرور نايبا ، بينهم نواب حزب الاستقلال وبعض  
المستقلين ، الى رئيس المجلس بشأن تأميم صناعة الزيت . وسأسجل فيما يلي ندر هذا  
الطلب لأهميته التاريخية ، ولأنه يؤلف بعد ذاته خلاصة جيدة لهذا الفصل . (٤٤)  
"ما زالت الشكوى ترتفع في العراق من سوء الاوضاع الاقتصادية وما زالت الحكومات  
المتعاقبة على اختلاف ألوانها مكتوفة الأيدي لا تمتطع القيام بالاصلاحات التي  
تطلبها البلاد بسبب قلة المال اللازم للمشاريع العمرانية والانتاجية مما اضطر العراق  
في كثير من الاوقات ، الى استجداء المصارف الاجنبية ، دولية ونير دولية ، للحصول  
على القروض . ومبعت ذلك ان اهم ثروة وطنية في البلاد اصبحت محتكرة من قبل  
الشركات المستغلة فالنفط الذي كان يعلق عليه العراق كغير اهمية للاصلاح لا يستفيد  
العراق منه فائدة تذكر بالنظر للخبين الفاحر الذي لحق العراق من جراء هذه الامتيازات  
التي انتزعتها الشركات ، مستتدة في ذلك الى التفوذ البريطاني ودعمه لها . بل ان  
اهم امتياز وهو امتياز شركة النفط العراقية ، انما انتزع من العراق في وقت كان فيه  
تحت الانتداب البريطاني وجرى تعديله كذلك في هذا العهد نفسه .  
هذا مع اننا نجد بعض البلاد المجاورة التي وجد النفط فيها منذ امد قصير  
قد استطاعت ان تنيد منه فائدة بالغة بالقيام الى العراق وقد تضمنت امتيازاتها  
شروطا لا تتناسب باى وجه من الوجوه مع الشروط التي تضمنتها الامتيازات النفطية  
في العراق . حتى ان بعض البلاد المجاورة لجأت الى التأميم بالرفم من ان شروطها  
لا تتناسب مع شروط العراق وذلك لانها وجدت ان هذا الطريق هو خير الطريق

---

فكان الضرر زادت من حصة العراق في موارد النفط ولكنها تريد ان تدفع هذه  
الزيادة ، او جزء منها على اقل تقدير من جيوب المستهلكين العراقيين . راجع محمد  
حديد " شركة النفط تدفع بيد وتسترد بيد اخرى " جريدة صدى الاهالي ١٤ ايلول

١٩٥٠ ، عدد ٢٨٢

(٤٤) نقلا عن جريدة الحياة ميروت ، ٢٥ آذار ١٩٥١ ، عدد ١٤٩٦ .

واسلمها لصيانة ثروتها القومية من تعسف الشركات المستغلة ولان التأميم حق طبيعي  
للاهم كفلته القوانين الدولية باعتباره مظهرا من مظاهر السيادة .  
وبالرغم مما اصاب العراق من غبن فاحش في امتيازاته النفطية المبيكة فان شركات  
النفط في العراق قد اظهرت تعنتا كبيرا واصراراً على هدر حقوق العراق مما ادى  
الى امعانها في مخالفة نصوص الامتيازات مخالفة صريحة ومن ذلك :  
اولا - انها امتنعت عن استخراج كميات من النفط تتناسب مع فزارة هذه الابار  
والمؤسسات الموجودة والتي في مقدورها زيادة طاقة الانتاج اضمانا مضاعفة .  
ثانيا - انها اوقفت استخراج النفط بصورة نهائية لشركة نفط البصرة لان امتيازها  
اقل استغلالا من امتيازات شركة النفط العراقية .  
ثالثا : - امتنعت عن تسليم الحصة المستحقة "الرواقي" على اساس الذهب  
خلالها لنصوص الامتياز .  
رابعا - احجبت عن تدريب العراقيين في الخارج على الاعمال الفنية مما التزمت  
به في نصوص الامتياز . وقد مضى اكثر من ربع قرن دون ان تهيم "خيرى عراقيا واحدا  
حتى الان .  
لذلك نرى من الواجب ان نقدم بطلبنا هذا الى الحكومة العراقية ونقا للطادة  
٤٥ من القانون الاساسي راجين (٤٥) سن لائحة قانونية لتأميم شركات النفط في  
العراق جميعها دون استثناء .

---

(٤٥) تندر المادة ٤٥ المنار اليها في هذه الوثيقة على ان " لكل عضو من اعضاء  
مجلس النواب ان يقترح وضع لائحة قانونية عدا ما يتعلق بالامور المالية التي سيأتي  
بيانها على شرط ان يؤيده فيه عشرة من زملائه واذا قبل المجلس هذا الاقتراح  
يودعه مجلس الوزراء لمن اللائحة القانونية وكل اقتراح يرفضه المجلس لا يجوز تقديمه  
ثانية في الاجتماع نفسه " .

## الفصل الخامس

### التجارة

#### (١) التجارة الداخلية

لا يريد المرء ان يحل محل التجارة الخارجية التي تنمى عليها التجارة الداخلية والفوائد التي تنشأ عنها . وانما يريد ان يهيئ الظروف على ان تزداد التدابير الخارجية بقدر ما لها من مساهمة بالحياة الاقتصادية بصورة عامة .

التجارة الداخلية محدودة ، وخيفة الدقائق . لان سكان الريف يحكم قنومهم ، يمدون محام حاجياتهم بما ينتجونهم بأنفسهم . والحقيقة ان التجارة الداخلية لا تتعدى نقل الحاصلات الزراعية من منطقة الى اخرى ، وتوزيع البضائع الأجنبية ، ولعل من الملاحظات الملاحظة من مراكزها في بغداد والبصرة الى المدن العراقية النائية .

وبذلك فاعلم ان ما تقدمه من اثارها لا تنافس الى ما تقدمه من نمو التجارة الداخلية وهو حيوان الريف العراقي من وسائل العواجل المتنامية الحديثة . يوجد في العراق ثلاث وسائل للنقل : النقل النهري ، والسيارات ، والسكة الحديدية . وقد تقدم معنا ان نهر دجلة يصلح لسير السفن الصغيرة ، التي لا يتجاوز مدى غوصها اربعة اقدام من مسبه الى مدينة بغداد . فحاليا واياها هو اقل هذا الذي يصلح لسير السفن ولكن لا يستعمل الا نادرا . وان نهر الفرات يصلح لسير السفن في بعض اقسامه . وقد برز ذلك في ذلك في ايامنا السابقة . فمما تارة في الفرات وبواقي افراد فراقين يتراكم عدد موسمياتهم الدائمة في وقت واحد بين واحدة وثلاثة ( ١ ) كما تبرز في ذلك في ايامنا السابقة . فمما تارة في الفرات وبواقي افراد فراقين يتراكم عدد موسمياتهم الدائمة في وقت واحد بين واحدة وثلاثة ( ١ )

اما السكة الحديد فقد كان مجموع طول خط اولها في انون اول من عام ١٩٤٨ ، ١٨٢ ميلا ( ٢ ) . والى جانب النقل النهري ، والسكة الحديدية ، وتوجد الطرق عامة للسيارات . وقد بلغ طول الطرق التي تشرف على صيانتها مديرية الاشغال العامة في نهاية عام ١٩٤٨ ، كما يلي . . . .

( ١ ) انوار جميل ص ٦٦

( ٢ ) ف . هـ . كاميل " الاحوال الاقتصادية والتجارية في العراق " تعريب لواء

الاستقلال ص ١٢٥

## ١١٢ - الفصل الخامس

### التجارة

#### (١) التجارة الداخلية

لا يريد ان احلل في هذا الفصل الاسر التي تقوم عليها التجارة العراقية ، والقوانين التي تنظمها . وانما يريد ان القي نظرة سريعة على التجارة الداخلية والخارجية بقدر ما لها من ماسر بالحياة الاقتصادية بصورة عامة .

التجارة الداخلية محدودة وخفية للغاية . ان سكار الرياء بهكم فوراً ، يمدون محام حاجاتكم بما ينتهونه بانفسهم . والقيمة ان التجارة الداخلية لا تتعدى نقل المعادن الزراعية من منطقة الى اخرى وتوزيع البضائع البغية ، وتلي من المنوحا المحلقة ومر مراكزها في بغداد والبصرة والى المدن العراقية الاخرى .

ومما لا غافل عن اخرها اننا الى ما تقدم يمين نمو التجارة الداخلية وهو حريان الرب العراقي . رسائل اموات المتناحرة المديقة . يوجد في العراق ثلث وسائل للنقل : النقل النهري ، والسيارات ، والسكة الحديدية . وقد تقدم معنا ان نورد لة يطلع لسر السفن الصغيرة ، التي يتجاوز مدل غوسا اربعة اقدام من مسبه الى مدينة بغداد ناعابا واناما هو اعلا هذا النهر يطلع لسير السفن وانما لا يستعمل الا نادرا وان ندر هذا يطلع لسير السفن في بحر اقصاه . وتدير شركة النابل في دولة بواسطة السفن البخارية شركتان التميزتان ومواخر افراد عراقية يتراى عدد مؤسساتهم الدائمة في وقت واحد بين واحدة وثلاثة (١) كما تشير في هذا النهر وفي اسام من نهر الراب السفن الصغيرة والزوارق . اما السكة الحديد فقد لا مجموع لول نحاو ما في انوار من عام ١٩٤٨ ، ١٩٨٧ ميل (٢) . والى انب النقل النهري هو السكة الحديد وتوجد لول عامة للسيارات . وقد بلغ لول الطرق ، التي تشير على حياتها مديونة الاستمال العامة في نهاية عام ١٩٤٨ ، كما يلي . . .

(١) انظر جميل ص ٥٦٦

(٢) ن . ه . كامل "الحوال الاقتصادية والتجارية في العراق" "تعريب لول"

## الطول بالكيلومترات

## نوع الطريق

٢٢٢٠

الطرق المبلطة بالغير الصلب

٤٥٠

الطرق المبلطة بالغير العادي

٤٦٤٥

الطرق الترابية

وتوجد بالإضافة الى هذه الطرق ٣٥٠٠ كيلومتر من الطرق العامة التي لم يجر عليها اي تحسين وتديرها وتشرف عليها السلطات المحلية في الاقاليم (٣) .

والحق ان الطرق المواصلات هذه ، التي لم يكن موجود منها قبل العهد الوائلي

الا القليل وقد افادت التجارة الداخلية وحملت على تشييدها الى حد ما . ولكن

بقية اجزاء كثيرة من البلاد ، وعلى الاخص بالمدن الكبرى وصعوبة تامة على اقل تقدير .

ان كثيرا من القرى العراقية بعيدة عن مجاري الانهار ، وعن خطوط السكة الحديد ،

ولرق السيارات العامة ، ولهذا بقيت في عزلة تامة عن المدن . وقد اثرت صعوبة

المواصلات بين الريف والمدينة في اقتصاديات الريف الى حد كبير . ففي المنطقة

الشمالية توجد انواع عديدة من الفواكه ، التي تنمو بكثرة ، ولكن صعوبة المواصلات

تحول دون استفادة الزراع اكراد منها فائدة تستحق الذكر . وفي المناطق الجنوبية ،

وخاصة على ضفاف الانهار والاهوار تكثر الاسماك ، ولكن استفادة السكان منها محدودة

لعدم تيسر نقلها بالسرعة اللازمة الى الاقسام الوسطى والجنوبية ، حيث يقل السمك

وترتفع اسعاره ويستند الطلب عليه . ولو كانت وسائل النقل ميسرة ، رخيصة ، بين المدينة

والريف ، لتشجع الفلاحون على زراعة الخضر ، والفواكه ، وتربية الدواجن ، لما ينالون من

ربح من بيعها في اسواق المدن ، فيزيد بذلك دخلهم ، وتنوع مصادره ، ويرتفع مستوى

معيشتهم ، ويؤدي هذا الى اقبال الفلاحين على شراء المنتجات الوائيلية ، والسلع التجارية

الاخرى ، فيتنشط بذلك التجارة الداخلية ، ويرتفع دخل سكان المدن .

## (٢) التجارة الخارجية

### الصناعة

لما كان العراق قديما زراعيا ، ولما كانت الصناعة الآلية حديثة فيه لا تسد منتجاتها الا

جزءا صغيرا من حاجات السكان ، كانت اكثر مصادراته ، باستثناء النفط الذي تحتكره

شركات اجنبية ، من المنتجات الزراعية والحيوانية والاهما : التمور ، والحبوب ، والصوف ،

والحيوانات الحية ، والجلود ، وأهم البائع المستوردة هي من البضائع المصنوعة بالحديد والنولان ، وأما تصدئة والمكاشن والسيارات ، وبمصر العواد النشائية هو غاشية السر والشاي ، والصبر هو التأثير الطيبة على اخذ من أنواعها ، كما يتضح من الجدولين التاليين :

كمية الصادرات العراقية الرئيسية خلال كل من سنوات ١٩٣٣ - ١٩٣٩ التقويمية

بالآلاف الوحدات (٤) .

الوحدة	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
حبوب	١٧٣,٤٢	٣٠٤,١٠	١٥٠,٠٣	٣٣٨,٠٠	٤٣٩,٠٠	٢٥٨,٠٧	٢٨٦,٤٦
تدوير	١١٤,٤٢	١٦٢,٤٨	١٧٢,٤٤	١٥٩,٤٤	١١٠,٠٠	١٨٥,٠٥	١٤٨,٤٣
صوف	١,٠٠	٤,٤٢	٥,٤٦	٧,٤٨	٤,٤٦	٩,٠٠	٥,٤٦
حيوانات حية - رأس	١٢٠,٠٠	٨٩٤,٤٤	٩٣٧,٤٩	٢٥٥,٤٨	٤٣٨,٤٧	٢١٦,٤١	٣٢٠,٤٣
جلود = دلو	٢,٤٣	١,٠٥	١,٠٨	٢,٤١	٢,٤٧	١,٤٧	٢,٤٢
قطن	٠,٤٢	٠,٤٥	٤,٦	٠,٤٩	٢,٤٨	٣,٤٧	٢,٤٥
مداير	٠,٤١	٠,٤٠	٠,٤١	٠,٤١	٠,٤٢	٠,٤١	٠,٤١
بذور	١,٤٨	٢,٤٩	١,٤٨	٣,٤٢	٧,٤٢	١٢,٤٩	٧,٤٠
سموم	٠,٤٦	٠,٤٤	٠,٤٤	٠,٤٣	٠,٤٤	٠,٤١	٠,٤١
عرق سوس	١,٤٢	٤,٤١	٣,٤١	٥,٤٢	٦,٤٦	٤,٤٧	٢,٤٦
اسماك	٠,٤٣	٠,٤٥	٠,٤٥	٠,٤٥	٠,٤٤	٠,٤٢	٠,٤٨
بيدر	٠,٠	١٩,٤٢٢	١١,١٦٦	١٠,٥٧	٤٨,٤١	٢٤,٤٣	١٦,٢٢

قيم البضائع المستوردة التي يزيد معدل المستورد من كل منها خلال سنوات ١٩٣٢ - ١٩٣١ التوزيعية على ٥٠٠ ٠٠٠ دينار سنويا ، بالآلاف الدنانير ، مرتبة حسب أهميتها (٥)

١٩٣١	١٩٣٨	١٩٣٧	١٩٣٦	١٩٣٥	١٩٣٤	١٩٣٣	
١٠٥٠	٨٣٣	١٠٦١	٨٠٥	٩٥٠	٩١٠	٩٠٣	الاقمشة القطنية
٧٥٥	١٠٥٨	١٢٤٠	٨٢٧	٥١٦	٤٦٦	٨٠٣	الحديد والفولاذ
٥٥٧	٩٩٦	٦١٣	٤١٠	٤٠٨	٤٣٢	١٨١	المكائن والعدد واجزاؤها
٥٥٤	٥٠٥	٤٤٠	٣٧٤	٣٦٨	٣٨٦	٤٠٢	السكر
٣٧٨	٤٢٠	٥٢٩	٣٥٢	٣١١	٢٧٥	٢٢٥	اقمشة الحرير الاصطناعي
٣٢٠	٣٩٨	٤٦٩	٢٧١	٢١١	٢٣٨	٢٥٥	السيارات واقسامها
٣٢٢	٣٤٧	٣٥١	٢٩٥	٢٣٧	٢٦٣	١٥٣	الشاي
٢٩٠	٣٤٩	٣٧٤	٢٨٧	٣٠١	٢٦٠	٩٩	الملبوسات
١٦٣	٣٣٧	٣٢٨	٢١٧	١٧٣	١٢٣	٣٥١	الاخشاب
١٤٢	٢٤٠	٢٨٩	٢١٠	١٩٨	٢١١	١١٧	الاقمشة الصوفية
٢٣٢	٢٤٢	١٩٠	١٩٨	١٤٢	٩٤	٦٨	الات والصلح الكهربائية
١٥٧	١٨٤	١٧٥	١٥٦	١٠١	٤٧	٧٣	السمك
١٢٤	١١٢	١٩٧	١٤١	١١٢	٧٣	٧٤	المنتجات الكيماوية
١١٨	١٥١	١٤٥	١١٦	١١٠	١١١	٨٠	والصدقية
٧١	٧٦	٧٦	١٠٦	١٩١	١٣١	١٢٦	الورق ومشتقاته
١٠٥	٩١	٨٤	٨٩	١٦٤	١٢١	١٠٥	نפט الديزل
١٢١	١٠٢	٩٠	٦٩	٨٥	٦٦	٦٨	البنزين
٦٧	١٠٢	٩٦	٦٨	٧٠	٧١	٩٢	الخضروات والفواكه
٩٢	١٠٢	٩٨	٨٦	٦٨	٥٥	٥٨	الصابون
٩٢	٩١	٨١	٦٨	٧٤	٥٥	٦٥	المطاط ومشتقاته
٧٦	٦٦	٧٤	٨٥	٧٤	٩٠	٥٠	زيت التزيت
٨٤	٧٣	٨٧	٦٧	٤٣	٣٥	٢٩	صناديق تغليف التمر
٤٩	٥١	٥١	٤٠	٥٧	٦٠	٥٩	الجلود المدبوقة
٦٠	٥٢	٦٨	٤٦	٥١	٤٦	٤٣٠	الخمر
٥٩٩٧	٦٩٧٨	٧٢١٤	٥٤٦٣	٥١٠٣	٤٦١٩	٤٠٢٥٠	الزجاج ومشتقاته
٢١٦٨	٢٣٨٣	٢٣٥٢	١٧١٤	١٧٠١	١٥٩٨	١٤٩٠	المجموع
							سلع اخرى



واهم الاقطار التي يتاجر معها العراق هي بريطانيا ، والولايات المتحدة ، والهند ، وسوريا ، فقد كانت النسبة المئوية لقيمة ما استورد العراق من البلاد المختلفة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٩ كما يلي (٦) .

.....	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
بريطانيا	٣٣.٦	٢٥.١	٢٨.٥	٣١.٧	٢٩.٥	٣٠.١	٢٣.٥
اليابان	٦.٨	١١.٧	٢٠.٠	١٨.٨	١٨.٣	١٤.٨	١٨.٧
الولايات المتحدة	٧.٢	٦.٣	٦.٣	٦.٤	٧.٦	٩.١	٨.٤
الهند	٨.٩	٦.٦	٦.٦	٦.٨	٦.٩	٦.٥	٧.٢
ايران	٧.٣	٨.٥	٩.١	٥.٧	٤.٠	٤.٢	٥.٠
المانيا	٢.٦	٥.٢	٥.٢	٦.٥	٦.٦	٧.٤	٦.٣
بلجيكا	٥.٠	٥.٤	٤.١	٤.٠	٥.٣	٤.١	٥.٠
جاوا	١.٨	٢.٠	١.٨	٢.٦	٣.٧	٤.٣	٥.٥
ايطاليا	٣.٠	٢.١	١.٨	٦.٦	٢.٧	٤.١	٣.٨
هولندا	٢.٨	٢.٠	٢.٠	٢.١	١.٩	١.٩	٢.٠
فرنسا	٤.٣	١.٨	١.٧	١.٥	١.٢	١.٣	٢.٠
سوريا	٢.٤	٢.٣	١.٨	١.٦	١.٧	١.٨	١.٩
مصر	١.٦	٢.٦	٢.١	١.٦	١.٦	١.٥	٢.٢
شيكلوسلافيا	١.٧	٠.٩	١.٢	١.٩	١.٧	١.٥	١.٤
الموحد	٠.٩	١.٣	١.٣	٠.٩	٠.٧	١.١	١.٣
البلاد الاخرى	١١.١	١٦.٢	٦.٥	٧.٣	٦.٦	٦.٣	٥.٨

(٦) المصدر السابق ص ٣٥٠

اما اهم الدول المستوردة من العراق فهي بريطانيا والولايات المتحدة والهند وسوريا وبلاد العرب  
وايران وفرنسا كما يتضح من الجدول (٧) الذي يبين النسب المئوية لقيمة الصادرات الى البلاد المختلفة  
خلال سنتي ١٩٣٢ - ١٩٣١ .

	١٩٣١	١٩٣٨	١٩٣٧	١٩٣٦	١٩٣٥	١٩٣٤	١٩٣٣	
بريطانيا	٢٤.٦	٢٤.٢	٢٧.٨	٣٠.٥	١٨.٥	٢٧.١	٣١.٣	
الولايات المتحدة	١٩.٦	١٥.١	٢٠.٦	٢٠.٠	١٨.٦	٧.٨	١٢.٦	
الهند	١١.٢	٢.١	٦.٤	٩.٠	١١.٥	٧.٣	١٠.٢	
فلسطين	٨.٢	٥.١	٦.٧	٦.٥	٦.٠	٥.٥	٥.٢	
سوريا	٣.٧	٦.٨	٣.٩	٤.١	٧.٨	٩.٨	٦.١	
بلاد العرب	٥.٨	٦.٥	٢.٩	٤.٥	٦.٣	٤.٢	٦.٥	
ايران	٥.٢	٣.٥	١.٦	٣.٧	٨.٣	٦.١	٧.٢	
اليابان	٤.٥	٩.٦	٨.٦	٣.٦	٠.١	٠.١	٠.١	
فرنسا	٣.٦	٣.٥	٤.٠	٣.٠	٣.٠	١٥.٠	٢.٤	
المانيا	٣.٣	٤.٥	٣.٤	٢.٧	١.٩	٣.٧	٣.٥	
بلجيكا	١.١	٣.٣	٦.٠	٤.٣	٢.٠	٣.٣	١.٨	
مصر	١.٤	١.٦	١.٦	١.٤	٣.٩	٢.٦	١.٢	
استراليا	١.٤	١.٢	٠.٩	١.٠	١.٤	٠.٨	١.٠	
الدول الاخرى	٦.٤	٧.٠	٥.٦	٥.٨	٧.٧	٦.٧	٧.٩	

(٧) المصدر السابق ص ٣٥٢

يتضح لنا من الأرقام المتقدمة ان بريطانيا كانت تتمتع بحصة كبيرة من تجارة العراق ولكن هذه الحصة انخفضت زمن الحرب عندما قيدت التجارة كمن ناحيتي الكميات المستوردة ومصادر الاستيراد بولكيميا عادت فارتفعت بعد انتهاء الحرب وزوال كثير من قيود الاستيراد كما يتضح من الجدول التالي (٨) .

السنة	قيمة الاموال المستوردة من بريطانيا (بالوف الدنانير)	النسبة المئوية من مجموع تجارة الاستيراد
١٩٣٩	١,٩١٧	٢٣,٥
١٩٤٠	١,٧٠٢	٢١,٤
١٩٤١	١,٢٣٨	٢٠,٥
١٩٤٢	١,٤٥٧	١٩,٥
١٩٤٣	١,٧٠٨	١٥,٩
١٩٤٤	١,٥٩٩	١١,٩
١٩٤٥	٣,٤٦٥	١٧,٥
١٩٤٦	١٢,٣٧٦	٤٤,١
١٩٤٧	١٧,٥٥٦	٤٣,٨
١٩٤٨	١٥,٧٦٠	٤٣,٥

كان العراق منذ الاحتلال البريطاني يواجه دائما رصيدا تجاريا سلبيا . وكان

الميزان التجاري يسوى جزئيا بموارد النفط وارباع لجنة العملة في لندن والمصادرات

غير المنقولة وارباع تجارة الترانزيت . ولكن الميزان التجاري اختل اختلا لا كبيرا

لغير صالح العراق منذ نهاية الحرب الى اليوم الثانية فقد ارتفعت الأسعار اثناء الحرب ،

وتضخمت العملة وتجمع في البلاد رصيد كبير من العملة نتيجة لمشتريات الجنود البريطانيين ،

وكانت معظم واردات العراق خلال فترة الحرب خاضعة لنظام الكوتا الذي كانت

المستوردات محدودة بحكم الضرورة .

ولكن عندما خففت قيود السيطرة التجارية في بداية سنة ١٩٤٦، وقبل التجار زاد انخفاً على الاستيراد انبلاها فيما وكانت معظم المستوردات من البضائع الكمالية التي حرموا منها زمن الحرب فغادى ذلك الى تدد الثروة التي تجمعت خلال الحرب، والى تقلص العملة وما لم يتبع ذلك من اختلال في الحياة الاقتصادية. وفي عام ١٩٤٨ اعيد تطبيق نظام الاجازات على الاستيراد بالنسبة لكافة انواع الحاجات محافظة على تجارة البلاد، ولكن جاء هذا التدبير متأخراً فقد تهددت معظم ثروة البلاد خلال السنوات التي اعتبت انتهاء الحرب. وهذا التفاوت او عدم التوازن بين المصدر من البلاد والمورد منها من خارج في اقتصادياتنا. ففي السنوات العشر من ١٩٢٦ - ١٩٢٧ الى ١٩٢٥ - ١٩٢٦ مثلاً كان يسدد نحو ١٠٪ من هذا العجز من زيادة الذهب المصدر على الذهب المستورد،<sup>(٩)</sup> والجدول التالي يرينا مقدار صادرات العراق ووارداته ونسبة العجز في الميزان التجاري بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٨ والارقام تمثل الوف الدنانير. وهذه الارقام تشمل حركة السبائك الذهبية من ناحية الاستيراد والتصدير ولا اتيام واردات النفط والمواد المستوردة لحساب الجيش (١٠).

السنة	المستوردات	الصادرات	الاموال المعاد تصديرها	العجز في الميزان التجاري
١٩٣٩	٨,١٥٦	٢,٥٢٥	٢٣٥	٥,٣١٦
١٩٤٠	٧,١٥٤	٣,١٠٣	١٩٦	٣,٨٥٥
١٩٤١	٦,٧٠٣	٣,١٠٦	٢٧٦	٢,٥٢١
١٩٤٢	١٢,١٢٢	٤,٤٨٠	٢٢٤	٧,٤١٨
١٩٤٣	١٥,٦٣٢	٩,١٤٧	٣٣٣	٦,١٥٢
١٩٤٤	١٤,٢١٨	٩,١٧١	٣١٨	٤,٧٢٨
١٩٤٥	١٨,٨٣٤	٩,٨١٨	٢٣١	٨,٧٨٥
١٩٤٦	٢٨,٠٤٠	١٢,٧٢٢	٤٣٢	١٤,٨٨٥
١٩٤٧	٤٠,٠١٢	١٣,٨٠١	—	٢٦,٢١١
١٩٤٨	٤٥,٥٢٣	٧,٥٨٤	—	٣٧,٩٣٩

(٩) حمادة ص ٤٢٩

(١٠) كامل، لواء الاستقلال، عدد ١٠٢

قلت ان اهم صادرات العراق هي الحبوب والتمور . فقد كانت قيمة ما صدر من هذين الحاصلين بين سنتي ١٩٢٧ و ١٩٢٩ نحو ٢٥ مليون دينار تمثل نحو ٥٦ ٪ من مجموع قيم الصادرات خلال تلك السنوات (١١) وكانت تجارة التمور حتى عام ١٩٢٩ غير منظمة ، لكثرة عدد المنتجين وانخفاض كفاءتهم التجارية والعالية لكثرة عدد صغار الوسطاء ، وسيطرة شركات التصدير والتي كانت ان تحتكر هذه التجارة المهمة بما تملك من مال مؤخبرة في الاسواق العالمية وتأثير على حركة النقل . وكانت هذه الشركات ومعظمها برلمانية تتحكم بالاسعار والاسواق وتضع العراقيل امام تصدير التمور من قبل المنتجين العراقيين انفسهم لتخلو لها الاسواق الخارجية وهذا مما اضر مصالح منتجي التمور ، وعلى الاخير صغار المنتجين . وقد دفعت هذه العوامل الحكومة الى تقديم هذه التجارة . تأسست سنة ١٩٣٥ " لجنة التمور " ثم الفت هذه اللجنة ايضا واستبدل منها سنة ١٩٣٩ " جمعية التمور " وهذه الجمعية شخصية حكومية مستقلة وتتألف من مدير عام ومعاون مدير ، يعينها وزير الاقتصاد ومن تسعة اعضاء يختار الوزير المذكور ستة منهم ينابون على ترشيح منتجي التمور البصرة . يوعين العضو الباقى ممثلا عن الحكومة . وتقوم الجمعية بالاشارة على تجارة تصدير التمور . فهي التي تعين كمية وصنف التمور المصدرة والحد الأدنى لاسعار مختلف اصناف التمور التي يبيحها المنتجون لتجار التصدير . وللجمعية ان تقوم بتصدير التمور بنفسها او بالتعاون مع تجار التصدير ، وللمصنعة كذا ان لها ان تتعاقد مع تجار التصدير لتصدير ما تشاء من كميات التمور . وقد رأت الجمعية ان خير حل مؤقت لتجارة التمور هو حصر تصديرها بشركة معينة بموجب عقد تحدد فيه الاسعار والاصناف والكميات التي يراد تصديرها . وكانت شركة " اندرو واير " وهي كبرى الشركات البريطانية المصدرة للتمور والحبوب هي التي اشترى البصرة بموجب شركة التزكية دون غيرها ، فتم التعاقد بينها وبين الجمعية على اساس ان تشتري الشركة من المنتجين خلال اعوام ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ و ١٩٤١ كمية من اصناف محددة من التمور باسعار معينة ، وعلى ان تتعود جمعية التمور بان لا تمنح خلال هذه المدة من الاتفاق اية رخصة لتصدير الاصناف المذكورة . وبدد هذا العقد عدة مرات ولا زال مرفيا . لقد كان احتكار هذه الشركة لتجار التمور ضربة شديدة على المنتجين

والصغار منهم بخاصة • فالاسعار التي تدفعها الشركة واطنة والكميات التي (١٢) تصدرها ضئيلة والاصناف محدودة • وفضلا عن ذلك فانها تحايي كبار المنتجين لقاء سكوتهم عن تصرفاتها • وسند موقفها في دوائر الحكومة فتشتري تمورهم بالاسعار المحددة اما صغار المنتجين فيضطرون الى بيع تمورهم باقل من الاسعار المعينة • وللاوة على ذلك فقد اشتد تهريب التمور الى الخارج تخدشا من بيعها للشركة باسعار واطنة مما افقد خزينة الدولة مبالغ طائلة من رسوم التصدير • وقد تعالت اصوات منتجي التمور مطالبة بالغاء احتكار هذه الشركة ولكن هذه الاصوات كانت اضعف من ان تقضي على نفوذ هذه الشركة البريطانية العتيدة •

وليست تجارة الحبوب باحسن حالا من تحارة التمور • وقوام صادرات العراق من الحبوب نحو ٦٠ ٪ من الشعير ونحو ٢٠ ٪ من الحنطة ونحو ٢٠ ٪ من الدخن والهرطمان والرز (١٤) ولا يصدر العراق من هذه الحبوب الا ما يفيض من حاجة السكان • والكمية المصدرة ضئيلة بالنسبة لما في استطاعة البلاد انتاجه • ويعود السبب في ذلك الى التاخر الزراعي الذي شرحت اسبابه في فصل سابق • وهناك عوامل عديدة تعرقل نمو تجارة الصادرات من الحبوب اهمها رداءة نوع الحبوب العراقية وهذا ما جعل الدلب عليها ضعيفا حتى ليكاد استهلاكها في الاسواق العالمية ان لا يتجاوز اقرا تغذية الحيوانات • ولذلك عدة اسباب اهمها جهل الفلاح العراقي بالاصول الفنية الزراعية واستهلاكه معظم البذور المحسنة التي يحصل عليها لغاية الزراعة لخلطه بين الاصناف الجيدة والرديئة واتباعه الطرق العتيقة في تصفيته الحبوب مما يؤدي الى وجود كميات من التراب فيها • • وقد قدر احد الخبراء ان نحو ٢٥ الف طن من التراب تشحن سنويا مع الحبوب العراقية (١٣) • وهذا مما جعل الحبوب العراقية لا تستطيع مقاومة الحبوب الاجنبية كالروسية والاسترالية والاميركية بالجيدة الاصناف • النظيفة الحسنة التعبئة • وبالاضافة الى ما تقدم فان المنتجين العراقيين لا يحصلون على

(١٢) يقول الدكتور مظفر حنين جميل ص ٥٥٤ : ان اسعار نوى التمر قد ارتفعت من ٢٢٠ فلرا الى ٨٦٤ دينار للطن فما أصبحت اعلى من الاسعار المقررة للحاوي المختار • ومع ذلك فقد تمسكت الشركة بنصوص اتفاقها ثم تبهرت بزيادة اسعارها ٤٤ دينار عن كل طن في موسم ١٩٤٢ • ومن ثم لم تحصل اذ على ثلث الكميات المتفق عليها بشأن الموسم المذكور • وكانت لتمور البصرة تنباع في الاولوية الاخرى او تهرب الى ايران والكويت • بل ان الحكومة بالذات كانت تبيع حاصلات املاكها والاملاك التي تحت اشرافها بالمزايدة العلنية وتمتنع عن تسليمها الى الشركة •

على ارباح جيدة من حبوبهم للنواقل الموجودة في الخزن والتعبئة والنقل مما يجعل تكاليفها مرتفعة . يضاف الى ذلك فقد ان المخازن الحديثة يعرقل تسليم الزراعة ولذا رهن حاصلاتهم، ويعوق انتشار فطر البيع المناسبة فيؤدي ذلك الى التناقص على البيع عند الموسم في الاسواق المحلية ووالى بيع هذه المحاصيل باسعار منخفضة الى المصدرين. وما يزيد في حالة دخل الزراعة وتجار الحبوب العراقيين ومن الحبوب القدرة على احتكار النقل النهري والبحري حيث يسيطر عدد من الشركات البريطانية والافراد على الملاحة النهرية في دجلة والخليج الفارس ومن اقله ذلك ما حدث عند نشاط الاسواق سنة ١٩٣٧ فقد زادت اجور النقل النهري من ١٠ شلنات الى ١٧ شلنات للطن كما زادت اجور النقل البحري من ٢٠ شلنات الى ٢٥ شلنات للطن . فاصبح مجموع هذه الاجور نحو ٧٠ ٢٠ ٧٠ ٢٠ من اسعار سوق بغداد للشعير ونحو ٤٥ ٠ / ٠ من ثلث الاسعار للحنطة . (١٥)

واهتمت الحكومة بتجارة الحبوب فاسست في عام ١٩٣٩ " لجنة تنظيم تجارة الحبوب " وهي عبارة عن هيئة ذات شخصية حكومية وتتكون من رئيس ومعاون رئيس معينها وزير المالية ومن احد عشر واثم يمثلون تجار الحبوب وزراعيها وزارة المالية ووزارة الاقتصاد والمصرف الزراعي الصناعي . واعلمت هذه اللجنة ملاحيات لتنظيم امور التنظيم والخزن والشحن والتصدير والتسليم . وقد استلهمت هذه اللجنة ان تكلف عام ١٩٤٦ احدى الشركات ببناء مخزن نموذجي في بغداد يتسع لخمس الاف طن من الحبوب . ونية الحكومة متجهة الى توسيع هذا المخزن ووالى تشييد مخازن غيره في مراكز اخرى . وقد قدرت هذه اللجنة عدة صفقات لتصدير كميات من الحبوب اهمها الصفقة التي قدرت بها مع شركة " اندرو واير " والتي اشترت للشركة بموجبها بين تشرين الاول ١٩٤٦ وينسلن ١٩٤٧ ٢٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠ طن من الشعير بسعر ٢١ دينار للطن الواحد . والحقيقة ان شركة اندرو واير هي المحترقة الحقيقية لا لتجارة التمور وان التجار العراقيين ما هم في

لجنة الحبوب . ١٩٤٦

(١٣) المصدر السابق ص ٥٦٤

(١٤) المصدر السابق ص ٥٦٥

(١٥) المصدر السابق ص ٥٦٦

الحقيقة الا وسطا لها . وان ما يناله التجار العراقيون وبالتالي النزاع العراقيون من ربح ما هو الا جزء ضئيل مما تصيبه هذه الشركة البريطانية .

و تكون تجارة الترانسيت (٢) جزءا من تجارة العراق الخارجية ومصدر دخل للحكومة والتجار ووكالات النقل . وتكاد تجارة الترانسيت الى ايران تقدر قبل الحرب العالمية الاولى بنحو ٥٠ / ٠ من مجموع تجارة العراق الخارجية (١٦) ولكن هذه التجارة ضعفت بعد الحرب العالمية الاولى لاهتمام ايران بموانئها على شط العرب والخليج الفارسي، كالحمرة وبندي شاهبور وبندي عباس بحيث تحولت اليها معظم تجارة ايران الخارجية . وقد كانت قيمة البائع التي تناولتها تجارة الترانسيت بين سنتي ١٩٣٥ - ١٩٢٦ و ١٩٢٥ - ١٩٢٦ تتراوح بين اعلى حد بلغته وهو ٥٦٤ م ٢١٧ م ٥ دينارا عراقيا ما و ٣٠ بالمئة من مجموع التجارة الخارجية وذلك سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ وبين ادنى حد هيئت اليه وهو ١٤١ م ١٢٣ م ١ دينارا عراقيا ما ونحو ١١ بالمئة من مجموع التجارة الخارجية في سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ (١٧) على ان الذي ساعد دون هبوط مستوى تجارة الترانسيت هو نقل شركة الزيت الانكليزية الايرانية لمنتجاتها من النفط المعدة للتصدير الى الخارج عبر العراق . هذا ولم تاتر تجارة الترانسيت كثيرا بتأثير الحرب . ولكن قيمتها ازدادت بصورة طبيعية تبعا لارتفاع اسعار البضائع التي تناولتها تجارة الترانسيت في عام ١٩٤٨ م ١٤٠ م ٨٦٤ م ٢ دينارا عراقيا (١٨) ومن العوامل التي تؤثر في تقدم التجارة الخارجية العراقية ارتباط العملة العراقية منذ سنة ١٩٣١ م بالكتلة الاسترلينية . وقد ثبت سعر الصرف بين الدينار والجنيه الاسترليني موثقا استثمار ارصدة العملة العراقية في لندن واعتبرت لندن كوسيط للتعامل مع الدول غير الاعضاء . بحيث يخضع هذا التعامل لرقابة بنك انكلترا ومندوب موازنة الصرف الذي انشا فيه سنة ١٩٢٢ م . وقد اتفاد انتماء العراق الى الكتلة الاسترلينية التجارة العراقية لانه استند سعر صرف الدينار موثقا بالعلاقات التجارية باعضاء هذه الكتلة بحيث بلغ معدل قيمة مجموع تجارة الاسترلينية بواقع معدل قيمة الصادر اليها خلال المدة نفسها ١٠٤ / ٥٠ من قيمة مجموع تجارة التصدير (١٩) ولكن انتماء العراق الى هذه الكتلة كان له اثار سيئة ايضا منها تحديد التعامل من الدول التي لا تنتمي الى هذه الكتلة ويربط مصير التصنيع والتقدم الاقتصادي في

(١٦) حمادة ص ٤٠٣

(١٧) المصدر السابق ص ٤٠٤



البلاد بصورة عامة بقدر الكلفة الاسترلينية على تجميعها ما يلزم لهذا التطور من رؤوس اموال ومعدات ومواد اولية مضاف الى هذا ان تثبيت سعر الصرف مما يحول دون تخفيض قيمة النقد وبهذا تحرم البلاد من طريقة ناجحة لمكافحة التضخم . (٢٠) وقد تبين الاثر السيئ " للانتماء الى الكلفة الاسترلينية بصورة خاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فقد تجمعت خلال الحرب ارصدة استرلينية للعراق ضمن ما يخسر الحكومة العراقية ولجنة العملة والمصارف العامة في العراق في سنة ١٩٤٧ ، بنحو ٦٠ مليون جنيه استرليني . وقد عقدت في ١٣ / ٧ / ١٩٤٧ اتفاقية لتسوية جزء من هذه الارصدة . فقرر بموجب هذا الاتفاق اللان مبلغ ١١١ م / ٢٤٧ م / ٢٦ باونا استرلينيا خلال مدة خمس سنوات . وقد لفت هذه الاتفاقية في ١٧ / ١١ / ١٩٤٧ بحيث وضعت قيود جديدة من استعمال العراق لرصيد من الاسترليني (٢١) وقد مدد العمل بهذا الاتفاق بعد تعديلات طفيفة الى الوقت الحاضر . وخلاصة هذه الاتفاقات التي تجدد كل عام ، هو ان يشترك العراق في صندوق الدولاري لندن ، اي يجب ان يسلم ما يحصل عليه من الدولارات ملات النادرة الاخرى الى صندوق لندن وان لا يسحب منه الا ما يتم الاتفاق عليه بين العراق وبين بريطانيا لتأمين استيراد العراق من مناطق العملات النادرة . وكانت الحكومة العراقية تخرج من هذه الاتفاقيات بصفة المخبون دائما لان ما يدخل للصندوق الدولار من معاملات تخسر العراق يزيد بكثير عما يسحبه منه ، اذا حسبنا قيمة المصدر من النفط سنويا من العراق والتي تتقاضى اثمانه الشركات الانكليزية بالدولار ، وحصر الشركات الاممية من النفقات الكبيرة التي تنفق في العراق من قبل شركة النفط العراقية على مد انايب جديدة والتي تدفع بالدولار ايضا . ولعل هذا هو السبب الرئيسي لعدم موافقة بريطانيا على اتباع قاعدة (ايرنك بلانس) مع العراق موقصد بهذه القاعدة ان يحتفظ العراق بما يحصل عليه من الدولارات من صادراته المنظورة وغير المنظورة في كل عام ويضاف اليها مبلغ معين يحول من الارصدة الاسترلينية . وما لا ريب فيه انه لو اتبعت هذه القاعدة ولحققت بدقة وغلبت وتأمين فيكون للعراق مبالغ طائلة من الدولارات تزيد

(١٨) كامبل ولوا " الاستقلال عدد ١٠٢

(١٩) جميل ص ٣٥٩

(٢٠) انظر المصدر السابق ص ٧٥٧ — ٧٦٢

(٢١) انظر المصدر السابق ص ٥٢٥ — ٥٢٩

كثيرا على ما يسحبه من صندوق الدولار في الوقت الحاضر مستلحها هنا  
احتياطي متنوع لعملته التي هي بأشد الحاجة الى الاستقلال عن العملة الاسترلينية  
بمثل هذا الاحتياطي القوي (٢٢) والحق ان انتماء العراق الى الكتلة الاسترلينية  
وخاضعة منذ ارتباطه باتفاقية الارضلة الاسترلينية قد جعل التجارة العراقية خاضعة  
للتوجيهات البريطانية كما جعل مصيره المالي ومقداره الاقتصادي معلنة بمدير  
بريطانيا ومقداراتها وشروطها " بحيث أصبحت بريطانيا كما جاء في الكتب المتبادلة  
( بين الحكومتين العراقية والبريطانية شأن الارضلة الاسترلينية ) بوضع مستلح فيه  
ان التوافق فيه حتى على تخصيص العملات النادرة ( الدولار ) للناظم لدفع الفوائد المترتبة  
على القروض التي يستقرضها العراق من أمريكا الا اذا اعتدت تلك القروض بموافقة  
الحكومة البريطانية (٢٣)

---

(٢٢) محمد حديد ، " الاثافي الجديدة للعملات النادرة " جريدة صدى الاحالي ،

٨ اب ١٩٥٠ ، عدد ٢٦٤

(٢٣) محمد حديد " اتفاقية الارضلة الاسترلينية يعود على يد " جريدة صدى الاحالي ،

٢٦ آذار ١٩٥١ ، عدد ٤٥٥

## القسم الثالث الكيان السياسي

### الفصل الاول :

#### نشوء وتطور المصالح البريطانية في العراق

ان مصالح بريطانيا العظمى في العراق متعددة قديمة النشأة . وسأبين في هذا الفصل طبيعة هذه المصالح، واسباب نشوئها والعوامل التي مكنت لها توسعها على التطور . اول ما دعا بريطانيا للاهتمام بالعراق هو موقعه الجغرافي الذي يمر منه احد طرق الهند المهمة . فقد كانت الهند وما يجاورها من مستعمرات كورنيو، وبورما وشبه جزيرة الملايو ماغنى المستعمرات البريطانية واعلمها اهمية لها . فمن هذه المستعمرات كانت المصالح البريطانية تتزود بالمواد الخام، والى هذه المستعمرات كانت ترسل سلحتها المصنوعة ومنها كان الراساليون الانكليزيون يوظفون ما يفيز من روس اموالهم . وقد كانت المياسة البريطانية في الشرق منذ القرن السابع عشر تدور حول حماية هذه المستعمرات وتأمين الطرق الموصلة اليها . يقول المررد سكرتون في كتابه "مركز الهند في الامبراطورية" : "تأمل فيما لعبته الهند من دور في المياسة الانكليزية وتوسيع ممتلكات الامبراطورية البريطانية . فقد كانت العامل الاكبر لكل حركة خالصة في سياسة بريطانيا العظمى في الشرق البحر المتوسط . فالمسألة الشرقية التي كانت في العصور الوسطى عبارة عن استرداد الاراضي المقدسة من ايدى المسلمين، اصبحت بعد ان بسطنا يدنا على الهند، تدور حول حماية املاكنا الهندية وان كانت في الظاهر تدور حول امتلاك القسطنطينية وللاجل الهند اجتماع اللورد بكتر فيلد اسهم قتال السومر . ولاجل الهند يسئلنا نفوذنا على مصر . وما النزاع مع روسيا مدى <sup>قوت خيل</sup> ~~الاحتلال~~ <sup>الاحتلال</sup> لابعادها جهد المستطاع عن الحدود الهندية . ولاجل الهند تأسست مستعمرة الكاب . ولاجل الهند امتد نفوذنا في جنوب افريقيا (١) والشرق المودية من اوربا الى الهند اربعة . اولها الطريق الشمالي الذي كان يصل الهند والصين باوربا بواسطة القواس والسهول الروسية . وقد ازدادت اهمية هذا الطريق بعد سكة حديد سيبيريا ووصله بالصين من جهة وبالقوقاس وفارس من جهة اخرى . وثانيهما الطريق الاوسط الذي كان يصل الهند باوربا بحرا بواسطة الخليج

(١) نقلا عن مجيد خدوري (١) اسباب الاحتلال البريطاني للعراق (الموصل ١٩٣٢)

الفارسي هو برا بواسطة العراق حيث يستند من البصرة الى بغداد المتفرع من هناك الى  
فرجين يحاذي احد هما دجلة فاعدا الى الموصل فحلب فالبصرة الايبس المتوسط .  
ويستند للثاني مسابرا الفرات حتي ينتهي بالمواني\* السورية . ويتشعب من الموصل  
طريق ثالث يستند الى الجزيرة ، فالناضول فالاستانة وهو بالعواصم الاوربية حتي  
ينتهي بلندن . وثالثها الطريق الجنوبي ويبدأ من اسيا الجنوبية الشرقية مارا بالمحيط  
الهندي فالبحر الاحمر فالبحر الايبس المتوسط . وقد زادت اهمية هذا الطريق بعد  
فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩ حتى كاد ان يصبح الطريق الرئيسي الى الشرق .  
ورابعا طريق راس الرجاء الصالح والذي اكتشف في اواخر القرن الخامس عشر . وهو  
يبدأ من غربي اوربا ويستند محاذيا اثيوبيا الغربية مارا براس الرجاء الصالح حيث يتشعب  
عدة شعب ، ويوصل بعضها الى جزائر الهند الشرقية واستراليا ، وبعضها الى الهند  
واثيوبيا الشرقية . وقد استعمل هذا الطريق الاخير اهميته التي فقدتها بعد فتح قناة  
السويس خلال الحرب العالمية الثانية .

حققت بريطانيا سيطرتها على الطريق الثالث بان استولت خلال اجيال عديدة ،

على اهم القواعد السوقية (الستراتيجية) فيه . فقد سيطرت على جبل طارق منذ

سنة ١٧٠٤ ، واستولت على مالطة سنة ١٨٠٤ . ~~عليها~~ ~~وهذه القواعد السوقية المهمة~~

وعلى عدن ١٨٢٨ ، وعلى قبرص سنة ١٨٧٨ . ووضعت مصر تحت حمايتها سنة ١٨٨٢ .

على ان هذه القواعد السوقية المهمة لم تكن كافية وحدها لحماية هذا الطريق

دون السيطرة على الخليج الفارسي والعراق الذي يسيطر على قسم الشمال ،

يكونان الطريق الى وسط الهند هذا الطريق الذي يكون في الوقت نفسه جناح الطريقين

الاخرين . وقد ازدادت اهمية هذا الطريق بعد ان اتضحت امكانية الملاحة النهرية

في العراق ، وبعد ان اكتشف وسائل النقل ذات الاحتراق الداخلي كالقطارات والسيارات

والطائرات مما ظهرته في موضعه من هذا الفصل . وعلى هذا فقد تحتم على بريطانيا

ان تعد سلطانها على الخليج الفارسي وعلى المناطق التي تشرق عليه .

ارتبطت قضية السيطرة على الخليج الفارسي بتاريخ الهند منذ ان احتل

البرتغاليون مدينة هرمز ما هم مدن الخليج واعلم المواقف المسيطرة على التجارة فيه ،

عام ١٥٠٧ • وقد هن البولنديون البرتغاليون لتركوا السيادة على المحيط الهندي والخليج  
والفارسي الانكليزية ففي سنة ١٦١٦ بعثت شركة الهند الشرقية السفينة جيمس بمقتضى فرمانات الملكة  
من الشاه عباس في ايلول ١٦١٥ الى جيمس الواقعة قرب مضيق كالزرس وهو ملة ان يوجد  
اسواقا لاقتصاد الصوفية • وضع الشاه عباس هذه الشركة عام ١٦١٩ واحتكار تجارة  
الحرير في الخليج الفارسي • وقد تمت سيطرة التجار الانكليز على التجارة في الخليج  
الفارسي منذ عام ١٧٦٦ بعد ان زال ما كان للبرتغاليين والبولنديين من نفوذ فيه (٣)  
ولكن القراصنة العرب واشد من خارا وبراورة قبيلة القواسم التي كانت تسكن الساحل  
الممتد من راس المسند الى صبه جزيرة القار والذي يعرف الآن بالساحل العمادي (٤)  
كانوا يهددون تجارة شركة الهند الشرقية فتمسكوا بها سفنها التجارية وسلبوها  
بل لقد كانوا يخبرون على مراد انما الحربية التي كانت تدرسها وكان على الشركة  
ان تتخذ شدة هوذا القاصمة وتستعملهم الى جانبها فصاروا في ذلك عليهم حملات  
من يونيو في عام ١٨٠٦ الى ١٨٠٩ و ١٨١١ و فضع روسيا القبايل التي تسكن  
هذا الساحل واضلوا على توقيع معاهدة صلح فامة في كانون الثاني سنة ١٨٢٠  
الغاية منها الحد من القرصنة والقضاء على الاتجار بالعبيد • وقد ابدت هذه  
المعاهدة عام ١٨٥٢ بمعاهدة صلح دائمة تقضي بموجب اداة الوحدة البحرية  
الطامة • واحالة جميع القضايا المختلف عليها الى السلطات البريطانية في الخليج (٥)  
وقد تمكنت حكومة الهند في النصف الاول من القرن التاسع عشر من بسط سيطرتها  
المستورة على عمان ومسقط (٦) والقطر (٧) والبحرين (٨) •

### (٣) انظر ايرلاند ص ٣١

- (٤) كان هذا الساحل يعرف في السابق عند الغربيين باسم ساحل القراصنة وقد  
استمد اسمه الحالي نتيجة لاتفاقية الموقعة بين الانكليزيين وفرنسيين ابوالهي  
ودي • والشارجة والعجم • وام الدور عام ١٨٥٢ • انظر وليامز ص ١١٦ مائبة ٣  
(٥) انظر المصدر السابق ص ٢١٢ - ١٣ • وايرلاند ص ٢٢ - ٢٣ •  
(٦) في تشرين الاول ١٧٩٨ عقدت شركة الهند الشرقية معاهدة مع سيد سلطان  
سلطان مسقط هالت بموجبها حق تاسيس مصنع في بندر بشار (كان السلطان قد  
استاجر هذا الميناء من الحكومة الفارسية) وفي سنة ١٨٠٠ عين اول مقيم بريطاني  
في مسقط وفي سنة ١٨٢٩ عقدت السلطات البريطانية معاهدة تجارية مع عمان وفي  
سنة ١٨٢٢ و ١٨٤٥ عقدت معاهدات لمنع تجارة العبيد وفي سنة ١٨١١ عقدت  
معاهدة صداقة وتجارة ملاحية والنهيت بموجبها معاهدة ١٨٢٩ • وتذكر على انه لا يحق  
للسلطان ان يمنع استيراد او تصدير اية سلعة تجارية • كما تفسر على ان فرض  
يقع

على ان توسع روسيا القيصرية في اسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،  
وسعيها للسيطرة على ايران ، وقد نفوذها على الخليج الفارسي ومحاولة المانيا ،  
في اواخر هذا القرن وبالتفصيل في الامبراطورية العثمانية والسيطرة عليها ، وقد  
نفوذها على الاناضول والعراق ، اثار مخاوف اولي الامر من البريتمانيين ، وحملهم  
على تثبيت سيطرتهم على الخليج ، ودعم مركزهم فيه ، بواسطة حمايتهم السافرة على جميع  
النقاط الشرقية فيه . وقد اسرعت بريطانيا بتسليم مفاوضاتها مع الشيخ مبارك  
في الكويت ، بمعاهدة عقدتها معه في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ ، وتعهد فيها  
الشيخ بالتعهدات التي اطلعها على انفسهم شيخ البحرين والقطر والساحل  
الميلان ، وبهذا أصبحت الكويت محمية رسمية من محميات بريطانيا على الرغم من ان  
ابن المبارك هذا ط ب من الحكومة البريطانية ان تضعه تحت حمايتها مرتين عام  
١٨٩٧ ، و ١٨٩٨ ، فخرت طلبه لانها كانت تعتبره تابعا للدولة العثمانية .  
وقد استمالت الحكومة البريطانية شيخ الصخرة خزعل ، الذي كان تابعا للحكومة الايرانية ،  
والذي كان يسيطر فعليا على القسم الجنوبي من شبه العرب بمناحيته التركية  
والايرانية (٨)

تابع (٦) الرسم على الصادات يجب ان يخضع لموافقة السلطات البريطانية ،  
وفي اذار سنة ١٨٩١ عقدت اتفاقية سرية بين السلطان فيصل وحكومة الهند تنص  
على ان يتعهد السلطان " بان لا يتنازل هو او خلفاؤه من بعده ، او يوجر او يبيع  
او يرهن مسقط وعمان او اية من المقاطعات التابعة لهما ، لاية دولة ما عدا الحكومة  
البريطانية " . انظر وليامس ص ٢١٦ حاشية رقم ١٢

(٧) كان لحكومة الهند حتى عام ١٨٨٢ ، اتفاقية مع كبير شيوخ الفارسيين  
الاتفاقية المحققة مع شيخ الساحل الميلان . وفي تشرين الثاني ١٩١٦ عقدت  
الحكومة البريطانية معاهدة رسمية مع الشيخ عبد الله بن جاسم بن ثاني تعهد  
فيها الشيخ بان لا يدخل بعلاقات مع اية دولة ماو مع وكلاء اية دولة بدون موافقة  
الحكومة البريطانية كما تعهد فيها ايضا بان لا يوجر او يبيع اراضي لاية  
دولة اخرى او لمواطني اية دولة اخرى . انظر المصدر السابق ص ١١١ - ١٢  
(٨) تأسست علاقات مباشرة بين العملة المتحدة والبحرين سنة ١٨٠٥ . وقد تمت  
هذه العلاقات بمعاهدة سنة ١٨٢٠ . وعقدت بين سنتي ١٨٤٢ و ١٨٩٢

يتبع

يقضي لنا من هذا العرور الموزع في اهتمام الحكومة البريطانية بالخليج الفارسي .  
 ويؤكد هذا الامر وضوح هذه النقطة التي انقلها عن لورد كرزن والذي كرس جهوده  
 بصفتها الرسمية والشخصية خلال اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين  
 لتوضيح اهمية الخليج الفارسي والدعوة المبررة بالعمل على مد السيادة البريطانية  
 عليه . قام اللورد كرزن بصفته نائب الملك في الهند بزيارة للخليج الفارسي .  
 والقي في ٢١ تشرين الثاني ١٩٠٢ خطابا على شيوخ القبائل المجتمعين في  
 الخارجة جاء فيه : " ان اميرالوية الهند الى الامام التي اصبحت من واجبات الدفاع  
 عنها ، تقع على ابوابكم تقريبا ٥٠٠٠٠ وعلى هذا فاننا لن نتغلب على هذه الجود المجيدة  
 المنتصرة التي بذلناها باغلي اثمان خلال قرن كامل مولن نحو اكثر سفن التاريخ  
 خلوا من الانانية . وعلينا ان نحافظ على السلم في هذه البحار ، وسنبقى محافظين  
 على استقلالكم على ان يبقى نفوذ الحكومة البريطانية هو السائد فيها " (٨) .  
 يرجع عهد نشوء المصالح البريطانية في العراق الى عام ١٦٤٣ عندما  
 استقرت شركة الهند الشرقية معملا لها في البصرة . واقامت شركة الهند الشرقية  
 هذه وكالة لها في البصرة لتصرف على مصالحها في وادي الرافدين وكان رئيسها  
 يشغل منصب القنصل البريطاني . وكان لهذه القنصلية وكيل حراقي في بغداد  
 حتي السنة التي فيها نابليون مصر ، حيث وضعت الشركة ممثلا لها في بغداد ايضا  
 اعترف به الباب العالي رسميا (١٠) وقد راجت التجارة الانجليزية في العراق منذ  
 ذلك الحين واحتلت انكثرا مقام الصدارة بين الدول الصادرة اليه . يقول الرحالة  
 نيبوهر الذي زار العراق عام ١٧٦٦ / ١ : " لانكيز القسطنطينية الاوفر من التجارة بين  
 الشعوب التركية . فانهم يجلبون جوخا من اوربا وشاسا رقيقا من البنغال مول  
 انواع الاقمشة من سورات ٥٠٠٠٠ . وسكن في بغداد احد مستشاري القنصل مع بعض

---

تابع (٨) عدة اتفاقيات نالت انكثرا ونجحها بعد السيادة على علاقات شيوخ البحرين  
 الخارجية . وفي سنة ١٨٨٠ عقدت اتفاقية نهائية تعهد الشيخ حسين بن علي الخليفة  
 ان يمتنع عن مفاوضة او عقد معاهدات مع اية دولة غير الدولة البريطانية . وقد اعقبت هذه  
 الاتفاقية اتفاقية اخرى في ١٢ اذار ١٩١٢ تعهد فيها الشيخ بان لا يسمي باقامة ممثل  
 اى دولة اجنبية في بلاده وكما تعهد بان لا يتنازل او يرضى او يملك اى جزء من بلاده  
 لاي احد كان هذا الحكومة البريطانية " انظر المصدر السابق ص ٢١٤ .

(٨) انظر اميرلاند ص ٢٩ — ٤٠ ووليامس ص ٢٠٩





وكانت انعامها تتراوح سنويا ، في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، بين ٢٠٠.٠٠٠ و ٢٧٠.٠٠٠ ليرة عثمانية . واما صادرات ايران ، بالمعدة للتصدير الى الخارج ، برا وبحرا ، كالصوف ، والسجاد ، والانيون ، والصمغ ، والفواكه المجففة ، او للاستعمال المحلي في العراق كالخبز ، والسمن ، والفواكه الدورية والمجففة ، فكانت قيمتها تقدر كذلك بين ٢٧٠.٠٠٠ و ٣٠٠.٠٠٠ ليرة عثمانية . وعلى هذا فتكون قيمة تجارة الترانسيت الايرانية ، التي تمر عبر بغداد ، ٥٤٠.٠٠٠ ليرة عثمانية اي ما يقارب ربع مجموع تجارة بغداد التي تقدر ب ٢.٤٧٥.٠٠٠ ليرة عثمانية ، والتي كانت تدر عليها رسوما كمركية تبلغ ١١٥.٠٠٠ ليرة عثمانية (١٤)

ان تقدم الملاحة النهرية في النصف الاول من القرن التاسع عشر اهمية جديدة الى العراق في نظر الحكومة البريطانية ، والمسؤولين عن ادارة التجارة والسياسة في الهند ، الذين كانوا يسعون لتيسير المواصلات بين انكلترا والهند . وعلى هذا وجهت الملاحظات الانكليزية اهتمامها لاكتشاف امكانية النقل النهري في العراق ، في اوائل القرن التاسع عشر ، موفقة تحقيق عدة امور من وراء ذلك منها : تيسير النقل بين الهند وانكلترا وتوسيع التجارة البريطانية في العراق ، وتقدم روسيا القيصرية الى الشرق الادنى . وبرز الشخصيات التي اشتغلت بمشروع تاسيس المواصلات ماخ الهند بواسطة خط للسفن ، وسيير منتظما في الفرات ، ويقوم بنقل البريد والمسافرين والسلع التجارية ، وهو الكابتن فولسيسرودن چزني . ففي سنة ١٨٢٠ ارسلت الحكومة البريطانية چزني ليقوم بمسح الفرات . وفي سنة ١٨٢٥ مسح لبعثة چزني بالعمل . وفي نيسان ١٨٢٦ انزل چزني الى الفرات ، قرب مسكة ، دجلة . و الفرات . وهما باخرتان صنعتا خصيصا لهذا المشروع . وبعد سهر قضى اعصار شديد على دجلة اما الفرات فوصلت الى البصرة سالمة . على ان استقرار الحالة في الشرق الاوسط والادنى نسيبا ، بتاثير شروط " بروتوكول لندن " ١٨٤١ ، والذي اوقفت بموجبه المطامع الروسية والفرنسية والعصرية مؤقتا ، مادت بالحكومة البريطانية الى اكمال طريق ما بين الدهرين ، والالتفات الى الطريق الذي يمر من مصر . (١٢) ولم تتوقف اعمال المسح النهري باعمال مشروع چزني . ففي سنة ١٨٢٩ انزلت في البصرة اربع بواخر مسلحة اخذت تدور في المياه العراقية مدة سنة دون ان تلقى عائقا ، بالرغم من ان القرقان بالترخيص لها لا بالتنقل في المياه العراقية لم يصل الا في عام ١٨٤١ . وقد عادت ثلاث من هذه البواخر الى الهند ، وبقيت الرابعة راسية بالقرب من المقيمة البريطانية في بغداد . وقد تقدمت لعمال المسح ، خلال هذه الفترة من الزمن ، حتى حضرت ادق الخرائط التي ظلت تستعمل حتى سنة ١٩١٤ (١٨) . على ان اهتمام بريطانيا العظمى في المواصلات مع الهند لم يكن خلوا من النتائج القيمة لان الحملات التي جردت منذ سنة ١٨٢٤ مضاعفا مع وجود البواخر المسلحة في دجلة قد مهدت الطريق لتاسيس خط تجاري بريطاني في دجلة (١٩) وتوسيع شان التجارة هناك بوجه عام . ذلك التوسع الذي تقدم بمراحل من الايام التي كانت فيها

(١٢) انظر ايرلاند ٤٤ - ٤٥ وندوري ٦٦ - ٦٧ ، ولونريك ٤٩٤ - ٤٩٥

(١٨) لونريك ٤٩٤

(١٩) ترك خط الفرات ، باعتباره طريقا لبريد الهند عندما ظهر بان النهر غير صالح

البصرة مركزا لتقسيم من تجارة الخليج، والذي ساعد بهتقدار غير قليل في حثاف المركز  
الممتاز الذي كانت تمتع به بربرمانيا العالفي في بلاد العراق (٢٠) وفي سنة ١٨٦١  
قال هنري لينغ فوماننا ينوله تسيير باخرة في المياه العراقية . وقد امتست هذه  
الاسرة منذ ذل الحين " شركة الملاحة التجارية في دجلة والفرات (٢١) . وقد  
تمتعت هذه ال شركة باحتكار حقيقي لمصلحة النقل النهاري الى ان اسرمدحت  
باشا مصلحة الملاحة التركية . على ان هذه الشركة لم تتطاع منلخصة شركة  
اللينغ . وكانت شركتلينغ تدير مباعنة مالية من الحكومة هذا بواخر في نمر كارون  
منذ ان افتتح شاه ايران سنة ١٨٨٨ هذا الخط . يات الى كون القسم الاصم من  
النقلات النهرية كان بيد شركتلينغ فان معظم الواردة الى العراق او المصدرة منه  
كانت تنقل بواسطة بواخر بربرمانية — هندية (٢٢) .

شعرت الحكومة البربرمانية اثنا " الحيمان الهندن " بالساجة العامة الى اقامة  
مواصلات تلغرافية بين انكلترا والهند . فقد كان ارسال رسالة بين هذين القارين  
وتلقي الجواب عنيا مستغرق ثلاثة اشهر في ذل الحين . وقد قامت الحكومة  
الانكليزية سنة ١٨٥٩ بماول محاولة لوسل الهند بانكلترا تلغرافيا بمعد الحبل السلبي  
(النايلو) في البحر الاسمر موصلة بالحبل السلبي الذي يمتل بين الاسكندرية ومرسيليا .  
والحايد لاحدى الشرقات الاحلية . ولكن هذا الخط فشل شلا تاما ولما يدي  
على استندامه ثلاثة اسابيع فوجئت انكلترا اتمامها لربك الهند بانكلترا في المرمي  
الخليج الفارسي وايران والعراق . وقد اتفقت الحكومتان التركية والبربرمانية سنة ١٨٥٢  
على قيام المهندسين البربرمانيين بمعد خايل الـ العراق بالخليج الفارسي على ان يكون  
المشروع تركيا صرنا . وفي صيف ١٨٦١ تم الاتصال عن المرمي البربرميين الاستانة وبغداد

---

تابع (١١) المدة موبعد ان اساب دجلة من كارثة موبعد وفي حواد ماخرى . وابتحت  
اعمال الحكومة البربرمانية بمعد سنة ١٨٤٢ منحصرة في امور المس . فقد .  
(٢٠) لـ ايرلاندر ٤٧ — ٤٨ من اديس ور ٢٢ — ٤٩ من الترجمة العربية .  
(٢١) لا تزال هذه الشركة قائمة الى الان وهي تسيير على معظم حركة النقل في دجلة  
بين بغداد والبصرة . وقد وسحت شركة لينغ نطاق اعمالها فاخذت مؤسساتها التجارية  
في بغداد قائمة الى اليوم باسم (ميسر Mesmer) اندرغدو، سر ٦٨  
(٢٢) انظر ايرلاندر ٤٨ .

وبدي\* العمل في اواخر سنة ١٨٦٣ في ربط بغداد بالخليج ، وبدي\* في الوقت نفسه بعد خط بغداد خانقين . وفي عام ١٨٦٤ اصبحت خطوط التلغراف العراقية متصلة بـ خطوط تركية وايران ( في خانقين ) وبالخليج الفارسي في الفاو . وكان يشرف على خطوط التلغراف في الفاو موظفون انكليز واترات . ( ٢٣ )

وقد ادى ازدياد النفوذ الروسي في تركيا وايران وتعاضل خطرهم المزعوم على سلامة الهند ، الى اهتمام بريطانيا بعد شبكة من خطوط السكك الحديدية في العراق . ففي سنة ١٨٤٣ عرض الكسندر كامبل مشروع سكة حديد ( انكلترا - الهند ) يمتد على طريق وادي الفرات وهو مشروع عرر من بعد ذلك على شركة الهند الشرقية . وقد دُرر تصميم هذا الخط هو رسمت له الخرائط . وفي سنة ١٨٤٩ عرض جون رايت مشروعاً اخر لانشاء طريق مثل هذه الى الهند ~~خلال سنين عديدة جماعة من العلماء والمعلمين~~ <sup>خلال سنين عديدة جماعة من العلماء والمعلمين</sup> . وبعد ثلاث سنوات جمع و . ب . آندور الداعي لانشاء طريق مثل هذه الى الهند ، خلال سنين عديدة جماعة من العلماء والمعلمين ، لينج وجزني ومكيل وغيرهم ، وكونوا شركة ~~شركة~~ لانشاء سكة حديد من البحر الابيض المتوسط الى الخليج . وكانوا يرون ان تمر سكة الحديد هذه بسلوقية وانطاكية وحلب ومقلعة جعبر ، وهبت وبغداد ، ومن هنالك الى الفرنج والبصرة . وقد رضيت هذه الجماعة ان تمتد اولا خط سلوقية - حلب فقط ( اوله ثمانون ميلاً ) ومن هنالك يتصل الخط بطريق البواخر الحاملة في نهر الفرات . وكانوا يدللون على اهمية هذا الخط وسرورته بحجج عديدة منها النوف من تسرب النفوذ الروسي الى الشرق\* والثروة العظيمة الكامنة في العراق واستفادة تركيا والهند منه والتوسع المنتظر في التجارة مع الشرق الاقصى . وسهولة انجاز المشروع من الوجهة الهندسية . وتوفر المواد الانشائية في سوريا . وقد حظي المشروع بتأييد الحكومة البريطانية ، لاسباب سياسية ( ٢٤ ) فقد وعد بالمرستون بتأييد الحكومة له ، كما ايد المستر سترانفرو وانينج هذا بالامانة الى ان الحكومة التركية كانت على استعداد لقبوله . غير ان اللورد بالمرستون تراجع فجأة وسحب مؤازرة الحكومة للمشروع في ١٤ اب ١٨٥٧ فانهار من اساسه .

---

( ٢٣ ) كرزنج ٢ ص ٦٠٨ و ص ٢٢٦ . وانظر كذلك لوكريت ص ٤٩٦ - ٩٧

( ٢٤ ) « وكان من جملة الحجج السياسية التي بسلت لتأييد سكة الحديد هذه امكانية ايقاف النفوذ الفرنسي الذي اخذ يتعالى من جديد في سوريا ومصر ، وتحويل الانتظار عن مشروع قناة السويس . وسبق الخط الروسي في الخليج الفارسي الى هولاند ص ٤٦ حاشية »

كانت بريطانيا الداعم التي فرضت لسياسة من مصالحها في العراق الحديثة على تعزيز مركزها وتنمية امتيازاتها ورفعة نفوذها ويرجع كثير من نفوذ بريطانيا في العراق الى مؤسساتها السياسية في البلاد . فقد كانت مقيمة ببغداد والتي جعلت محل مقيمة البصرة في سنة ١٨١٠ ، ذات نفوذ واسع في الاموال التركية الحاكمة في العراق نتيجة للمساعدات التي كانت تقدمها بريطانيا للاحكام الثوار ومعكزي نفوذاً من الحرب والاييرانيين .<sup>٢٠</sup> فقد طلبت بريطانيا ببغداد في سنة ١٧٦٢ سفن من يوهي للمساعدة مد بني كعب الذين كانوا يهاجمون السفن والبلدان حول البصرة . فارسلت اليه سنة ١٧٦٦ ستة سفن من يوهي . وبعد ذلك وفي سنة ١٧٧٤ ، عندما جهزت السفن الى البصرة طلبت من البريطانيين ان يستخدموها بحسب ما يرونه مناسباً للمصالحة التركية . وفي سنة ١٧٧٨ ساعد البريطانيون القوات في استرجاع البصرة من الايرانيين . وفي سنة ١٧٩٨ دعي مقيم بوندر ليمون الحقوق والادعاءات بين سلاطين عمان وبابا ببغداد . وعندما تولى اشراف تراث فيما بين ١٨٢٥ و ١٨٢٩ بان يتقدم جيش محمد علي باشا المصري من راس الخليج فيهاجم ببغداد ، ذكر بان الحكومة التركية طلبت تدخل الحكومة البريطانية<sup>(٢١)</sup> . وكان مقيمة ببغداد ، التي انت تحرسها قوة من الجنود الهندوز ووزون مسلح ، ذات أهمية وسدائل فعلى الامر لدى القبائل العربية . «على ان الوسائل التي استمرت بريطانيا على اقامة نفوذها وتعزيز مكانتها بواسطتها بنيت متمثلة في حماية التجار الهنود والموجودين في البصرة وبغداد ورعاية زوار العتبات المقدسة الاربع الموجودة في العراق من المسلمين الهنود وفي اتمامها بالاحوال الصحية في البصرة والعتبات المقدسة وتوزيع واردات اوقاف اوده (٢٦) وادارة دوائر البريد الهندية المؤسسة في ببغداد والبصرة منذ

(٢٥) ايرلاند ٤٤ حاشية ٣ من الاصل و ٢٠ حاشية ٣ من الترجمة العربية  
 (٢٦) تقول من جيرترود لوتيان بيل في كتابها "Review of the Civil Administration of the British Empire in India, 1857" الذي نقله الى العربية الاستاذ جعفر خيال بعنوان "فصول من تاريخ العراق القديم" (بيروت ١٩٤٩) ص ٢٨ (لقد بدأت علاقاتنا بمجتمدي كربلاء والتجف قبل الحرب بعدة لحولة . حيث ان الحكومة الهندية في ١٨٤٩ كانت لها علاقة بساتين المدينتين فيما يخص بوقف اوده . ان فازی الدين حيدر ملك اوده ماوقت مبلغ قدره ١٢١٠٠٠ روية في السنة لتصرف مبالغ الى مستحقين في المدينتين المقدستين فوجدت حكومة الهند التي ورثت مسؤوليات شركة الهند الشرقية نفسها في موقف الناصر على هذا الوقت .

سنة ١٨٦٨ ومشاريع الرى التي وضعتها السير وليام ويلكوكس في سنة ١٩١١ وقامت  
بإنشائها شركاء بريطانية • وفوق كل ما تقدم فقد طُل تشجيع التجارة والملاحة النهرية  
وحمايتها الأسلوب الذي كانت بريطانيا تتبعه لإدامة نفوذها وتوسيع • مودع مركزها  
في البلاد • (٢٧)

ان موقع العراق السوقي الممتاز الذي يسيلر على الخليج الفارسي •  
وهذا النفوذ البريطاني القوي فيه وهذه الميمنة البريطانية التي كالات ان تكون تامة  
على تجارتها جعل السياسة البريطانية يستبرونه امتدادا جغرافيا وسياسيا وتجاريا  
للخليج الفارسي • فقد قال كرزون في عام ١٨٩٢ بعد ان ذكر أهمية بغداد  
التجارية واحصى تجارتها مع ايران التي ذكرت عندا شيئا فيما تقدم • (والخلاصة  
ان بغداد تقع في ضمن موافق "الخليج" • ويجب ان تدخل في ضمن السيادة البريطانية  
التي لا نزاع فيها) • (٢٨) وقد أكد كرزون رايه هذا بوضوح في البيان الذي القاه  
في مجلس اللوردات عام ١٩١١ والذي يقول فيه • "من الخلل ان نقرر بان مصالحنا  
السياسية تنحصر في نطاق الخليج الفارسي وحده • ان مصالحنا هذه لا تنحصر  
في نطاق الخليج • كما اننا ليست منحصرة في المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد • وانما  
تمتد شمالا الى بغداد نفسها • (٢٩) وقد بلغ من شدة تمسك الحكومة البريطانية  
بامتيازاتها في العراق واعتبار القسم الجنوبي من العراق على الأقل، منطقة نفوذ لها  
انما كانت تعتبر اي اجراء دفاعي تقوم به الحكومة التركية في تلك المنطقة عملا عدوانيا  
فقد احتجت الحكومة البريطانية واحتجاجات متوالية على قيام الحكومة التركية باشاء قلعة  
محسنة في الفاو عام ١٨٨٦ واعتبر كرزون هذا العمل "خللا جسيما • لا يمكن التسامح  
تجاهه على مصالح التجارة البريطانية وسفن النقل البريطانية والتي تعمل في الانهار  
العراقية" • (٣٠)

تابع (٢١) وكان توزيع هذا المبلغ في كل سنة منبعا لعدة مشاكل لكنه انتظم في ١٩١٠  
بموجب ترتيبات خاصة اجريت فاصبح التوزيع يجري بواسطة لجننتين غيريتين واحدة  
في كل مدينة متتالفة كل منها من مجتهدين واثنا عشر مجتهدين اخرين بعد ان يحول المقيم  
البريطاني في بغداد المبلغ • (٣٠)

(٢٧) إيرلاند ص ٤٢ من الاصل ور ٢٢ من الترجمة العربية •

(٢٨) كرزون ج ٢ ص ٥٢٨

(٢٩) إيرلاند ص ٤٩ من الاصل ور ٢٤-٢٥ من الترجمة العربية

(٣٠) كرزون ج ٢ ص ٣٣٥ •

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت برملانيا تواجه الخطر الروسي الذي يحاول الامتداد على الخليج الفارسي وفي مطلع القرن العشرين كان عايضا ان تواجه، بصورة اند، الخطر الألماني. وقد تجلى الخطر الألماني على الخليج الفارسي وأحرار في سنة ١٨٩٠ - بيزنطية - بغداد. وقد رعت برملانيا بهذا المشروع عندما واتى عليه السلطان عبد الحميد، سنة ١٨٩١. واعتبرته وسيلة لايقاب الخلع فرنسا روسيا في هذه المناقش مما كانت برملانيا لتخشي ألمانيا بالدولة الناشئة في التجارة والمبتدئة في الاستعمار. ولكن عندما اشتد حول ألمانيا التجار، وعندما نما السوق التجارية والحربي نموا عظيما وعندما أخذت برملانيا تراحم المصالح الإنكليزية في الأسواق التي كانت انكثرتا تحتكر التجارة فيها، فاستجبت برملانيا بالخطر العدايم. وراحت تتجه لتوسع ألمانيا في العراق بواسطة المساعدة في إنشاء سكة الحديد هذه. ولما انزل القرار ونشر الوارة البرلمانية على استعمار العراق بالخطوط المستراثر بقرار في ٢٠ نيسان ١٩٠٣ بموجب موافقة الحكومة البرلمانية على استثمار رؤوس الأموال البرلمانية في المشروع عند دعوة الدوليين الألمان بشرط ان يكون هذا الاشتراك على أساس المطاوعة مع أية دولة أخرى لم يرض البرلمان بمواجهته الحاجة واحتجت عليه شراء النقل المقصلة بالتجارة الهندية مؤشكة المصلحة التجارية الدائمة في دجلة والفرات وأصحاب سكة الحديد البرلمانية في آسيا الصغرى. هذه المصارف القوية انشرت المستر بلنور على ان يتراجع عن اقتراحه فوجعلن في مجلس العموم في ٢٢ نيسان ١٩٠٣ بار الحكومة البرلمانية لن تؤيد الاشتراك المالي في المشروع. (٢١). وبعد ان فشلت برملانيا في اتمام التوسع الألماني في العراق، ومن لربن المساعدة العالية بالمشروع الألماني انضمت وجهة التكتلات الدولية والمفاوضات الدبلوماسية فاستجبت المصالح الدولية مع فرنسا عام ١٩٠٤ وعقدت اتفاقا مع روسيا في ١٩٠٧. قسمت بموجب ابرار مونس دون علم اودوانتدا. فالى من اجل نفوذ بين الدولتين. ونسبت تقار المصالح التركية والألمانية بحضور سكة حديد بغداد. ابتداءات المفاوضات مع باسنة ١٩٠٩ ولكن الدارنير لم يتروا الى اقرار الا في سنة ١٩١١. وقد منعت برملانيا با ثقات الممنوعة في ٢٩ تموز ١٩١٢ اعتراض بمركزها الخارج في الخليج الفارسي.

وبدوية المعاهدات التي عقدتها مع الكويت والبحرين هوان تكون البصرة نهاية سكة حديد بغداد وعدم جواز تعديد الخط فيها وراء ذلك بالا بموافقة الحكومة البريطانية وافق على تعيين اثنين من الرعايا البريطانيين في مجلس ادارة سكة الحديد وعلى ان تعامل جميع الامم معاملة واحدة هوان يقتضى منها رسوم واجور واحدة • وقد عقد امرا الى ميناء البصرة وتحسينه للاهتمام بمستقبله بصورة جزئية هالى ايد برلمانية • وحصلت الحكومة البريطانية حقوقا مملوكة في العانة لشركة ملاحية تأسست في تلك الاونة من قبل المورد انجيكب وشركة لينغ التي انت موجودة سابقا والتي وسعت امتيازاتها • واعترف برلمانا بعض برلمانيا العلمى في حراسة خط العرب والخليج الفارسي هوان اثبتها ووضع العوامات فيها لارساء السفن • (٢٢)

واخذت الحكومة البريطانية تقاور الحكومة الالمانية • وقد توصل الفريقان في ١٥ حزيران ١٩١٤ الى اتفاق وقعه المتفاوضون البريطانيون والالمان بالحروف الاولى من اسمائهم • وقد ترك المانيا بموجب هذه الاتفاقية جميع الممتلكات في انشاء ميناء باغدا على الخليج الفارسي هالى انباء حلت زوال الحراقيل التي كانت تقف في طريق انشاء سكة حديد بغداد والاعتراض بمنافى نفوذها العامة في الاناضول وفي شمالي سوريا و هالى الحران وفي مقابل الاعتراض بمخاللة بسيادة برلمانيا العلمى في جنوب الحران والخليج الفارسي • واخذت هذه الاتفاقية امتيازات التي نالتها برلمانيا من الحكومة التركية بموجب اتفاقتها معها في سنة ١٩١٣ الذي تقدم البحث عنه • وكثيرا ما ساء للمفاوضات المزيج اجراوها حول انتقال حقول النفط التركية الى الشركة التي تصير عليها برلمانيا اجبرت الحكومة الالمانية في اذار ١٩١٤ على الاعتراف بكون بلاد ما بين النهرين الجنوبية واواسط ايران وجنوب العراق الذي تتمتع فيه شركة النفط الانكليزية الفارسية بالحق المطلق في القيام بعملياتها وواجبرت الحكومة الالمانية بالاضافة على ما تقدم على الاتفاق حول مد خط حديدى من واد الامارة الى مندلي من اجل تسهيل نقل البترول • (٢٣)

(٢٢) انظر ايرلاند ص ٥٦

(٢٣) انظر المصدر السابق ص ٥٨ — ٥٩



ان مصالح بريطانيا في العراق واحتمالها المتزايد به يمكن اجمالها على ضوء ما تقدم من البحث وهي موضحة المبني المصمم المصروف على راء الخلق الفارسي بالذي ان يستعير بالذات هو في كونه جزءا من احد طرق الهند المصممة بوسوقا للبائع المصروف الى دول الانكليزية ومصدرا يجرى بها بالوارد الخام وهو مملكة تسمى بها البائع الانكليزية الى ايران وتركيا وارضا بكرها ومحميا لغنا المعادن الثمينة وماخذها بالمشترى حسب المصالح الدولية ومساعدة الحرب وقد جندت بريطانيا العظمى في شدة نفوذها في العراق خلال ثلاثة قرون للمحافظة على مصالحها

هذه هي اولى مخططة الحرب العالمية الاولى وان تسمى على الدواعي الجنوبية مودة تامة وقد تم في حمايتها بالدارن السلمية كما ادخلت محميات العربيات في الخليج الفارسي • ولدى السلوكات الدولية تالوت تالوا مفاجئا ظم ١٩١٤ هاجمت الحرب بين بريطانيا وانياتنا وبين دول الوسط امرا وفي الوقوع • وقد تيفن بريطانيا العظمى في ابريل ١٩١٤ بيان تركيا ستقدم الى دول الوسط في حالة قيام الحرب • وصفت هذا ان ما الى بريطانيا في الخليج الفارسي وفي العراق اميجة ممددة بالخيار من قبل الحكومة التركية وشريكها الدولة العسكرية الكبرى لمانيا • يقول الجنرال باروانه في حالة ان الحرب ستقول المصالح البريطانية في بغداد والبصرة من الوجود وسيتدد راز الحفينا • يعني المعبر والكوت وقد يصاحبان اوينديان هو في تلك الحالة يمتدد جميع نفوذنا واتساعنا التي بدلت على مر السنين في الـ وا • وكما ان مكانتنا في الخليج نفسها ستصبح متقلقة (٢٤) •

وعلى هذا فقد اعدت الحكومة التركية حملة عسكرية لاحتلال القسم الجنوبي من العراق • وكانت الحجة الطامحة التي قد رعت بها بريطانيا لاحتلال العراق في حماية شركة النفط الانكليزية الفارسية في المنطقة ومساعدة الحكومة التركية لشؤون المعمر والكوت ومساعدة الحكومة التركية على الرعايا البريطانيين في البصرة ولندن الدواعي الحقيقية لاحتلال العراق هي المحافظة على المصالح البريطانية في العراق والخليج الفارسي وانتهاز فرصة الحرب لقلب امتيازاتها في بلاد العراق الى حقول دائمة يثبتها الفتح العربي • في اليوم السادس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤ احتلت القوات البريطانية القار • وفي اليوم الثاني والعشرين من هذا الشهر احتلت البصرة • وفي ١١ اذار ١٩١٧ احتلت بغداد • ونгда انست هدنة مدد يوزك في ٢٠ تشرين اول ١٨ / الحرب بين بريطانيا تركيا • القوات البريطانية على بعد اربعة عشر ميلا الى الجنوب من الموصل ولكنها لم تقف بنسور البصرة ولم توقف القتال بل تابعت تقدمها فدخلت الموصل واكملت احتلال القسم الشمالي من العراق باجمعه

دايون

وقد انفتحت بريطانيا على احتلال العراق مائتي/ليرة استرلينية ، وتكبدت ثقاتها الحاربة حوالي مائة الف اصابة . (٣٥)

وبعد ان احتلت بريطانيا العراق ، وسيطرت سيطرة فعلية على مقدراته ، عملت على تدعيم مصالحها ، التي تكلمت عنها فيما تقدم ، وانشأت لها مصالح جديدة لم تكن لها من قبل . ويمكننا اجمال المصالح البريطانية في العراق ، منذ ان تم لها احتلاله حتى الوقت الحاضر ، بالنقاط التالية :

اولا النفط ، وقد تكلم عن هذا الموضوع بما فيه الكفاية في الفصل الرابع من القسم الثاني .

ثانيا : المصالح التجارية . عملت بريطانيا على تنمية تجارتها مع العراق ، بحيث اصبحت الاولى بين الدول الصادرة اليه والمستوردة منه ، كما قامت الشركات الانكليزية وبخاصة شركة اندرو واير ، باحتكار تجارة اهم صادرات العراق وهي الثور ، والسيطرة على تجارة الحبوب . يضاف الى هذا ان معظم صادرات العراق تنقل بواسطة شركات النقل البحرية الانكليزية ، كما تسيطر شركتان انكليزيتان على حركة النقل النهري في دجلة . وقد احكمت المصارف البريطانية السيطرة التامة على مالية البلاد ، وعلى الرغم من انشاء مصرف الرافدين ، والمصرف الوطني ، ومصارف المصارف الاهلية الاخرى ، فما زالت سيطرة هذه المصارف البريطانية على الناحية المالية في البلاد قوية . وقد استغلت بريطانيا مركزها ، كحقتلة للعراق ، ومقعدة عليه ، ومخالفة معه ، في تمكين سيطرتها الاقتصادية فيه . فكانت الحكومة العراقية ، في عهد الانتداب والاستقلال مضطرة على شراء لوازمها من المملكة المتحدة ، وعلى الاخر اللوازم العسكرية ، على الرغم من مبدأ الباب المفتوح الذي نصت عليه لائحة الانتداب ، واعترفت به معاهدة الانتداب الاولى . والتجار العراقيون مجبرون ، في اكثر الاحيان ، على استيراد سلحهم من المملكة المتحدة بحكم نفوذ الحكومة البريطانية المباشر وغير المباشر في دوائر الحكومة العراقية ، المسيطرة على حركة الاستيراد والتصدير . وما يقوى هذه السيطرة البريطانية على تجارة العراق ، ارتباط العملة العراقية بالكتلة الاسترلينية ، والقيود التي تفرضها الحكومة البريطانية ، منذ الحرب العالمية الثانية ، على التصرف بالعملة النادرة ، بواسطة سيطرتها على حصة العراق من هذه العملات ، وتحكمها في عملية التحويل الخارجي . (٣٦)

(٣٥) انظر ايرو لاند ص ٦٠

(٣٦) انظر الفصل الخامس من القسم الثاني (اعلاه)

ثالثا : موقع العراق السوقي . وصفت في مفتتح هذا الفصل أهمية موقع العراق السوقي بحكم كونه جزءا مهما من الطريق الموصل الى الهند وإلى المستعمرات البريطانية في الشرقين الاوسط والاقصى ، والنقطة المسيطرة على رأس الخليج الفارسي . وقد ازداد موقع العراق السوقي هذا خطورة ، منذ الحرب العالمية الاولى ، لعوامل عديدة أهمها تقدم فن الطيران ، وتيسر استخدامه في نقل المسافرين ، والبضائع ، والجنود والعقاد الحربي . وقد اهتمت الحكومة البريطانية بإنشاء قواعد جوية هامة في العراق وحرسها على المحافظة عليها ، بعد تخليها عن انتدابها على العراق ، وقد ثبتت امتيازها هذا في المعاهدة العراقية الانكليزية الرابعة (١٩٣٠) والتي لا زالت نافذة المفعول ، كما انها اصررت على الاحتفاظ بهذا الامتياز في معاهدة بورتموث (١٩٤٨) التي رفضها الشعب العراقي . وقد اضاف تقدم النقل بواسطة السيارات عبر الصحراء في أهمية العراق السوقية . فأنشئ طريق معبد يصل بغداد بساحل المتوسط مارا بدمشق . وأنشأت الحكومة البريطانية طريقا اخر يصل بغداد بالمتوسط مارا بشرق الاردن وفلسطين ليكون تحت سيطرتها التامة . كما مد خط تليفوني يصل فلسطين بالعراق عبر هذا الطريق . وقد بلغ هذا الطريق بالزنت خلال الحرب العالمية الثانية ، ومد الى طهران ، وخدم الحلفاء اجل خدمة حتى لقد اطلقوا عليه "جسر النصر" . وقد اتصلت السكة الحديد العراقية بالسكة الحديد السورية والتركية التي تتصل بدورها بالخطوط الحديدية الاربية . وما يزيد في أهمية هذا الطريق وبالتالي في أهمية العراق ، في نظر الحكومة البريطانية ، مطالبة الشعب المصري بتأييم قناة السويس ، وجلاء القوات البريطانية منها . فاذا ما جلت قواها من هذه القناة ضعفت سيطرتها على طريق البحر الاحمر وهذا ما يتمدد مصالحها في الشرق . اخف الى كل ما تقدم ان السيطرة البريطانية على العراق مهمة غاية الاهمية للمحافظة على مصالحها البترولية في جنوبي ايران ، وتيسير نقل منتجات النفط منها . واليوم وقد انقسم العالم الى معسكرين مختلفين في السياسة ، والمقائد ، والاهداف ، وقد اصبحت خطر نشوب حرب عالمية حقيقة واقعة ، واصبح السلم العالمي محققا بخيط من حرير ، يزداد اهتمام بريطانيا بالعراق ، بموارد النفطية والزراعية وموتعة السوقي ، وتسعى جاهدة لتجعل منه حلقة متينة في هذا الطوق الذي تريد ضربه حول الاتحاد السوفيتي .

## الفصل الثاني

### تطور العلاقات العراقية — البريطانية

ان الغاية التي استمد منها من كتابة هذا القسم اسياسي هي وصف الجهاز الاداري الذي يدير امور البلاد ، والانظمة التي تعين اتجاه هذا الجهاز الاداري ، حتى نعرف مقدار مسؤوليته في هذا التأخر الذي تعانيه البلاد ، ومدى امكانياته ، بوجه الحاضر ، على تحقيق الاصلاحات الضرورية . وقد تكلمت في الفصل الاول ، من القسم الثالث ، عن مصالح بريطانيا في العراق حتى ندر على ضوئها تطور علاقات بريطانيا بالعراق ، ومدى تأثير هذه العلاقات بمصالح بريطانيا الاساسية ، وتأثيرها فيها . وسادس في هذا الفصل علاقات بريطانيا بالعراق لان دراسة هذه العلاقات ضرورية لفهم تطور الجهاز الاداري في العراق ، ونشوء الانظمة والقوانين التي تتحكم في سير هذه الادارة . فقد كان كل تغيير رسمي في علاقات الدولتين يستتبع كما يقول "التقرير الخامس" الذي رفعته بريطانيا الى عصبة الامم من الخطا العراق سنة ١٩٣١ (١) ، بعد التعديل والتحويل في جهاز الادارة ، بما في ذلك زيادة مسؤولية العراقيين في ادارة البلاد كما كان قيام الوزراء والموظفين العراقيين باعباء مسؤولياتهم المتزايدة على الوجه المطلوب يستوجب تعديل العلاقات الخارجية بين الدولتين .

اكتلت الحكومة البريطانية احتلال العراق عام ١٩١٨ . واقامت خلال احتلالها للعراق ادارة مؤقتة على غرار الادارة في الهند . وكان الشعب العراقي ، خلال الحرب ، ينتظر ببعد انتهاء الحرب ليحقق حلمه في الاستقلال ، والسيادة الوطنية التي وعد بها البريطانيون . على ان سياسة بريطانيا ، منذ انتهاء الحرب لم تتورع العراقيين . فقد كان فهم من الشبان المثقفين ، والساسة العراقيين ، يعملون لاستقلال العراق ، وتحرره من السيطرة العثمانية ، منذ اوائل القرن العشرين . وقد زادت تصريحات الحلفاء زمن الحرب ، وعودهم للعرب ، من بقعة العراقيين السياسية ، واشعلت آمالهم في قرب يوم التحرر المطلق ، وبناء الحكومة العراقية المستقلة . فقد اذاع الجنرال هود ، فاتح بغداد ، بيانا في ١٩ آذار ١٩١٧ ، اعلن فيه ان الجيوش الانكليزية جاءت الى العراق محرة لا فاتحة (٢) . واعلن التصريح الانكليزي — الفرنسي ، الصادر في لندن وباريس ونيويورك والقاهرة بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ ، ثم في بغداد في ١٥ منه ، وعوامهم وعد تقدم به الحلفاء الى الشعوب العربية

منذ انتهاء الحرب ، ما يلي : أن الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في خور غطار الحرب في الشرق من جراء اطماع ألمانيا ، هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك ، تحريرها قاناً نهائياً ، وتأسيس حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطاتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحرر اختيارهم . ولتنفيذ هذه الغايات قد اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وإدارات وطنية في كل من سورية والعراق . . . . . (٣) وجاء في النقطة الثانية عشرة من تصريح الرئيس ويلسون المشهور في ٨ كانون الثاني ١٩١٨ : أن الانقسام التركية من الامبراطورية العثمانية الحالية يجب ان تضمن لها سيادتها لكن لا ايام الاخرى التي تخضع الان للحكم التركي يجب ان تضمن لها حياة آمنة لا تنوبها سائبة . وفرنسا لا ترضى قطعياً للحكم الذاتي . . . . . (٤)

وقد تولى قيام دولة عربية في سوريا اسان العراقيين في التحرر ، ونشطهم في المطالبة بالاستقلال وكانت حكومة سوريا العربية على اتصال بالحركة الوطنية في العراق تشجيعها ، وتغذيتها بالمال بوتشتر في توجيهها . (٥) وكان قسم كبير من الشيوخ والاقطاعيين قد برموا بالخرائب الثقيلة التي فرضتها عليهم السلطات البريطانية ، وكرهوا الطريقة التي كانت تتبعها في جمع الضرائب منهم . وكان فريق من الاقطاعيين ومن ابناء العشائر ، حائزين على البريطانيين الذين مكثوا لفترة من الشيوخ المقربين ، فسلطوهم عليهم ، ومنحوهم السلطات الواسعة ، واغروهم من الضرائب ، ووسعوا في اراضيهم . (٦) يضاف الى كل ما تقدم ان تعنت ت. في . ويلسون ، نائب الحاكم المدني العام بمواقفه نظاما دكتاتوريا في العراق ، وسعيه لتحويل العراق الى مستعمرة بريطانية بحقة ، خلافا لوعود الحلفاء ، دفع العراقيين الى توحيد صفوفهم وحشد قواهم ، لاخذ حقوقهم بالقوة . (٧)

(١) تقرير خاص ص ١١

(٢) انظر ندر البيان الانكليزي في ابريل ١٩١٨ ملحق ١ ص ٤٥٢ — ٥٨ وانظر الترجمة العربية في عبد الرزاق الحسيني ، تاريخ الثورة العراقية\* ( ١٩٢٥ ) ، ص ١٢ — ١٨

(٣) انظر ندر التصريح الانكليزي في ابريل ١٩١٨ ملحق ٤ ص ٤٥٩ — ٦٠ وانظر الترجمة العربية في الحسيني ، تاريخ الثورة العراقية\* ص ٢١

(٤) انظر ابريل ١٩١٨ ص ٤٥٩ من الاصل وص ٣٦٢ من الترجمة العربية .

وقد لعب رجال الدين ، وخاصة في النجف وكربلاء والكاظمية ، دورا فعالا في الحث على التخلص من المستعمرين الاجانب ، والدعوة الى اقامة حكومة وطنية مستقلة . كانت كل عوامل البقعة الوطنية هذه ، وعوامل الاستياء من الحكم البريطاني المباشر ، تتراكم وتزداد حدة . فلما اعلن انتداب بريطانيا العظمى رسميا على العراق ، في ١٣ ايار ١٩٢٠ ، تحقق العراقيون من نكد بريطانيا بعودها لهم ، فقاموا بثورة دموية ، ابتدأت في الرميثة ، وامتدت الى معظم مناطق القسم الاوسط والجنوبي من البلاد واستمرت من اواخر ربيع ١٩٢٠ الى اوائل تشرين الثاني من السنة نفسها ، وكلفت الحكومة البريطانية نحو ٢٢٦٦ إصابة بين قتل وجرح من الدباب والجنود ، وما يزيد من الثلاثة ملايين ليرة استرلينية ، وكلفت الثوار بحسب تقدير الجنرال هولدين في كتابه "الحصيان في العراق" نحو ٨٤٥٠ إصابة بين قتل وجرح . (٨)

وبما يكن من امر هذه الثورة العراقية فقد وجدت كلمة العراقيين ، والفت بين طوائفهم ، واثبتت لهم عمليا قيمة اتحادهم ، وتأثير هذا الاتحاد في صراعهم مع السلطات المحتلة ، كما اثبتت للحكومة البريطانية صعوبة حكم العراق حكما مباشرا ، وقوت نظرية ذلك القسم من الساسة الانكليز القائلين بوجوب اقامة حكومة وطنية في البلاد ، تشرف عليها الحكومة البريطانية ، وتوجه سياستها . وقد قررت الحكومة البريطانية الخاء الحكم العسكري للبلاد وتأسيس ادارة مدنية . فاقالت ولسون من وظيفته ، وعينت السير هرسي كوكمر معتمدا ساميا . واداعت في بغداد ، في ٢٠ حزيران ١٩٢١ ، البلاغ التالي : (٩) "حيث ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد تقررت وكالتها في خصوص العراق فتتوقع ان سيكون من الشروط الزبيرة اولا جعل العراق حكومة مستقلة تضمن استقلالها جمعية مقبلة الام وتوكل بريطانيا العظمى وكالة بها . ثانيا تكليف الحكومة البريطانية بالمسؤولية من حفظ السلم الداخلي والامن الخارجي وثالثا الزامها بتشكيل قانون اساسي وبان تستشير اهالي العراق في مسألة تشكيله مع ملاحظة حقوق الاجناس المختلفة الموجودة في بلاد العراق ورعايتها ومنافعها فتحتوي الوكالة المذكورة على شروط لتعميد مسالك الرقي للعراق بصفة حكومة مستقلة الى ان تتمكن من الوقوف على نفسها فحينئذ تنتهي مدة الوكالة .

(٥) انظر J. B. Philby, "Arabian Days" (London, 1948), P. 18.

(٦) انظر ايرلاند ٢٤٨ - ١

(٧) انظر فيليبس ١٨٤ - ٥ وفي هذا الصدد يقول الكولونيل لورنس في رسالة

نشرها في جريدة "لندن تايمس" بتاريخ ٢٣ آب ١٩٢٠ :

فقررت حكومة جلالة الملك تكليف السير بيرسي كوكس بتنفيذ هذه المهمة وعليه سيرجع سعاده الى بغداد في موسم الخريف وستلقد وظيفة الممثل الاعلى للحكومة البريطانية في العراق بعد انقضاء الادارة العسكرية الموجودة الان وستعطى السلطة للسر برسم كوكس لتنظيم مؤقت ، اولا — مجلس شورى تحت راسة عربي وثانيا — مؤتمر عراقي ممثل جميع اهالي العراق ينتخب اعضاؤه باختيارهم فيكون مما يجب عليه تجهيز القانون الاساسي المار ذكره باستشارة المؤتمر العراقي .

وصل السر برسم كوكس الى العراق في ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ ، فاخذ يعمل على تأليف حكومة مؤقتة . وفي ١١ تشرين الثاني اعلن رسميا عن قيام مجلس دولة عراقي برئاسة السيد عبد الرحمن الرقيب ، يتالف من ٩ وزراء ( للداخلية ، والمالية ، والعدل ، والدفاع ، والاشغال العامة ، والمعارف والصحة ، والتجارة والاوقاف ) ، ومن ٩ وزراء بلا وزارة . وكانت هذه الوزارة مسؤولة عن ادارة البلاد تحت اشراف المعتمد السامي فيما عدلى الشؤون الخارجية والعسكرية التي بقيت تحت سيطرة المعتمد السامي ، المباشرة .

وكان امام الحكومة المؤقتة مهمات عديدة منها تهدئة البلاد ، والاطلان العنوي العام ، ومن قانون للانتخاب ، وانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستورا للبلاد وتنتخب رئيسا للحكومة ، وتشكيل جسر عراقي ، وتنظيم الادارة في جميع انحاء البلاد على اساس جديدة تلائم الاوضاع المستجدة ، على ان تكون خاضعة للادارة البريطانية .

---

” لقد ثار الحرب على الاتراك ، خلال الحرب ، لا لان الاتراك كانوا اشرا را عريقين في الشر ، ولكن لانهم كانوا يريدون الاستقلال . ان الحرب لم يتعرضوا للموت في المعارك الحربية في سبيل ان يغيروا اسيادهم فيصبحون رعايا بريطانيين او مواطنين فرنسيين ، ولكن ليقموا لهم نظاما للحكم خاصا بهم . . . . . لا عجب ان عيل سبرهم بعد عامين من انتهاء الحرب . ان الحكومة التي اتمناها في العراق حكومة انكليزية الاسلوب واللغة . وهي تضم ٤٥٠ موظفا بريطانيا ، ولا يوجد فيها موظف عراقي واحد مسؤول ، على حين كان سبعين بالمائة من الموظفين في العهد التركي عراقيين . ان ثمانين الفا من جنودنا يقومون بوظيفة الشرطة ، وليس بحماية الحدود ، انهم موجودون في البلاد لا خضاع الشعب والسيطرة عليه .

وقد وضع بونيام كارتر ، مستشار العدلية ، قانونا للانتخاب ، وافقت عليه الوزارة وارسلته الى المندوب السامي ليصادق عليه . ولكنه لم يصادق عليه ابدا فقد استجذبت ظروف استدعاء الدول من فكرة عقد جمعية تأسيسية . اراد المستر تشرشل عندما تولى ادارة شؤون الشرق الادنى والاطول ان يحقق رغبة الجمهور البريطاني الملحة في اجراء تخفيض جوهري في المصاريف ، وضرورة المحافظة على الممتلكات التي حصل عليها والنقاط الاستراتيجية التي غنمت في الشرق نتيجة للتضحيات البريطانية الجسيمة التي بذلت في الاموال والارواح . ولاجل تحقيق هاتين الغايتين عقد مؤتمرا في القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١ مع جميع الموظفين البارزين والقادة العسكريين في البلاد التي سينظر في شؤونها . وكانت اهم القضايا التي نظر فيها المؤتمر فيما يختص بالعراق هي : التخفيض العاجل في المصروفات البريطانية مع ما يترتب على ذلك من اغادة النظر في السياسة المختصة بما يلي : اولا : مستقبل العلاقات بين الدولة الجديدة وبريطانيا العظمى ، ثانيا : شحن العاهل المنتظر لدولة العراق ، ثالثا : طبيعة وتشكيلات القوات الدفاعية للدولة الجديدة التي يفترض فيها ان تضطلع بحصة كبيرة من الدفاع عن نفسها . وقد تقرر في هذا المؤتمر ترشيح الامير فيصل بن الحسين لتولي عر العراق ، كما تقرر تأييد الحكومة البريطانية لهذا الترشيح ، بعد ان قبل الامير بعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ، تحدد وضع بريطانيا في العراق ، وتحدد وضع العراق بالنسبة لهذه الدولة ولعصبة الامم . (١٠) وقد مهدت الحكومة العراقية الموقته ببارشاد السربرسي كوكس ، السميل لنجاح الامير فيصل . وقد ابعد المعتد السامي السيد طالب النقيب ، وزير الداخلية في الحكومة الموقته ، وكان اقوى منافس للامير فيصل . (١١)

وكانت الفرقتان التركيتان ، في العهد التركي ، تضمّان ستين بالمائة من الضباط العرب وخمسا وتسعين بالمائة من العرب من مختلف الاصناف العسكرية الاخرى . ان هذه الحالة مما يثير نفمة المثقفين العرب ، ويستفز ضغائنهم . . . . . فغلام

Henry A. P. ster, "The Making of Modern Iraq" (Norman University of Oklahoma Press, 1935), p. 84

(٨) انظر الحسنی ، تاريخ الثورة العراقية ص ١٢١ - ٢٢

(٩) عبد الرزاق الحسنی ، العراق في دورى الاحتلال والانتداب (١٩٣٥) (بيدا ١٩٣٥)

ص ٩١ وانظر النص الانكليزي في ايرلاند ص ٢٢٠ - ٢٢١



ورأت الحكومة البريطانية ان انتخاب الامير فيصل من طريق جمعية تاسيسه معمر للخضر ، ولهذا امتدت من الفكرة ، واكتفت باخذ موافقة العراقيين بواسطة استفتاء عام ٠ في ٢٢ حزيران وعمل الامير فيصل الى البصرة قادما من جدة على ظهر بارجة بريطانية وفي ١١ تموز ١٩٢١ قرر مجلس الوزراء بالاجماع المناداة باسم الامير فيصل ملكا على العراق ، وشترط ان تكون حكومة سموه دستورية نيابية ، ديمقراطية معيدة بالتانون ٠٠٠٠٠٠ وقد سر المندوب السامي وفيصل معا بما قام به مجلس الوزراء في هذا الموضع ، لكهما كانا متفقين بان الحاجة ما زالت تدعو لاجراء استفتاء عام لاجل ان يثبت للعالم بان الشعب قد اعطى رأيه حقيقة لفيصل ٠ وعند ما جاء دور المندوب السامي في استكمال حقه بالمصادقة على قرارات مجلس الوزراء اعلن بان قرار يوم ١١ تموز يجب ان يقترن بموافقة الشعب ، التي يمكن التاكيد منها بالاستفتاء العام ، قبل ان يضع مصادقته عليه ٠ (١٢) وجرى الاستفتاء حسب الخطة التي وضعتها وزارة الداخلية وكانت النتيجة ان ٩٦ ٪ من المستفتين ابدوا ببيعة الامير فيصل ملكا على العراق ٠

في ٢٢ آب ١٩٢١ تولى الامير فيصل ملكا على العراق باحتفال رسمي ٠ وقد تلقى الملك في هذه الحفلة خطبة تاريخية جاء في ختامها : لا وان اول عمل اتوم به هو مباشرة الانتخابات ، وجميع المجلس التاسيسي ٠ ولتعلم الامة ان مجلسها هذا هو الذي سينج بمشاوري دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية وحين اسر حياتها السياسية والاجتماعية ، ويصادق نهائيا على المعاهدة التي ماودعها له فيها يتعلق بالصلوات بين حكومتنا والحكومة البريطانية العظمى وتقرر حرية الاديان والعبادات بشرط الا تخل بالامن العام والاخلاق الحموية ٠

(١٠) ابرلايد ص ٢١١ — ٢١٨ ٠

(١١) راجع تفاصيل المؤامرة التي دبرها السربرسي كوكس لاختطاف السيد طالب

النجيب ونفيه الى جزيرة سيلان في "تلهي" ص ١٩٢ — ١٩٩

(١٢) ايرلاندر ٣٣١ — ٢ من الاصل و ٢٦٠ من الترجمة العربية

(١٣) انظر النذر الكامل لخطاب الملك فيصل الاول في الحسنى ، ٢ العراق بين

احتلالين " ج ١ ص ٢١٩ — ٢٢٠ ٠

ومن قوانين مدنية تضمن منافع الاجانب مصالحها وتمنع كل تعثر بالدين والجنس واللغة وتكفل التساوي في المعاملات التجارية مع كافة البلاد الاجنبية واني لوائق بان بالاستشارة مع نخامة المندوب السامي جناب السربرس كوكرا الذي برهن على صداقة للحرفي خلدت له الذكر الجميل فيصل الى غايتنا هذه باسرع وقت ان شاء الله \* (١٣)

### — المعاهدة العراقية الانكليزية الاولى — (١٩٢٢)

في ١٠ ايلول ١٩٢١ صدرت الادارة الملكية بتاليف اول وزارة عراقية ، بعد تنويع الملك ، استلمت الحكم من مجلس الدولة او الحكومة المؤقتة . وكان من اول اعمال الوزارة العراقية فقد معاهدة مع بريطانيا العظمى . واستمرت المفاوضات بين الوزارة العراقية وبار المحقق السامي حوالي العام . وقد صادق مجلس الوزراء ، في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ ، على المعاهدة العراقية — الانكليزية ، مشتركا وجوب ابرامها نهائيا من قبل المجلس التاسيسي .

لقد وضع العراق تحت انتداب الحكومة البريطانية . ولكن الحكومة البريطانية وجدت نفسها غير قادرة على حكم العراق حكما مباشرا ، كما وجدت ان تطبيق نظام الانتداب بشكله الصريح سيلاقي مصاعب جمة ، ويخلق لها مقاعب عظيمة ، فقد فهم العراقيون من هذا النظام انه لا يختلف عن الاستعمار الصرف الا بالتسمية حسبهم وقد كان اعلان الانتداب احد العوامل التي ادت الى الثورة العراقية عام ١٩٢٠ كما تقدم معنا . ولهذا قررت الحكومة البريطانية ، بعد تاسيس الحكومة العراقية وتنويع الامير فيصل ملكا على العراق ، ان تضع لائحة الانتداب بشكل معاهدة .

كانت الحكومة البريطانية تريد ، من عقد هذه المعاهدة ، المعاهدة على مصالحها في العراق ، وتبديل شكل الانتداب مع المحافظة على جوهره ، بحيث يكون حكما امتن اساسا لتجاوز كلفة ، واقل استشارة لشعور العراقيين الوطني . فقد صرح هـ . ل . فيشر تصريحها رسميا ، في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢١ ، امام عصبة الامم (٦) بان المعاهدة ستوضع لتؤمن اولا سيطرة حكومة صاحب الجلالة على علاقات العراق الخارجية ، وثانيا ما ينتظر من تحقيقه من المسؤوليات الدولية الواقعة على عاتق حكومة صاحب الجلالة بالمعاهدة او الانتداب او الاتفاقية ، وثالثا تدبير السيطرة المالية كما تدعو اليها الحاجة \* (١٤)

(١٤) انظر ايرلاندر ٢٢٨ حاشية ٢ من الاصل و ٢٦٥ حاشية ٢ من الترجمة العربية .

ولم تقصد الحكومة البريطانية ان تكون هذه المعاهدة بديلا عن الانتداب كما يستفاد من تصريح نسر المتقدم الذكر ، ومن هذه الجملة التي تكمله : " وسيكون مفهوما بان المعاهدة المقترحة ستقوم فقط بتنظيم العلاقات بين حكومة صاحب الجلالة كدولة منتدبة ، وحكومة العراق العربية . ولا يقصد بها ان تكون بديلا عن الانتداب الذي سيبقى وثيقة فعل تعين الالتزامات التي اضطلعت باعبائها حكومة صاحب الجلالة من عمة الامم " (١٥) اما العراقيون فقد كانوا يؤمنون ان تلغي هذه المعاهدة الانتداب ، وتقيم العلاقات على اساس المساواة بين الدولتين ، كما هو المفروض في المعاهدات التي تعقد بين الدول المستقلة ، ذات السيادة ، المتساوية في الحقوق . وكانت هاتان الطورتان المتباينتان في المعاهدة مبعث التوتر الذي ساد العلاقات العراقية - الانكليزية طواى فترة الانتداب . وعندما اعلنت نصوص المعاهدة ، واطلع العراقيون على مضمونها ، وتحققوا من مطابقتها ، في الجوهر ، لصك الانتداب ، اعلنوا معارضتهم لها . ولما صدرت الارادة الملكية ، في ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ اجراء انتخاب اعضاء المجلس التاسيسي ، الذي سيكون ابرام المعاهدة من اول مهماته ، في ٢٤ تشرين الاول ، اتحد السياسيون الوطنيون وعلما <sup>العرب</sup> ~~الشيعة~~ <sup>العلمانية</sup> لاحتباط ابرام المعاهدة من طريق عرقلة اجتماع المجلس التاسيسي . وقد اصدر علما النجف والكلامية الفتاوى ، في اوائل تشرين الثاني ، بتحريم الاشتراك في الانتخاب <sup>والتصويت</sup> . اصدار مثل هذه الفتاوى في حزيران ١٩٢٣ . ولم تستطع الحكومة اجراء الانتخابات الا بعد ان نعتت مظاهرات المعارضة بالقوة ، ونفت عددا من علما <sup>الشيعة</sup> ~~العلمانية~~ بينهم الشيخ مهدي الخالصي ، الى ايران . في ٢٥ شباط تمت الانتخابات الثانوية ، وكان عدد المندوبين ١٠٠ مندوب . وفي ١٢ آذار ١٩٢٤ انتخب الملك المجلس وكان عدد الحاضرين ٨٤ مندوبا . واستمرت مناقشة المجلس للمعاهدة مدة طويلة ولم يجز المندوبون على المصادقة عليها خوفا من نقمة الراى العام ، ولم تتساهل الحكومة البريطانية باجراء اى تعديل فيها . وفي ٢٦ ايار اخطر المعتد السامي الملك بان المجلس اذا لم يوافق على المعاهدة قبل يوم ١١ حزيران " فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تفكر في ان تعرض على المجلس العصبة اجراء ترتيبات اخرى يعامل العراق بموجبها " (١٦)

واجتمع المجلس في بيان ١٠ حزيران ولكنه لم يصادق على المعاهدة . فخطر  
 المصالح السامي المطالب بوجوب حل المجلس ان لم يصادق على المعاهدة قبل الساعة  
 السابعة من بيان ١١ حزيران . وقد تمكن رئيس الوزراء من ان يجمع في الساعة  
 العاشرة والنصف من مساء يوم ١٠ حزيران ٦٦ مندوباً . فتم التصديق على المعاهدة  
 والبروتوكول واتفاقيات الملحقة بها بان صوت بالموافقة عليها ٣٧ ، وصوت ضدها  
 ٢٤ ، وامتنع ٨ عن التصويت . وقدمت الحكومة البريطانية المعاهد والبروتوكول  
 والاتفاقيات الملحقة بها الى مجلس عصبة الامم في ٢٧ ايلول سنة ١٩٢٤ .  
 فوافق عليها المجلس ، واصبحت نافذة المفعول في ١٩ كانون الاول ١٩٢٤ .  
 ولقد هذه المعاهدة اعمية خاصة في فتح العراق السياسي ، فقد حددت العلاقات  
 بين الحكومتين العراقية والبريطانية منذ ان اصبحت نافذة المفعول الى دخول  
 العراق في عصبة الامم سنة ١٩٣٢ ، على الرغم من التعديلات التي ادخلت عليها  
 في فترات مختلفة . خلال هذه المدة ، لان تلك التعديلات لم تخرجوها  
 جاءت هذه المعاهدة مضممة لجوهر لائحة الانتداب البريطاني على العراق (١٧)  
 فقد جعلت الحكومة العراقية خاضعة لمشورة الحكومة البريطانية . (١٨) وقد ضمنت  
 الحكومة البريطانية تحقق اتباع الحكومة العراقية لهذه المشورة ، وتبديها بتعليماتها  
 بان جعلت ملك العراق ~~مختلفاً للعراق~~ يوافق على ان يستدل بما يقدمه جلالة ملك  
 بريطانيا من المشورة بواسطة المصالح السامي — في جميع الشؤون المهمة التي تمس  
 سمعته ومصالح جلالة ملك بريطانيا الدولية والمالية وذلك طول مدة هذه المعاهدة .  
 وتشير جلالة ملك العراق المصالح السامي في الاستشارة التامة في ما يؤدي الى  
 سياسة مالية ونقدية سليمة ، **ويؤكد** ثبات وحسن نظام مالية حكومة العراق ما دامت  
 تلك الحكومة مديونة لحكومة جلالة ملك بريطانيا (م ٤) .

---

(١٦) المدر السابق ص ٣٩٩ من الاصل و٣١٣ من الترجمة العربية  
 (١٧) قابل المواد ٥٠٣ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١٦ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٦٠ من لائحة  
 هذه المعاهدة بالمواد ٨٠ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ١١٠ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ،  
 من لائحة الانتداب على التعاقب . وتجد نحر لائحة الانتداب منشورة في  
 "العراق في دورى الاحتلال والانتداب" ج ١ ص ١٩١ — ١٩٤ .

ولاجل ان تضمن الحكومة البريطانية دوام هذه السياسة ، سياسة خضوع الحكومة العراقية لسياسة البريطانية ، وسعت سلطات الملك في الدستور ، ووضعت قددا كبيرا من الموظفين البريطانيين في المراكز الرئيسية في الجهاز الاداري . فقد جاء في المادة الاولى من الاتفاقية الخاصة بالموظفين البريطانيين الملحق بهذه المعاهدة : " توافق الحكومة العراقية على ان تعين عكلا وعندما يطلب اليها ذلك موظفا بريطانيا بقرار موافقة المعتمد السامي في اية من الوظائف المينة في الجدول الاول الملحق بهذه الاتفاقية " وهي مستشار وزارات الداخلية والمالية والعدل والدفاع والاشغال والمواصلات . والمدراء او المفتشون العامون للرى والاشغال والزراعة والابو والمساحة والبيطرة . والمفتشون العامون للبرق والبريد والشرطة والسحة والمخازن والكرا . ومدير مراجعة الحسابات ومساعد . ورئيس محكمة الاستئناف . <sup>٦</sup> راجع الجدول الاول الملحق باتفاقية الموظفين البريطانيين . واشترطت المادة الثانية من المعاهدة ان لا تعين الحكومة العراقية اى موظف غير عراقي في وظائف تشغلي اعادة ملكية ، الا بموافقة الحكومة البريطانية . ويحظر هؤلاء الموظفون البريطانيون موظفين لدى الحكومة العراقية ، مسؤولين امامها وليس امام المعتمد السامي . ( م ٦ من ملحق الموظفين ) ولكن هؤلاء الموظفين كانوا في الواقع مسؤولين امام المعتمد السامي عن ادارة الحكومة العراقية ، وتنفيذ السياسة البريطانية في العراق ، كما سنبين في الفصل القادم . ولجل ان تضمن الحكومة البريطانية دوام مصالحها في العراق ، وسلامة طرق مواصلتها الامبراطورية ، ولجل ان تتخلص من تكاليف حماية هذه المصالح التي كانت ال ساحة البريطانية والبرلمان البريطاني تلج في وجوب تخفيضها او حتى في التخلي عن العراق في سبيل تخفيف عبء دافع الضرائب البريطاني ، وضمت مسؤولية حفظ الدام في العراق ، والدفاع عنه ضد اى تعدد خارجي على عاتق الحكومة العراقية . ( م ١ من الاتفاقية العسكرية ) وعلى هذا فقد تعهدت الحكومة العراقية بان تخصص ما لا يقل عن ٢٥ ٪ من ايرادات العراق السنوية لاجل القيام باعباء الجسر الدامي والقوات الحلية الاخرى . ( لاتفاقية العسكرية م ٤ )

( ١٨ ) " المعاهدة العراقية — الانكليزية مع الاتفاقيات الملحق بها " ( مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٢٤ ) المادة الاولى . وتحتوى هذه الطبعة على النصين العربي والانكليزي .

ويكون الجيب العراقي تحت قيادة ملك العراق — على ان يكون هذا الجيب خاضعا  
لجفتير قائد القوات البريطانية في العراق ، الذي يقدم اقتراحاته الى جلالة الملك  
بواسطة المحمد السامي ، بشأن ما يراه ضروريا من الاجراءات لاجل تحسين حالة  
الجيب والقوات المسلحة الاخرى . وتكون حركات الجيب العراقي ، وتوزيعه ، خاصة  
لرفائب المحمد السامي (الاتفاقية العسكرية م ٧) . ولا يستخدم هذا الجيب الا  
في مصلحة العراق . ومما ينوي ان تستمر فيها قوات تقوم باعبائها او تتولى امرها حكومة  
لحفظ النظام الداخلي او الدفاع عن العراق ضد تجاوز خارجي \* بدون استشارة  
الحكومة الاخرى والاتفاق معها مقدما \* (الملحق العسكري م ٨) . وحين القيام  
باعمال عسكرية ، مما ينوي ان تستمر فيها قوات تقوم باعبائها او تتولى امرها حكومة  
ساحب الجبل الى البريطانية ، يجب ان يصعد بقيادة القوات المشتركة الى قائد عسكري  
بريطاني (م ٩) . ويجب على ملك العراق ، في حالة قيام هذه القوات البريطانية باعمال  
عسكرية لاجل مساعدة الحكومة العراقية على رد ان اعتد \* خارجي او وقع هياج اهلي  
ان يعلن الاحكام العرفية ، لدى طلب المحمد السامي ، في جميع جهات العراق  
التي يتناولها هذا التعدي الخارجي او الهياج الاهلي ، وعلى ان يعهد بادارة  
هذه الاحكام العرفية الى قائد القوات الجوية البريطانية او من يعينه هذا القائد  
من الضباط . (م ١٢) . وتتلخص مساعدة الحكومة البريطانية للحكومة العراقية ، بان  
تبقى في العراق حامية من الجنود الامبراطورية ، او من الجنود المحليين ، تقوم  
باعبائهم الحكومة البريطانية ، وان تثقف الضباط العراقيين بالعلوم العسكرية وفق  
الطيران في المملكة البريطانية ، وان تجهز الجيب العراقي بكميات وافية من الاسلحة  
والذخائر والمعدات والسيارات . (على حساب الحكومة العراقية) (م ٢) .  
وتقدم الحكومة العراقية جميع التسهيلات لاجل تحريك القوات الامبراطورية بما في ذلك  
استعمال البر وال سلكي وخطوط البرق والتلفون البرية . ولاجل نقل وخزن الوقود  
والعتاد اللازم لهذه القوات على طرق السراي وسكك الحديدية وطرقه المائية ،  
وموانئه . (م ١٣) .

اما الاتفاقية العدلية فقد حفلت للاجانب حقوقا خاصة ، واعادت النظام القضائي  
الخارج الذي كان موجودا على عهد الامتيازات الانبئية بشكل منوط على الرغم من ان  
الامتيازات كانت قد انقضت . (١٩)

فقد اعطت للا انب الحى في ان يطلبوا لن يحاكموا امام محاكم بريطانيين . ولاجل ان تضمن الحكومة البريطانية مراعاة الاجانب في القضاء العراقي اشتركت المادة الثالثة من الاتفاقية العدلية \* ان يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق ان تعز كل لائحة قانونية تتعلق باختصاص المحاكم وتشكيلها او اصول المرافعة فيها او تعيين الحكام وهزلهم على المعتمد السامي قبل عرشنا على السلطة التشريعية ليعين اراءه ومشورته فيما له مساس بمصالح الاجانب (٢٠).

وقد عينت الاتفاقية المالية التزامات العراق المالية قبل الحكومة البريطانية . فقد نصت المادة الخامسة على ان تقبل الحكومة العراقية نقل ملكية المرافق العمومية اليها بالثمن المبين ادناه .

الرى	٦٠٤٠ م ٢١٢ م	روبية
الطرق	٣٢٠ م ٠٠٠	روبية
الجبور	١ م ١١٧ م ٥٠٠	-
البرق والهيدرو والكهرباء	١ م ٧٦٠ م ٠٠٠	- -

المجموع ١ م ٤٠٩ م ٥٤٠ - -

ويجب ان يكون هذا المبلغ دينا يقتضي تسديده باقساط سنوية في خلال مدة معينة وسعين مقدار هذه الاقساط على . ويضمن دفع المبلغ الاسلي مع فائدة سنوية قدرها ٥ بالمائة في خلال عشرين سنة من تاريخ فقد هذه الاتفاقية (الملحق المالي م ٧) ويتقل مباشرة وادارة السكة الحديد في العراق والتي ستظل ملكا للحكومة البريطانية الى حكومة العراق وذلك من اول نيسان سنة ١٩٦٣ ولعدة لا تزيد عن اربع سنوات من تاريخ ابرام معاهدة التحالف . ويجب ان تحفظ جميع واردات السكة الحديد العراقية بمنزل عن واردات العراق العمومية ما دامت مباشرة وادارة السكة الحديد بيد الحكومة العراقية ولا تستعمل الا لتسديد المصروفات العمومية وتكاليف الاعمال الرئيسية التي تقام بموافقة المعتمد السامي . وتوافق كل من الحكومتين على . وبانتقال ملكية السكة الحديد الى حكومة العراق على اثر انتهاء الاربع سنوات من تاريخ ابرام معاهدة التحالف هذه

(٢٠) عينت المادة الاولى من الاتفاقية العدلية معنى لفظة اجنبي بقولها : انما تعلق على رعايا الدول الاوربية والاميركية التي كانت تستفيد من احكام الامتيازات في تركيا سابقا والتي لم تتنازل عن تلك الامتيازات بمزجب اتفاق موقع قبل تاريخ ٢٤ تموز ١٩٦٣ والدول الاسيوية

## في الحال . ( الملحق المالي ٨٢ ) .

وسلم مينا البصرة الى رقة تديره بأمانة ( تدعى امانة المينا ) على شرط ان تشمل ايرادات المينا ومروقاته عن حسابات الممران العمومية وتقام لاجل ادارة شؤون المينا امانة مينا بأمر الحكومة العراقية على ان توافى الحكومة البريمنية على ذلك .  
ويشترط المقدر المالي ٢٠٠٠ م ١٩١٩ م ٧ روبية دينا على امانة المينا لمدة الحكومة البريمنية وكما يشترط ان توافى الحكومة البريمنية على الشروط التي بموجبها تقوم امانة المينا باعمالها . ( الملحق المالي م ١٠ )

وتحت المادة الثالثة عشرة من الملحق المالي على ان تدفع الحكومة العراقية ثلثاً مرتباً ومصاريف الممتد السام وحاشيته وتحت المادة الرابعة على اتمام المواد الآتية من الرسم الكبري على الواردات والصادرات :

- (١) يصبح المواد الواردة الى الممتد السام استعماله الخاص .
- (ب) يصبح اللوازم الرسمية العائدة الى الممتد السام وحاشيته والقوات او المالى المبرمالية وغيرها مبراً ودية الصناعة او الممران على نفقة حكومة جلالة ملك برمانيا ومن المستحقات العائدة الى الحوانيت والمعلم العائدة الى هذه القوات او المبرمالية باسم الممران من ايراد القوات البريمنية . كما تحت المادة الخامسة عشرة على ان لا تتلقى الحكومة العراقية رسوماً من القوات البريمنية او مالى جلالة ملك برمانيا من الدواير او راي او الخانات التي تشكلت هذه القوات او المالى لمقاعد رسمية .

## المعاهدة العراقية — الانكليزية الثانية ( ١٩٢٦ )

تم التوقيع على المعاهدة الاولى والموافق في ٢٠ نيسان ١٩٢٢ على انه " يبرأ " تنقضي المعاهدة الحالية عند صيرورة الممران عضواً في جمعية الامم وعلى كل حال يجب الا يتأخر انداؤا عن اربع سنوات من تاريخ ابرام الصلح مع تركيا . على ان حكومة مصطفى كمال اتاتورك تلتزم بمعاودة سيفر والتر تنازلت بموجبها تركيا عن الممران وبضم اولاية الموصل . وقد تحت المادة الثالثة من معاهدة لوزان التي حلت محل معاهدة سيفر على ان تحل الحكومتان البريمنية والتركية مشكلة الحدود بين الممران وتركيا بمفاوضا ودية خلال تسعة اشهر . وبعد عدم التوصل الى اتفاق تظل القضية الى

---

تابع ( ٢٠ ) التي لها ان مثل دائمي في مجلس عصبة الامم . وتشمل الاشجار والحكمة الثالثة بموجب قوانين تلك الدول والهيئات والمؤسسات الدينية او الخيرية المولفة من اشخاص كلهم او اكثرهم من رعايا الدول المذكورة .



الى مجلس عصبة الامم • وقد فشلت المفاوضات التي جرت في الاستانة سنة ١٩٢٤ •  
 وقررت اللجنة على عصبة الامم فاوقدت لجنة العراق لدراسه الموضوع • وقد اوصت اللجنة بابقاء  
 الموضوع مع الراي مشتركه بقاء • انقضاء البريتماني على العراق مدة ٢٥ سنة •  
 وقد اشاد به في اللجنة بهذا الراي في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ هو البريتماني  
 تقديم مساعدة جديدة في دوام الاتفاق العراقية الانكليزية كما حددت في مساعدة  
 سنة ١٩١١ • وفي الاتفاق الصلح بين الامم ٢٥ سنة الا اذا قبل العراق صورا في  
 عصبة الامم • ولم يقد هذه المساعدة الجديدة في ١٢ كانون الثاني ١٩٢٦ • وقد تمت  
 في ٢ آذار ١٩٢٦ الى مجلس عصبة الامم فوافق هذا المجلس في ١١ آذار ١٩٢٦  
 وقد اصبحت نافذة المفعول في ١٣ آذار ١٩٢٦ •

### المعاهدة العراقية — الانكليزية الثالثة (١٩٢٧)

على ان تحديد اجل انتهاء الانتداب وقد اتمت انباء الاتفاقيتين المالية والعسكرية ،  
 قبول بالمشاور العام في العراق • وعلى هذا فتمت ابداء المعاهدة العراقية التي اتمت  
 اليه ٤٤ المادة المساعدة في ٢ كانون الاول ورغبة جديدة في وضع جملتها اجرا •  
 تحديدت عاجلة في الاتفاقيتين المالية والعسكرية بواسطة الدار بصورة دوية في اتفاقية  
 دارة الدار • وفي عصبة الامم موافقت وزارة المستعمرات البريتمانية • وابتداءات المفاوضات  
 من اجل عقد مساعدة جديدة في بغداد ثم نقلت الى لندن • وانقضى هذه المفاوضات  
 الى عقد مساعدة وقد تم في لندن في ١٤ كانون الاول ١٩٢٧ • وانتهت الوزارة العراقية  
 في جلستها الثالثة في ١٨ كانون الاول سنة ١٩٢٧ • ولكن هذه المساعدة  
 التي كانت من سابقتها انتفاها جوهرها ولافت محارة جديدة بواسطة الوزارة  
 بمسيرة • واهم ما جاء فيها المادة التي تنص بشرط الاحتفاظ بمعدل التقدم الحاضر في  
 العراق وسيرا هو مسيرتنا في هذه الفترة بعد صاحب الجلالة البريتمانية ترمين  
 العراق للدول في عصبة الامم في عام ١٩٣٢ • واستمرت المفاوضات من اجل تعديل  
 الاتفاقيتين المالية والعسكرية ولم يتوصل الفريقان الى اتفاق • وعلى هذا قررت الحكومة  
 العراقية انهاء المفاوضات وانتهت حكم المعاهدة بدول العراق في عصبة الامم • وقد  
 ساعد جميع الدول الى الحكم في بريتمانيا في ٥ حزيران ١٩٢٦ حل القضايا المتعلقة  
 بين البلدين • فقررت بريتمانيا التالي عن هذه المعاهدة وتنشئة العلاقات وفقا للمعاهدات

والتفانيات القديمة المؤرخة في ١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ، و ١٩٢٦ ، و اتخذت على ترشيح العراق الى عصبة الامم في سنة ١٩٢٢ دون اشتراط تقدم العراق في هذه الفترة . وفي ١٤ ايلول ١٩٢٦ اعلم وكيل المتمد السامي الملك فيصل بالقرارات التالية التي اتخذتها الحكومة البريطانية :

أ - ان الحكومة البريطانية مستعدة لمساعدة ترشيح العراق للدخول في عصبة الامم في عام ١٩٢٢ .

ب - ان الحكومة البريطانية ستخبر مجلس عصبة الامم في اجتماعه المقبل ان اقر عدم الشروع بمعااهدة سنة ١٩٢٢

ج - ان الحكومة البريطانية ستخبر مجلس عصبة الامم في اجتماعه المقبل ان اقرت وفقا للفقرة (١) من المادة الثالثة السرائية - البريطانية لسنة ١٩٢٦ ، التوعية بدخول العراق في عصبة الامم عام ١٩٢٢ .

وقد اذات وكيل المتمد السامي الى المقررات السابقة ما يلي : " ان الحكومة البريطانية تأمل فقد مساعدة مع الحكومة السرائية قبل عام ١٩٢٢ قائمة على الاقل على اساس المقترحات الأخيرة لمشروع المعاهدة البريطانية - العراقية وذلك لاجل تنظيم علاقات بريانة بالعراق وبعد دخول العراق الى عصبة الامم (٢١)

### المعاهدة العراقية - الانكليزية الرابعة (١٩٣٠)

وعلى هذا ابتداء المفاوضات من اجل عقد هذه المعاهدة الجديدة في ٢٨ نيسان ١٩٣٠ . وتمت المعاهدة ووقع عليها نوري بن خداداد في ٢ حزيران من السنة نفسها ، المتمد السامي ه . ف . هـ ، مفوض ، ووزير خارجية العراق السيد نوري السعيد وحل البرلمان وجيش " بيلمان جديد لاقرار المعاهدة فصدق في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٠ . وتبطلت وثائق ابرامها في ٢ كانون الثاني ١٩٣١ على ان تكون نافذة المنحول من تاريخ قبول العراق عضوا في عصبة الامم . وقد تقدمت الحكومة البريطانية بترشيح العراق الى عصبة الامم . فوافق مجلس العصبة في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٢ على دخول العراق في العصبة بشرط ان يتاح له ما من حقوق الاقلية . والحكم بالعدل ومراعاة القانون الدولي

---

(٢١) انظر المصنوع تاريخ العراق السياسي الحديث ج ٢ ص ١٦٢ - ٢

وفير ذلك من التحفظات . وفي ٣٠ ايار وقّع العراق على هذا التصريح المطلوب . وفي ٣ تشرين الاول ١٩٢٢ تمّ إبرام العراق مقعده في مجلس عصبة الأمم .

تبداً المادة (٢٢) بتحديد علاقة الحكومتين العراقية والبريطانية في الشؤون الخارجية فتقول المادة الاولى : " ..... وتجوز بينهما مشاوره تامه وصريحه في جميع شؤون السياسة الخارجية مما قد يكون له مساهم بمصالحهما المشتركة . ويتعدد كل من الفريقين الساميين بار لا يشك في البلاد الأجنبية موثقاً لا يقش وهذا التساكن ما وقد يخلل مصالح الفريق الاخر " وقد جاء في المادة الاولى من المذكرة الايضاحية لهذا المعاهد (٢٢) ان المقصود من هذه المادة ، وبخاصة من في الشؤون الخارجية " منحدر في الشؤون الواقعة تحت الحماية الخارجية اما الشؤون التجارية والاقتصادية البحتة فانه خارجة عن نطاق هذه المادة " وتقول المادة الثالثة : " اذا ادّعت انزعاج بين العراق وبين دولة ثالثة الى حالة يترتب عليها خلع العلاقات بين الدولة يوحد الفريقان الساميان المتعاقدين معا بما تنسوبة في النزاع بالوسائل السلمية وفقاً لاحكام ميثاق عصبة الأمم . ووثائق ان تشدد في دولة اخرى يمكن تأجيلها على تلك الحالة " وتقول المادة الرابعة " اذا اتفق احد الفريقين الساميين المتعاقدين في ترتيب مزمع احكام المادة الثالثة ، يبادر حينئذ الفريق السام المتعاهد الاخر فوراً الى مسوئته بفتحته كونه حليفاً مؤيداً . اما وفي احكام المادة الخامسة : " ..... ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب ماوخر حرب محدث متحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البربرمانية في الاراضي العراقية جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية واللاتر والموانئ ، والمالارات ، ووسائل المواصلات " وتنفى المادة الخامسة بدراية ان المواصلات الامبراطورية لكلا الفريقين ووجوب المحافظة عليها وكيفية القيام بهذه المصالحة . والحجج هذه القيمة هي اهم نقطة في المعاهدة والمحور الذي تدور حوله المعاهدة بأسرها . فقد جاء في البيان الذي تقدمت به الوزارة الى البرلمان عن الاسباب الموجبة لهذا المعاهدة (٢٤) .

(٢٢) اعتمد في تحليل المعاهدة والاتفاقيات الملحقة بها على النثر المنشور في المجلد

تاريخ العراق السياسي الحديث ج ٢ ص ١٩٧ - ٢١٥

(٢٣) انظر في هذه المذكرة الايضاحية في المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٤

(٢٤) انظر في هذه البيان في المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩٧



وتتحدد هذه المراسم بناءً على المصلحة الوطنية وعلى نفقته محرمًا خاصًا من القوات  
السراوية لحماية التواجد الجبهة • (الملحق العسكري م ٤) ويتضمن على الحكومة العراقية  
ان تنظر بجميع التسهيلات الممكنة لمرور القوات البرمائية من جميع التحويلات العسكرية  
ميرالمران وولفيل وغيره جميع الموردين والتجهيزات والتي قد تشمل ايضا هذه القوات  
في اثناء مرورها في العراق وتتعاون هذه التسهيلات استخدام لمران العراق ومصلحة العديد  
وارقة النائية وموانئ ومطارات • ويؤكد للمنفذ البرمائية اذنا عاما في وزارة شام السرب  
( الملحق العسكري م ١ ) • كما يتضمن على الحكومة العراقية ان تنظر بجميع التسهيلات  
لتنقل القوات البرمائية المعينة في العراق وتقدم ريدا وواعالتهما • (الملحق العسكري م ٣)  
وجيران قبل الصناعات والمقارنات في سوريا والحدود والاميرة (ولي ذلك  
استاء من الصراخ) التي تتنقل بها القوات البرمائية في العراق شاملة القوات البرمائية  
المعينة في العراق والقوات البرمائية من جميع التحويلات التي تشمل ريدا في العراق فضلا  
ياحكام هذه المعاهدة • (الملحق العسكري م ٢) •

#### اما مساعدة الحكومة البرمائية للعراق فهي

- ١ - تسليم ارباب السراوية الفروع البصرية والعسكرية والبرية في المملكة المتحدة •
- ٢ - تقديم السلطة والمعدات والتجهيزات والمعدات والايارا من اعداء اراز ميسر الى  
القوات العراقية •
- ٣ - تسليم ارباب البرمائيين بصرين ومتمكرين وجميعين والمعدات بسنة استشارية في  
القوات العراقية (الملحق العسكري م ٥) • وتشترط المادة السادسة من الملحق العسكري  
هذه الشروط التالية :

- (١) يتحدد جازلة هذه المراسم بانها اذا ران ضرورة الالتجاء الى مدربين عسكريين اجانب  
فانهم يختارون من الرمايا البرمائيين •
- (٢) وان الامانة التابعة للقوات العراقية الذين يرسلون للفران للتدريب العسكري  
يجب ان يرسلوا الى مدربين وكليات وقد قد ريد عسكري في بلاد جازلة البرمائية •
- (٣) وان التجهيزات الاسلحة للقوات العراقية هو ملحقها وجيران لا تختلف في نوعها  
عن اسلحة القوات البريطانية وتجهيزاتها •

اما الاتفاقية الحديثة فقد كانت النظام القاشي الفنا والذي اسس حسب المعاهدة  
اولى لسلطة الاجانب وانقررت تسليم نظام قاشي موحد على جميع الرائيين والاجانب  
على حد سواء (الاتفاقية الحديثة م ١) • ولكن النظام القديم لم يكن كاملا • فقد  
اشترطت المادة الثانية من الاتفاقية الحديثة ضرورة استمرار على استخدام عدد محدود

من الخبراء القانونيين البرلمانيين في وزارة العدلية وفي محاكم العراق بتقديم صاحب  
انجالة ملك العراق بموافقة مجلس الجلالة البرلمانية على ان يتحول هو "الخبر" ملكات  
قنائية وثقائين العراق . عليه يستبعد صاحب الجلالة ملك العراق بان يستقدم  
تسعة خبراء قانونيين بشروط لا تقل ملائمة عن الشروط الموضوعة في اتفاقية المرافقين  
البرلمانيين المؤرخة في ٢٥ مارس ١٩٢٤ ويستوفد مدتها عشرين سنوات من تاريخ دخول هذه  
الاتفاقية في حيز التنفيذ . ويتحدث جلالته على بار تشغل عادة الوائين اقية بموافقين  
برلمانيين من الخبراء القانونيين السابقين الذرة : (١) مستشار قنائي برلماني (٢) رئيس  
برلماني لمصلحة استثنائية والتميز (٣) رؤساء برلمانيين لمحاكم البدن والخبر في بلاد  
والبحر والموصل وفي اماكن التي يتشعل فيها بد . وقد جعلت هذه الاتفاقية للبرلمانيين  
حقوقهم الشخصية كاملة .

واما الاتفاقية المالية فقد بعثت في روح نقد الملكية المملارات والممتلكات  
الموجودة في البلد والموصل الى الحكومة العراقية وقد نصت على ان الحكومة العراقية  
لا تستوفي بد الا ايجار من مواج القاعد العقارية التي تدير من الحكومة العراقية مادا  
ان اراضيهم اقليمية خالية (الاتفاقية المالية م ١) . ثم تناولت قسمة السك الحديد  
فصلت المادة الرابعة على نقل ملكية السك الى الحكومة العراقية على ان تكون بد كل نقابة  
ذات شخصية حكومية يتألف راسمالها من اسهم برلمانية وعراقية وعلى ان ~~يكون~~ يتألف مجلس  
ادارة من خمسة مديرين معينين من الحكومة العراقية واثنتين منهم الحكومة البرلمانية  
واما الناصر الذي يكون رئيس الادارة فيتم تعيينه باتفاق لكلا الحكومتين ويكون اول رئيس  
لمجلس الادارة مدير السك الحديد العراقية العالي . وتكون النقابة مسؤولة باجمعها  
من ادارة السك الحديد العراقية وقد يبرمجونا جصا . وليس للحكومة العراقية  
ان تشترى مقبضات الاسهم المخصصة للحكومة البريطانية بقيمتها الاسمية (٢٥) .  
ونصت المادة الخامسة من الاتفاقية المالية في ملية وادارة البصرة فتقول : " ان الملك  
الائق في ميناء البصرة الموجود في حيابة الملك المتحدة ينتقل الى الحكومة العراقية

---

(٢٥) انتقل حقوق الحكومة البريطانية في السك الحديد بموجب اتفاق امضي في بغداد  
في ١١ اذار ١٩٢٦ الى الحكومة العراقية بعد ان دفعت الحكومة العراقية ارجحاة الخ  
ليرة استرلينية . وقد انبثت ادارة السك الحديد العراقية هذه لمدة عشرين سنة بمجلس  
مديرين يتألف من اثنى الزاء ورئيسا للمجلس والمدير العام للسك الحديد وشاشة اصنام  
اخرين يكون احداهم من الرعايا البريطانيين وتعيينه الحكومة العراقية وقد خول مجلس المديرين  
البرلمانيات القائية لادارة السك . وقد نصت الاتفاقية على ان تال ميزانية السك لعدة

وتقوم <sup>إدارة</sup> هيئة الميناء دعاية تدعى مجلس امنا الميناء • ولهذا الغاية يسن العراق تشريعا بنصوري متفق عليهما مع المملكة المتحدة لتأليف مجلس امنا مينا له شخصية قانونية • على ان لا يعدل هذا التشريع الا بموافقة حكومة المملكة المتحدة ما دام لحكومة المملكة المتحدة اي جز كان من الدين المتعلق بالميناء • وعند سن التشريع المذكور وتأليف مجلس امنا للميناء ينتقل المد الكائن في الميناء الى الحكومة العراقية • ويسجل باسمها • وفي عين الوقت الذي يتم فيه هذا الانتقال يمنع مجلس امنا الميناء حق الانتفاع التام على سبيل الايجار او الامياز او بواسطة اخرى مناسبة على ان توافي حكومة المملكة المتحدة على الشروط وذلك للمدة التي يكون فيها الميناء مدينا لحكومة المملكة المتحدة باي جز كان من الدين • (٢٦)

تابع (٢٥) لمدة عشرين سنة منفصلة عن الميزانية العامة للحكومة • ويتقصد خلال هذه المدة المناصب التالية رعايا <sup>بريطانيون</sup> المديرة العام مفتش النقلات العام ورئيس المهندسين مساوون رئيس المهندسين رئيس المهندسين الميكانيكيين معاون رئيس المهندسين الميكانيكيين • ( انظر حماد في ٢١٩ ) لقد سمحت الحكومة البريطانية مصالحا الحيوية في السنة الحديد بواسطة <sup>عزو</sup> لا المواطنين البريطانيين الذين يحتلون المراكز الرئيسية في ادارتها • وتقوم ادارة السكة بتحقيق كل المشاريع التي تحتاجها القوات البريطانية في تنقلاتها والتي قد تحتاجها في المستقبل • وقد اخبرني موظف عراقي مسؤول في السكة ان ادارة السكة لا تقوم بل بالمشروع مما كانت البلاد بحاجة ماسة اليه ، اذا لم يكن للانكليز نفع فيه • فبينما تنفق جارات كثيرة من العراق الى السنة الحديد تقوم مديرية السكة التي يرأسها الجنرال سميت البريطاني ببناء جسر <sup>من</sup> العراق الى السنة الحديد <sup>تقوم</sup> ثابت للقطار على دجلة كلف حوالي اربعة ملايين دينار حتي تسهل سرعة اتصال قطارات كركوك بقطارات الموصل والبصرة فتتو من بذلك سرعة الاتصال بكركوك والحدود الايرانية بواسطة خط بغداد كركوك وبغداد بحقوبة خانقين • انظر الى هذا ان ادارة السكة تتبع سياسة التبذير حتى لا تدع وفراقد يستعمل في المشاريع النافعة • ففي الوقت الذي تحتاج البلاد فيه الى خطوط حديدية تقوم ادارة السكة ببناء محطة عالمية في بغداد وتتشق الفنادق الفاخرة وفي المدن والمعاليق والتي لا تدرا الا اقل الربح ان لم تخسر • وقد انشأت خلا جوبا تساجر له الطيارات في الوقت الذي تسليح ان تشتري بهذا المبلغ الذي تدفعه ايجارا عذة طيلرات تصبح ملكا لها • والمقدرا ان هذا المشروع الامراء المدني بخمسة سنويا ما لا يقل عن ٠٠٠٠٠ دينار •

حاشية (٢٦) : ظل ميناء البصرة هذا يدار ، بحسب هذه المادة وبحسب ما جاء في الطحق المالي للمعاهدة العراقية - الانكليزية الاولى ، من قبل مجلس خاص ، وقيمت ايراداته ومصرفاته منفصلة عن حسابات الحكومة العراقية ، لان الميناء لا يزال مدينا للحكومة البريطانية بمبلغ سبعين الف دينار من اصل ثمنه البالغ ٢١٦ ٠٠٠ ٢٢ روبية اي ما يعادل ٣٠٢ / ٥٥٥ دينار تقريبا . وقد يجب المرء كيف ان الميناء والحكمة العراقية باسرها ، لم تستطع ابقاء هذا الدين الضئيل خلال مدة تزيد عن ربع القرن ، مع العلم ان ايرادات الميناء ضخمة فهي تتألف من رسوم الميناء ، ورسوم قيادة السفن ، ورسوم حية ، ورسوم تفريح ، وما يربحه الميناء من مشروعي اسالة الماء والكهرباء اللذين يمتلكهما في مدينة البصرة ٢٢ ولكن هذا الحجب يزول اذا علمنا ان ميناء البصرة قد وسع خلال المدة المذكورة ، وشيدت عليه الارصفة الحديثة ، وجوز باحدث الآلات وعمق مستوى شاطئ العرب ، وازيلت ما في منيه من رواسب ترابية ، بحيث اصبح ملائما لسواضخم البواخر الحربية ، واكبر السفن التجارية . وقد استفادت الحكومة البريطانية منه اتم الاستفادة خلال الحرب العالمية الثانية اذا اتخذته قاعدة لايبال المعدات الحربية والذخائر الى الاتحاد السوفييتي . وبريطانيا العظمى ، الحريضة على حماية مصالحها البترولية في عبادان وما جاورها وحفظ مواصلاتها في الخليج الفارسي ، تريد ان تقوم سيطرتها على هذا الميناء البحري العظيم الذي يسير على راس الخليج الفارسي سيطرة تامة ، ولذلك فهي تايى ان تستلم بقية دينها على الميناء ليصبح لها الحر في الآراء عليه بحسب ما جاء في المادة الخامسة اعلاه . وقد اثار نواب المعارضة في الجبل النيابي السابق قضية الميناء ، وابانوا ما يجري فيه من تمييز ، واختلاسات ادت الى عزل احد كبار الموظفين البريطانيين من وظيفته ، والبوا بنقل ملكية الميناء التامة الى الحكومة العراقية . وبعد مرور بضعة اشهر على هذا الحدث من وزير الاشغال الى مندوب جريدة الزمان ، بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩٥٠ ، بانه يتوقف نقل ملكية الميناء على دفع الدين البالغ اكثر من سبعين الف دينار الى الجهة البريطانية وان الحكومة مستعدة للدفع . وقد طرح وزير الاشغال التالي الى مندوب الجريدة المذكورة بتاريخ ١٦ آذار ١٩٥٠ فقال : " ٠٠٠٠٠ لقد فاعنا الحكومة البريطانية بان العراق مستعد لتسليم ما عليه من بقايا الدين حتى تنتهي قضية الميناء والى الان لم نجب " ( راجع مقالة لاني سبيل تحريرنا من الامتيازات الاجنبية " بجريدة صدى الاهالي ، عدد ٢٠١ ، الصادر في ٢٠ ايلول ١٩٥٠ )



(تابع حاشية ٢٦) وقد مضى على تاريخ **الشيخ** الوزير هذا اكثر من عام ولم تجب الحكومة البريطانية ، او اجابت بالنفي لا ادرى ، واغلب الدين ان الحكومة البريطانية لن توافي على تسديد هذا الدين حتى تنتهي مصالحها في الميناء ، او حتى تتخذ طريقة سريعة اخرى تميلار بواسطتها عليه . والحق ان ميناء البصرة الذي يحتل جميع المراكز المهمة فيه مؤلفون وسياسات بريطانيون ، هو ، في واقع الحال ، عبارة عن مؤسسة بريطانية تقوم على ارض عراقية .

ما زالت هذه المعاهدة الرابعة تحمى علاقات العراق ببريطانيا حتى وقتنا هذا الحاضر . وفي الحق انها جاءت خطوة قديمة عن المعاهدات التي سبقتها والتي كانت انتدابا مستورا الذي كان بدور استعمارا مقنعا بقناع شفاف . فقد خلصت خزينة الدولة العراقية من رواتب رسم كبير من ذلك الحند الجرار من الموالفين والمستشارين والخبراء البريطانيين ، ومن نفقات المعتقد السامي وحاشيته ، وارتخت نفقة الإنكليز على دوائر الحكومة ، والفت بد الامتيازات الاجانب العدلية ، واطلقت يد الحكومة العراقية في التمثيل الخارجي ، واتاحت له ان يتمتع بمظهر الدولة المستقلة . ولكنها حافظت على السيادة البريطانية على مقدرات العراق بشكل جديد مستور . فقد اعدت لبريطانيا قواعد جوية في ارض العراق ، وضعت لها استخدام اراضي العراق وطرق مواصلاته ، عند اشتباكها في حرب فعلية او في حالة توقع خطر حرب وبذلك نالت حصة التمتع بكل ما في موقع العراق من ميزات سوفية . وحافظت على طرق مواصلاتها الامبراطورية ، وهذا هو اهم ما تبتغيه من احتلال العراق . وساحت بفعل القوات البريطانية عبر العراق ، وبقيت القوات البريطانية القيمة في العراق والمارة فيه متمتعة بالحمايات العدلية ، والامتيازات المالية نفسها ، التي كانت تتمتع بها في عهد الانتداب ، بما في ذلك الاعفاء من الضرائب والرسوم الكمركية . وبكلمة واحدة ان هذه المعاهدة تبيح للحكومة البريطانية احتلال العراق بالملء ، في حالة الحرب او في حالة توقع خطر حرب ، يعني في اى وقت تشاء في هذه الايام التي ابي فيها خطر الحرب حقيقة واقعة . لقد سحبت بريطانيا جيوشها البرية من العراق لانها كانت تشكلها نفقات باهضة ، ولان وجودها كان يثير شعور العراقيين العدائي نحوها ، اما السيطرة الجوية ، التي تشران تحل محل القوات الحربية الاخرى الموجودة في العراق في مؤتمر القاهرة ١٩٢١ (٢٧) ، فهي اشد فعالية ، واسرع عملا ، واقل كلفة ، سواء كان ذلك من حيث المال او الرجال ، واقام قدرة على التدخل في الاماكن النائية العسبة وهي على كل ما تقدم ، اقل تعرضا للخطر من القوات البرية .

وقد سمحت هذه المعاهدة لبريطانيا ان تتبنى سياسة العراق الخارجية مع الصالح البريطانية . وزيادة على كل ذلك فقد قيدت ملكية العراق للملك الجديد

والبناء بحيث أصبح بإمكانها ان تكيف سياسة موادارة مهذين المرفقين الهامين من مرفق العراق لخدمة مصالحها العسكرية والتجارية . اما سيطرتها على الجيد العراقي فلم تنته ، فالضباط العراقيون المرسلون للتدريب في الخارج يجب ان يدربوا في المدارس البريطانية ، والاسلحة يجب ان تستورد من بريطانيا وحدها وكذلك بقيت البعثة العسكرية الاستشارية ، محتفظة بالامتيازات التي كانت تتمتع بها في عهد الانتداب . (٢٨)

لان العراق خلال هذه المدة وفيما في تطبيق تصور هذه المعاهدة ، او قل كان مرفقا على الوفاء ، ولكن الحكومة البريطانية لم تقيد بها . مثال ذلك ان الفقرة التاسعة من المذكرة الايضاحية تقول : <sup>١</sup> ايضاحا لعبارة (لغزو القوات عبر العراق ) المشار اليها في الفقرة السابعة من الملحق فان اتجاه هذا المرفق قد حدد من غربي القوات الى الخليج الفارسي او بالعكس . ومع ذلك فقد اخترقت بريطانيا حياد ايران بجسر مر من حدود العراق الشرقية الى الاراضي الايرانية في صيف ١٩٤١ واتخذت بغداد قاعدة لتموين هذا الجيد واسناده . (٢٩) وتقول الفقرة الثالثة من المذكرة الايضاحية : <sup>٢</sup> ان التسهيلات والمساعدات التي يقدمها العراق وفق احكام المادة الرابعة من المعاهدة ، تكون على نفقة الحكومة البريطانية بولن يتكفل العراق بشي من ذلك .<sup>٣</sup> ويقول السيد الحسيني جابا على هذا الايضاح (٣٠) كما احتل الانكليز العراق بالاحتلال الثاني بعد حوادث نيسان ومايس سنة ١٩٤١ اتخذوا قاعدة لتموين الجيد الروسي محليتهم ، واحتلال ايران . وقد جاء في تقرير وضعه الملحق العسكري للمفوضية العراقية في واشنطن عن نصيب العراق في مجهود الحلفاء الحربي ان الحكومة العراقية تحملت (جميع التكاليف التي نشأت من جراء وجود هذه المؤسسات) .<sup>٤</sup> وقد خالفت الحكومة البريطانية نص المادة الاولى من المعاهدة ، وروحها ، وفي موقفها من قضية فلسطين ، اهم تنية تخد العراق ، سواء كان ذلك من ناحية الاخوة التي تربطها بفلسطين <sup>٥</sup> ام من ناحية ملامتها الخاصة ومساعدتها في انشاء دولة اسرائيل من العدم التي اصبحت خطرا يهدد امن وسلامة البلاد العربية ، ويضمها العراق ، تهديدا مباشرا لاحقا .

(٢٨) انظر مذكرة السيد نوري السعيد الى المعتقد السامي بشأن البحث العسكري ،

احسن " تاريخ العراق السياسي الحديث " ج ٢ ص ٢٠٨ . انتهى امر

البعثة عام ١٩٤٨ .

(٢٩) انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٢ حاشية ٢

ان المادة الاولى من المعاهدة ، التي تنص على ان لا يقف العراق في البلاد الاجنبية موقفا قد يخلط مصالح الفريق الآخر ، تحول دون كل محاولة للتقارب الجدي الصحيح بين العراق وبين الاقطار العربية الشقيقة . فالبلاد العربية تعتبر ، في العرف الدولي ، اجنبية عن العراق ، ومحت هذا ان يقف العراق مكثوف اليدين من مطالب الشعوب العربية المناضلة في سبيل التخلص من السيطرة البريطانية ، كعصر مثلا ، لان اي عون للبلاد العربية ضد بريطانيا يعتبر خرقا لنشر هذه المادة الاولى .

والله اعلم بالصواب .

الاولى : ~~المادة الاولى~~ هي مصلحة العراق " في حفظ وحماية موااصل صاحب الجلالة الامبراطورة الاسامية بصورة دائمة في جميع الاحوال " ؟ الحق انه ليس من مصلحة العراق في شيء ابدأ المحافظة على طرق المواصل الامبراطورية هذه ، التي تستخدم للدفاع عن امتيازات بريطانيا في الجارة الغربية ايران ، وتشديد قبضة بريطانيا الحديدية على الخليج العربي ، والحماية في الخليج الفارسي ، وتهديد استقلال الدول العربية الاخرى ، ودوام نير الاستعمار البريطاني معلقا في اعناق الشعوب الاسيوية المناضلة في الشرق الاوسط والاقصى .

منذ ان اعلن ندر هذه المعاهدة استنزها الشعب مهارها كسر من الماسة  
واللبرا بالخائبا او تعديلها تعديللا يضمن حق العراق ، واحتل سيادته الوطنية  
وقد كانت مقاومة الشعب للمعاهدة تتخذ اشالا مختلفة . ففي بداية الحرب العالمية  
الثانية كان الجين مسيارا على الماسة في البلاد . وقد تمكن الجين من تنصيب  
السيد رشيد عالي الكيلاني رئيسا للوزارة . واراد بعزقادة الجين بالتعاون مع  
قسم من السياسيين ، ويحرم من العانيا النازية ايفاف تطبيق بنود المعاهدة بالتصديق  
بحرفيتها تمسكنا بانييل من امتيازات الحكومة البرانية فاستغلت الحكومة البريطانية  
حركة رشيد عالي الكيلاني العدائية لها في ابار سنة ١٩٤١م والتي ايدها الشعب  
العراقي تايدا قويا دون ان تفهم اقليتها واقعها الخفية لكرهه للانكليز ورغبته  
في التخلص منهم ومن نفوذهم باية وسيلة مستقوبلاهة هو لا القادة العسكريين  
وضعف الجيش العراقي الذي ربه هي خلال ربع قرن من الزمن ، واعلنت الارب  
على العراق وسيّرت جيوشها عليه فاحتلته بامله ، ليصبح حكمها له مبرا رافعالا .  
وقد افسحت الحكومة خلال الحرب ، المجال لنحو الافكار الديمقراطية لمكافحة الافكار  
والدعوات النازية التي كانت قد تنمغلت في بعض اوساط الشبان قبل الحرب  
فما الوعي القومي ، وزانه نمو ما اذاع الحلفاء من وعود لنسرة الشعوب المستعمدة ،  
واعنائها حرياتها ، وتحقيق استقلالها ، موافاة العدالة الاجتماعية وما اليها .



### الفصل الثالث

#### نشوء وتطور الحكومة العراقية

كانت المدة العليا والحوال فترة الاحتلال العسكري ١٩١٤ - ١٩٢٠ م عهد القائد البريطاني العام . ولكن الضرورة دعت الى اقامة سلطة مدنية لادارة الاقسام المحتلة من البلاد ، وتوليد دعائم الامن فيها ، وتيسير التعاون بين الشعب وحكومة الاحتلال . وعلى هذا فقد عينت ادارة البلاد الى حاكم ملكي تحت امرة القائد العسكري العام . وقسمت البلاد الى خمسة عشر تساو يدرك كل قسم منها حاكم سياسي وقسمت هذه المناطق الخمسة عشر الى اربعين منطقة يدرك كل منها مساعد حاكم سياسي بريطاني وفي حالتها قليلة وكيل مساعد حاكم سياسي عراقي او هندي او ايراني . وفي نهاية سنة ١٩٢٠ كان في العراق ١٦ حاكما ومساعد حاكم سياسي بريطاني (١) وكان هؤلاء الحكام السياسيون الذين كان معظمهم ضباطا استعيرت خدماتهم من الجيش مسؤولين عن تنفيذ القوانين التي يصدرها القائد العام ورئيس الحكام السياسيين ، وتوليد دعائم الامن والادارة العامة في البلاد ، وجباية الضرائب والواردات العائدة للحكومة ومن تاسيس العلاقات الودية مع القبائل . كما كانوا مسؤولين عن جمع العمال والقيام بالاعمال التي يحتاجها الجيوش وتزويد الجيوش بما يحتاجه من المواد المحلية ومن حماية المواصلات .

في هذه الفترة وضعت اسس الادارة المدنية في البلاد واسس الاصلاحات الاجتماعية . وعلى هذا فدراسة نظام الادارة في هذه الفترة مهمة جدا . لان النظام الاداري الذي انشئ في عهد الانتداب على العراق رغم ما اعتوره مظهره من تغير كتصويب ملك على العرش ومن دستور للبلاد ، واقامة مجلس للنواب وتوحيد العلاقات بين بريطانيا والعراق بمعلومة - انما كان تلورا لهذا النظام الذي اتهم على فرار الانظمة الادارية المتبعة في المستعمرات البريطانية . ولان نظام الادارة وجهاز الدولة باسره في عهد الاستقلال انما كان امتدادا لما كان متبعاً في عهد الانتداب (٢) . لقد انشئت في هذه الفترة نواة الحكومة العراقية فاسست مديريات للمعارف وفتح عدد من المدارس الابتدائية والثانوية وانشئت الشرطة المدنية واتممت دوائر للواردات والرى وكما اتهمت المحاكم المدنية في معظم اقسام البلاد .

(١) انظر " تقرير خاص " ص ٤٨

(٢) انظر " فوستر " ص ٢٠٣

## الدولة

اتيمت الادارة المدنية في العراق على قرار المدنية في الهند . وقد دعا الى ذلك عوامل عديدة اهمها ان الحكومة الهندية كانت تأمل في ان تجعل العراق ، وعلى الاخر القسم الجنوبي منه منطقة تابعة للهند فحطت على ادخال اساليب الادارة الهندية في البلاد . ليتسنى لها بذلك ضم المناطق المحتلة . يضاف الى هذا ان معظم الموظفين الاتراك المسؤولين عن الادارة انسحبوا من البلاد مع الجيش التركي . وان معظم الضباط البريطانيين الذي عهد اليهم القيام بادارة البلاد ، وكانوا يجلسون اصول الا ارة التركية جهلا تاما . وقد استعان الحكام السياسيون بعدد من الموظفين العرب الذين كانوا يشغلون الوظائف الادارية في العهد التركي . كما دروا عددا من الشبان العراقيين على اصول الادارة والحقوقم بالوظائف الحكومية . ولما كانت الحكومة البريطانية ، خلال معظم هذه الفترة متخوفة حرجا طاحنة مع لدولة التركية ، ولما كان معظم المناطق المحتلة من البلاد مناطق عشائرية فقد حرمت السلطات البريطانية كل الحرر على استمالة العشائر الى جانبها ومنعهم من اسداء اية معونة الى القوات التركية . وجعلهم يلتزمون الحياد ويحافظون على السكينة والهدوء كي تتفرغ لهدفها الرئيسي . وقد رأت السلطات البريطانية ان الهيلة الوحيدة لاستمالة العشائر الى جانبها هي استمالة شيخ هذه العشائر . فتقوية نفوذهم وتوسيع سلطاتهم على ابناء عشائرتهم . على اساس ان اتجاء كل قبيلة وما تفعله متوقف بالكلية تقريبها على اكثر شيوخها نفوذا (٣) وقد اتبعت الحكومة البريطانية في هذا الشأن خطة السروربرت ساندمان التي طبقها في الهند . فقامت نظام الحكم العشائري قائم على التقاليد والعرف القبلي ويحتل فيه الشيخ المركز الممتاز . وقام السر برسي كوكر رئيس الحكام السياسيين كوسا ونوه بالتساهل بجمع الضرائب من شيخ العشائر والوجهاء المحليين . واقاموا العلاقات الشخصية معهم . موافقوا عليهم العطايا والهبات . كما اقلعوا الواردات في بعض المناطق كمناطق العمارة مثلا ، بالالتزام للملاكين والقطاعيين الكبار بمشروط سهلة جعلتهم ميالين للحكومة البريطانية المحتلة (٤) وحملت السلطات البريطانية على حصر السلطة في كل قبيلة بيد شيخ كبير واحد يشرف عليه ويوجه اعماله ، يحاكم سياسي . ليسهل على السلطة المحتلة ان تدبر القبيلة بأسرها وتوجه اعمالها . وتضمن دوام الامن والاستقرار فيها . بمقابل كلفة مواكبر سرفة .

(٣) ايرلاند ص ١٤

(٤) انظر المصدر السابق ص ٢٦ - ٢٢ ، و ٨٨

• وجعل كل شيخ ينتخب على هذا الاساس مسؤولا عن الامن والاستقرار بين عشيرته وعن اكتشاف العايشين ومحاية خطوط المواصلات والاموال البريطانية ومنع وصول التجهيزات والمساعدات الى الترك ومن جمع الضرائب التي كانت مقررة حينذاك • وكان يحصل مقابل ذلك على تأييد الموظفين البريطانيين والسلطة اللازمة على السلاح اذا اقتضى الامر ذلك • ثم صودق على تملكه للأرض وحددت حدوده العشائرية بادي ما يمكن كما عززت اهميته في المجلس العشائري بواسطة التدابير الموضوعة في نظام دعاوى العشائر هذا بالإضافة الى مساهمة بذل العالميا والهيئات الجسيمة، وهم دنع الضرائب (٥) •

والحق ان نظام الادارة في هذه الفترة كان موجها نحو حفظ مصالح بريطانيا الاساسية واثبات الامن في البلاد مواعدا لها لتكون ولاية تابعة للمند • ولم يكن القصد منه انشاء حكومة عصية تحقق تقدم البلاد ، وتساعد على تطورها • فقد وطد اعتماد السلطات البريطانية على شيخ القابيل مركز هو لا الشيخ المتزعم وقوى نفوذهم الموشك على الانسيار وخلق منهم طبقة اذلية اثرت تأثيرا سينا في حياة البلاد المقبلة • في تشرين الاول من سنة ١٩٢٠ اقامت الحكومة البريطانية حكومة مرتقة في العراق على العمرة التي تكلمت عنها في الفصل السابق • وفي ٢ تشرين الثاني فقد اول اجتماع لمجلس الوزراء • وقد نوقشت في هذا الاجتماع علاقة الوزراء العراقيين بالمستشارين البريطانيين • كما نوقشت قضية منصب المندوب السامي • وقد تم المستر فيليبي مذكرة بماتين القضيتين فقبلت في الاجتماع الثالث لمجلس الوزراء في ١٣ تشرين الثاني وهو اول اجتماع رسمي يعقده هذا المجلس • وقد اصبحت مذكرة المستر فيليبي هذه والتي صدرت بشكل تعليمات لمجلس الوزراء، اول دستور للعراق • يعتبر كل وزير بحسب هذه التعليمات رئيسا لدايرة من دوائر الدولة ويكون مسؤولا عن ادارتها بشرط ان يكون خاضعا الى (١) اشراف مجلس الوزراء (٢) مشورة الضابط البريطاني الذي يختاره المندوب السامي لتقديم الاستشارة اليه (٣) سلطة المندوب السامي العليا • وكانت اعمال الوزارات تجري على هذه الصورة • ترفع جميع المسائل التي تعود الى اختصاص الوزير بواسطة مستشاره ويقوم الوزير باجرا ما يلزم بعد مشاورة المستشار • واذا اراد احد الوزراء اتخاذ اجراءات جديدة فيما يتعلق باختصاص وزارت



فعلية أما أن يستشير المستشار أولاً أو أن يرسل أوامره إلى الدوائر المقصودة بواسطة ليتمكن المستشار من إبداء رأيه قبل أن يأخذ الأمر صورته النهائية .  
وإذا حصل خلاف بين المستشار والوزير يرجع الخلاف إلى مجلس الوزراء . فيدرسه ولا يتخذ قراراً نهياً إلا بعد مشاوره المندوب السامي . وتعتبر قرارات مجلس الوزراء قاطعة بشرط موافقة المندوب السامي عليها ، بصفتها رئيس الحكومة ومندوبها سامياً ، وللمندوب السامي الحق في رد أو تعديل أي قرار من قرارات مجلس الوزراء . (٦)  
واعيد تقديم الإدارة في البلاد ، بعد ممارسة الحكومة مؤقتة (ملاحياتها) تدريجياً . فحل في كل لواء متصرف عراقي محل الحاكم السياسي البريطاني الذي أصبح مشاوراً للواء من دون أن تكون له صلاحية تنفيذية . وأصبح معاونو الحكام السياسيين مشاورين مساعدين . واستعين بالموظفين العراقيين في اشغال الوظائف الحكومية ، على أن الوظائف الرئيسية كانت تدار مباشرة من قبل موظفين بريطانيين . وقد اخبر طباطبادة الإدارة البريطانيون بالتغييرات التي حصلت وصدرت التعليمات اليهم من المندوب السامي في ٢٠ تشرين الثاني من مكانتهم في الإدارة . جاء في هذه التعليمات ما يلي : أن النشاط والدوائر الذين كانوا يكونون جزءاً من الإدارة البريطانية الملكية في العراق سيكونون من الآن فصاعداً في خدمة مجلس الوزراء ، وأن افادة تنظيم الماكينة الادارية سوف تدير مباشرة ، على أن تكون خاضعة لاشرف المندوب السامي العام بأسرع ما يمكن . وعلى الحكام السياسيين ومعاونيهم في المناطق المختلفة رؤساء الدوائر في المركز وغيره ان يتصلوا بعد الآن بالوزارات المختلفة وتلقوا الاوامر منها . (٧)

كان الوزراء العراقيون مشبعين بروح الحكم التركي ، فقد تلقوا كلهم في المدارس التركية وكان معظمهم موظفين وطباطبا في الدولة العثمانية ، ولهذا السبب ادخلوا اساليب الدولة العثمانية في الحكم وهذ وطرائقها في ادارة البلاد ، وروحيتها في معاملة الشعب ، بقدر ما كانت تسمح لهم بذلك المصالح البريطانية وسلطة المندوب السامي ومستشاريه . وقد قوى هذا الاتجاه كون معظم الموظفين العراقيين الذين اخذوا يشغلون وظائف الحكومة الجديدة ، من الموظفين السابقين في الدولة العثمانية ، وكون الشعب العراقي قد ألف هذه الاساليب واطفاد عليها .

(٦) راجع لائحة التعليمات للهيئة الادارية العراقية في عهد الرضا الحسني تاريخ الوزارات العراقية ج ١ (سبدا ١٩٢٢) ص ١١ - ١٤ . وتجد النرا الانكليزي للائحة في الملحق السادس

لقد ولدت الحكومة العراقية الفتية تحمل جرثومة التأخر والفساد من الرحم ، واقامت على اسر قديمة ، وشيدت بلبناات متينة التكوين . ولقد تركت هذه البداية انرا سبنا في مستقبل الدولة العراقية ، لان هذه الاساليب التركية في الحكم مضانا اليها ما ادخله الانكليز من اساليب الادارة الهندية نمت وتطورت في مهدي الاحترال والانتداب ، وبلغت اشدها في عهد الاستقلال ، ولقد امتد ظل اولئك الموظفين والوزراء العراقيين الشبعيين بروح الحكم التركي المدرسين على اساليب الادارة الاستعمارية في الهند ، الى وقتنا هذا ، اذا اصبحوا على توالي الايام موظفين كبارا في الدولة ، وزراء ومصرفيين ومدراء عاملين ونوابا وامانا . يسرون مقدرات البلاد بروحيتهم تلك العتيقة ، واصبح لزاما على الاجيال الفتية من العراقيين المثقفين بالثقافة العصرية ان تقوم طغيان هؤلاء الموظفين على الادارة وروحية النظام البالي ، لتفرض روية نظرها في اسالاح جهل الدولة وكثيرا ما تستسلم هذه الاجيال المثقة الى طغيان النظام العتيق ، وتتجرف بتياره القوى الذي لا يحدد له الا ذروا العفائد . وفي هذا السدر يقول فيليب ايرلاند (٨) :

ان مقتضيات الادارة العملية العاجلة ربما كانت تتطلب من البريطانيين المشرفين على الحكومة الجديدة ان يعلموا بهذا الاتجاه الى درجة كبيرة . ومع ذلك فان فشل مجلس الوزراء المؤقت في الاستفاده من ثمرات ما كانت الادارة الملكية قد انتجته ، وفي التفريخ التام الى واجب خلق دولة جديدة على منوال احسن الامثلة الموجودة امامه .

اقول ان فشله في ذلك كله حصر نظام الحكم الجديد بالنظم والاساليب البالية في نفس الوقت الذي كان فيه وراثا الامبراطورية العثمانية (الأتراك) ينبغي ان تلك النظم البالية باعتبارها لا تتلائم مع وضع الدولة التركية الجديدة . وكان ذلك يدل على ميل العراق ليصبح الوريث لبقية التركة التي خلفتها الامبراطورية الغابرة فيكون دستور و قوانينه الانتخابية ونظامه القضائي ونظامه المالي وموقفه بالنسبة للاتليات وحتى روحيته مقاربا لهذا كان موجودا في العهد البائد .

ونظمت الحكومة في عهد الانتداب على قرار الادارة المتبعة في عهد الحكومة المؤقتة ، مع بعض التعديل في الشكل . فقد اسبح الملك هو المرجع الاعلى في الدولة بدلا من المعتد السامي .

(تابع "٦") السادس من ايرلاند ص ٤٦١ - ٤٦٥ .

(٧) ايرلاند ص ٢١٣ - ٤ من الاصل وص ٢٢٨ - ٢٢١ من الترجمة .

(٨) ص ٢١٥ - ٦ من الاصل وص ٢٢٠ من الترجمة .

وفي المستقبل من أجل أن يكون في الملك السامي

في الدولة التي الدولة بعد ذلك من المعتمد السامي . وبقي المستشارون والموظفون البريطانيون

في الترائين يحفظون مصالح البريطانبة ويوجهون شؤون الدولة بشكل يتفق

وهذه المصالح . وقد بينت المعاهدة العراقية الانكليزية الاولى حقوق هؤلاء الموظفين

البريطانيين واجباتهم كما تقدم في الفصل السابق . وكانت قرارات مجلس الوزراء في عهد

الحكومة المؤقتة محتاج الى مصادقة المعتمد السامي لتصبح نافذة المفعول .

وفي عهد الانتداب كانت قرارات هذا المجلس اذا اقترنت بمصادقة الملك عليها ،

تصدر بشكل ارادات ملكية مذيبة بتواقيع الملك ورئيس الوزراء والوزير المختص .

ولاجل ان لا تتخذ الحكومة الحراية اجراءات تخالف مصالح بريطانيا وتحتل

بتعهداتها لحصة الام كانت ترسل صورة من جميع المقررات التي يتخذها مجلس

الوزراء الى المعتمد السامي . وكان من المعتاد ان لا يصادق الملك عليها حتى

يكون المندوب السامي قد وافق عليها ولم يبد تجاهاها اعتراضا . وكان موقف

المستشارين البريطانيين في ادارة الوزارات المختلفة يشبه موقف المعتمد السامي .

فكل قرار يجب ان يمر على المستشار ليبدى رايه فيه قبل ان يقرن نهائيا بتوقيع

الوزير . اما اذا اتخذ الوزير قرارا مسلما ما يؤثر في مصالح الحكومة البريطانية

دون موافقة المستشار فكان المعتمد السامي يتخذ الاجراءات اللازمة للكتابة يرجع

الوزير المختص من قراره ، فان اصر الوزير وقدم القرار الى مجلس الوزراء فكان

المعتمد السامي ينهر على الملك بان هذا القرار غير مقبول . لديه . وكان الملك

يبحث القضية مع الوزير لارجاعه من رايه . وان كان مجلس الوزراء قد ابرم القرار

فان المعتمد السامي يطلب من الملك عدم التوقيع عليه . وكان وضع المفتشين الاداريين

في الالوية بالذين كانوا في عهد الاحتلال حكما سياسيين بالنسبة للمتصرفين

يشبه ما تقدم . فكان المتصرف لا يتخذ قرارا دون موافقة المفتش الاداري عليه .

وقد خول قانون المفتشين الاداريين الذي صادق عليه مجلس الوزراء في

٢٣ كانون الثاني ١٩٢٣ هؤلاء المفتشين الاداريين اوسع الصلاحيات في تنفيذ

جميع جزئيات الادارة الداخلية موجباة الواردات وشؤون البلديات والشرطة

والامن العام .

لقد استطاعت الحكومة البريطانية ان توجد في العراق ادارة بريطانية ذات

واجهة عراقية . فقد كانت السلطة الحقيقية بيد المعتمد السامي ومستشاريه . بينما

كان الوزراء والموظفون العراقيون يتحملون مسؤولية التنفيذ ، وعلمون ملامة

الراب العالم العراقي وسخطه . وكانت هذه المسؤولية المزدوجة التي جعلت في البلاد حكومتين - حكومة ظاهرة هي الحكومة العراقية بكامل اجهزتها الادارية وبجانبها التشريعية وموظفيها العراقيين محكومة مستورة هي حكومة الموظفين والمستشارين البريطانيين - تعرقل سير الادارة وتضع المسؤولية بين الموظفين والمستشارين وتعميق تقدم البلاد . وكانت الى ذلك تثقل كاهل الخزينة العراقية برواتب الموظفين والمستشارين البريطانيين . فقد بلغ عدد الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية عام ١٩٢٣ ٦٩٠ موظفا كلهم من ذوي الرواتب الضخمة وقد دمي هذا الوضع بحق "بالوضع الشان" وكان من اهم الاسباب لنقمة الشعب على الانتداب ومحاربه له حتى تمكن من التخلص من بعض شروره عام ١٩٣٢ .

على ان هذا النظام الدعاقيم في العراق كافي لا بد له ان يتخذ طابعا دستوريا ليصبح شرعيا في نظر الشعب العراقي فوفي نظر الدول الاوربية التي وضعت العراق تحت انتداب بريطانيا . وقد تحتم ان يكون هذا النظام ديمقراطيا لان النظام الديمقراطي هو شكل الحكم التقدمي في نظر العالم المتقدم انذاك ولان هذا النظام يوافق رغبات الشعب العراقي ويحقق اماله ويهيئ وسائل تقدمه . وقد ورد شكل نظام الحكم الديمقراطي هذا في البيان الذي اذاعه مجلس الوزراء بتاريخ ١١ تموز ١٩٢١ عندما نادى بالامير فيصل ملكا على العراق . حيث جاء فيه : " . . . . . ومشرط ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية ، متبذة بالقانون " . واكدت المادة الاولى من صك الانتداب على هذا الشكل من الحكم . اما المادة الثالثة من المعاهدة العراقية الانكليزية الاولى فقد عينت الخطوط الرئيسية للدستور حيث تقول : « يوافق حلاله ملك العراق على <sup>ان يقر</sup> قانونا اساسيا ليقرر على المجلس التاسيسي ويكمل تنفيذ هذا القانون الذي يجب ان لا ~~يحتوي~~ <sup>يحتوي</sup> على ما يخالف نصور هذه المعاهدة وان ياخذ بعين الاعتبار حقوق ورفائ و مصالح جميع السكان القاطنين في العراق وكفل للجميع حرية الوجدان التامة وحرية ممارسة جميع اشكال العبادة بشرط ان لا تكون مخلة بالاداب والنظام العموميين وكذلك يكفل ان لا يكون ادنى تمييز بين سكان العراق بسبب قومية او دين او لغة ويؤمن لجميع الطوائف عدم تفران او ماساس حقا بالاحتفاظ بعدارسها لتعليم اعضائها بلغاتها الخاصة على ان يكون ذلك موافقا لمقتضيات التعليم العامة التي تفرضها حكومة العراق . ويجب ان يعين هذا القانون الاساسي الاصول الدستورية التشريعية كانت او تنفيذية التي ستنبع في اتخاذ القرارات في

جميع الشؤون المهمة بما فيها الشؤون المرتبطة بمسائل الخطط المالية والنقدية والعسكرية \*.

تألفت في أوائل خريف ١٩٢١ لجنة خاصة لوضع لائحة القانون الاساسي توأما الميجريونك المؤلف في دار الاعتماد، والمستر دراوير مستشار وزارة الدبلوماسية والمعتد السامي نفسه بمأشراف المستر ليرسون المناور الحقوق للحكومة البريطانية \* وضعت هذه اللجنة لائحة للدستور مستمدة اصولها من دساتير استراليا ونيوزيلندا وبعر دساتير الممالك الصغرى \* وعرضت اللائحة على الملك قبلها مبدئيا واحالها على لجنة عراقية مؤلفة من ناجي المصري وزير الدبلوماسية وسامون حسيقل وزير المالية موسستم كهيدر سكرتير الملك الخاص فاعترضت اللجنة على اللائحة لانها منحت الملك سلطات تشريعية واسعة \* واعدت هذه اللجنة بدورها لائحة جديدة اقتبست نصوصها من الدستور العثماني \* وقد اختيرت من هاتين اللائحتين لائحة جديدة ارسلت الى وزارة المستعمرات عدة مرات كانت في كل مرة تنقح فيها وتعديل في موادها حتى اقرتها اخيرا \*

وعرضت هذه اللائحة النهائية للدستور على المجلس التأسيسي فقرر تأليف لجنة خاصة لدراستها في ٢ نيسان ١٩٢٢ \* ولكن اعضاء هذه اللجنة تخلوا بمناقشة المعاهدة فلم يستطيعوا ان يتفهموا لدراسة الدستور دراسة نقدية \* ولم يستطيعوا ان يفقدوا غير ثمان جملات درسوا خلالها ٨٠ مادة دراسة اولية \* اما مناقشة المجلس للقانون الاساسي فاستغرقت اقل من شهر واحد من ١٤ نيسان الى ١٠ تموز ١٩٢٤ \* يقول الدكتور مجيد خدوري (١) «اما مناقشة المجلس لمواد القانون الاساسي فكانت تجري بسرعة انه اقر مواد كثيرة بمجرد قرائتها مرة واحدة دون مناقشتها \* وكانت كلما توشك المذاكرة في بعض المواد التي تتناول يقترح بعض اعضاء المجلس انها المذاكرة والتصويت على المادة كما جاء ذلك في لائحة القانون الاساسي فيقبل الاقتراح وهكذا يكتمل بالمذاكرة \* وكان النص الوارد في المادة الثالثة من المعاهدة الذي يشترط ان لا يحتوي الدستور ما يخالف نصوص المعاهدة عائقا امام كثير من المحاولات التي قام بها المجلس لتنقيح وتعديل مواد لائحة الدستور \* فقد عدل المجلس مثلا المادة الرابعة والاربعين باكثرية الارب \* وكان التعديل بخسر اعطاء النواب صلاحية

اقترح اللوائح القانونية المتعلقة بالامر المالية . ولكن الحكومة وجدت ان هذا التعديل يعارض المادة الرابعة من المعاهدة فاضطر المجلس ان يقر المادة الاصلية كما وردت في اللائحة .

وقد فرغ المجلس من قبول لائحة القانون الاساسي بعد موافقته على المعاهدة مباشرة . ثم تقدمت الحكومة العراقية باللائحة الى الحكومة البريطانية لتستكمل موافقة مجلس عصبة الامم عليها موافقا للمادة الاولى من صك الانتداب . فارسلتها الحكومة البريطانية الى عصبة الامم مع مذكرة اوضحت فيها بان لائحة القانون الاساسي العراقي جاءت متابقة للائحة الانتداب . وصدقها مجلس العصبة واعدها لنسورها والفعل بمقتضاها . ولما كانت المادة ١٣ من الدستور تمنع على ما يلي : " لا يعطى انحصار او امتياز لاستثمار مورد من موارد البلاد الغريبة او لاستعماله في مصلحة من المصالح العامة ولا تعطى الواردات الاميرية بالالتزام الا بموجب القانون . على ان ما يتجاوز منها ثلاث سنوات يجب ان يقترن <sup>بلائحة</sup> بقانون خاص لكل قضية " . فقد اشارت الحكومة البريطانية الى الحكومة العراقية بتاجيل نشر الدستور حتى يتم منح امتياز شركة النفط التركية من قبل المجلس الوزاري لانها كانت تخشى ان يلقى معارضة من قبل المجلس النيابي . وبعد ان وقع على الامتياز المذكور في ١٤ اذار قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١٢ اذار نشر الدستور في ٢١ اذار ١٩٢٥ (١٠) .

يتكون القانون الاساسي من مقدمة وعدرة ابواب . تحدد المقدمة معنى القانون الاساسي وخاصة البلاد . فشكل العلم العراقي . وتعين المادة الثانية منها شكل الحكم في البلاد فوي تنظر ان " العراق دولة ذات سيادة وهي مستقلة حرة ملكها لا يتجزأ ولا يتنازل عن شي منه وحكومة ملكية وراثية وشكلها نيابي »

ويبحث <sup>ال</sup>الباب في الحقوق الشعب فينص على صيانة الحقوق الفردية والامة للعراقيين جميعا . الا انه قيد كثيرا من هذه الحقوق باحكام القوانين دون ان ينص على الضمانات التي تضمنها لاحبابها . فقد نصت المادة السابعة على ان " الحرية الشخصية مضمونة لجميع سكان العراق من التعرر والتدخل ولا يجوز القبض على احد هم او توقيفه او حافته او اجباره على تبديل مسكه او تعريفه

لقيود او اجباره على الخدمة في القوات المسلحة الا بمقتضى القانون . اما التعذيب  
ونفي العراقيين الى خارج السلطنة ممنوع بتاتا . " وتضمن المادة الثامنة على ان  
" للعراقيين حرية ابدانهم والنشر والاجتماع وتاليف الجمعيات والانضمام اليها  
ضمن حدود القانون . " وقد اكدت المادة التاسعة على احترام وصيانة حقوق الملكية  
الفردية .

اخذ واضعو الدستور بعيدا تقسيم السلطات الى تشريعية وتنفيذية  
وقضائية وتكون السلطة التشريعية منوطة بمجلس الامة مع الملك . ويتألف مجلس الامة  
من مجلسي الايمان والنواب (م ٢٨) وتعتبر زيادة السلطة العراقية الدستورية لازمة .  
وعند السيادة هي ودبعة الشعب للملك فيصل بن الحسين ثم لورثته من بعده  
(م ١٩) والملك مصون وحر مسؤول (م ٢٥) والمقدم بعدم المسؤولية  
السياسية هذه ان الملك لا يمسأل سياسيا بل ولا يمسأل جنائيا امام <sup>المحاكم</sup> القضاء لان  
ذلك يقتضي مع هيئة مركزه السامي (١١) وموراير الدولة الاعلى . فهو الذي  
يصدر القوانين ويامر بنشرها ويراقب تنفيذها ويأمره بوضع الانظمة لاجل تبيين  
احكام القوانين . والملك يصدر الاوامر باجراء الانتخاب العام لمجلس النواب  
ويجتمع مجلس الامة ويفتح هذا المجلس ويعطله مؤقتة ويحل مجلس النواب .  
ويحق للملك ان يصدر اثناء عطلة المجلس ~~كل~~ المراسيم بموافقة هيئة الوزراء  
يكون لها قوة القوانين . ويجب ان تدرج هذه المراسيم على مجلس الامة في اول  
اجتماع عدا ما صدر منها لاحل القيام بواجبات المعاهدات المصدقة من قبل  
مجلس الامة او المجلس التأسيسي فان لم يصدقها المجلس تصبح ملغاة . والملك  
يعقد المعاهدات بشرط الا يصدقها الا بموافقة مجلس الامة عليها .

والملك يختار رئيس الوزراء وعلى ترشيح الرئيس معين الوزراء . وللملك كتمد  
الضرورة التي تقتضيها السلطة العامة ان يقبل رئيس الوزراء (١٢) والملك يعين  
اعضاء مجلس الايمان ويقبل استقالتهم من مناصبهم . والملك بناء على اقتراح الوزير  
المسؤول يعين ويحزل جميع المتولين للسياسيين والموظفين الملكيين والقضاة والحكام  
ويمنح الرتب العسكرية ويعين قواد الفرق فما فوقهم ما لم يفور ذلك الى سلطة  
اخرى بقانون . وللملك القيادة العامة لجميع القوات المسلحة . وهو يعلن الحرب  
بموافقة مجلس الوزراء . وله ان يعقد معاهدات الصلح بشرط ان لا يصدقها نهائيا

الا بعد موافقة مجلس الامة • وله ان يعلن الاحكام العرفية او حالة الطوارئ  
ولا ينفذ حكم الاعدام الا بتصديق الملك بوللملك ان يخفف العقوبة او يرفعها  
بمقتضى حاصره ان يعلن العفو العام بموافقة المجلسين (م ٢٦) • ويستعمل  
الملك سلطته بأوامر ملكية تصدر بناء على اقتراح الوزير او الوزراء المسؤولين  
وموافقة رئيس الوزراء بموقع عليه من قبلهم • (م ٢٧) •

ويتألف مجلس الاعيان من عدد لا يتجاوز ربع مجموع النواب (١٢) يعينهم  
الملك (م ٣١) ومدد العضوية للمجلس الاعيان ثمان سنوات اعتبارا من تاريخ التعيين  
ويجوز إعادة تعيين العضو السابق (م ٣٢) وفي جملة ما يشترط في اعيان ان  
لا يقل عمره عن اربعين سنة (م ٢٧)

اما مجلس النواب فيتألف بالانتخاب بنسبة نائب واحد من كل عشرة من الف  
نسمة من الذكور • (م ٣٦) ويجب ان ترفع جميع اللوائح القانونية الى احد المجلسين  
فان اقبلها ترفع الى الثاني ولا تكون قانونا ما لم يوافق عليها المجلسان ويصدقها  
الملك (م ٦٢ فقرة ١) ولكل عضو من اعضاء المجلس النيابي ان يقترح وضع لائحة  
قانونية عدا ما يتعلق بالامور المالية على شرط ان يؤيده فيه عشرة من زملائه •  
واذا قبل المجلس الاقتراح يودعه بمجلس الوزراء لسن اللائحة القانونية • وكل اقتراح  
يرفضه المجلس لا يجوز تقديمه ثانية في الاجتماع نفسه (م ٤٥) وقد قرر قانون الانتخاب  
الصادر في ٢٢ تشرين الاول ١٩٦٤ ان يكون الانتخاب غير مباشر والتصويت  
سريا • ويعتبر كل المواطنين الذين تتوفر فيهم شروط معينة منها كونهم عراقيين  
اكملوا سن العشرين وغير محكومين بالسجن لجريمة تخل بالشرف "مستحقين اولين" •  
ويستطيعون ان يمتدوا للمنتخبين الثانويين • وينتخب كل ٢٥٠ متد بها اوليا  
منتخبا ثانويا واحدا • ووظيفة المنتخبين اثنانويين هي انتخاب النواب • وهم  
يحتمون في مناصبهم هذه طوال حياة الدولة البرلمانية وذلك لان انتخاب نائب جديد  
او املا الشواغر في المجلس كلما دعت الحاجة الى ذلك • وقد ان عدد  
النواب في المجلس النيابي كثر سنة ١٩٦٦ ثمانية وثمانين نائبا بينهم اربعة

(١٢) اضيفت هذه الفقرة الى الدستور عام ١٩٤٣

(١٣) كان عدد الاعيان قبل تعديل الدستور سنة ١٩٤٣ عشرين فينا فقط



نواب عن المسيحيين وأربعة نواب عن الموسوليين وزاد هذا العدد بعد سنة ١٩٢٥ فأصبح ١٠٨ . وفي سنة ١٩٤٣ بلغ عددهم ١١٨ نائباً بالنظر لزيادة سكان العراق (١٤) وقد أصبح عدد النواب الآن ١٣٨ نائباً . ولا يقل عدد الوزراء من السبعة بضمهم رئيس الوزراء . ولا يكون وزيراً من كانت فيه موانع تحول دون انتخابه نائباً . والوزير الذي لا يكون عضواً في أحد المجلسين لا يبقى في منصبه أكثر من ستة أشهر مالم يعين عضواً في مجلس الأعيان . أو ينتخب نائباً قبل ختام المدة المذكورة (م ٦٤) إن مجلس الوزراء هو القائم بإدارة شؤون الدولة . ويعتد برئاسة رئيس الوزراء . لا يرأسه . اتخاذ من الإجراءات في القضايا المتعلقة بأكثر من وزارة واحدة وفي جميع الأمور العامة التي تقوم بها الوزارات ويعرر رئيس الوزراء ما يقره المجلس على الملك للمصادقة عليه (م ٦٥) ويكون الوزراء مسؤولين بالتضامن أمام مجلس النواب عن الشؤون المتعلقة بوزارة كل منهم وما يتبعها من الدوائر . فإذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة بأكثرية الأعضاء الحاضرين فعليها أن تستقيل وإذا كان القرار المذكور بمسرح أحد الوزراء فقط فلي ذلك الوزير أو يستقيل . وعلى المجلس أن يؤجل التصويت بعدم الثقة مرة واحدة إلى مدة لا تتجاوز ثمانية أيام إذا طلب ذلك رئيس الوزراء أو الوزير المختار . ولا يحل المجلس في هذه المدة (م ٦٦) ويبحث الباب الخامس من الدستور في السلطة القضائية تعيين تعيين الحكام وأنواع المحاكم ووظائفها . وقد جاء فيه أن "الحكام مصرية من التدخل في شؤونها" (م ٧١)

هذه صورة سريعة لنظام الحكم كما حدده الدستور . وهو نظام ديمقراطي قائم على إرادة الشعب وهو الذي خدعة المصالح العام . فلي أن هذا النظام الديمقراطي النيابي بني كركناً على صورة مزوجة الديمقراطية من جوهر الديمقراطية في الواقع . فقد كانت سلطة الحكومة الراقية تابعة لأشراء المستشارين البريطانيين وكانت كلمة المحتد السامي . في الواقع كما هي العليا أبدأ كما تبين لنا ما تقدم . ولأجل أن تضمن الحكومة البرلانية سلامة مصالحها في العراق ولأجل أن تمتنع مجيئ مجلس نواب عارٍ يعرقل مشاريعها هيمن القوانين

التي لا توافق مصالحها عند واضع الدستور الى تركيز معظم السلطات بيد الملك بحيث أصبحت القوانين لا تكون شرعية <sup>طالما</sup> ~~طالما~~ نافذة المفعول الا بعد موافقة مجلسها، لان المفروض في الملك كما تنص على ذلك بنود المعاهدة الا لا يضع موافقة على اي قانون لو نظام الا بعد استشارة المعتمد السامي واخذ موافقة مسبقا .

وكان الملك فيصل الاول ذاتا شخصية قوية، وإرادة نافذة موداية بفن الحكم،

وخبرة عميقة في معاملة الرجال . وكان ينزع الى التمتع بأقصى حدود السلطات المخولة له بل لقد كان يتجاوز نطاق سلطته أحيانا . وقد استطاع ان يطر على الوزارات المختلفة سيطرة تامة في اغلب الأحيان فهو - بمها الوجهة التي يراها . وعلى هذا فقد كان الوزراء في عهد الملك فيصل الاول مقيدين بمستشارتهم الانكليز من جهة ، وتابعين لأوامر الملك من جهة أخرى . هذا طبعا في الأمور الخطيرة أما في القضايا الأخرى التي لا تؤثر في المصالح البريطانية فثأنا مطلقا الإرادة يفعلون ما يشاؤون . وكانت سيطرة الملك فيصل على نظام الأمور في الدولة أكثر وسجا في مجال تشكيل

الوزارات واستولوا منه في أي مجال آخر في الدولة . فعلى الرغم من أن المادة ٦٦ من القانون الأساسي جعلت الوزراء مسؤولين بالقانون وبمصلحة فردية أمام البرلمان إلا أنه لم يحدث أن سقطت أية وزارة من الوزارات الخمسة عشرة التي أتت إلى الحكم في عهده ( ١٩٢١ - ١٩٢٢ ) بسبب تصويت البرلمان بعدم الثقة فيها . باستثناء سقوط الوزارة

الستونية الثانية سنة ١٩٢٦ التي كان سببها المعارضة الشديدة التي لاقتها في

البرلمان عند افتتاحه ٠٠٠٠ وكان السبب في سقوط كل وزارة في عهد فيصل الاول يرجع

إما إلى رغبة المباشرة في انسحاب الوزارة من الحكم أو إلى عدم استمرار ثقة فيها، (١٥)

وذلك ما توفي الملك فيصل الاول وخلفه الملك غازي وكان صغير السن قليل الخبرة بفن الحكم،

وعندما ارتفعت قضية الانكليز على إدارة شؤون الحكومة العراقية انطلق الوزراء بمشكون لمصالحهم

في حرية مستقبلهم بأمر في أفراط وتنازعون فيما بينهم على التمتع بسلطان الدولة،

مما جر إلى فوضى الحماز الإدارية وإلى ثورات العشائر والانقلابات العسكرية التي

أماقت تقدم البلاد، مما سببته بعد قليل .

وقد اتخذت كل الإجراءات في عهد الانتداب والاستقلال واتبعت نفس الطرق

لغرض الانتخابات النيابية تحت سيطرة السلطة التنفيذية حتى تضمن الوزراء اتصال نواب

الى المجلس موافقون على ما يصدر من مراسيم وقوانين موافقون على ما تطلعوا على انفسهم من تعهدات قبل الدولة المنتدبة . وعلى هذا فقد كانت المجالس خاضعة خضوعا مطلقا للقوة التنفيذية تسميها كما تنص . ومن ادلة ذلك ان البرلمان لم يستطع وزارة ما بموجب الثقة منها بل على العكس من ذلك نجد انوزارات المختلفة تحمل المجالس القائمة كلما شعرت بوجود معارضة تناوئها وتجاوز برقطة مشاريعها . وقد كانت حجة الحكومة في حل المجلس النيابي عدم وجود توازن بين السلطات التنفيذية والتشريعية ومعنى هذا ان يكون المجلس صليبا لخدمة الوزارة القائمة بهذا من ان تكون الوزارة خاصة للبرلمان تستقيل اذا ما خالفت اراء الاكثرية فبهذا كما يحتم ذلك الحكم <sup>المجلس</sup> بالديمقراطي السليم . وكان النواب يأتون الى المجلس مستقلين في اكثر الاحيان ولا يحملون فكرة معينة في الاصلاح ولا ينتسبون الى حزب فلهذا كانت المراسم النيابية تسيطر كل وزارة قائمة ما لم تصدم مصالح الوزراء واهدافهم بمصالح النواب ومن امثلة ذلك الدورة الانتخابية التاسعة التي استقامت ان تكمل مدتها القانونية فماتت ثمانية وزارات متباعدة الاجتماعات وهي الوزارة السعيدية الرابعة والخامسة والوزارة العثمانية الثالثة ووزارة الهانسي والوزارة الكيلانية الرابعة والوزارة المدفعية الخامسة والوزارة السعيدية السادسة والسابعة (١٦)

ومن جملة ضعف المجالس النيابية وخصوع النواب امام مشيئة الوزراء الى موانع عديدة اهمها تدخل السلطة التنفيذية في الانتخابات وتفرضها على الامة نوابا لا يمثلون مصالحها الحقيقية ولا يسمون بخبرها وتقدمها . وما يساعد الحكومة على التدخل في الانتخابات النيابية وتزيف نتائجها كون الانتخابات في الطوائف على درجتين . وقد كانت الطريقة الانتخابية المباشرة هذه متبعة في العهد العثماني فثبتها الانكليز في عهد الانتداب . وجاراهم الوزراء المراقبون الماثرون بالعقلية التركية في الحكم تحاققوا عليها في عهد الاستقلال مع مخالفتها لروح الديمقراطية . وبهذه الطريقة تستطيع الوزارة ان تؤثر على المنتخبين الثانويين بحكم قلة عددهم وتضطرهم على انتخاب من تريد من النواب بالافراء تارة وبالتخويف والتهديد والتشكيل تارات اخرى . والاداة المتبعة منذ تاسيس الحكومة الحارضية كتي الوقت الحاضر ان تعد الوزارة قائمة باسماء النواب توزعها على متصرفي الالوية فيقوم هؤلاء باخراج منتخبين ثانويين وكثير منهم من موالي الدولة فيحققون لهم

انجاح قوائم الحكومة وقد يقال : ولكن هذه الطريقة غير المباشرة في الانتخاب على ما فيها من نقائص وعلى مخالفتها هذه الصريحة للديمقراطية الحقبة بمقد تمكن الشعب من انتخاب منتخبين قانونيين لا يصد هم عن انتخاب نواب يمثلون ارادة الامة تمثيلا صحيحا بتحديد متصرف ولا توعد مدير شرطة ولا جميع ما تلون به الحكومة من عهود وشرابات . هذه حجة قوية ولكنها لا تعتمد على الانتخابات في العراق . فتدخل الحكومة في الانتخاب لا يقتصر على انتخاب النواب من قبل المنتخبين القانونيين فحسب بل انه يمتد الى الانتخابات اولى . وامر التزوير في الانتخابات الاولى يسمر في العراق للحكومة لعوامل عديدة احدها : ان اقلية الشعب اية جماعة فلا تدرى مصالحها السياسية اذ راءا صحيحا . ولا تهتم بممارسة حقوقها السياسية التي كفلها الدستور وليس لها حث من النوي الذي السياسي يدفعها للنضال في سبيل حقوقها المسلوبة عن طريق البرلمان وان المواطنين خاضعين لروسائهم في العاصمة خضوعا تاما لا يستطيعون ان يمارسوا اوامرهم وان خالفت العدالة والقانون . وان الحكومة كثيرا ما تضيق على الحريات وتسيج جوا من الرعب ايام الانتخاب وسلطة واحدة ان الرأي العام المستنير الذي يرابط السلطة التنفيذية ويرجع الانتخابات لصالح الامة محذوم او فالمعذور في الحظر . فاذا علم ان اثرة هذا الشعب من ابناء العشائر الذين يخضعون لروسائهم وشيوخهم خضوعا تقديريا وان هؤلاء الروساء والشيوخ كثيرا ما يكونون هم المرشحين للنيابة او ينعهدون بانجاح نواب العسكية على اقل تقدير سهل على امر ان يفهم فيضيق شيوخ العشائر الاقصاديون اكثر من عشرين بالمئة من مقاعد المجلس ويغيبحتل الموالون للحكومة القائمة بالماخذ الباقية ( ١٧ )

( ١٧ ) ان الامثلة على تدخل الحكومة في الانتخابات النيابية وتزويرها اكثر من ان تحصى فلم يسلم منه انتخاب . وسكن الاطراح على ذلك في كتاب " مملكة كامل الجها درجي " في صيف ١٩٤١ ( بغداد ٤١ - ٤٢ ) الذي يحتوي على نصوص صريحة ووثائق دامغة تثبت تدخل الحكومة في انتخابات عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ وما اشاعت من البازد في ايلام الانتخابات من ارجاء واضطهاد وقابله الحسني اسرار الانقلاب . ( صيدا ١٩٤٢ ) ص ٩ - ١٢ وفي اماكن مختلفة من كتاب الحضي " تاريخ الوزارات العراقية " اربعة اجزاء ( صيدا ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ) .  
وايرلاندا ص ٤٢٢ - ٢٤

ان قوام الراي العام المستقيم الذي لا يكون للحياة النيابية الديمقراطية معنى ولا وجود بدونها هو الاحزاب السياسية والنقابات العمالية التي تمارس اعمالها بحرية في الصحافة المستميرة والمدارس والجامعات التي تقدم حقائق العلم الى الطلاب في حرية . وقد قامت الحكومة في عهد الانتداب بحرقلة نمو الحياة الحزبية والقضاء على الاحزاب العنيفة والوطنية المطالبة بحقوق البلاد بالدعاية الى التحرر والاستقلال ومن امثلة ذلك ما لاقاه الكتزيا الوطني وحرب التمهيد من اضطهاد الحكومة حتى حلها المحتمد العام ١٩٣٢ ونفى زعماءها الى جزيرة منجم ومثل جرت فيها القيد والرافدين وقد اصبحت مقاومة الاحزاب السياسية والمعارضة وذات الاهداف الاملاحية بخاضة مستقمات عليها الحكومات المتعاقبة منذ عهد الانتداب حتى يومنا هذا . وكانت الاحزاب العراقية في عهد الانتداب واوائل عهد الاستقلال ضعيفة التكوين فاشية الغالبات محدودة المجال لا تستند الى قاعدة واسعة من الجماهير . وكان اكثرها قائما على الرابطة الشخصية بين الاعضاء والاعمال السياسية الشكوية . ولذل كانت سرعان ما تنهار لاكتداد ارباب الحكومة عند انشائها ، اول حصول اهل خلاف بينهم او لانحياز بعضهم الى جانب الحكومة . وبكلمة واحدة ان هضم احزاب تلك الفترة لم تكن احزابا فعالة ذات مناهج سياسية واقتصادية واجتماعية واضحة ، واهداف بعيدة الى الاصلاح السياسي . ومما يكن من غير ان فقد كان وجود هذه الاحزاب يحرك انحية السياسة ويستحدث تفكير الشباب وينشج الفاعل املا في تحسين الاحوال العامة . على ان هذه الاحزاب النيب عام ١٩٣٥ وظلت البلاد دون احزاب حتى عام ١٩٤٥ حيث سمحت الحكومة بتاسيس خمسة احزاب علمية هي " الاستقلال " و " الاحرار " والوطني الديمقراطي " و " الاتحاد الوطني " و " الشعب " (١٨) ولم تعط اجازة لحزب التحرر الوطني وبقي الحزب الديمقراطي خارجا عن القانون يمارس نشاطه سرا . ولكن هذه الاحزاب لم تجد المجال لتفعيل نشاطها فلم يسمح لكثرها بانشاء فروع لها خارج بغداد وبقيت اجتماعاتها محدودة النطاق وحزبتها مقيدة . ولم يدر على انشائها <sup>في</sup> تأخير حكومي السيد الحكومة اجازة اثنين منها وعطلتها وعما " الاتحاد الوطني " و " الشعب " ونشبت الخفاء على الباقية فكان اعضاؤها يضطرون من قبل الشرطة بوزون

(١٨) ام يكتب تاريخ الحياة الحزبية في العراق . وقد اعتمدت في كتابة هذه

الملاحظات عن الاحزاب العراقية في فترة الانتداب واوائل عهد الاستقلال على

المعتمدين تاريخ العراق السياسي ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٥١ وخدور في نظام الحكم

في المواقف والمجبون بمختلف التسميات وكانت جرائدها تعطل، ثم تقدم للمحاكمة فلما كانت الحرب الفلسطينية، واهانت الاحكام العرفية في البلاد فشدت الحركة في مطاردة الاعضاء الحزبيين وخاصة اعضاء احزاب التحرر الوطني والوطني الديمقراطي والشعب، والشبيبي حتى لقد اضطر حزبا الاحرار والوطني الديمقراطي عام ١٩٤٩ على ايقاف نشاطهما الحزبي، معلنين ان قيام الاحزاب في البلاد دون السماح لها بممارسة نشاطها بحرية تقيط باعضائها الاضيق بواسطة دور على وجود الحياة الديمقراطية في البلاد، وقد بدعة وتحذير للشعب، وقد سبق وان بينت اننا من مكاتبة الحكومة لتقابات العمال، ومطاردتها للشبيبيين من اعضائها، بما فيه الكفاية.

اما الصحافة فبقيدة الحرية، وقد ظلت خاضعة "لقانون المطبوعات الحداثي" الموقت الذي في عام ١٩١٤ حتى سنة ١٩٢١. (لوح هذا القانون قيودا على الصحافة فاستوجب ان يكون لكل جريدة او مجلة دورية، مدير مسؤول، واخذ بمبدأ التامين النقدي، والتعطيل الاداري، وقواني هذا القانون به قانون المطبوعات رقم ٨٢ لسنة ١٩٢١. ابقى هذا القانون على قيود الصحافة، فاجب على كل شخص يرمي الصدور مطبوع دوري ان يحصل على اجازة من وزير الداخلية، واخطى للوزير سلطة مطلقة في منح الاجازة او رفضها، واجب ان يكون للمطبوع مدير مسؤول تتوافر فيه الشروط التالية: ان يكون:

- (١) عراقيا،

- (٢) مكلا من ال ٢٥ من العمر،

- (٣) غير محكوم عليه بجناية او جنحة مخلة بالشرف،

- (٤) مأذونا من مدرسة ثانوية كاملة او ما يعادلها، ومن ذوي الخبرة والسعة الحسنة

والمطبوعات الدينية ان يكون مجازا بالدريس.

- (٥) غير موظف او عضوا في احد مجلسي الامة.

وقد خول هذا القانون الحكومة حق تعطيل المطبوع، والناس اجازته، بهادرتة، وعدلت

بعدمواد هذا القانون بـ "قانون تعديل قانون المطبوعات رقم ٨٢ لسنة ١٩٢١ رقم ٥٦

لسنة ١٩٣٢". على ان هذا التعديل اضاف قيودا جديدة على الصحافة، فقد اشترط

ان يكون طالب الاجازة مأذونا من مدرسة ثانوية او ما يعادلها، وان لا يقل عمره عن ٢٥

سنة، وان يكون محروفا بحسن السمعة، وغير محكوم عليه بجنحة مخلة بالشرف او بجناية.

على حين لم يشترط قانون ١٩٢١ هذه الشروط. وقد شدد الشروط التي يجب توافرها في

المدير المسؤول فاجب ان يكون عمره ٣٠ سنة بدلا من ٢٥، وان يكون مأذونا من مدرسة عالية.

وجعل الخاء المطبوع اكثر سهولة من ذي قبل ، ورفع مدد التعطيل الوقت التي يستطيل  
ان يوقعها وزير الداخلية او مجلس الوزراء ، وقال في قانون المطبوعات رقم ٨٢ وتعديله  
بـ "قانون المطبوعات رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٣ " وهو القانون الذي لا يزال مطبقا حتى  
الوقت الحاضر مع بعض التغييرات التي ادخلت عليه بـ "قانون لتعديل قانون المطبوعات  
رقم ٧٧ لسنة ١٩٣٣" ~~قانون المطبوعات رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٣~~ رقم ٢٣ لسنة ١٩٣٤ .  
وقد احتوى قانون المطبوعات لسنة ١٩٣٣ على كل القيود الواردة في القوانين السابقة .  
فقد اوجبه ان يكون للمطبوع مدير مسؤول (م ٢٠) واضطرت استحصال اجازة من وزارة  
الداخلية (م ٥) واضطرت ايداع تامين نقدي (م ٤٠) واعطى لوزير الداخلية سلطة  
انذار صاحب المطبوع وتعطيله (م ١٢٠ و ١٢) واعطاه سلطة مصادرة المطبوع مصادرة  
ادارية (م ٢٢٠) . والتعبير المهم الذي ادخله قانون عام ١٩٤٤ هو نصه على  
انه ( ليس للحكومة ان تعطل صحيفه حزبية مسلنا فيها انها لسان حزب سياسي مجاز  
قانونا الا يحكم من المحكمة ) على ان عدم استقلال القاء ، في الواقع يجعل تحرير  
الصحافة الحزبية من السلطة التنفيذية امرا شكليا . (١١)  
يضاف الى هذه القيود النقلة التي فرضها قانون المطبوعات على الصحافة ، خضوع  
الصحافة لنظام المراقبة على المطبوعات . وذلك وفقا للمادة الرابعة عشرة من مرسوم  
الادارة العرفية رقم ١٨ لسنة ١٩٣٥ ، التي تنص الفقرة الثالثة منها على انه يجوز  
للقائد القوات العسكرية في المناطق المعلن فيها الاحكام العرفية ، ان يفرض الرقابة  
على الصحف وال نشرات الدورية ، ايقاف نشرها من غير اخطار سابق . وقد خضعت  
الصحافة العراقية لنظام الرقابة الصارم منذ ابتداء الحرب العالمية الثانية الى الوقت  
الحاضر باستثناء فترات قصيرة . كما انها كانت خاضعة قبل ذلك التاريخ للرقابة  
في الاماكن المعلن فيها الاحكام العسكرية . وقد كثر اعلان الاحكام العرفية بسبب  
الفتن والثورات العشائرية والانقلابات العسكرية التي حدثت في العقد الثالث من هذا  
القرن . ولم تقتصر القيود على المطبوعات وحدها بل تعدتها الى المطابع نفسها .  
فالمطابع في العراق تخضع لقانون المطابع العثماني الصادر عام ١٩٠٩ .

- 
- (١١) للاطلاع على موقف القضاء العراقي من الجرائد الحزبية راجع على سبيل المثال  
" محاكمة جريدة لواء الاستقلال " ، منشورات حزب الاستقلال (بغداد ١٩٤٢)  
و " محاكمة كامل الجباجبي " مطبوعات الحزب الوطني الديمقراطي (بغداد ١٩٤٦)

وهذا القانون يحضر على الطالبين طبع الكتب والرسائل غير المتعلقة بالعلوم والفنون والآداب والصنائع بدون الحصول على اجازة . وقد اضافت المادة ٨٨ من قانون المطبوعات البغدادى الصادر في ٣١ شباط ١٩١٨ قيودا على قيود القانون العثماني . فنصت المادة المذكورة اعلاه على ان " كل من اخطأ أو شغل مطبعة وطبع كتباً او مطبوعات اخرى بلا اجازة من الحكومة يعاقب بغرامة لا تزيد على خمسين دينارا او ثلثي المطبعة »

والحزبان الصحافة العراقية المقيدة بسدة القيود العتيقة تعاني ضحطا عديدا من السلطة التنفيذية . وهي على العالب خاضعة خضوعا تاما للحكومة القائمة تنكلم باسمها ، وتدعوا لها وتبرر اعمالها . اما الصحف الحرة قليلة العدد وهي تاعد اعني بان الكتابة ايضا النقد لامعالي الحكومة موالدفاع عن حقوق الشعب يقول الدكتور عبد الله اسماعيل البستان " ان الصحافة العراقية تخضع في الوقت الحاضر لنظام الرقائ في اذ اتوانه نعمتنا . وادنا اضنا الى ذلك ان السلطة المنتهية بالنظر في جرائم الصحافة في العراق هي المحاكم العادية التي لم تعرب تمام الحثيث وان المشرع العراقي قد اخذ بجرائم الرى الى حد كبير كما مقرر فيما يستفصله امكان القول بدون تردد بان الصحافة المذكورة لا تعرف معنى الحرية بل انما على الكرم من لى صحافة مقيدة ببيود ثقيلة تجعلها في قبضة الادارة تماما كما ان في تلك الحكم الصحافة الانكليزية قبل عام ١٦٦٥ والصحافة الفرنسية قبل الثورة وفي الحوادث الديكتاتورية التي تلتها فكعهدى نابليون الاول والثالث ، (٤٤)

وقد نتج عن تدخل الادارة في الانتخابات النيابية وسيطرتها على مجلس الأمة وتقييد حرية الصحافة والحد من نشاط الاحزاب والنقابات والجمعيات في القيام بالرقابة على الحكومة وتعداداتها وتبرير الراى العام نتائج خطيرة اهمها ان جهات الادارة في الدولة تتحرر من رقابة الأمة واصبح يحكم مقاليد الدين تخرج مستخدم في المدارس الثمانية ومعلموا مؤلفين في دوائرها وتربوا على اساليب الادارة في عهدى الاحتلال والانتداب وبعطوا في هذا العمل والى الان لا يزالون في عهدى الذاتية المتتالية على الايام بمصالح بريطانيا الوطيدة . وقد كان من نتائج فقدان رقابة الراى العام العمل الحكومي ان شاعت الرشوة في دوائر الحكومة



وانعدام مقاييس الكفاءة في تعيين الموظفين وحل محلهم النفوذ الشخصي، والمحسوبية والنسب طبعاً  
والرشوة في شئون الموظفين، وانعدام الديمقراطية والتغريب من الانكليز وخلفاء اعوانهم .  
وما زاد في فوضى جهاز الادارة وانعدام الكفاءات فيه هذه القوانين التي  
تتحكم في مصائر الموظفين واحداً المرسوم الذي صدر سنة ١٩٣٩ لتعديل  
قانون الانضباط والديول التي سبقتها وهي ديول قانون الانضباط لسنة ١٩٣١  
وذيول قانون التقاعد المدني لسنة ١٩٣٥ . فقد حولت هذه الديول الوزير  
بعد استحصاله قراراً من مجلس الوزراء صلاحية فصل الموظف متى تبين  
ان بقاء ذلك الموظف في وظيفته اصبح مضرًا بالمصلحة العامة وذلك لمدة معينة  
وهي ستة اشهر . على ان المرسوم المتقدم الذكر قد جعل هذه المدة دائمة (٢١)  
وهكذا اصبح الموظفون، ولا استثنى منهم الحكام والقضاة في خوف من السلطات  
العليا مسئولون الابتكار عليهم ان ينفذوا الاوامر التي تصدر لهم من فوق هكذا كانت  
منافية للمصلحة العامة مشية الفصل والعزل والتحويل وتأخر التوقيع . وقد  
يتحرر الموظفون من كل خوف ويتابعون هواهم في جر المغانم ومن وظائفهم فاذا  
ما كانوا حسني الصلة بالسلطات العليا او تدعمهم الشخصيات المتميزة بها لها  
او جاعها او نفولها . فاذا علمنا ان للافناء المدن والاقطاعيين وشيوخ  
الحشائر والانكليز نفوذاً في شئون الدولة العليا فسل علينا ان نتصور عجز جهاز  
الادارة هذا عن رعاية المصلحة العامة وخدمة البلاد وتنفيذ الاصلاحات الضرورية  
لتقدم الشعب . وما زاد في فوضى جهاز الادارة وابعادها عن خدمة الكافة  
تحكم الحكومة البريطانية في توجيهه اثناء الاحتلال الاول وهذا الانتداب وقد تعاضم  
توجيه بريطانيا للادارة بعد احتلالها الثاني للعراق سنة ١٩٤١ . فقد عاد كثير  
من المستشارين الانكليز الى الوزارات العراقية واخص بالذكر منها المعارف والداخلية

(٢٢) عبدالله اسماعيل البستاني، *دراسة مقارنة* (القاهرة، ١٩٥٠)، ص ١٣٣

اعتقدت في كتابة هذه الفقرات من الصحافة العراقية في هذا الكتاب ص ١٠٢ - ١١٣  
وفي «قانون المطبوعات رقم ٥٢ لسنة ١٩٣٣» (١٩٣٣) راجع خدري نظام الحكم في العراق ص ٦٧ - ٦٨

والعدلية والمالية • واقامت الحكومة البريطانية موظفين في اهم المدن العراقية المسيطرة على مناطق العشائر اسمتهم ضباط ارتباط ووظفتهم الاتصال بشيوخ العشائر والمتنفذين من سكان المدن لتتبعن اواصر الصلة بينهم وبين الانكليز وذلك عن طريق التدخل في الادارة لصالحهم • وكثيرا ما يقوم ضباط الارتباط هؤلاء بحل مشاكل شيوخ العشائر والاقطاعيين والتوفيق بينهم وبينهم او باثارة الخلافات بينهم حسب مقتضى الاحوال • والموظف الذي لا ينفذ طلبا<sup>ضباط</sup> الارتباط عليه ان يواجه حسابا عسيرا من رؤسائه الذين هم بدورهم معرضون للنقاش والحساب ان لم يلبيوا مطالب الانكليز من السلطة العليا في الحكومة •

وقد نتج عن تسلط الوزارة على المجلس التشريعية ، وخنق حرية الراي العام واتساد جوار المدارس العلمي ، وعدم رعاية جهاز الادارة للمصلحة العامة ، نتائج خطيرة اهمها • ما اشرفنا اليه من بطش في تقدم البلاد ، واصلاح لمحنة الشعب ، وبقاء عوامل التأخر ، التي ذكرتها بتفصيل على حالها ، وهذا ما ولد استياء اغلبية السكان من الحكومة ، وقاد الشعبان الى اعتناق المذاهب القائمة على العنف في الاصلاح ، وجعل كثيرا من السياسيين يتكفرون بالديمقراطية ، ويأسون منها ، ويعتقدون انها نبتة لا تصلح لها تربة العراق ، ولا يلائمها مناخه • فاجروا وسائل اخرى منها هذه الثورات العشائرية التي قامت في الفرات الاوسط بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٦ ، والتي اثارها وحرر عليها بعض الموثورين من الوزراء الاقدمين والساسة الطامعين الى الحكم ، بقصد اسقاط الوزارات القائمة والحلول محلها ، والتي ايدها رؤساء العشائر مدعومين بالجهالة طورا ، والمصلحة الشخصية طورا اخر ، والرقبة في اصلاح الاحوال السادسة احيانا (٢١) • فلما فشلت هذه الاساليب التي ادت الى اراقة دماء عراقية بريئة من ابناء العشائر ومن افراد القوات المسلحة الحكومية ، عمد الساسة الى الانقلابات العسكرية ، فابتدأ اولها الفريق ~~البربري~~ بكر صدقي عام ١٩٣٦ ، وتبعته ستة انقلابات اخرى كان اخرها الانقلاب العسكري الذي رفع رشيد عالي الكيلاني الى الحكم عام ١٩٤١ (٢٢) • وقد عالجت الحكومة هذه المشكلة العميقة الخطيرة معالجة سطحية مخلوطة ، منافية لروح الديمقراطية • فعدلت الدستور عام ١٩٤٣ ، ووضعت فيه مادة تخول الملك حق اقالة الوزارة ، بدلا من ان تعالجها معالجة صحيحة وذلك بافصاح المجال لنشاط الاحزاب ، ورفع القيود عن حرية الصحافة ، وتحرير الراي العام ، وجعل الانتخاب مباشرا حرا ،

والحد من الاقطاعية، والعمل على اصلاح ما في الهلاك من تاخر وفساد وفوضى •  
وهكذا تركزت اعظم السلطات بيد الملك، حتى لقد كاد الحكم في العراق ان يصبح  
ديكتاتوريا في الواقع • وقد عبر عن هذه الحقيقة احد السياسيين بقوله: ان نظام  
الحكم في العراق ديكتاتوري بلا ديكتاتور ظاهر السلطان، وديمقراطي بلا صحافة  
مستترة حرة، ولا احزاب حرة النشاط •

وكذلك من نتائج فقدان الديمقراطية في الحكم، ونشل الحياة النيابية، وتراكم الشرور  
في الهلاك ان عمد العراقيون الى تغيير الاوضاع عن طريق القوة والعنف تغييرا  
مباشرا، كما حدث في وثبة الشعب في شباط ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسمان والتي  
جعلت شعارها احياء التوقيع على هذه المعاهدة، وان كان مبعثها الحقيقي لفساد  
الاحوال، وانعدام العدالة، وتصرف الطبقة الحاكمة في الهلاك •

### خاتمة

تبين لنا مما تقدم ان اقلية الشعب العراقي امية، مريضة، فقيرة، بعيدة عن  
التفتح بالحضارة التي كوّنت مفهوما في فاتحة هذه الرسالة • وتبين لنا ان العوامل  
التي تعيق تقدم البلاد، وتعوق تحضر الشعب، متعددة منها هذا الفقر المزمن  
الذي تعانيه اقلية السكان والمسبب من انخفاض مستوى الانتاج، وضعف الصناعة  
واستغلال الانكليز لاهم مصادر الثروة في البلاد وهو النفط وسيطرتهم على اهم  
صادراتها كالقطن والحبوب، وتحكمهم في اهم موانئها للاقتصاد كالعيناء والسكة الحديد •  
ومنها هذه الامراض العديدة الميثاق بها اقلية الشعب والمسببة من انخفاض مستوى  
المعيشة وسوء التغذية والجبل، وانعدام الوسط الصحي • ومنها هذا الجهل  
الذي يعين في ظلاله اكثر من تسعين بالمائة من السكان، والذي يجعل الشعب  
يتسك بالخرافات، وينقاد الى العنعنات الطائفية ويستسلم لما هو فيه من تاخر وعبودية •  
وتبين لنا ان الحكومة العراقية، بجهاز ادارتها العاشر وقوانينها النافذة،  
واخص بالذكر منها قانون دعاوى العشائر وقانون حقوق وواجبات الزراعة، وقانون الطهريات،  
وقانون الجمعيات وقانون المضباط الموظفين، تخدم مصالح الاقطاعيين والمتنفذين •  
وتعين على قيام اجيال جديدة منهم، وتخدم مصالح بريطانيا المتنامية ابدا في البلاد  
وتسكن لهذه المصالح بوائها تفيد الحرية، وتشمل نشاط المصلحين •  
وقد تبين لنا ان هذه العوامل وحدة متماسكة الاصول والفروع، لا يمكن علاج احدها  
علاجاً اساسياً ناجحاً الا اذا مولجت جميعها • فلا يمكن محو الامة، وتثقيف الشعب  
وتخليصه من الامراض الا اذا ارتفع مستواه الاقتصادي، ولا يمكن ان يرتفع مستواه  
الاقتصادي الا اذا تحلم، وفهم اسباب تاخره، وكافح في سبيل حياة افضل • وليس  
بإمكان شخص خير، او مجموعة اشخاص خيرين ان يغيروا هذه الاوضاع طرفة او تدرجا،  
وانما يحتاج ذلك الى حكومة رشيدة تفهم الداء، وتسعى بخلصة الى علاجه • ولين  
تقوم هذه الحكومة الرشيدة المصلحة الا اذا وجد في البلاد راي عام متقف مستنير حر،  
منظم في احزاب شعبية عقائدية، يراقب الحكومة ويواجه امالها